جامعة تلمسان

معهد اللغة و الادب العربي

جامعة بوبكر بلقايد * تلمسان
كلية الآداب و اللغات
مكتبة اللغة و الأدب العربي

دراسات سانتكسية للهجات العربية القديمة

اعداد الطالب

عبد الجليل مرتاض

15/11
2011

اشراف :

الاستاذ الدكتور

رضوان محمد حسين النجار

« اطروحة جامعية علمية للحصول على درجة دكتوراه الدولة »

في اللسانيات

1414 - 1994

المقدمة :

1- اشكاليات الموضوع :

ليست لي أية فائدة من اخفاء سر على المنتهج لهذا البحث أو العمل ، اذا أفضيت له بجلية الأمر معترفا بأن هذا الموضوع ظل يراودني منذ سنوات طويلة ، وكلما حاولت أن أبتعد عنه وأنساه نهائيا ، وجدت نفسي منهمكا بغير قصد فيه ، وحتى أحاول أن أتخلص منه بشكل لا رجعة فيه ، اتجهت شرقا ومغربا ، لأبحث في موضوعين لا صلة للواحد منهما به ، ولكن حين اتجهت غربا (الى فرنسا) وجدت نفسي مرة أخرى أسجل فيه بتوازع تسجيل في جامعة قسنطينة ، ثم أخيرا في جامعة تلمسان .

وعليه ، فيمكن القول بأن هذا الموضوع قد فرض نفسه علي أكثر مما فرضت أنا نفسي عليه ، وهذا يؤدي الى القول الذي غدا مكشوفا بأن هذا البحث هو نتيجة قراءات تراثية لهجية ولغوية في لغات سامية ولهجات أخرى اركية أو عتيقة الى جانب قراءة موازية لها ومتقاطعة معها في الآن ذاته ، هي القراءة اللسانية الحديثة والمعاصرة ، مما جعلني أفكر في مغامرة الجمع بين القراءتين ؛ التاريخية والوصفية .

أما السر الآخر، والذي يعرفه العلماء والمهتمون بهذا الموضوع أفضل مني، فيظهر في الموضوع نفسه، حيث ان هذا الميدان — أي الدراسات اللهجية — قد طرق منذ عهد طويل من باحثين عرب ضليعين، وربما كان الأستاذ حفني ناصف أول من حاول أن يبحث الموضوع بحثا مستقلا (مميزات لغات العرب)، لكن دراسته الصغيرة تلك كانت دراسة (تقليدية خالية من تحقيق النصوص ومقابلاتها وتمحيصها، وموازنة الآراء والمذاهب والتحليل والنقد، كما أنه (صاحب الدراسة) يستند بروايات الى مصادرها ومظانها، فأهمل المصادر الأصلية اهمالا تاما في هامش الكتاب، ومع صغر حجمه، الا أنه يعتبر أول باكورة أطلت على الحقل اللهجي)) (1).

وظهرت دراسات أخرى في نفس الموضوع، الا أنها كانت متفاوتة في جديتها واهتمامها أو تخصصها ... وهذه الدراسات بعضها ما اتصل باللهجات العربية القبلية مباشرة، وبعضها الآخر لم يحفل بهذه اللهجات الا من باب اتخاذها حجة في القراءات القرآنية، وهذا الموضوع قديم اهتم به فطاحل من القراء والنحاة واللغويين والمفسرين وخاصة علماء القراءات القرآنية، وليس جديدا

---

1) من مقدمة ((اللهجات العربية في التراث)) د. أحمد علم الدين الجندي (هـ: 1/ ص : أ) ((سيذكر المرجع معرفا تعريفا كاملا لاحقا))

بأي شكل من الأشكال، لا عند العرب المحدثين ولا عند المستشرقين ،على الرغم من أن هؤلاء الأخيرين فاقونا بمنهجيتهم الدقيقة المستوحاة لديهم من التحرر العلمي العاطفي أو الديني ،ولكنها لم تخل تماما من بعض الشوائب والمغالطات ،وخاصة حين يتعرضون الى الحديث عن العربية التاريخية أو الفصحى وعلاقتها باللهجات العربية ،حيث يريدون أن يطبقوا عليها نظريات مستوردة وغريبة عن طبيعة العربية ومتكلميها في تلك الحقبة المجهولة والبعيدة في الزمن .

وعلى الرغم من هذه الدراسات الغزيرة والثرية التي سبقت اليها من باحثين مشكورين ،فانني لم أر فضاء أو باب هذا الحقل قد أغلق بشكل رادع لمن يريد أن يدلي بدلوه فيه ، بل وجدت هذا الفضاء أرحب من أي وقت مضى ،وهذا تماشيا مع ما جد في حقل الدراسات اللغوية المقارنة والوصفية من الناحية المنهجية التي غيرهما من الطرق المنهجية الأخرى ، وتماشيا مع ما ظهر في ميدان اللسانيات الحديثة والمعاصرة من نظريات ،ليست

اللغة العربية ولهجاتها ،بما فيها اللغات السامية واللهجات العربية البائدة ، بدءاً منها .

ومما لاحظته في كتب فقه اللغة العربية ،وبدون استثناء ، أن هذه الكتب تهتم بالجوانب التاريخية والاجتماعية والانتروبولوجية ،... كلما تناولت موضوع اللغات السامية أو اللهجات العربية البائدة ،فهي تختصر وتستفيض في الحديث عن شعوبها وأحداثها العظيمة أو الصغيرة ،ولكنها لا تكاد تخصص أو تشير الا بكلمات مختلطة ويتيمة في هذه الصفحة أو تلك ،وانك لا تكاد تظفر بأكثر من بضع صفحات متتابعة ، حتى اني لم أجد أي فرق بين ما تقوله الكتب التاريخية وهذه الكتب اللغوية ،بل من العدل أن نقول ان بعض الكتب التاريخية كانت أكثر اهتماما واحاطة بالموضوع من كتب الأبحاث اللغوية .

د- مادة ومنهج : 3/14 ، 7,15

طبقا لما أشير في اشكالية هذا الموضوع أعلاه ، فاني لم أجد موصدا أمام امكانية اضافة ما يمكن اضافته ، لكن بأي تفكير أو بأية قراءة ؟ وبعبارة أخرى :

بأي منهج ؟ بقراءة استقرائية ؟ استنباطية ؟ تاريخية أو خارجية ؟ وصفية أو داخلية ؟ موازنة ؟ مقارنة ؟ تقابلية ؟ ...

ان موضوعنا ، كما سيلاحظ المتتبع له ، يحتمل أن يكون طرحا وحيدا تطبيقيا لغير قراءة واحدة من هذه القراءات ، فهو لساني تاريخي باعتباره يتعرض لقضايا تاريخية من أجل تحديد المدونة أو الفضاء الزماني والحيز المكاني ، وهو يتطلب هنا عوامل خارجية من هذا الجانب أو ذاك لأجل هذا السبب أو غيره ، ولساني وصفي صرف ، وهو هنا يتطلب التمسك بالعامل الداخلي المتصل باللغة أو التراكيب اللهجية المدروسة في ذاتها ولذاتها دون السماح لأية قراءة خارجية متطفلة عليه .

والذي اتجهنا اليه واقتنعنا به بعد تردد ربما كان أكثر طولا من انجاز هذا البحث نفسه ، أنه لا مفر من محاولة التآلف والتعامل مع ما يتصل بالعوامل الخارجية حينا ، وهذا في القسم الأول من هذا البحث ، ومع ما يتصل بالعوامل الداخلية حينا آخر ، وهذا بشكل خاص في القسم الثاني .

ومن أجل الخضوع الى هذه الرؤية المنهجية للتعامل

مع مادتنا ، سيلاحظ المتتبع لهذا العمل أننا أدرجنا في الباب الأول بعض المواضيع التي كان يجب وفق التسلسل الزمني والتاريخي والطبيعة التقليدية للتعامل مع عناصر الأشياء والظواهر ، أن ندرجها ليس فقط في أحد الأبواب الثلاثة من القسم الأول بل في صدر القسم الثاني ، لكننا عاطلنا ها من حيث هي ظواهر ومواضيع تخضع لمنهج تاريخي أو دياكروني أكثر مما تتآلف مع منهج وصفي أو سانكروني ، إذ لا يمكن أن نوفق في بحث أو تناول مواضيع خارجية مثل التقاطعات الفاصلة للقبائل العربية ، أو اشارة اشكالية فصاحة لهجة من اللهجات أو المغامرة في تحديد ما يسمى باللغة النموذجية أو المشتركة ، الى غير ذلك من الأسماء والمسميات ، من خلال التعسف لاخضاعها عنوة الى منهج سانكروني أو بنيوي يستهدف ويعادي سلفا كل ما هو خارجي .

وبالعكس ، سيلاحظ المتتبع لهذا العمل تقديم ما كان يجب تأخيره عما مضت الاشارة اليه ، لكننا انتهجنا هذا النهج ليقيننا بأن الدراسات السانتكسية أشد ما تكون اتصالا وارتباطا

4 - بعض الصعوبات التي اعترضت هذا البحث: (259، 283

لا يمكن هنا أن نستعرض كل الصعوبات والعقبات التي اعترضت هذا البحث، لأننا نرى أن البحث الذي لا تعترضه صعوبات قاسية وعنيدة لا طائل من ضياع الوقت والجهد والصحة في بحثه، إذ نرى أن أشد بحث وأكثره فائدة للمتلقي هو ذلك البحث الذي تعترضه صعوبات، وكلما كثرت هذه الصعوبات وحرنت الأوكان هذا البحث في تقديرنا، أفضل وأجدى للمتلقي.

والواقع أن الصعوبات التي اعترضتنا منذ البداية حتى النهاية هي طريقة التناول طبعاً الرغم من أننا حاولنا أن نقدم علاجا لهذه المسألة ببعض الطرق المنهجية المتعددة المناسبة لكل محور من محاور هذا البحث، وهذه الصعوبة قد لا يتفق معنا فيها المتلقي لهذا العمل، لأنها من أولى أولويات الباحث، وهو مسؤول عنها في سلبياتها وإيجابياتها.

لكن هناك صعوبة أخرى تتعلق بالمادة وما أحاط بها من أبحاث ودراسات، فالمادة المنهجية غزيرة وثرية في حد ذاتها، لكن المراجع التي تناولتها تناولا معاصرا قليلة، وخاصة من وجهة نظر البنية السانتكسية، وحسب علمي واطلاعي - وقد

مع مادتنا ، سيلاحظ المتتبع لهذا العمل أننا أدرجنا في الباب الأول بعض المواضيع التي كان يجب وفق التسلسل الزمني والتاريخي والطبيعة التقليدية للتعامل مع عناصر الأشياء والظواهر ، أن ندرجها ليس فقط في أحد الأبواب الثلاثة من القسم الأول بل في صدر القسم الثاني ، لكننا عاملناها من حيث هي ظواهر ومواضيع تخضع لمنهج تاريخي أو دياكروني أكثر مما تتآلف مع منهج وصفي أو سانكروني ، إذ لا يمكن أن نوفق في بحث أو تناول مواضيع خارجية مثل التقاطعات القبائلية للقبائل العربية ، أو إشارة اشكالية فصاحة لهجة من اللهجات أو المغامرة في تحديد ما يسمى باللغة النموذجية أو المشتركة ، إلى غير ذلك من الأسماء والمسميات ، من خلال التعسف لاخضاعها عنوة الى منهج سانكروني أو بنيوي يستهدف ويعادي سلفا كل ما هو خارجي .

وبالعكس ، سيلاحظ المتتبع لهذا العمل تقديم ما كان يجب تأخيره عما مضت الاشارة اليه ، لكننا انتهجنا هذا النهج ليقيننا بأن الدراسات السانتكسية أشد ما تكون اتصالا وارتباطا

بالمنهج الوصفي منها بأي منهج تاريخي ،ولذا تناولنا الدراسات التركيبية لبعض اللغات السامية ثم اللهجات العربية البائدة في البابين الثاني والثالث على التوالي في القسم الأول .

ووفق ما أشير اليه في صدر هذه المقدمة ،فان الدراسات اللهجية التي وقفت عليها لم تتناول هذا الموضوع بهذا الشكل من الدرس والبحث ،ولذلك حاولنا أن نوسع نظرتنا السانكسية بالنسبة لبعض اللغات السامية وفي اللهجات العربية البائدة لتشمل مختلف التراكيب والعناصر وليس فقط الجملة ،أما في القسم الثاني ،وخاصة في الباب الثاني منه ، فاننا حاولنا أن ندرس بعض التراكيب اللهجية الفصيحة طبقا للحقل السانكسي ،بطريقة تقوم على النماذج الاسموسة والفعلية والحرفية ،وبمنهجية مخالفة لما أنجزناه في البابين : الثاني والثالث من القسم الأول ،وتجنبنا الوقوع في فخ العمليات الاحصائية المطلقة للهجات العربية القديمة ،وخاصة حين أضفنا اليها التراكيب في بعض الساميات وفي اللهجات العربية البائدة ،وكان هذا المنهج الاحصائي ممكنا لو اقتصر البحث على لهجات معينة لا كل اللهجات أو بحث عنصرا وعنصرين على الأكثر منها .

3 ـ توزيع المواد على مسار البحث :

وبناء على ما حاولنا أن نلمح إليه آنفا ، فإن المنهجية اقتضت منا أن نوزع مواد هذا الموضوع على النحو التالي :

1) القسم الأول ، ممهدا بتمهيد ، يتناول الدراسات التركيبية في السامية واللهجات العربية القديمة ، وهو مفصل الى ثلاثة أبواب ، الباب الأول ، يتناول القبائل العربية وإشكالية اللهجة النموذجية ، وهو مركب من ثلاثة فصول : الفصل الأول خصص لدراسة التقاطعات الفضائية للقبائل العربية ، والفصل الثاني خصص للوقوف على فصاحة قبيلة قريش وعلاقتها باللهجات العربية الأخرى ومواقف الباحثين والعلماء من هذه الإشكالية ، والفصل الثالث تعرض بشيء من التفصيل الى ما يعرف بين الباحثين باللغة النموذجية أو المشتركة ومواقعها بين القبائل وعلاقة اللهجات بالقراءات القرآنية وصلة هذه القراءات واللهجات بالحديث النبوي الشريف : ((أنزل القرآن على سبعة أحرف)) ، ومواقف وآراء العلماء في هذه المسألة .

الباب الثاني ، يتناول الدراسات التركيبية في اللغات السامية ، ورأينا أن توزع المواد فيه على ثلاثة فصول : الفصل الأول أنشئ

خصيصـــا للحديث عن اللغة السامية وأصحابها السامين تمهيدا للأرضية السانتكسية في هذا الباب وفي الباب الذي يليه ،بل وحتى في باقي الأعمال الأخرى ،ولو بشكل غير مباشر ، الفصل الثاني ،وقد تناول العلاقات اللغوية بين اللغات السامية بشيء من المقارنة ، الفصل الثالث ،ويعد أساسيا في هذا الباب،لأنه يتعرض الى التراكيب اللسانية مباشرة في اللغات السامية .

الباب الثالث ، أنجز خصيصا لدراسة التراكيب اللسانية في اللهجات العربية البائدة ،ورأينا أن نوزع المواد فيه وفق أربعة فصول :

الفصل الأول ،خصص للبنية السانتكسية ،الفصل الثاني تناول هذه البنية في شكلها المورفولوجي ،الفصل الثالث تكفل بدراسة البنيتين : المعجمية والدلالية ،بينما تكفل الفصل الرابع من نفس الباب بدراسة البنيـــة الصوتية وعلاقتها بين الملفوظ والمكتوب .

2) القســـم الثـــاني ، الذي نيطت به مهمة الدراسات التركيبيـــة في اللهجات العربية الباقية ،اقتضت المنهجية الوصفية أن نقسمه الى بابين رئيسيين :

الباب الأول ، أسندت له مهمة البحث في مدونة اللهجات العربيـــة الباقية ، ورأينا أن نوزع عليه المواد المتصلة بعنوانه الى ثلاثـــة فصول :

الفصل الأول ، وقد تناول المدونة بشكل لساني عام ، الفصل الثاني تكرس الى الحديث عن التقاط المدونة وسماعها على ضوء النظريات اللسانية التواصلية الحديثة ، الفصل الثالث ، وقد كان مكملا ومعمقا لما جاء قبله في الفصل الثاني .

الباب الثاني ، و قد اضطلع بمهمة شاقة وعويصة ، ألا وهو البحث عن البنية السانتكسية في اللهجات العربية الحاقية تكملة لما اضطلعت به الأبواب السابقة ، وخاصة الباب الثاني والباب الثالث من القسم الأول ، ورأينا ، حسب ما تقتضيه البنية السانتكسية أو بعبارة أخرى تماشيا مع الدراسات السانتكسية المعاصرة ، أن نوزع عليه الأعمال في أربعة فصول مذيلا بخاتمة ، الفصل الاول تناول الدراسات اللسانية العامة حول البنيات السانتكسية لدى العرب والأجانب ، الفصل الثاني ، تناول التركيب الاسمي ، الفصل الثالث تعرض الى الحديث عن التركيب الفعلي ، وأما الفصل الرابع فقد حاول أن يبحث في التركيبين ؛ الحرفي والظرفي ، ثم ختم هذا الباب وهذا البحث ، قبل الفهارس العامة ، بخاتمة حاولت أن تلخص ما توصل اليه هذا البحث من صعوبات وبعض النتائج .

يكون هذا الاطلاع وهذا العلم قاصرين مني ـــ فاني لم أقف على مرجع عربي أو أجنبي قد شمل هذه التراكيب السامية والعربية الهائدة ،والعربية الباقية أوتنا ولها ،على الأقل مجتمعة بهذه المنهجية وبهذه الدراسة على هذا النحو الذي حاولنا أن نكون فيه جادين ومخلصين .

والصعوبة التي يعرفها الدارسون والمختصون ـ أفضل مني ـــ في هذا الميدان أن المراجع والوثائق الأجنبية مع وفرتها وأهميتها وافادتها لمثل هذا الموضوع لاتتفق بالضرورة روحا وخصائص مع التراكيب في العربية قديمها وحديثها ،بما فيها السامية ، والنظريات التي أسست فيها وضعت خصيصا للغة أولغات تنتمي عائليا ،ولا يمكن أن تطبق شكلا وروحا على العربية ولهجاتها ،ولذا ،فيمكن القول بأن النظرية اللسانية أو اللسانيات العربية المعاصرة لم تظهر بعد ناضجة في الوجود اللساني المعاصر ، خلافا للسانيات العربية القديمة التي لا تبرح صالحة ومفيدة في كثير من قضايانا اللغوية المعاصرة ،ولا أخفي المتلقي لهذا العمل سرا آخر بأني حينما تصفحت كتاب ((المفصل في علم العربية)) للزمخشري وأنا في هذا العمل ، قد سرى في نفسي خجل ،وزادني التمسك بالتراث

العربي الاسلامي شقة وطجساً لا مفر منه ، ذلك أني ألفيت الرجل - مثلاً - يقسم العناصر النحوية أو اللسانية التي درسها وفق ما تذهب اليه النظريات السانتكسية الحديثة التي تقسم التركيب الى اسمي وفعلي وحرفي .

وفي نهاية هذه المقدمة لا يسعني الا أن أشكر كل من قدم لي يد العون والمساعدة لاخراج هذا البحث على هذا النحو ، أشكر الأستاذ الدكتور أحمد الحمو الذي كان معي بدءاً معي المدرب في هذا الموضوع منذ نهاية الثمانينات في جامعة قسنطينة التي أحييها وأحيي معهدها للغة العربية وآدابها على ثقتها في احتواء هذا الموضوع وتشجيعها لي فيه ، دون أن أنسى بإسداء الشكر الى الأستاذ كريستيان توراتي في كلية الآداب بجامعة (راكس أن بروفانس) الذي قطع معي شوطاً لا بأس به فيه ، ثم أوجه تحياتي وتقديري للأستاذ الدكتور رضوان محمد حسين النجار الذي قبل مخلصاً لله وللبحث العلمي النزيه أن يشترك في هذا الاشراف الى جانب الأستاذ السابق ثم متابعة الاشراف فرديا على اتمام هذا البحث على الرغم من العوائق والصعوبات التي تلقاها معي في هذا البحث .

وأخيرا ،وليس آخرا ، أرجو أن يساهم هذا العمل في اثراء المكتبة العربية وخدمة الثقافة العربية الاسلامية واحياء الدراسات التراثية الأصيلة التي لا تتعارض كلية مع ما جد في حقول اللسانية المعاصرة .

ومع ذلك ،فانني لا أدعي السمو والعلا في هذا البحث الذي لا أضمن له السلامة من الأخطاء والزلل التي نتمنى لها أن تصحح من قراءات باحثين آخرين قد يوفقون فيما فاتني من صواب . والباحث الحق من تعد سقطاته فيتقبلها سعيد اراضيا ، وتكمل نقائصه بمساهمات القراء الآخرين ،وتمد وتثرى صوابا ته بشهادات المتلقين .

حسبي الله ،هو المولى ،ونعم الوكيل .

15 ذو الحجة 1414 هـ
تلمسان : ــــــــــــــــــ عبد الجليل مرتاض
الموافق 26 ماي 1994 م

دراسات تركيبية

في

اللهجات العربية القديمة

القسم الأول : دراسات تركيبية في الساميات واللهجات العربية البائدة

تمهيد :

الباب الأول : القبائل العربية واشكالية اللهجة النموذجية

الفصل الأول : التقاطعات الفضائية للقبائل العربية

الفصل الثاني : فصاحة قبيلة قريش ؟

الفصل الثالث : اللغة النموذجية ومواقعها بين القبائل

الباب الثاني : دراسات تركيبية في اللغات السامية

الفصل الأول : الساميون والساميون

الفصل الثاني : العلاقات اللغوية بين اللغات السامية

الفصل الثالث : التراكيب اللسانية في اللغات السامية

الباب الثالث : دراسات تركيبية في اللهجات العربية البائدة

الفصل الأول : في البنية السانتكسية

الفصل الثاني : في البنية المورفولوجية

الفصل الثالث : في البنيتين : المعجمية والدلالية

الفصل الرابع : في البنية الصوتية بين الملفوظ والمكتوب

تمهيد

ان الدراسات التركيبية للهجات العربية القديمة من بائدة وباقية تلزم الباحث فيها أن يحضر لها تمهيدا يشمل رؤى متعددة ، وبدا لنا أن مباحث أو عناصر هذا التمهيد بقدر ما لها ارتباط أرضي وفشائي بالموضوع بقدر ما هي متعارضة معه لو أقدمنا على إدماجها ضمن فصل من فصول القسم الأول .

وهذه النقاط تتجلى لنا في ثلاثة عناصر :

1) مواقع بلاد العرب

2) طبقات العرب

3) اللهجات بين المراقع والطبقات

أما فيما يخص الساميين أو الشعب السامية ، ولا سيما فيما يخص المهد الأصلي لها والذي يعتبر المنطلق الأكثر احتمالا لتحديد اللغة الأصلية لهذه الشعوب من جهة ، وترجيح اللغة الأم أو اللغة السامية الأولى التي اشتقت منها باقي اللغات السامية الأخرى ، بما فيها اللغة العربية الباقية ولهجاتها البائدة ، فإنا ارتأينا أن نؤخره الى صدر الباب الثاني حين الحديث عن التراكيب في هذه اللغات .

أولا : مواقع بلاد العرب (أو المناطق اللغوية)

سأحاول ، بادئ ذي بدء ، الحديث في هذا العنصر وفق الفقرات المتتابعة الآتية :

1) حدود بلاد العرب :

المقصود ببلاد العرب وحدودها هنا تلك المساحة الواسعة التي سكنها العرب القدماء ، والتي كانت شبه الجزيرة العربية الحالية ، مع سيناء ، وفلسطين ، وسورية . وتشير بعض الأحداث (1) الى أن بلادهم كانت أوسع من هذا الجزء الجغرافي ، ولذا فان هناك أنواعا من التقسيمات ((قد تكون جغرافية واجتماعية ، أو سياسية)) (2) ، فقديما - مثلا - كانوا يقسمون أرض العرب تبعا لطبائع أهلها ، وأسلوب حياتهم ، فيقسمونها الى البادية في الشمال ، وتشمل شبه الجزيرة الصحراوية من شارف الشام الى نجد والحجاز ، والى الحاضرة في الجنوب ، وتشمل سائر شبه الجزيرة العربية وتضم نجدا والحجاز واليمن (3) .

وأما الحدود التقليدية لشبه الجزيرة العربية ، فيحدها شرقا الخليج العربي ، وغربا بحر القلزم ، وجنوبا البحر العربي والمحيط الهندي ، وشمالا بادية الشام ، وهذه هي المنطقة التي جاء الاسلام

---

1) سنقف على جزء من هذه الأحداث حين الحديث عن العرب البائدة (انظر العنصر الثاني)

2) العرب والحضارة ص : 9 . د . علي حسن الخربوطلي

3) م . س : ص : 10

والعرب بهـــا مقيمـــون ،حيث نمت العربية بها وشبت واكتهلت .

ب) تقسيـــم الأجـانب القدمـاء :

قسم الجغرافي اليوناني (بطليموس) قديما بلاد العرب الى ثلاث مناطـق شاسعـة ،تتحدد حدودها السياسية والطبيعيـــة المعروفـــة :(1)

1) بـلاد العرب الصخريـة

2) بـلاد العرب الصحـــراويـة

3) بـلاد العرب السعيـدة

ويقصد بطليموس بالبلاد الصخريـة أو الحجريـة المنطقـة الشمالية الشاسعـة الممتدة نحو جهة الغرب حتى تشمل سينا ، وبلاد النبط ، وهي أرض جبليـة ومرتفعات تصدق عليها هذه التسمية ويعني بالصحراويـة ما أصبح يعرف فيما بعد ببادية الشام ،وهي المناطق التي كانت قديما مأهولة بالقبائل البدويـة ، وأما بلاد العرب السعيدة فيعني بها الأقسام الكبرى لشبه الجزيرة العربيـة أي وسطهـا ، وشمالها وجنوبهـا .

ج) تقسيمـات جغرافيي العـرب :

وقـــع بيـن العرب تفاوت خلاف بشأن تقسيم بلاد العرب

---

1) م.س.ن ، ص.ع

فالهمداني قسمها خمسة أقسام ، وهي :

1) اليمن ، 2) العروض ، 3) الحجاز ، 4) نجد ، 5) تهامة (1)

وزاد ابن حوقل عليه بادية العراق ، وبادية الجزيرة الفراتية وبادية الشام ، وهذه الزيادة سليمة وصحيحة لكون العرب حقا كانوا منتشرين في هذه البوادي ، ولكن رغم صحة هذا التقسيم لابن حوقل ، الا أنه أدنى الى التقسيم السياسي والاجتماعي منه الى التقسيم الجغرافي . وأما تقسيم الاصطخري لها فلا يكاد يختلف كثيرا عن تقسيم الهمداني (2) .

وعند بعض القدماء بلاد العرب أربعة أقسام :

1) المدينة (يثرب) ، 2) مكة ، 3) اليمامة ، 4) اليمن

أو هي : مكة والمدينة واليمن وقريباتها (3)

ولبعض اللغويين الذين جابوها ورووا عن أهلها مثل الأصمعي وأبي عبيدة ..... تقسيمات لا تكاد تضاهي تقسيم الجغرافيين العرب (4) ولعل نظرتهم إليها لغويا كانت أكثر منها جغرافيا . أما البكري ، وهو من القدماء ، فقد قسمها الى خمس مناطق :

1) تهامة ، 2) الحجاز ، 3) نجد ، 4) العروض ، 5) اليمن

---

1) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ص: 16 القلقشندي . ط: 1 / 1959 . مطبعة مصر

2) المسالك والممالك ص: 20 الاصطخري . ط: بدون 1969 . دار القلم ـ القاهرة

3) معجم ما استعجم : 1 / 5 ، 6 . البكري . مطبعة لجنة التأليف ـ القاهرة

4) م . س : 1 / 6

وهذا مجمل ما هو طبيعي المدافني ، والاصطخري ، وأثبت القلقشندي تقسيمات هؤلاء العلماء الثلاثة (1) .

جغرافية المناطق الخمس :

1) الحجاز : هي المنطقة التي تحجز فيما بين العالية والعروض ، وفيما بين اليمن ونجد (2) أو هي المنطقة المحصورة ما بين تهامة ونجد (3) . وسمت العرب الحجاز حجازا لأنه يحجب جبل السراة الحاد بين تهامة ونجد والمتصل من قصرة اليمن ، وهو أعظم جبال العرب (4) ، وقال ابن دريد : ((سمي حجازا لأنه حجز بين نجد والسراة)) (5) ، بينما قال الخليل بن أحمد : ((سمي حجازا لأنه يفصل بين الغور وبين تخوم الشام ، وبين تهامة ونجد)) (6) . والحجاز كمنطقة تقع شمالي بلاد اليمن أي شرقي تهامة ، ولم يكن بمناطق الحجاز ما يسمى بالدولة العربية قبل الاسلام ، وانما كان لها مدن لكل منها نظام سياسي (7) .

---

1) نهاية الأرب ص: 16

2) معجم ما استعجم 1/ص: 10

3) نهاية الأرب ص : 16

4) معجم ما استعجم 1/ص: 8 وكذلك : 3/ص: 710

5) معجم ما استعجم 1/ص: 11

6) م.س.ص: 12

7) قيام الدولة العربية الاسلامية: 40 د. محمد جمال الدين . ط: 5/ 1969 دار الفكر العربي

ومن مدن وقرى الحجاز مكة ، وهي بعض الأقوال تعتبر أول من قطنها العمالقة، ثم جرهم من بعدهم (1) حتى كان الأزد بعد سيل العرم ثم حلت بها بعد هجرة هؤلاء خزاعة التي كان لها شأن عظيم مع قريش ثم كنانة ، وأخيرا قريش حتى مجيء الاسلام .

وتعتبر مكة من أهم حواضر الحجاز قديما (قبل الاسلام على الاقل) وكان المجتمع الذي يتألف من احدى قبائل كنانة ، وهي قريش البطاح ، وقريش الظواهر (2) ، وقد تجمعت الثروة والزعامة في يد هؤلاء حتى ظهور الاسلام ، ومن جرهم المدينة تزوج اسماعيل الذي كانت منه العرب المستعربة فيما بعد ، وهم العدنانيون .

ومن مدنه وقراه أيضا يثرب، وأول من سكنها العماليق ثم تتابعت القبائل العربية المدينة من أوس وخزرج ، والتي هاجرت الى الشمال اثر فاجعة تسبب العرم (3) ، وتدفق هؤلاء على يثرب لأنها كانت ذات نخيل كثيرة ، وآبار عذبة (4) .

ومنه ايضا الحجر، وخيبر ، وجدة ، والطائف ، فأما الحجر فهي قرية صغيرة ، يحيط بها رمل لا يكاد يرتقي ((الى ذروة كل

---

1) مروج الذهب: 2/ص: 18 . المسعودي . دار الاندلس بيروت

2) نهاية الارب ص: 387

3) ينظر في مروج الذهب : 2/ ص : 173

4) المسالك والممالك ص : 23

قسطعة منها أحد الا بمشقة شديدة)) (1) ،وكانت بها ديار ثمود ،ووصف المسعودي ملك هؤلاء بأنه كان بين ((الشام والحجاز الى ساحل البحر الحبشي ،،،، وبيوتهم الى وقتنا هذا أبنية منحوتة في الجبال ،ورسومهم باقية ،وآثارهم باديه)) (2)

وأما الطائف فهي مدينة صغيرة ، وهي طيبة الهواء ،وهي على ظهر جبل غزوان الذي توجد به ديار بني سعد ،وما ذكر قائل هذين ،ووصفها الاصطخري بأنه ليس بمكان هواء أبرد من رأس هذا الجبل ،وليس بالحجاز أيضا مكان يجمد فيه الماء سوى هذا الموضوع (3) . ولذلك يوصف الطائف باعتدال هوائه ،وتقع شرقي مكة ،وكانت تسمى وجار قديما (4) نسبة الى وج بن عبدالحي أحد العمالقة الذين سكنوها (5) ،وكانت الطائف قبل الاسلام مركزا تجاريا هاما ،حيث كانت طريق القوافل المتجه من ((جنوب بلاد العرب الى شمالها ،ومن العراق الى اليمن ،وكان هناك صلات قوية بين أهالي الطائف ومكة)) (6) .

وأما خيبر فهي حصن يشتمل على نخيل وزروع ،ومياه كثيرة ،وأشجار ،وعرفت في أول الاسلام أحداثا عظيمة)) (7) .

---

1) المسالك والممالك ص: 24

2) مروج الذهب 2/ ص: 14

3) المسالك والممالك ص: 24

4) معجم ما استعجم 3/ ص : 786

5) قيام الدولة العربية الاسلامية ص : 51

6) م. س .ص: 52

7) ينظر هذا في : معجم ما استعجم 2/ ص: 521 - 524 وغيره .

وأما القبائل التي استوطنت الحجاز أو ظعنت منها ، فسأشير اليها بين الفينة والأخرى حين حديثي المفصل على اقليم تهامة العظيم ،وستظهر القبائل التي استوطنت الحجاز أكثر وضوحا كلما تقدم البحث .

2) تهامة : هي الأراضي المنبسطة على شاطئ بحر القلزم الى سلسلة جبل السراة ،وهي عبارة عن جبل مقفل من اليمن حتى يتصل بالشام (1) ،مما يدل على شساعتها واحتوائها على عدة مجتمعات سكانية تربطهم تضاريس طبيعية واحدة منذ القدم ،وطرفها من قبل قبل الحجاز مدارج العرج ،وأولها من قبل نجد مدارج ذات عرق ، وسميت تهامة لتغير هوائها ،من قولهم : ((تهم الدهن ،وتعه ، : اذا تغيرت رائحته)) (2) ،وبعدها بعض جغرافيي العرب القدماء قطعة من اليمن (3) ،ومنهم من تحديد البكري لها أن مكة فعلا تدخل فيها (4) ،وحكم قربها من البحر وسعتها فانها كانت تحتوي على قرى ومزارع ومياه معمورة بأهلها (5) . ويستفاد من الأخبار القديمة أن قضاعة كلها ظعنت عن غور تهامة ثم انتشرت في سائر البلاد طلبا لمتسع المعاش (6) ،

---

1) نهاية الأرب ص : 17

2) معجم ما استعجم 1/ص : 322

3) المسالك والممالك ص : 26

4) معجم ما استعجم 1/ ص : 13

5) راجع المسالك والممالك ص: 26

6) معجم ما استعجم 1/ ص : 25

وبعد مدة رجعت بعض القبائل القضاعية الى بلادهم من تهامة والحجاز (1) .

ويظهر أن بني نزار هم من كانوا أخرجوا قبائل قضاعة وشردوهم في سائر البلاد ،لأن بعض الأخبار تشير الى أن قبائل بني نزار لما كثروا خرجوا من تهامة الى ما اليها من نجد والحجاز، فأزالوا من كانوا بها أيضا من أشبال كلب بن وبرة وابن ربان ، وعصيمة (2) ،ووقع لهذه القبائل الأخيرة نفس ما حدث للقبائل القضاعية من ذي قبل ،بل هناك رواية تصرح بوضوح أن ولد معد بن عدنان ومن كان معهم ،أقاموا في منازل قضاعة من تهامة بعد خروج هؤلاء منها (3) ، الشيء الذي يوحي بوجود قبائل قضاعة قبل قبائل عدنان في هذه المنطقة .

ومع تقاعس الزمن ودنوه من العصر الجاهلي ،أصبحنا لا نعرف من كان يسكن هذه المنطقة وما يليها من ظواهر نجد غير أحفاد أبناء نزار الأربعة :مضر وربيعة واياد وبني وأنمار بن ،الا أن بني مضر وربيعة ما لبثوا أن تظاهروا على اياد فهزموهم ،وظهروا عليهم فخرجوا الى سواد الكوفة التي أقاموا بها ديارا ،ثم ما لبثوا أن خالطوا أهل أرض الجزيرة هناك حتى

---

1) م.س.ن.ص: 27

2) م.س.ن.ص: 45

3) م.س.ن.ص: 52

صـــاروا كـــالليـــل كـــثرة (1) ،بـــل نـاضـوا الملك الفارسي حتى انهم قصد هزموهم على شاطئ الفرات (دير الجماجم) (2) .

وبـــعد خروج اياد من تهامة لم يبق بهـــــا . وبقورها من ولد عدنان غير مضر وربيعـــة ومن كان معهم أو دخيلا فيهم أو مجاورا لهم (2) ،ويبدأ أن بني ربيعـــة انتشروا في أرجاء مناطق تهامة (3) لما كثـروا وتضايقوا،ثم في بلاد نجد والحجاز (4) و بعد اقتتال بين ربيعـــة (5) وضعفهم ، خـــلا الجو عند ذلك الى قبائل مضر التي أقامت في منازل ربيعـــة من تهامة وما والاها بعد خروج هؤلاء منها ، بيد أن بني مضر هم الآخرون ،بغوا على بعضهم بعضا ،حتى ظهرت خندف على قيـــس (6) .

والـــى هذا الحين فتحت أبواب هذه المنطقـــة من جميع جهاتها أمام جميع القبائل العربيـــة العدنانيـــة ،اذ أصبحنا نـــلاحظ أن هوازن تنـــزل ما بين غـــور تهامـــة الى ما والاها ، ومـــد ركة تظهر على طابخة ، فتستقر بها الأولى ،وتهجر منها الثانية الى ظواهر نجد والحجاز (7) .

وهنا يستفحل التداخل القبلي ،ويزيد التداني بين قبائل ،والتنـــافي بيـــن قبـــائل أخـــرى .

---

1) م.س. ن.ص: 69

2) م.س. ص: 76 و 79

3) م. س . ص. : 79

4) م.س. ص : 82

5) م.س. ص : 85

6) م.س. ص : 87

7) م.س. ص : 87

3) نـــجـــــــد : قطـــر واسع ،ومركزها من الجزيرة العربيـة كمركـز القلب من الجسـد ، ونجـد هي المنطقـة المحصورة مـا بين الحجاز الى الشام الى العذيب ،وقـد يضم اليها الطائف والمدينـة (1) ،والأصح أنهمـا من الحجاز ،ولكن هذا الاختلاف بين جغرافيي العرب يدل على شساعة هذه المساحة من وسط الجزيرة الى حدودها الغربي والشرقي معا ، وحددها البكـري بأنها ما بين جرش الى سواد الكوفة ،وآخر حدودهـا مما يلي المغرب الحجازان : حجاز الاسود ، وهو سراة شنوءة ،وحجاز المدينـة المعروف الذي تقدم ،ومن قبل المشرق بحر فارس ، ويذكـر أن نجدا كلها من عمل اليمامـة (2) .

وتشيـر بعض الأخبار الى أن أول من ورد على نجـد فأجدب فـي صحرائها قبائل مـن قضاعـة (3) ،وقـد يكون هؤلاء من كـان بنـو نـزار طردوهم من تهامة وما والاها فظعنوا الى نجـد ، ولعل هـذا البلد كـان أقل الأقاليم الأخرى أناسا لقساوة مناخه الصحراوي مـن جهـة جـهـة ،وبعده عن الشرق والغرب ذوي المناخين من جهة ثانية ، فـي حـين أنـه كـان قنطرة شاقـة يجتابها المتجهون شطر الحجاز ، أو صوب فـارس .

وبعـد ظهور خندف على قيس ، هجر المغلوبون من تهامـة

1) م.س. ص : 10 ونهاية الارب ص : 17

2) معجم ما استعجم 1/ ص : 13

3) م. س . ص : 30

طبعا لعين الى بلاد نجد ،الا قليل منهم انحازت الى أطراف الغور من تهامة (1) ،ولذلك رأينا أن طابخة بن الياس بعد هزيمتها أمام مدركة بن الياس في تهامة ظعنت من هذه الأخيرة الى ظواهر نجد والحجاز ،ولما جاء الاسلام كان بهذا البلد عدة قبائل عربية مشهورة ،سنذكرها ،بمشيئة الله ،أثناء الكلام على طبقات العرب .

4) العروض : هي ما بين تهامة الى البحرين ،وقد عرفت بالبادية ،وتشمل ناحيتين : اليمامة والبحرين (2) .

أ) اليمامة : وقيل انها من الحجاز (3) وهذا بعيد ،لأن بعض الناس يقولون اليمامة ،ويريدون العروض لا الحجاز ،وكانت مدينة اليمامة أقل من مدينة يثرب حتى زمن النبي (ص) (4) ،وهي أكثر ثمرا ونخلا من سائر مدن الحجاز (5) ،وبها كان مسيلمة الكذاب، وفيها قتل من قتل من حفظة القرآن من المسلمين .

ب) البحرين : تدخل البحرين في منطقة العروض ،وأشهر مدنها هجر ذات النخل والتمر الكثيرين ،والتي خربها القرامطة فيما بعد (6) ،وتوجد البحرين شط الخليج العربي ،ولها قرى كثيرة قد احتفتها قبائل من مضر (7) ،وهي تحتل المنزلة

1) م.س.ص : 87
2) م.س.ص: 8 ونهاية الأرب ص : 17
3) نهاية الارب ص : 17
4) المسالك والممالك ص : 23
5) نهاية الارب ص: 17 ، 6) م.س.ص: 17
7) المسالك والممالك ص : 23

الشاشة كبرا بعد مكة ويشرب (1).

ولعل أول الاخبار التي تطالعنا عن سكن البحرين من القوم - بالنسبة للعرب الباقية - أن ناسا من الأشعريين وآخرين من قضاعة قصدوها حتى وردوا هجر، وبها يومئذ قوم من النبط فأجلوهم (2).

وكان بنو عبد القيس (من ربيعة) من كثروا البحرين وهجر موطنا لهم، ثم أجلوا اياد التي كانت سكنتهم منذ مدة، ولما غلبت عبد القيس على البحرين وزعها أبناؤها فيما بينهم (3).

وأما اليمامة فقد كانت كل عشيرة طارئة تباغت النازلة بها فتهزمها وتجليها، ثم تسكن في ديارها، حتى كان بنو حنيفة الذين سكنوها وتحصنوا فيها منتشرين في نواحيها، ومن بينهم بنو بكر ابن وائل، وعنزة (بفتح العين والنون)، وضبيعة الذين انتشروا فيما بين اليمامة والبحرين الى اطراف سواد العراق وناحية الابلة.

5) اليمن، وهو بلد عظيم، ساحته واسعة، وأطرافه متعددة ومتباعدة، ومنه قبائل كثيرة هاجرت نحو الشمال، وتداخلت مع القبائل العدنانية وتشابكت معها نسبا ودما، وتنافست

---

1) م.س.ص: 23

2) معجم ما استعجم 1/ص: 21

3) م.س.ص: 80 - 81

معـها موطنا ، حتى فرضت نفسها عليهـا بالقـوة ،وأضحت من أولات الأمور الهامـة في النواحي الشمـاليـة ، حتى انهـا كونت بهـا معالفه وأحلافا ومعاهدات مع الدول الأجنبية المجاورة ،حتى أصبح صيرا على النسابين فيما بعد فرزها من بين ار القبائل الشمالية فرزا خالصا .

وباليمـن مدن كثيرة من مشاهيرها زبيـد ،ونجران ،وهذه الأخيرة ذات نخيل وأشجـار ،وهي غير بعيدة عن قاعدتها القديمة (صنعاء) ، وهي بين عدن وحضرموت في جبال ،وهي من بلاد همدان بيـن قرى ومدائن وعصائر ومياه ،ومن أشهر بلادها ايضا ظفار (1).

ومهـاجرة قبائل يمنية صوب الشمـال أومهاجرة أخرى شمـاليـة أوعدنانيـة (2) نحـو الجنـوب عدت من الأمور التي تجـاوزتها البحوث ،وزالت عنها الشكـوك ،ولهذا فانـي مقتنع بهذه التبـادلات الهجريـة ،وبهذه الاختلاطات النسبيـة والدمويـة ، فضلا عن الأحداث السياسيـة والعلاقات التجارية المحكمة والتجارية ...

وكـان لهذا التداخـل القبلي والجغرافي ... شأن عظيم على التـداخل اللهجـي والتواصل الثقافـي والعلا والمعرفي بيـن سائر القبـائل العربيـة في هـذه الأقاليم الخمسـة ومـا صاقبهـا

---

1) ينظر هذا في نهاية الأرب ص : 17 - 18

2) قلت : (شمالية أوعدنانية) تحفظا ،لان كلمة العدنانية او حتى الشمالية تصدق على هذه القبائل وحدها قبل مهاجرة اليمنية اليها ،أما بعد مهاجرة هذه الأخيرة نحو الشمال ،فأصبحت كلمة العرب الشمالية تعني سائر القبائل العربية من عدنانية وشمالية

ووالاها من أطراف .

لـــكن لو قـدر لـي أن أتحـدث عن هذا التداخل اللهجي تبعا للتداخل القبلي في نهاية هذا العنصر لكـان حديثي قاصرا ، لكونـي لـم أتحـدث بعـد لا تلميحـا ولا تصريحـا ، عـن طبقـات العـرب من الناحيـة النسبيـة ، ولـذا فقد آثـرت الكـلام أولا عـن هذه الطبقـات في مرحلتيهـا الأخيرتيـن (الباقدة ، الباقيـة) ، حتـى يظهر التداخـل القبلي أكثر وضوحا من جهـة ، وحتـى يكـون هناك صلـة وربـط بيـن أصـل هـذه الطبقـات وبيـن لهجـاتها التي سيلمـح اليها من خلال هذه التداخلات خلال حديثنا عن اللهجـات بين المواقع والطبقـات في العنصر الثالث وفي غيره مما سيلي أثنـاء البحث .

ثانيا : طبقات العرب

عرف الجوهري العرب بقوله : ((العرب : جيل من الناس والنسبة اليهم عربي بين العروبة ،وهم أهل الأمصار . والأعراب منهم سكان البادية خاصة . وجاء في الشعر الفصيح : الأعاريب ،والنسبة الى الأعراب أعرابي ،لأنه لا واحد له ،وليس الاعراب جمعا لعرب ،كما كان الأنباط جمعا لنبط ، وانما العرب اسم جنس ،والعرب العاربة هم الخلص منهم ،وأخذ من لفظه فأكد به ،كقوله : ليل لائل ،وربما قالوا : العرب العربا ء ، والعرب المستعربة هم الذين ليسوا بخلص ،وكذلك المتعربة ، والعرب وار والعرب واحد مثل العجم والعجم)) (1) .

يفهم مما أورده اسماعيل بن حماد الجوهري أن العرب نوعان : عاربة ومستعربة أو متعربة ،والعاربة في نظر القدماء هم أول من تكلموا العربية ((والعربية هي هذه اللغة ، ويعرب بن قحطان أول من تكلم بالعربية ،وهو أبو اليمن كلهم)) (2) ،وأما العرب المستعربة أو المتعربة فهم الداخلون في العربية بعد العجمة ، وهناك تقسيم آخر لا يبتعد عن تقسيم الجوهري :

---

1) الصحاح : 1/ ص : 178 - 179 (مادة : عرب) لاسماعيل بن حماد الجوهري - ط: 3/ 1984 . دار العلم للملايين ، بيروت

2) م. س. ص : 178

1) عرب عاربة

2) عرب متعربة ،وهم الذين ليسوا بخلص .

3) عرب مستعربة ،وهم الذين ليسوا بخلص أيضا (1) .

ثم قسم المؤرخون العرب الى بائدة وغيرها ،فالبائدة من بادوا وليس على أديم الأرض أحد يصح أنه منهم ،الا أن يدعي أحد ما لا يثبت(2) ومن العرب البائدة الذين درست آثارهم : عاد ،وثمود ،وطسم ، وجديس ،حـ.... ومن غير البائدة ،وهم الباقون ، في القرون المتأخرة بعد ذلك من القحطانية ، كطيء ،ولخم ،وجذام ،ومن كان في نسبهم، ومن العدنانية كغزارة ،وسليم ،وقريش ،ومن في معناهم .

والذي أميل اليه ،تقسيم أحد المحدثين العرب الى ثلاثة أقسام أو ثلاث طبقات : (3)

1) العرب البائدة أو عرب الشمال .

2) العرب القحطانية أو عرب الجنوب (أو دون الجنوب) .

3) العدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني .

وهذا أقوم تقسيم في نظري حد لأنه قائم على دلائل تاريخية وطبيعية ،منها أن العرب البائدة كانوا في الشمال ،وهم سكن

---

1) ينظر ملخص هذا التقسيم في المزهر: 1/ص : 31 للسيوطي (مطبعة عيسى البابي الحلبي)

2) يستقصي هذا في جمهرة أنساب العرب ص: 8 . ابن حزم (دار المعارف. مصر)

3) العرب قبل الاسلام ص : 38 جرجي زيدان (منشورات المكتبة الاهلية)

ورد ذكر بعضهم في القرآن الكريم الذي صرح بالكثير من أحداثهم وإخبارهم وأوصافهم ،ولا سيما ما يتعلق بعاد وثمود ،حيث ورد ذكر اللا الأولى فيه في أربع وعشرين آية موزعة على تسعة عشرة سورة ، كقوله تعالى :

- ((وأنه أهلك عاداً الأولى ، وثمود فما أبقى)) (1)

- ((كذبت ثمود وعاد بالقارعة ، فأما ثمود فأهلكوا بالطاغية ،وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية ،سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية ، فهل ترى لهم من باقية)) (2)

- ((وعاداً وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيراً)) (3)

- ((ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله ...الآية)) (4)

- ((واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصوراً وتنحتون الجبال بيوتاً ... الآية)) (5)

- ((وعاداً وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم ....الآية)) (6)

- ((ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التي لم يخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد)) (7).

---

1) سورة النجم من آية : 50 الى آية : 51

2) سورة الحاقة من آية : 4 الى آية : 8

3) سورة الفرقان آية : 38

4) سورة ابراهيم آية : 9 ، 5) سورة الأعراف آية : 74

6) سورة العنكبوت آية : 38 ، 7) سورة الفجر من آية : 6 الى آية : 8

بينما جاء ذكر الثانية فيه - أي ثمود - في ثلاث وعشرين آية موزعة على اثنتين وعشرين سورة ،ولذلك فان القرآن الكريم يعد المصدر الأوثق لتتبع أحوال وتاريخ العرب البائدة ،ولذا فان معظم ماورد في غير القرآن ينبغي الحيطة من صحته أو زيفه ، ولربما بعث هذه الشكوك غير واحد من المهتمين والمسجلين للثقافة العربية القديمة ، فهذا ابن سلام ينتقد محمد بن اسحاق : ((فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعرا قط ،وأشعار النساء فضلا عن الرجال ،ثم جاوز ذلك الى عاد وثمود ، فكتب لهم أشعارا كثيرة ،وليس بشعر ،انما هو كلام مؤلف معقود بقوافٍ ، أفلا يسترجع الى نفسه فيقول : من حمل هذا الشعر ؟ ومن أداه منذ آلاف من السنين ؟)) (1) ،ثم أردف قائلا : ((فنحن لا نقيم في النسب ما فوق عدنان ،ولا نجد لأولية العرب المعروفين شعرا ،فكيف بعاد وثمود ؟ فهذا الكلام الواهن الخبيث ،ولم يروقط عربي منها بيتا واحدا ،ولا راوية للشعر)) (2) ستشهدا بقول أبي عمرو بن العلاء المشهور : ((ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ،ولا عربيتهم بعربيتنا ،فكيف بما على عهد عاد وثمود ، مع تسداعيه ووهيه ؟)) (3) .

ومنها أن العرب العدنانية من نزلوا بجوار اسماعيل الذي أصهر فيهم ،أي كانوا سابقين عليه وجودا داخل شبه الجزيرة العربية ، وأخيرا كان العدنانيون منه وهم عرب الشمال في الطور الثاني أي العرب المستعربة .

---

1) طبقات فحول الشعراء ص: 8 ، محمد بن سلام الجمحي (الصفر الاول ،مطبعة المدني القاهرة)

2) م.س.ص : 11

3) م. س : ص . ن

وقيل : ان هؤلاء العرب مروا بثلاثة أدوار قبل الاسلام :

ـ الدور الأول : وهم العرب البائدة ، من أمثال عاد وثمود ، وسيأتي التلميح الى بعض آثارهم اللهجية التي وجدت مكتوبة بالمسند .

ـ الدور الثاني أو الدور المتوسط ، وقد كانت السيادة فيه لعرب القسم الجنوبي وأكثرهم قحطانيون ، باعتبار الدول الجنوبية المتتابعة الكبرى التي كانت في هذا الدور .

ـ الدور الثالث : هو الأحدث ، وقد رجعت فيه السيادة الى القبائل الشمالية ، وأكثرهم من العدنانيين ، وتنتهي هذه السيادة بظهور الاسلام .

1) العرب البائدة أو عرب الشمال :

كان لهؤلاء العرب في دورهم الأول مركز خطير في شمال شبه الجزيرة العربية ، وسلطانه واسع حتى بلغ الشام ومصر ، وكان لهم تصور وآطام الى ان غلب عليهم بنو يعرب بن قحطان ، وبين العرب البائدة والبائدة يجعل ابن خلدون هذا التسلسل التاريخي لوجودهم وملكهم قائلا : ((واعتبر هذا بما وقع في العرب لما انقرض ملك عاد قام به من بعدهم اخوانهم من ثمود ، ومن بعدهم اخوانهم العمالقة ، ومن بعدهم اخوانهم من حمير أيضا ، ومن بعدهم اخوانهم التبابعة منهن حمير أيضا ، ومن بعدهم الأذواء كذلك ثم جاءت الدولة لمضر)) (1)

---

(1) المقدمة ص 146 ابن خلدون ، ط. مصطفى محمد ـ القاهرة)

وعـاد ة ما يطلق العرب لفظ العمالي ق على هؤلا ء العرب البا ئد ين والذ ين كانوا يسكنون في حقـب ضا برة شما لي الحجـا ز ه وشما ليـ جزيرة سينـا ء ويذ ويذ هب العرب الى أن العما لقة وغيرهم مـن العرب البا ئد ة جا ؤوا من بـا بـل حين زوحـوا من لـد ن بني حا م الى جـز يرة العرب ... وبـسا ختصـا ر ه فا ن العرب الموثوق بوجودهم (أي العرب البا ئدة) هـم ثمـا ني قبـا ئل ؛

1) عـا د ، وكـا نت منا زلهم بالأحقا ف . قال الله تعالى ؛ ((وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ ....الآية)) (1) . والأحقا ف توجد بين اليمن وعمـا ن ؛ من البحرين الى حضرموت والشجر (2) ،وهؤلا ء مـن بعث فيهم النبي هود ـ عليه السلا م ـ فلم يؤمنوا ،فأهلكهم الله بريح صرصر عا تيـة في سبع ليال وثما نية أيـا م (3) .

2) ثمـود ، وكا نت ديا رهم بالحجر ووا دي القرى بين الحجا ز والشا م(4)، قال الله تعالى ؛ ((وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ،وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ،وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ ،فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ،فَمَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ)) (5) ، وفيهم بعث النبي صالح ،فلم يؤمنوا بـه ،وعقروا نا قتـه ، فأهلكهم الله بصيحة من السما ء .

---

1) سـورة الأحقا ف ؛ آيـة ؛ 21

2) صبح الأعشى 1/ص؛ 313 . القلقشند ي (المؤسسة المصرية العا مة) .

3) راجع هـ؛ 2 من ص ؛ 20

4) صبـح الأعشـى 1/ ص ؛ 313

5) سـورة الحجـر ؛ من آيـة ؛ 80 الى آيـة ؛ 84

وفي هذا يقول ابن الأثير : "(وكانت مساكن ثمود بالحجر بين الحجاز والشام ،وكانوا بعد عاد قد كثروا وكفروا وعتوا فبعث الله اليهم صالح بن عبيد ... وكان الله قد أطال أعمارهم حتى ان كان احدهم يبني البيت من المدر فينهدم وهو حي ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فارهين فنحتوها وكانوا في سعة من معايشهم)) (1) .

3) العمالقة : ذكر أن أمما منهم تفرعت في البلاد ،فكان منهم أهل البحرين وعمان والحجاز ،وملوك العراق ،والجزيرة ،وجبابرة الشام ، وفراعنة مصر (2) .

4) طسم ،وذكر الجوهري أنهم من عاد ، وكانت منازلهم بالأحقاف باليمن ،وذكر غيره أن ديارهم كانت باليمامة ،وكان هلاكهم بسبب الحرب بينهم وبين اخوانهم جديس (3)

5) جديس ،وكانت منازلهم بجوار اخوانهم طسم ،وكان هلاكهم بسبب الحرب أيضا بينهم وبين طسم (4)

6) عبيد ضخم ،وكانوا يسكنون الطائف ،ويقال : ان هؤلاء أول من كتب بالخط بالخط العربي (5) ،وليس بعيدا أن يكون هؤلاء أصحاب الخط

---

1) الكامل في التاريخ : 1/ص: 50 لابن الأثير (ط2/ 1980 .دار الكتاب العربي بيروت)
2) صبح الأعشى 1/ص: 313
3) م.س، ص : 313 ـ 314
4) م.س .ص : 314
5) م. س، ص : ن. ص

المسند الذي اكتشفت به نقوش بعض الهائدين من اخوانهم ، ثم لما كان الدور الثاني الذي انتقلت فيه السيادة للقحطانية وأنشأت حضارة زاهية في الجنوب اتخذت هذا المخط ،فعرفت به لكونها صاحبة حضارة مادية تاريخية ،وذات عهد قريب من الجاهلية .

7) جرهم الأولى ، وكانوا على عهد فهادوا .

8) مدين ، وكانت ديارهم من أطراف الشام ،مما يلي الحجاز قريبا (1) .

وفيهم بعث شعيب ـعليه السلام ـ كما جاء في غير موضع من القرآن :

ـ ((وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ،فَقَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ ، وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ)) (2) .

ـ ((وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ : يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ،قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ،وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ،ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (3) .

وقد يكنى أصحاب مدين بأهل الأيكة (4) ،وكانوا ((أهل كفر بالله ،وبخس للناس في المكاييل والموازين وافساد أموالهم)) (5) .وقيل : ((بعث الله شعيبا الى أمتين الى قومه : أهل مدين ،والى أصحاب الأيكة ، وكانت الأيكة من شجر ملتف ،فلما أراد الله أن يعذبهم بعث عليهم حرا شديدا ،

---

1) م.س.ن ؛ ن.ص

2) سورة العنكبوت : الآية : 36

3) سورة الأعراف : آية : 85

4) الأيكة : شجر ملتف ،ولذلك حين أراد الله اهلاكهم حقهم بنقيض مناخهم

5) الكامل في التاريخ 1/ص : 89

ورفع لهم العذاب كأنه سحابة ،فلما دنت منهم خرجوا اليها رجاء بردها ،فلما كانوا تحتها أمطرت عليهم نارا)، (1) ،وذلك مصداقا لقوله تعالى :

((فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عذابُ يَومِ الظُّلَّةِ . إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ)) (2)

غير أن البعض روى عن ابن عباس أنه قال : ((من حدثك ما عذاب يوم الظلة فكذبه)) (3) ،في حين أن مجاهدا قال : ((عذاب يوم الظلة هو اظلال العذاب على قوم شعيب))، (4) .

2) القحطانية أو دول الجنوب :

يرجع عرب اليمن هؤلاء الى يعرب بن قحطان (5) ، وهؤلاء اقتبسوا اللغة العربية من العرب العاربة ،وهي اللغة الشائعة . لكن الناس يختلفون اختلافا كبيرا في شأن القحطانيين ونسبهم ولغتهم باسماعيل وكذا لغتهم ، ونلخص هنا ما جاء عند المسعودي ،حيث ان قحطان ، انما هو يقطن ثم عرب فقيل له : قحطان ،وكان البعض ينكر أن يكون قحطان من ولد اسماعيل ،ذاهبين الى إن اسماعيل انما تكلم بلغة جرهم ، باعتباره كان سرياني اللسان على لغة أبيه سيدنا ابراهيم ،وذلك بعد أن صاهر جرهم ، هذا في الوقت الذي تنكر فيه تماما أن يكون اسماعيل نشأ على لغة جرهم ،قائلين : ان الله عزوجل

---

1) الكامل في التاريخ : 1/ص : 89
2) سورة الشعراء : آية : 189
3) الكامل في التاريخ : 1/ص: 89
4) م. س ؛ ن. ص
5) المعرب قبل الاسلام ؛ص: 109

أعطاه هذه اللغة ،مؤرخين ومحتجين :((ولغة جرهم غير هذه اللغة ،ووجدنا لغة ولد قحطان بخلاف لغة ولد نزار بن معد ،فهذا يقضي بابطال قول من قال : ان اسماعيل اعرب بلغة جرهم ،ولو وجب أن يكون اسماعيل انما كان عربي اللسان لأجل جرهم ونشئه فيها لوجب أن تكون لغته موافقة للغة جرهم أو لغيرها من نزل مكة ،وقد وجدنا قحطان سرياني اللسان ،وولده يعرب بخلاف لسانه ،،،،)) (1) .

على أي حال ،فان الأشهر منهن هؤلاء قبيلتان :

أ) جرهم : وهي غير جرهم الباقدة ، وكانت تسكن باليمن ثم انتقلت الى الحجاز ،حيث نزلت بمكة بعد قليل من نزول اسماعيل وأمه (2).

ب- يعرب : وهم بنو يعرب بن قحطان ،ويقال : ان العرب سميت به عربا ،ومرجع الشهور الى هذا الشعب قبيلتان :

1) حمير : ومنه غالب قبائل قضاعة (3) التي وجدناها تسكن تهامة قبل حلول العدنانيين بها ،ومن قضاعة سبعة أحياء :

آ- بلي ، ب- جهينة ، ج- كلب ، د- عذرة ، هـ- بهراء ، و- بنو نهد ، ز- جرم .

2) كهلان : وهم إحياء كثيرة ،والمشهور منهم إحدى عشر حيا :

آ- الأزد ،وقسمها الجوهري ثلاثة أقسام : (4)

---

1) مروج الذهب 2/ص: 46 وقبلها ص: 44-45 . المسعودي (ط1/1965 دار الأندلس - بيروت)

2) صبح الاعشى 1/ص : 315

3) م.س ،ع : ن.ص

4) م.س.ن : 318 - 319

1) أزد شنوءة ،وهم بنو نصر بن الأزد .

2) أزد السراة ،وهم موضع بأطراف اليمن ،نزل بها قوم منهم فعرفوا بها

3) أزد عمان ،وهي مدينة بالبحرين ،نزلها قوم منهم فعرفوا بها ،ومن الأزد بطون كثيرة ،ومن أشهرها غسان ، والأوس والخزرج .

ب - طسم : وخرجوا من اليمن على اثر خروج الأزد عند تشتتهم بسيل العرم ،فحطوا بنجد والحجاز على مقربة من بئر أرسد ،حتى ظهروا على جرهما ، أجداد سليمى من بلاد نجد فاحتلوها .

ج - حسم : ومن هذا الحي بطون كثيرة منها ، بنو خلان الذين كانوا مقيمين في شرقي بلاد اليمن ،وجنب وسعد العشيرة ،ومن بطون سعد العشيرة زبيد الاكبر ، وهم زبيد الحجاز ،ومنها النخع ،وبنو الحارث بن كعب ،وكانت ديار بلحارث بنواحي نجران من اليمن (1).

د - كندة : وكان لهم ملك باليمن ثم أصبح لهم بالحجاز .

هـ - همدان : وكانت ديارهم شرقي اليمن (2).

و - مراد .

ز - أنمار ،ولها بطنان :

1) بجيلة ،وكانت منازلهم في سروات اليمن والحجاز الى تهامة (3)

2) خثعم : وكانت ديارهم مع اخوتهم بجيلة ،ومن خثعم هؤلاء بنو كلب

---

1) صبح الاعشى 1/ص : 327

2) م.س.ن ،ص: 328

3) م.س.ن ، ص : 329

وهم بطون كثيرة ،ومنازلهم بيشة في شرقي مكة (1) ،والذي وقفت عليه أن النسابين متضاربون في نسبة بجيلة وخثعم الى القحطانية أو العدنانية .

ج - جذام .

د - لخم ،وكان لهم ملك بالحيرة .

ي - الأشعريون ،وهم رهط أبي موسى الأشعري .

او ي - عاملة .

3) العدنانية أو عرب الشمال في الطور الثاني :

أقول : عرب الشمال ،ولا أقول العدنانية ،لأنه قبل حلول هذا الطور الثالث ،أصبحنا نعرف قبائل عدة هاجرت من اليمن الى أطراف الشمال واختلطت بهم نسبا فتعدننت أو بقيت محافظة على نسبها ،أو ظعنت قبائل من الشمال الى الجنوب فتقحطنت أو تيامنت ،واذا ما قلت العدنانية فاني أعني بهم في هذه المدة من يرجعون الى معد وحده ،واذا ما عممت عرب الشمال ،فاني أعني بهم هنا وفي هذه المدة أيضا كل القبائل التي استوطنت هذه المناطق الشمالية من قبائل قحطانية وعدنانية .

والمقصود بعرب الشمال العرب الباقون ،وهم العرب المستعربة الذين تعلموا العربية من العرب المتعربين السابقين ،كما أن

1) صبح الاعشى 1/ص : 330

هـؤلاء الأخيرين أخذوا منطق اللغة عن العرب العاربة الأولين الذين كانوا عربا صرحاء خلصا ، وقد يقال ، المستعربة المتعربة أيضا ،وكان عرب الشمال منتشرين في شمالي اليمن من بلاد نجد والحجاز وتهامة والعروض حتى مشارف الشام والعراق ،كما سبق التلميح الى ذلك .

ومرجع أشهر وأهم القبائل العدنانية الى :

آ- نزار بن معد بن عدنان ،وتتفرع عنه ثلاث قبائل :

1) إياد ، وهم من تقدم ذكرهم .

2) أنمار ،وفي هذا لبس بين كونه عدنانيا داخلا في اليمانية، أو هم أنمار بن أراش من بنت أنمار بن نزار ،وسيشار الى هذا في مكان مناسب ،ونحن نتحدث عن تقاطعات الفضاء الجغرافي لقبائل اللهجات الفصحى .

3) ربيعة،ولها بطنان ، : أسد ،وضبيعة .

فمن أسد بنو عنزة ،وكانت منازلهم خيبر من ضواحي المدينة ،وجديلة ، ومن هؤلاء عبد القيس ،وكانت دار هؤلاء بتهامة حتى خرجوا الى البحرين ،وزاحموا من بها ،ومن جديلة أيضا بنو النمر بن قاسط ومنها كذلك بنو وائل ،ومن وائل ظهر بكر وتغلب ،ومن بكر بن وائل بنو حنيفة ،ومنهم أيضا بنو عجل الذين كانت منازلهم من اليمامة حتى البصرة (1) .

---

1) صبح الأعشى 1/ص : 336 - 339

وأما ضبيعة فهي قبيلة أقل بطونا وأفخاذا من أسد ،حتى انه لم يشتهر منها بطن ، على عكس أختها أسد التي اشتهر منها بطون كثيرة .

ب - مضر : وهي الأكثر عددا وقوة وانتشارا ، حتى انه لكثرة قبائلها وبطونها غلبت على سائر العدنانية (1) ، ومن أهم وأشهر قبائلها :

1) هوازن : ومن هؤلاء بنو سعد الذين دخلوا التاريخ العربي الاسلامي من بابه الواسع بفضل رضاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ونشأته النشأة الأولى بين أحضانهم ، واكتسابه السلامة اللغوية من سلكتهم اللسانية الفطرية ،وتواصلاتهم الشفوية السليقية ،الى جانب فصاحة قومه قريش .

ومن هوازن بنو عامر بن صعصعة ، ومن هؤلاء بنو كلاب الذين كانت ديارهم حمى ضريبة وحمى كليب ، وحمى الربذ الربذة في جهات المدينة ،وفدك ،والصوالي ،ومن بني عامر كذلك بنو هلال ،وبنو عقيل بن كعب ، وكانت ساكن هؤلاء الأخيرين بالبحرين في كثير من قبائل العرب مع بني تغلب وبني سليم ،الا أن بني تغلب كانوا أظهرهم في الكثرة والغلب (2) .

---

1) م.س.ن.ص: 338

2) م.س.ع.ص: 341 ــ 342

ومن بطون هوازن - أي هوازن - بنو جشم ، وكانت مساكنهم بالسروات ، وهي تلال تفصل بين تهامة ونجد ، وسروات جشم متصلة بسراة هذيل ، ومن بطونها أيضا ثقيف ، وكانت منازلهم بالطائف ، ويعزوها البعض الى مقاطعة نجد (1).

2) بنو هلة ؛

3) بنو مازن

4) بنو غطفان ، وكانت منازلهم مما يلي وادي القرى وجبلي طي ، ومن بطون غطفان بنو عبس وذبيان ، ومن ذبيان بنو فزارة الذين كانوا بنجد ووادي القرى ثم نزل ديارهم جيرانهم طي (2)

5) بنو سليم ، وهم أكبر قبائل قيس (3) ، وكانت منازلهم في عالية نجد قرب خيبر ، ولكثرتهم نزح منهم جماعة الى البحرين حتى غلب عليهم بنو عقيل وبنو تغلب .

6) بنو عدوان ، ومنازلهم بالطائف من أرض نجد ، ثم غلبهم عليها ثقيف ، فخرجوا الى تهامة .

ج - الياس أو خندف ؛ كان تحت الياس بن مضر خندف القباعة الأصل ، فعرف بنوه بها ، ومن خندف فروعان ؛

---

1) م.س.ص: 343

2) م.س.ن.ص: 345

3) م.س.ع : ن.ص

1) طـــابخـــة،ومنها قبائل كثيـرة و عـظيمـــة :

أ- تـــمـــيـــم ، وكانوا مستوطنين مقاطعـة نجـد من هنـاك طى البصرة واليمامـة حتـى العذيب من أرض الكوفـة ،ولما تفرقـوا، طى عادة العرب البدو ، ورث منازلهم بعض من طي ، وخفـاجـــة ليها بنو قبيل بن كعـب (1) ،ومن بطونها الشهيرة : بنو العنبـر ، وبنـو حنظلـة ،وهؤلاء (بنو حنظلة) أكبر قبيلـة في تميـم (2) ،ومن حنظلـة بنـو يربـوع ،الذين منهم بنو العنبر بن يربوع .

ب- بنـو ضبة ،وكانت ديار هؤلاء بالناحية الشماليـة من أرض نجد يجـاورا اخوانهم بني تميم (3) .

ج - مـزينـة ،وهي مزينـة بنت كلب بن وبرة ،فعرفوا بأمهـم .

2) قمـعـــة ،ولم يشتهـر عقبـه كـأخيـه طـابخـة .

د- مـدركـة ،وهم بنو مدركة بن الياس بن مضر ، ولم يشتهر منها غير هـذيـل ،وحسبها بهم شهرة .

هـ خـزيمـة ،وهو ابن السابق (مدركـة) ،ومنه بنو أسـد المشهـورون الذين كانوا يسكنون حاليا الكـرخ من أرض نجد في مجـاورة طـــي .

---

1) م . س . ن . ص : 347

2) م . س . ع . ن . ص

3) م . س . ن . ص : 348

و- كنانة ،و هو ابن خزيمة ،وهي قبيلة عظيمة ،ولها خمسة فروع :

1) ملكمان بن كنانة

2) عبد مناة بن كنانة ،ومنهم عدة بطون مثل غفار ،وبنو بكر بن مناة ، ومن هؤلاء الدئل ،ومن عبد مناة أيضا بنو الحارث ،وبنو مدلج .

3) عمرو بن كنانة .

4) عامر بن كنانة .

5) مالك بن كنانة .

ز - قريش ،والنسابون مختلفون في تسميتها بهذا الاسم (1)، وهم بنو النضر بن كنانة،ومقامهم بمكة معروف ،وتفرق من هذه قبائل كثيرة مثل بني الحارث بن فهر ،وبني محارب بن فهر ، ولؤي بن غالب ، وخزيمة بن لؤي ،وبني عامر بن لؤي ، وكعب بن لؤي بن غالب ، وبني جمح ،وبني عدي بن كعب ،ومرة بن كعب ،وكلاب بن مرة ، وقصي بن كلاب ،وهذا الأخير من جمع قريشا بعد التفرق مرتبعا مفاتيح الكعبة التي كانت في يد خزاعة (2).

---

1) صبح الأعشى 1/ص : 351 حتى 360

2) يستقصى هذه المسألة في جمهرة ابن حزم ص : 12 - 14 ، وفي كتاب حذف من نسب قريش ص: 3 وما بعدها لمؤرج بن عمرو السدوسي ،وكذا الاشتقاق لابن دريد 1/ ص : 107 الى غاية ص : 167

ثـــــا لـــثـــــا : اللهجـــا ت بين المـوا قع والطبقـا ت:

فـــي الخطـــة الثا لثـــة من هذا التمهيـــد ، سأكتفـي بسذ كـر التقا طعـا ت الجغـرا فية واللهجيـة التي كا نت تربط مختلف الفضا ءات المتقا طعـة بين لد القبا ئل العربيـة ذا ت اللهجا ت الفصحى ،والتي ستكون تكلمـا تها وتوا صلا تها المحلية والجهويـة احد ى العد وتا ت القوا عد يـة أو الما نكسيـة لعملنـا حول التراكيب اللهجية في موضوع لا حـق .

أمـا مـا يتصل بالفضـا ء الجغرا في العا م على ضو ء اللغة واللهجـة بمعظم تعا ريفها وأشكا لها ، فا ننا سنعود اليـه مع مرور البحث في احد الفصول الذ ي سيكون دراسة لغوية ولهجيـة عـا مـة وفق نظريا ت لسانيـة معا صرة ،ووفق لغا ت ولهجا ت أخرى لا تتصل بالعربية ولهجا تها كظا هرة ستظـة عما قد يحد ث لأ ية لغة انسانية أخرى.

واذ كـا ن لا بـد من ابدا ء ملا حظة ا وليـة وفق قرا ءة مقيدة ، فـــا ن التقسيـــم الجغرا فـي والتا ريخـي يتفق نوعا مـا والتقسيـم اللغو ي ، لأ ن العربيـة بـا ئد ة وبا قيـة ،وكلتا هما في الشما ل ،وجنوبيـة في الـيمـــن ، وهذ ه الميـزا ت اللغويـة كـا نت ذا ت ارتبا ط لا ينكـر بمميزا ت كـل طبقـة حسـب زما نهـا ومو طنهـا .

واذ ا كنا قد تعودنا لفظ كلمة ((بائد ة)) فهذا في نظرنا لا يعني في الآن ذا تـه بيـود لغـة من يبيدون ،فهذا رأي لم يعد

اليوم مقبولا ،لأن لغة من اللغات ليس بالضرورة أن تهلك وتزول كلية بهلاك وزوال دولة أو مجتمع لغوي ، لان اللغة لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ترتبط بزمن وهمي الا تقديرا ،وهي قبل أي شيء ـ كما سيجيء ـ أداة استعمال قبل أن تكون أداة اختزان في وعي جمعي ،كما يزعم البعض . فاللسانية الأم المجهولة حتى الآن من حيث التحديد لم تبد أبدا ،حتى ولو فرضنا أن الساميين الأولين قد بادوا ولم يتناسلوا في مجتمعات وأجناس لاحقة ،لأنها من غير شك موزعة بنظام ما في العربية والعبرية والحبشية ،... واللاتينية لم تمت أبدا ، فهي حية تسعى من خلال الفرنسية والايطالية والبرتغالية ،... وقل هذا السلافية ،والجرمانية ، ... بل مثل هذا اللغة الهندية ـ الأوربية .

على أي حال ،يرى بعض المحدثين أن الفرق بين لغتي العدنانيين والقحطانيين ((يدل على تباعد أصحابها في العادات والأخلاق)) (1) ، وقد يؤيد هذا القول مدى ما بلغته كل طبقة من التقدم والعمران والاختلاف في الشعور والوجدان ومناحي التفكير ، ذلك أن من كان يبني المساكن ويشيد القصور والعمارات ويجلب المياه الى القرى والمدن ... يختلف اهتمامه وانشغاله وتفكيره ـ وبالتالي تعبيره ـ عمن يصف الصيد ،والفرس ، والصحراء ،والناقة ،... والاختلاف في مناحي التفكير الناتج عن

1) العرب قبل الاسلام ص: 171

تفاوت كل طبقة في موقعها وزمانها وتحضرها أو تقهقرها ،انتصارها أوانهزامها ،... له أثره البالغ على الابداع في اللغة وتطويرها واتجاهاتها ، ولما كانت البداوة هذه الحضارة فمن كانوا يسكنون القرى والمدن لم يكونوا مستغنين استغناء تاما عن لغة البدو التي كانت تحافظ على نصاعتها وأصولها ،بل فاقت اللغة العدنانية اللغة الجنوبية في أشياء كثيرة لعوامل تاريخية وأحداث عظيمة .

ومما أشير اليه في النقطتين السابقتين مع ما سيلمح اليه من خلال هذه النقطة الثالثة ، يستطيع الباحث ،ولو بصورة سطحية ،أن يخطو بعض الخطوات نحو لتحديد العهد اللغوي ،والوقوف على مدى تحضر هذه القبيلة واستقرارها من تلك التي كان دأبها الترحال والتنجاع ، والتي ظعنت فامتزجت من التي استقبلت فتأثرت أو أثرت ،وهذا الوقوف ربما ييسر بعض الجوانب الغامضة أو التي لا تزال معلقة بغية معرفة بعض الحقائق اللغوية لأصول الكلمات من فروعها ،والقبيلة التي تأثرت فاقترضت من التي أثرت فبدرت لهجتها ولو فيمن دخلت عليهم مستجيرة بهم ،لان القوة البشرية تكون أحيانا بمعزل كلي عن لغتها اذا كانت أضعف من لغة المغزوين ،مع اعترافنا بوجود عامل مما قوي أو شهر يغوب عن هذا الانعزال الخارجي ، ولهذا فليس غريبا أن تكون الطبقة الثمانية من عرب الجنوب وقد ولبها قد اتخذوا

لغة العرب الحالية ، حتى وان كانت الموازنة هنا غير لائقة باعتبارها تدور بين طبقتين من أصل واحد لا يفصل بينهما الا الزمن وصعوبة المكان .

بيد أن الملاحظ تاريخيا أن ظاهرة التأثر والتأثير بين شعب فائز وآخر مغزو ليست ظاهرة مطردة ولا شاذة ، لأن ((مجرى التغيير في حقل اللغة يكون أكثر اندفاعا وسرعة أثناء سيطرة أمة على أمة ، ذلك أن لغة الغالبين ، على قلة عددهم ، قد تطغى على لغة الشعوب المغلوبة ، أو على لغاتها ولهجاتها ، وهذا ما حدث عقب الفتح الروماني اذ غلبت اللغة اللاتينية ، خلال بضعة قرون ، على لغة الغاليين السلتية ، وعلى سائر اللغات التي تتداولها شعوب بلاد بلاد الغال جميعا .

بيد أنه لا يتأتى للفاتحين اجمالا أن يسيطروا سلطانا لغتهم على الشعوب التي تقع تحت سيطرتهم ، فحينما استطاع الفاتحون ذو واللسان الجرماني من الفرنجة والبورغوند والويزيغون أن يستقروا في البلدان التي تملكت فيها اللغة الرومانية فانهم فقدوا لغتهم الجرمانية عوضا عن أن يفرضوها على شعوب تلك البلدان المفتتحة .

واللغة التي تتداولها شعوب كانت تستعمل لغة أخرى من قبل ، هي عرضة لتغيير سريع وعميق ، وذلك لأنها تقع الى هذا الحد أو ذاك ،

تحت تأثير اللغة السابقة للشعوب التي أصبحت تتداولها ،ومن هنا نستطيع أن نفسر أسباب كون اللغة الفرنسية أبعد عن اللغة اللاتينية من اللغة الايطالية التي تطورت في مكانها ،وهذا دليل على أن تمت تأثيرا متبادلا بين اللغة الطارئة واللغة المتوارية)) (1) .

وكذلك القبائل التوتونية التي استوطنت اسبانيا في القرن الخامس الميلادي كانوا يتكلمون لغة جرمانية ،بينما كان السكان الأصليون (المحليون) يلهجون بلغة رومانية أولاتينية عامية ،وبعد مائة وخمسين عاما صارت اللغة اللاتينية لغة رسمية في البلاد ،وكذا لغة الثقافة (2) .

ومن هاتين النقطتين ،اتضح لنا بشكل عام التداخل القبلي العظيم حدثا ونسبا وموطنا ،فضلا عن العلاقات الاجتماعية الوطيدة أو المنفصلة عن القبيلة ، على توالي العصور والأجيال ، وهو ما انعكس فيما بعد على التداخل اللغوي في العربية الفصحى حينا والتباين فيها حينا آخر ،حيث صرنا نجد للكلمة الواحدة مفردات عدة ، وأي من هذه الدوال يعبر عن مدلول واحد ، وللمسمى الواحد مفردات الأسماء ،ولربما المئات ، وللفعل الواحد مصادر مختلفة ،وللاسم الواحد المجموع مكسرا عدة جموع ... وإذا أراد

---

1) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص: 82 . ترجمة د. ميشال عاصي (ط:1/ 1979 .دار ابن خلدون .بيروت)

2) الحركة اللغوية في الأندلس ص: 17 - 18

الباحث اليوم أن يحلل أسباب هذه الظواهر فلا يكاد يجد لها مخرجا أوضح من عزوها لهذا التداخل القبلي العظيم موطنا ونسبا واجتماعا والعرب البائدة التي عثر لها على نقوش وآثار في رمال شبه الجزيرة العربية كان لها ملك واسع حتى بلغ الشام ومصر .... وعاد كانت منازلها في الاحقاف بين اليمن وعمان ، ومن البحرين الى حضرموت والشحر ، وثمود كانت منازلها بعدة قرى وأماكن بين الحجاز والشام ، وطسم وجديس كانت ديارهم مع أهل عاد بما قبلهم وما بعدهم بالأحقاف ، وعبد ضخم كانوا يسكنون الطائف ، ومدين كانوا على أطراف الشام مما يلي الحجاز تقريبا ، واذا صح أنه كان لهؤلاء ملك واسع ، كما ذكر غير واحد من المؤرخين العرب القدماء بمن فيهم ابن خلدون ، فمن البديهي انه كانت لديهم لهجات وتواصلات متقاربة يتعاطون بها لكونهم في أماكن متدانية ومن أصل واحد جنسا ولغة .

ثم كانت المرحلة الثانية التي وجدت فيها أغلب القبائل العربية الجنوبية تزحف صوب الشمال بعلومها وآدابها ولهجاتها وطبائعها ... لتزاحم العدنانية في موطنها وخبزها ومائها ، وهنيا غدا التداخل الجنوبي الشمالي يعظم يوما بعد يوم الى أن فرضت بعض القبائل الجنوبية نفسها على العدنانية ، ولكنها انصهرت فيها لغويا وفكريا

ـ أو قل : تصاهرتا ـ ،وأضحى اليمني حين ينظم شعرا أو يخطبه أو يعقد صفقة ... فلا يصنع ذلك جميعا الا باللسان العدناني ،وهنا أتيح لهذا الأخير ألا يزيد الا انتشارا وسلطانا مع اقتناعه لكلمات معدومة في لسانه أو قاموسه التخاطبي من لهجات الوافدين عليهم من ابناء اليمن ،وظل كذلك هذا الاقتناء مستمرا حتى مجيء الاسلام ليتحول هذا التداخل الى توحد ،لأن الفرد المتكلم باللسان الحضري لم يفهم بعض الكلمات التي وردت في القرآن الكريم على لغة اليمن الا بسبب أصحابها (1) ،وعلى هذا يكون القرآن الكريم ،كلسان عربي مبين ،قد عمل على ترسيخ مظاهر عدة من اللهجات العربية قاصيها ودانيها في لغة تواصلية واحدة أو مشتركة هي هذه اللغة العربية الفصحى .

ولم يكن هذا التداخل ظاهرا بين كتلة جنوبية وأخرى شمالية ،لان كل اللهجات التي نزحت (أعني الجنوبية) ـ بحكم نزوح أصحابها ـ نحو الشمال ذابت في اللهجات الفصحى الواحدة بمعجمها وقواعدها وأنظمتها ،حتى بعض الفصحاء لا يتورع في اصطناع بعض هذه العناصر اللغوية ،بل ظل قائما بين الكتل الشمالية نفسها وما بين منطقة واحدة ،ومنطقة غربية وأخرى شرقية .

---

1) على سبيل المثال لا الحصر ينظر :
معترك الأقران في اعجاز القرآن القسم الاول ص : 199 ـ 206 للسيوطي
(دار الفكر ـ القاهرة)

واختلاف لهجات أو لهجة في منطقة واحدة بين أسر ترجع الى قبيلة واحدة يظهر في لهجات بطون وفروع تخالف لهجة القبيلة الأم ، وهذا يوحي بعدم الاهتمام الكبير وصولا الى تقسيم اللهجات العربية الفصحى الى شرقية وأخرى غربية ،حتى وان كانت هناك فعلا ظواهر لهجية في مختلف المستويات تدعم هذا التقسيم باللهجي الجغرافي ،كما سيتضح لنا هذا خلال التراكيب الساتكسية للهجات العربية . لكن المقصود أكثر هنا هو أنه لا يمكن أن نتصور بأن هذه الفوارق اللهجية كانت حاجزا أو سدا مانعا بين متكلم غربي ومتلق شرقي في عدم التفاهم بينهما بدعوى ثبوت هذه الفوارق اللهجية التي لا تدحض .

وما أريد // أن ألمح اليه هنا أن بعض اللغويين العرب - ان لم أقل أكثرهم اذا عدنا نظرتهم الكلية للغة - كانوا ينظرون أحيانا ،وفي مواقف عدة ومتنوعة ، نظرة جغرافية ،فمن ذلك أن هذيلا لما سألت رسول الله (ص) أن يحل لها الزنا (1) ، أجابهم حسان بن ثابت : (2)

سألت هذيل رسول الله فاحشة ضلت هذيل بما سألت ولم تصب

---

1) الكامل 2/ ص : 101 للمبرد (مطبعة نهضة مصر)

2) م.س.ن.ص : 100 ،والقصد أن الشاعر وظف (سأل) على لغة التسهيل

بينما علق المبرد : ((وأما قول حسان :

سألت هذيل رسول الله فاحشة

فليس من لغته ((سلت أسال)) مثل : ((خفت أخاف)) و ((هما يتساولان)) ، وهذا من لغة غيره)) (1)

وقد استدل في قوله تعالى : ((فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ)) (2) ، بأن الفعل (أسرى) الموظف أسرا في الآية ، هي لغة قرشية ، لأن سواهم من العرب يقول : سريت ، وحتى هذه اللغة الثانية جاءت أيضا في القرآن ، إذ قال الله عز وجل : ((وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ)) (3) ، لان هذه اللغة من سرى ، وليست من أسرى ، وتبعا لهذا ، فان شعراء التوحيد اللغوي في الخطاب العربي القديم كانوا يوظفون اللغتين معا ، فقال لبيد مستعملا اللغة القرشية : (4)

فمضت وأسرى القوم آخر ليلهم وما كان وقافا بغير مشمر

في حين استخدم الأخطل اللغة الأخرى : (5)

نازعتهم طيب الراح الشمول وقد صاح الدجاج وحانت وقعة الساري

---

1) م. س. ن. ص : 101

2) سورة الحجر : الآية : 65

3) سورة الفجر : الآية : 4

4) الكامل 1/ ص : 104

5) م. ن. ص

وفي حديث عمر بن الخطاب ،وقد بلغه أن أبا موسى الأشعري يقرأ حرفا بلغته ،فقال : ((ان أبا موسى لم يكن من أهل اليمن)) ، يريد أن يقول : ليس من أهل الحجاز ،لان العقل ينبت بأرض الحجاز ، ويمسي مقلا ما دام رطبا ،فاذا يبس فهو خشل (1) ،حيث عبر عمر بن الخطاب هنا عن المنطقة الجغرافية باللغة .

والخلاف اللهجي بين المنطقتين الشرقية والغربية على جميع المستويات طابع بارز كالادغام أو الاظهار ، التحقيق أو التسهيل ، الامالة أو الفتح ،النصب أو الرفع ،التذكير أو التأنيث ،... ولهذه الخلافات علاقات بأسباب خارجية مثل العوامل العوامل الجغرافية والاجتماعية والتاريخية ... المشار اليها من قبل ، وبأسباب داخلية تتصل باللغة ذاتها ولذاتها و التجليه في التطورات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ،ولهذه العوامل الداخلية التي لا تقل أهمية في الدراسات اللسانية المعاصرة تفسيرات سيتضح قسم هام منها ونحن نتحدث بوجه خاص عن الاكتساب والاستعمال اللغوي بشكل وعن الفضاء الجغرافي للغات واللهجات بوجه عام .

وقد تتقلص المنطقة الجغرافية حتى يظهر الخلاف اللهجي على مستوى منطقة واحدة ،وذلك نتيجة للتداخل القبلي أو العكس أي ما قد يوازيه من انعزال أو انزواء اجتماعي .

---

1) الصحاح :3/ ص: 1155 (باب الشين ،فصل الباء)

ومن هذا أن ابن كثير وغيره قرأوا :

- ((وَآخَرُونَ مُرْجَئُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ)) (1)

- ((تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ)) (2)

بالهمز (3) ، وغيرهم قرأوا بغير همز ، فأما الهمز فلتميم ، وأما غيره فهي لغة قيس وأسد (4) . وصرعه صرعا من باب (قطع) لغة تميم ، وفي لغة قيس صرعا (بالكسر) (5) ، وتميم تقول : المغزل ، والمصحف ، والمطرق ، بكسر الحرف الأول ، وقيس تضم الحرف الاول فيها (6) .

واختلف القراء في قوله تعالى :

- ((وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا)) (7) ، حيث قرأ احدهم بضم النون في الفعل (اجنح) ، وهي لغة قيس ، بينما قرأ الجمهور بفتح النون ، وهي لغة تميم (8) ، وقيس تقول : لسق بالسين ، وتميم بالصاد (9) .

1) سورة التوبة : آية : 106

2) سورة الاحزاب : آية : 51

3) اللجات للما- اللهجات العربية في التراث ص: 46 .د . أحمد علم الدين الجندي (الهيئة المصرية للكتاب)

4) م.س : ن . ص

5) الصحاح : 3/ ص : 1242 . أي الفتح في المصدر (صرعا) لتميم ، والكسر لقيس.

6) اصلاح المنطق ص: 120 ابن السكيت. (دار المعارف - مصر)

7) سورة الانفال : آية : 61

8) البحر المحيط : 4/ص: 516 .أبو حيان الغرناطي (مطبعة السعادة - مصر)

9) اللسان : 12/ 205 .ابن منظور (الدار المصرية للتأليف والترجمة)

وقـــال أبو زيـــد : قيس تقول : رأى العود يذأى ذأيا ،وتميم تقـــول : ذوى ،والأولى طوية (طوية نجد) والثانيـــة تميميـــة (1) ، ويسند الى أبي زيد أنه قال : السدفـــة في لغة قيس : الضوء ،وفي لغة تميـــم : الظلمـــة (2) ،وأنشد الاصمعي :

وألفيت الزمام لها فنامت لعادتها من السدف المبيـــن

وأنشد أيضـــا :

((وأطعن الليل اذا ما أسدفا)) (3)

ومن الواضح أن الكلمـــة (السدف) وظفت في التركيب الاول بمعنى ((الضوء)) وفي التركيب الثاني بمعنى ((الظلمة (أظلم)) . والكلمـــة من الأضداد ،حتى كأن الاضداد في العربيـــة ظاهرة ناتجة عن توظيف كلمـــة واحدة لمدلولين متعارضين من قبيلتين عربيتين أو أكثر ،وعنه دائما : ((الا تلفـــت في كلام بني تميم الأضر)) (4) ،وفي كـــلام قيس : الأحمـــق (5) .

وعلى غرار ملاحظة عمر بن الخطاب على أبي موسى الأشعري ، نجـــد الأصمعي هو الآخر يقـــف موقفـــا مماثلا حين عاب على أبي عبيدة في تفسيره قول حباب بن زرارة : (6)

شتـــان هذا والعناق والنوم والشرب الباردفي ظـــل الدوم

---

1) التنبيهـــات ص: 177 ـــ 178 ،علي بن حمزة (دار المعارف ـ مصر)
2) الامالي : 2/ ص : 125 ، القالي . (دار الفكر العربي للطباعة والنشر)
3) النوادر في اللغة ص: 177 ، ابو زيد الانصاري (ط1894 مط الكاثوليكية بيروت)
4) م، س، ص : 170
5) المزهر : 1/ ص: 381
6) التنبيهـــات ص : 85

اذ قصال الاصمعي : ((ما ابن الصباغ وهذا ؟ وأنى لأهل نجد الدوم ؟ وانما الدوم بالحجاز وحاجب نجدي فأنى له الدوم ؟)) (1) وسم فسّر الظل الدوم بأنه الظل الدائم ،وذهب ابن دريد مذهب الاصمعي في التفسير وخالفهم في ذلك صاحب التنبيهات (2).

وفي القرآن الكريم :

((قُلْ : إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي)) (3) .

بفتح العين في (ضل) ماضيا ومضارعا ، وجاء في الصحاح :

((فهذه لغة نجد ،وهي الفصيحة ،، وأهل العالية يقولون : ضللت بالكسر أضل)) (4) .

ولربما انفرد بطن في بعض مظاهرة اللهجية عن منطقته وقبيلته معا ومن ذلك مثلا أن بني سعد بن زيد بن مناة بن تميم (بطن من تميم) (5) يبدلون من الحاء هاء لقرب المخرج فيقولون في ((حد حته)) : هد هته ،وكذلك تقول لهم ومن قاربهما (6) ،ومن المحتمل جدا أن يكون بنو سعد هؤلاء قد تأثروا باللهجة اللخمية بدليل أنها كانت منتشرة قربها ،

---

1) التنبيهات ص : 85

2) م.س ،ع : ن.ه ص

3) سورة سبأ : آية : 50

4) الصحاح : 5/ ص : 1748 (باب اللام ،فصل الضاد)

5) جمهرة ابن حزم ،ص: 207

6) الكامل : 3/ ص : 146

وبسند ليسل أن النعمان بن المنذر قال لأحد العرب : ((أوردت أون تد بمه فعد هتـه)) (1) .

وحدث أبو عثمان المازني المبرد أن كل العرب يقولون : فاضت نفسه (بالضاد المعجمة) الا بني ضبة فانهم يقولون : فاظت نفسه (بالظاء المعجمة) (2) انفاسات . وبنو ضبة بطن من تميم ، وكانت ديارهم بالناحية الشمالية من أرض نجد بجوار اخوانهم بقي تميم ، والعاء العد بلغة تميم الكثيرة وعد وهو بلغة بكر بن وائل العاء القليل (3) ، وبكر حتى وان لم تكن بطنا من تميم ، على أنها بطن من جملة الذين يرجعون الى ربيعة فانها من قبائل المنطقة الشرقية .

وهذه القبائل من تميم وأسد وقيس وبكر بن وائل كلها تنتمي الى المنطقة الشرقية ،وهي تختلف في بعض المظاهر اللهجية التي تدخل في حدود اللهجات العربية الفصحى نفسها ، : مما يوحي بعدم الاهتمام في كل حال على الا العوامل الجغرافية وحدها دون الأخذ بعين الاعتبار باقي العوامل الأخرى من خارجية وداخلية .

ومن مظاهر الاختلاف اللهجي الفصيح بين الكلمة العربية الواحدة كسر حرف المضارعة ، وهو من خصائص اللهجات

---

1) الكامل : 3/ص : 146

2) السابق :1/ ص : 268

3) اللسان : 4/ ص : 276

الشرقية - كما سنرى - غير أنه نسب هذا الكسر كذلك الى هذيل في الفعل ((اخال)) (1) ،ويجمع اللغويون مع ذلك على أن الأفصح كسر همزة هذا الفعل ،وان كان القياس يقتضي الفتح ، حيث جاء في الصحاح :((وتقول في مستقبله : اخال بكسر الألف ، وهوالأفصح ، وبعض أسد تقول : أخال بالفتح وهو القياس .)) (2) ،وأهل المدينة يقولون في ((بدأنا)) : بدينا (3) ،وهذيل تقول أيضا : أتوته آتوه بمعنى آتيته آتيه (4) ،وبنو كلاب ،كما روى أبوزيد ، يقولون : اضحل بتقديم الميم ،في (اضمحل الشيء): أي ذهب اوالسحاب : زال)(5)، وبنو كلاب من بني عامر بن صعصعة من هوازن ،وكانت ديارهم حمى ضريبة ،وحمى كليب ،وحمى الربذة ،وذلك والعوالي في جهات المدينة.

---

1) البحر 1/ 23- 24

2) الصحاح :4/ 1692 ،وماضي هذا الفعل هو :(خال)) ،من : خلت الشيء خيلا وخيلة ومخيلة وخيلولة أي ظننته. وفي المثل :((من يسمع يخل)) وهومن باب ظننت وأخواتها ، التي تدخل على المبتدأ والخبر ،فان ابتدئ بها أعملت ، وان وسطت أوأخرت فالخيار بين الاعمال والاهمال ،وقال جرير في الالغاز :

أبالأراجيز يا ابن اللؤم توعدني وفي الأراجيز خلت اللؤم والخور

3) مختار الصحاح ص: 54 الرازي

4) الأمالي : 2/ 208

5) الصحاح : 5/ ص: . : 1748

ولربما انفردت قبيلة واحدة بدلالة كلمة دون سائر العرب ،مثال ذلك أن كلمة الساجد في لغة طيء المنتصب ، وفي سائر لغة العرب المنحني (1)،ولعل هذا أثر من آثار لهجة طيء القديمة التي كانت تتكلم بها في الجنوب قبل ظعنها الى الشمال .

وهذه العوامل برمتها كانت مقدمة طبيعية لكل ما ظهر بعد من فوارق لسانية في اللهجات العربية الفصيحة ،والتي بقيت منقوشة في آثار العرب من شعر ،ونثر ، وحكمة ،ونادرة ،وموعظة ،... ثم ما لبثت أن سطعت بذبه بارزة في القراءات القرآنية التي تعد مدونة ناصعة تنعكس عليها كل هذه الظواهر اللهجية سواء أكانت صوتية أم مورفولوجية أم فونولوجية أم سانتكسية ،وذلك باعتبار القرآن الكريم أعظم مصدر ((محيط بجميع اللغات الفصيحة)) (2) .

---

1) التنبيهات ، ص : 294

2) الكامل : 3 / ص : 97

الباب الأول : القبائل العربية واشكالية اللهجة النموذجية

الفصل الأول : التقاطعات الفضائية للقبائل العربية

ليس خفيا على أحد ما لتداخل القبائل العربية وارتحالها واقتتالها واقامة بعض منها مكان بعضها الآخر من تأثيرات على اللهجات العربية نفسها وتداخلها من خلال تلك التقاطعات المحتومة فيما بينهم حربا كانت أم سلما ، مما كان يقودها الى صراعات أو تحالفات ، لا يلبث أن ينتهي كل هذا طوعا أو قسرا باقرار كل فريق لهجة الآخر ، واقتراض كل قبيلة قبيلة من الأخيرات ما ينقص لهجتها من سمات أو مستجدات ثقافية وطبيعة وحضارية .... ليست لها دوال بعد في لغتهم تارة ، وبالتواضع أو الاصطلاح جميعا على تسمية اسم واحد بلفظين أو أكثر من مرة ، ولعل النقطة الثالثة أعلاه من التمهيد تؤكد لنا بعضا من هذه النماذج اللهجية القليمة في تقاطعها أو توازيها ، غير أن ما نجهله من هذه الاشكالية أكثر مما نعلمه ، وما لا نعلمه الذي عبر عن ((الترادف)) بعشرة دوال متعارضة صوتيا لمدلول واحد ؟ (1) ، وهل فريق لغوي واحد جعل مدلول متباينة دلالة لدال واحد متباين صوتيا ؟ (2)

---

1) جاء في الصحاح مثلا : (ج 1 / ص : 50) : ترب ، وتورب ، وتوارب ، وتيرب ، وترب ، وتربة ، وترباء ، وتيراب ، وتسريب .

2) مثال ذلك : الفعل الثلاثي الذي يدل على ثلاثة معان دون تغيير صوتيا

وان ما يسميه اللغويون العرب القدماء بـ(المشترك اللفظي))
لم يعد سوغا للارتياح لمثل هذه التفسيرات التي لا تتماشى وطبيعة
اللغة في كل حال ،ولا سيما بالنسبة للغة كالعربية التي يمكن لطاقتها
في البث والتلقي بين المتكلمين أن تتفادى مثل هذه التعسفات
في اجبار اللغة الى الاضطرار الا بعد نفاد هذه الطاقة الفونولوجية
الهائلة ،والا فما الذي اضطر الشاعر أو المتكلم العربي أن يعبر
بسدال واحد (جلس) عن ستة مداليل مختلفة دون أي تعارض في
الحركات أو الاصوات ؛ (1) ؟

لقد رأيت هذريا جلسا يقود من بطن قديد جلسا
ثم رقى بعد ذلك جلسا يشرب فيه لهنا وجلسا
مع رفقة لا يشربون جلسا ولا يؤتيون لهم جلسا

مع أننا لو عدنا الى منهج التقليبات الصوتية التي قال بها الخليل ،
وعارضنا بين الأصوات الثلاثة الساكنة أو الصوامت ؛ ((ج ،ل ،س))
لنتج عندنا ستة أبنية مختلفة ،ثلاثة منها مستعملة ،وهي :

ج ،ل ،س

س،ل ،ج

س،ج ،ل

---

1) جلس الأولى معناها ؛ رجل طويل ،والثانية ؛ جهل عال
والثالثة ؛ جبصل ،والرابعة ؛ صل ،والخامسة ؛ خصر ،والسادسة ؛نجد
(هذه الأبيات وشرحها أخذت من المزهر 1/ص : 376)

وثلاثة منها مهملة ، وهي :

ل ،س،ج

ل ،ج ،س

ج ،س،ل

أي كان المفروض ألا تضطر العربية الى ما يسمى بالاشتراك اللفظي على الاكثر في أزيد من 50 ٪ في هذا الجذر ، ما دامت طاقتها الفونولوجية تزخر بمدوال مهمشة ،والذي نميل اليه أن هذه المداويل الستة المعبر عنها بدال صوامتي فونولوجي واحد في نفس النسق والنطق ،انما هي كلمات نشأت من التقاطعات الجغرافية بفضل التداخلات الفضائية للمجتمع اللغوي العربي خلال فترات بداية التوحيد اللغوي بين المتكلمين العرب هنا وهناك ، وذلك بعدما كانت متوازية في أول أمرها بين هذه القبيلة أو تلك ،ولم يكن صعبا على العربي بفضل جبلته أن يعرف متى يوظف نفس الشكل الصوامتي بهذا المعنى أو ذاك خلافا للمتأخرين .

وتشابه اللهجات الفصحى في بنياتها الجذعية المختلفة لم يكن لها عائقا لأن تجد سبيلا مهيئا لتتآلف و تتغذى الواحدة من الأخرى الوافدة منها كالسابقة في موقعها ،غير أن لكل هذا أوصافا وسمات معينة سنتناولها في موضعها .

وحيث ان لكل من هذه التداخلات اللهجية واللغوية الفصيحة يعنى بالدرجة الأولى دراسة القبائل ذات اللهجات الفصحى دراسة

~~القبائل ذات اللهجات الفصحى~~ دراسة تاريخية وقيمة جغرافية لما لها من علاقة وطيدة . يعزو الفوارق اللهجية الى كل قوم بأعيانهم،لان تداخل اللهجات الفصحى - في نظري - مرهون بتتبع الاثر الحركات القبلية داخل شبه الجزيرة العربية ، كالحل والترحال والاغارة والتطاحن ، وانضمام الذليل الى العزيز ، والضعيف الى القوي ،وقحطنية عدناني أو عدنانية قحطاني ،..

1) منازل أبناء نزار :

أ- منازل مضر : كانت منازل مضر حيز الحرم الى المروات وما دونها من الغور غور تهامة وما جاورها من الهلاة البلاد (1) ، وتهامة من قبل الحجاز ومدارج العرج ،وأولها من قبل نجد نجد مدارج ذات عرق (2) ، والمروات تقدمت الاشارة اليها ، وهي أعظم جبال العرب (3) ،وجبل المراة هوالحد بين تهامة ونجد ، ويخطلق من قعرة اليمن حتى يدخل أطراف بوادي الشام ،ويضم جبالا أخرى كثيرة (4) ،ولفصله بين تهامة - ونجد ثمته العرب حجلزاه

ب - منازل ربيعة : كانت منازل هؤلاء مهبط الجبل من غمر ذي كندة،وبطن ذات عرق وما صاقبها من بلاد نجد الى غور تهامة (5) ،

---

1) معجم ما استعجم 1/ ص: 18

2) م.س. ص: 322

3) م.س : 3/ص : 730

4) م.س : 1/ ص : 8

5) م.س . ص : 18

وغسر ذي كندة كان لجنادة بن محمد إيضا ،ويقال ان كندة كانت بها دهرها الأول (1) ،وأما الضمر فهو جبل أحمر طويل أصبح لحي من بني أسد فيما بعد (2) ،وبينه وبين قيد عشرون ميلا ، وقيد يصفها بعض الجغرافيين بالكبر ودوام العمارة (3) ، وقيد جاءت في أشعار العرب ،وهي التي ينسب اليها حمى قيد (4) ، ومثلها الغور وقد جاء مضافا الى كندة ،كقول عمر بن أبي ربيعة: (5)

اذا سلكت غسر ذي كندة مع الركب قصد اليها الفرقد

وأما بطن ذات عرق فقد تقدم أنه يوجد من قبل نجد .

ج - منازل أنصار وايساد ؛ وأما سكن هؤلاء فكانت ما بين حد أرض مضر الى حد نجران ، وما والاها وما قبلها من البلاد (6) ، وأما نجران فحدها الغربي طرف تهامة الشرقي ،وهي مثل جرش مدينة كبيرة تحتوي على أحياء كثيرة من اليمن (7) .

د - أصنام هؤلاء من بعد جدهم ؛ وأما سائر ولد معد فصارت أرضهم فيما بعد مكة ،وأوديتها وشعابها وجبالها ، وما قبلها من البلاد ، وأما مواقع السابقين طيهم بها فمن بقايا جرهم (8) .

---

1) م.س : ن.س

2) م.س ؛ 3/ ص ؛ 1034

3) المسالك والممالك ص: 24

4) معجم ما استعجم ؛3/ص ؛ 1052

5) م.س.ص ؛ 1003

6) م.س ؛ 1/ ص ؛ 8

7) المسالك والممالك ص ؛ 26

8) معجم ما استعجم 1/ ص ؛ 18

2) تقاتل ولد معد :

اقتتلت مضر وربيعة أبدا بينما نزار بين معد فأجلوهم عن نواطنهم بعد ما غلبوا عليهم، وتفرقت طوائف من المغلوب عليهم، من أولاد قنص بن معد في سائر بلاد العرب، بعد أن أكثرهم ظعن نحو البحرين، ثم استقر أخيرا بالحيرة، وملك العرب الذي كان بها يرجع الى أحد أحفاد معد (1).

وغير خفي ما لهذا الاقتتال والحمل والترحال من أثر على لغة الاخوة الواحدة، فتباين أولاد قنص بن معد عن أرض مكة وشعابها وأوديتها، ونزولهم بالبحرين مع القبائل السابقة عليهم بها، ثم عهد هم الرحال الى الأنهار والحيرة بجعل لغتهم تحل أينما حلوا، وترحل معهم متى رحلوا، ولكنها تتأثر وتؤثر بمن وبما عليهم عنوة أو رضى، وتختلف في ذات العين وراءها آثارا ومعالم خاصة في العادات التواصلية للهجات من أن أقصوهم من هذا الفضاء الى ذاك، ولأن أولاد قنص بن معد مثلا لم يرحلوا كلهم عن مكة فضلا عن الجرهميين الذين كانوا قد امتزجوا بهم في دمهم ولغتهم.

3) تداخل القبائل العربية :

لما اختلطت القبائل العربية لكثرتها ونموها الديموغرافي

---

1) معجم ما استعجم 1/ ص : 52 - 53

حقيقة بعد حقيقة ،وتتناقص في الماء والكلأ والمنتجع ،
وبعبارة أخرى في الفضاء البدوي الاجتماعي ،استضعف القوي
الضعيف ،وانضم الذليل الى العزيز ،وحالف القليل منهم الكثير ،ومن
لم يعرض منهم بالذل والهوان تباين عن قومه ،فكان منهم من
تعدن ،ومنهم من تباءس وتقعطن ،وكان منهم من تمرد على
المجتمع القبلي بأكمله ،فوجد ما يعرف بالصعاليك الذين اتخذوا
لهم منهجا وسلوكا متميزين عن الحياة العربية العامة التي تخضع الفرد
الى الجماعة مقابل حمايته ونصره ظالما ظالما أو مظلوما ،لكن
الفضاء الجغرافي المتضاد في تلك الصحراء القاسية أفرز
هذه الفئات الاجتماعية الشاذة التي انتشرت في البادية
تقطع الطرق ،وتنهب وتسلب ،وتثير في أنحائها الرعب والفزع ،
فتغير على المناطق الخصيبة مهددة أهلها في أملاكهم وأعراضهم
وأنفسهم ، متخذة من هذا الفضاء الجغرافي المتضاد سترا نفسيا
واقتصاديا للاغارة والشذوذ الاجتماعي ،فضلا عن كون هذه الفئات
الثائرة المتمردة على سلطان الفضاء الجغرافي الأحادي تحمل
في ذاتها أعنف ما تحمله نفس بدوية أنفة وعزيزة ، حتى أن
الدارسين ليرون أن كل جانب من جوانب الحياة البشرية في مثل
تلك الصحراء العربية ذات الفضاء الجغرافي المتضاد يحمل طابع الحركة (1)

---

1) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي ص: 73 ، د. يوسف خليف
(ط:2 دار المعارف - مصر)

ولعل من أميز شعراء الصعاليك الشاعر الازدي الشنفرى أحد من يمثل التصادم النفسي تحت وطأة وضوح هذا الفضاء الجغرافي القاسي الذي كلما عرف تقاطعا الا وصحبه تناقض وتعارض اجتماعيان صارخان ، وربما تمثل بعض أبيات لا ميته الشهيرة بوضوح هذا الفضاء الجغرافي المتناقض في تقاطعه ، مما يجعل هذا الفرد يتمرد ويثور كلية على المجتمع والوضع : (1)

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فاني الى قوم سواكم لأميل

فقد حمت الحاجات والليل مقمر وشدت لطيات مطايا وأرحل

وفي الأرض منأى للكريم عن الأذى وفيها لمن خاف القلى متعزل

لعمرك ما في الأرض ضيق على امرئ سرى راغبا أو راهبا وهو يعقل

ولي دونكم أهلون سيد عملس وأرقط زهلول وعرفاء جيأل

هم الرهط لا مستودع السر ذائع لديهم ولا الجاني بما جر يخذل

أديم مطال الجوع حتى أميتـه وأضرب عنه الذكر صفحا فأذهل

وأستف تلا ترب الارض كيلا يرى له عليّ من الطول امرؤ متطـول

---

1) لامية العرب ص: 27 - 30 وص: 38 الشنفرى (ط: 1964 مكتبة الحياة. بيروت)

- مطيكم : ج مطية ، وهي الناقة
- حمت : أصله حسم ، ومعناه تهيأ الشيء وحضر
- الطية : الحاجة وتعني أيضا المكان المنوي المقصود .
- المنأى والمنتأى : الموضع البعيد
- القلى بالالف المقصورة : البغض
- متعزل : الموضع الذي يعتزل فيه
- لعمرك : فيه ثلاث لغات ضم العين وسكون الميم وفتح العين وسكون الميم وضمهما معا ، وهو قسم أي : وحياتك

وقريبا من هذا القضاء الجغرافي المتصادر الذي كان لسه تأثير مباشر على نشوء هذه الفوارق اللهجية القليلة التي نعلم واللغوية الكثيرة التي لا نعلم والمبثوثة في مختلف المدونات المحكمة والمكتوبة ، جاء بعض الآراء : ((اتفقت اللغة العربية القمالية منذ العصر الجاهلي في الصفات والظواهر العامة التي كانت تكفل الاتصال بين القبائل العربية المختلفة ، والتي كانت في الوقت نفسه نتيجة لهذا الاتصال ، ولكن هذه القبائل جميعها لم تتح لها في حياتها ظروف متماثلة أو ملابسات متشابهة . بل أحاطت بها في حياتها : الاجتماعية ، والاقتصادية ، وفي بيئتها : الطبيعية المادية ، والمعنوية الأدبية ظروف مختلفة ، فقد كان بعضها يحيا حياة بدوية كلها شدة وخشونة ، وبعضها الآخر يحيا حياة حضرية فيها شيء من الدعة .

كما أن هذه القبائل كانت تختلف فيما بينها ، تبعا لذلك ، من حيث التنقل والاستقرار ، والانعزال والاختلاط ... ، وقد أدى ذلك الى أن يكون لكل قبيل من العرب لهجة تميزه عن غيره ، فكان أن اختلفت هذه اللهجات في بعض المظاهر الصوتية ، وفي بنية ألفاظها ، وفي دلالة بعض كلماتها ... الى غير ذلك من خصائص وسمات)) (1)

- السيد : السيد في لغة هذيل الاسد ، وعنى به هنا الذئب (المبرد)
- العسلس : الخفيف السريع
- الرقط : الرقطة كل لونين مختلفين ويراد به النمر
- الزهلول : الأطلس - العرفاء : الضبع الطويلة العرف ، وهي هنا نعت

1) لغة هذيل ص: 25 . د . عبدالجواد الطيب (مجهول الزمان والمكان في طبعه)

ومن هذه القاطعات الفصائية أن عكا التي وصفها الهمداني بالفصاحة هي عدنانية ، لكنها صارت الى قورشها سة اليمن فنزلوا فيما بين جبال السروات وما يليها من جبال اليمن ، والأشعريون الذين وصفهم الهمداني أيضا بالفصاحة في أحد المواضع هم عدنانيون ، وانتسبوا الى كهلان (1) ، وأما عك فقد بقي جلهم على عدنانيتهم ، وطائفة منهم تيامنت الى قحطان (2) ، وقال عباس بن مرداس في طه : (3)

وعك بن عدنان الذين تلقبوا بحسان حتى طرد واكل مطرد

وبنو مجيد الذين عدهم الهمداني من حمير نعتهم بالفصاحة ذكر البكري أنهم يرجعون الى معد ثم صاروا في الأشعريين (4) ، وهو المرجح عندي . والا فمن أين جاءتهم هذه الفصاحة؟ حتى وان كنا واعين بطبيعة الوضع المرحلي للعربية ولهجاتها عبر أحداثها التاريخية المتأخرة بالنسبة لانتشارها وتعاطيها .

ومما يذكره البكري أن بجيلة وخثعما من أبناء أنمار بن نزار وطعنوا الى جبل السروات فنزلوها وانتسبوا فيهم ، وفي الوقت الذي كانت خثعم مقيمة في جبلي شمي وبارق وجبال بينهما ، اذ مرت بهم الأزد في مسيرها من أرض سبأ فقاتلوهم وأنزلوهم من جبالهم وأجلوهم عن منازلهم ، ونزلتها أزد شنوءة وبقيت بها حتى ظهر الاسلام (5) ، ونزلت خثعم ما بين بيشة وتربة وما صاقب تلك البلاد وما

---

1) معجم ما استعجم 1/ ص: 53-54 ، 2) م.س.ص: 60

3) م.س.ص: 54 4) م.س.ص: 55 ، 5) م.س.ص: 63

وساوالاها الى أن ظهر الاسلام وهم بها ، وتسامت القبيلتان كلتاهما (1) .

وأما ابن دريد فيصنفها ضمن القبائل اليمنية ،ويقول فيها : ((ابنا أنمار بن اراش بن عمرو بن الغوث)) (2) ،وفي نهاية الأرب أن بجيلة قبيلة من أنمار بن أراش (بفتح الهمزة والسابقة بكسرها) من كهلان وبجيلة أمهم غلب عليهم اسمها (3) ،وفيها أيضا أن خثعما بطن من انمار من أراش ،من القحطانية ،وأم ولد خثعم عاتكة بنت ربيعة بن نزار (4) .

وسواء أكانتا عدنانيتين أم يمنيتين فان صلة الرحم بينهما كانت قائمة ، اذ حلف بن خثعم أمه عدنانية ، وأكلب بن ربيعة ابن نزار دخلوا في خثعم (5) ،وكان بين أحد بطون خثعم وسادة قريش مصاهرة حيث تزوج امرأة (أسماء) منهم جعفر بن أبي طالب ،ثم أبوبكر الصديق ،ثم علي بن أبي طالب ، وتزوج احدى أخواتها (سلمى) حمزة بن عبد المطلب ،وكان اليمس من بني قحافة أهلا في خثعم (6) ،وهذا مثلما يدل على التداخل الفضائي بين القبائل العربية ذات اللهجات الفصحى يدعم في الوقت نفسه ظاهرتي التداخل العام والخاص (بين العرب من جهة وقريش من جهة اخرى) .

---

1) معجم ما استعجم 1/ص: 63 . 2) الاشتقاق ص: 516 و 520

3) نهاية الارب ص : 171 . 4) م.س.ن.ص: 243

5) جمهرة ابن حزم ص: 391 . 6) م.س.ص : 390

ويذهب الهمداني الى أن سكان أعالي جبال السروات كانوا أفصح ممن كانوا مقيمين في سفوحها ، وخثعم كانت مع أخواتها بجيلة بسروات اليمن والحجاز الى تهامة (1) ،ومرة أن بجيلة كانت تسكن السراة الوسطى ،فضلا عن الاختلاط الدموي مع الربعيين والقرشيين ،والذي كان يجمعهم مع خثعم ،...

وأما النخع فيرجعون أصلا الى اياد بن نزار ،فنزلت ناحية بيشة وما والاها فصاروا مع مذحج في ديارهم منتسبين اليهم ،وقال لقيط بن يعمر الاياد ي : (2)

ولا يدع بعضكم بعضا لنائبة كما تركتم بأعلى بيشة النخعا

4) قبائل عدنان ومواطنها وتداخلها وظعنها :

أ- ذكر أنه لم يبق بتهامة وغورها من ولد عدنان الا مضر وربيعة ومن كان معهم أو دخيلا فيهم من قبائل أخرى أو مجاورا لهم (3) .

ب- عامر بن صعصعة : نزلت عامر بن صعصعة ناحية من الطائف بمجاورة عدنان أصهارهم (4) ،وبنو عامر هؤلاء هم بنو ربيعة بن عامر بن صعصعة ،وهم مضريون ،ولهم بطون عدة ،أشهرها :

بنو الهكاء ، بنو ذي السهمين ، بنو ذي المخبر ،بنو فارس الضحياء (5) ،

---

1) نهاية الارب ص: 245

2) معجم ما استعجم 1/ ص : 63 - 64

3) م.س.ص : 76 .

4) م. س. ص : 77 . 5) جمهرة ابن حزم ص : 468

ولما وقعت حروب بين أصهارهم بني عدوان ،وتفرقت جماعتهم ، وشتت أمورهم ، طمعت فيهم بنو عامر فأخرجتهم من الطائف ، ونفوهم عنها ،وكان بنو عامر يتصيفون الطائف ،ويتشتون بلادهم من أرض نجد التي اختاروها ،وفضلوا الرجوع اليها ، ودفعوا الطائف الى ثقيف مقابل أخذ نصف غلاتها ،وأخيرا وقعت حرب بين ثقيف وبني عامر لكنهم لم يقدروا عليهم،واستقل الثقفيون بالطائف (1)

ج ـ ربيعة في نجد وتهامة واليمن والحجاز :

تفرعت قبائل ربيعة في بلاد نجد وتهامة بقرن المنازل ، وحضن ،وعكابة ،وركبة ،وحنين ،وغمرة أوطاس ،وذات عرق ، والعقيق وما والاها من نجد (2).

وكان بين ربيعة [illegible] اقتتال فتفرق ،حيث ظعنت عبد القيس الى البحرين وهجر ،ثم تغلبت عليها وفرقتها بين بطونها (3).

ودخلت قبائل ربيعة ظواهر بلاد نجد والحجاز وأطراف تهامة وما والاها من الجبلاد ،وتيامنت منها قبائل أخرى كقبيلة أكلب التي جاورت خثعما وحالفتهم (4)، وتيامنت عنزة أيضا وحالفت خثعما (5) .

---

1) معجم ما استعجم 1/ ص: 77ـ78

2) م.س.ص: 79ـ 80

3) م.س.ص: 80 ـ 81

4) م.س.ص: 82

5) م.س.ص: 83

وبقيت سائر قبائل ربيعة من بكر ،وتغلب ،وعنزة ،وضبيعة في ظواهر بلاد نجد والحجاز وأطراف تهامة حتى اقتتلوا فلحقت عنزة والنمر بحي تغلب ،وانضمت عنزة وضبيعة الى بكر بن وائل ،وقد وبعد تغلب بكر على تغلب انتشرت بكر وعنزة وضبيعة باليمامة والبحرين وأطراف سواد العراق وناحية الابلة الى هيت وما والاها من البلاد (1).

د - تفرق قبائل مضر : ((لم تزل مضر بن نزار بعد خروج ربيعة مقيمة في منازلها)) (2) ، من براري تهامة وما والاها حتى اكتظوا وتباينوا ،وضاقت بهم بلادهم بما رحبت ،فتناضوا في المحال والمساكن ،فاقتتلوا وظهرت خندف على قيس (3).

1 - قيس وخندف ومنازلهما : بعد اقتتال قيس وخندف ظاهرت هذه الأخيرة على الأولى التي ظعنت من تهامة طالعة نحو نجد ، الا قبائل منها انحازت الى غورتهامة ،وقال فراس بن غنم الكناني الخندفي :

أقمنا على قيس عشية بارق بيض حديثات الصقال بواتك

ضربناهم حتى تولوا وخليت منازل حيزت يوم ذاك لمالك

---

1) معجم ما استعجم 1/ ص : 85 - 86

2) م. س . ص : 87

3) م.س.ع : ن.ص

وعلى هذا فقد صارت منازل قيس بتهامة وغورها وما صاقبهـا وما والاها ،في ملتقى قبائل خندف ، على حين ظعنت اتجاه نجـد ،

2) منازل هـوازن ؛ كـانت ما بين غورتهامة الى ما والى بيشـة وبركا وناحية السراة والطائف وذا المجاز وحنين واوطاس ومـا صاقبها من البلاد (1) ،

بيشـة شل تربـة والعقيق أوديـة تنصب من جبال تهامـة بشرقية في نجـد (2) ،وبرك اسم لعدة مواضع ، وهوبرك العماد (بضم العين وكسرها) ، وذكر المحقق لمعجم البكري أنـه برك العماد الذي يوجد على مقربة من مكـة (3) ،وحنين واد قريب من الطائف بينه وبين مكـة بضعة عشر ميلا ،وأوطاس هووادٍ في ديار هوازن حيث هزمهم الرسول عليه السلام، فقال سلمـة (4) : ان حنينـا ما وُهـا فخلـوه ان تنهلوا منه فلن تعسلـوه

هـذا رسول اللـه لمن تقلـوه

3) منازل تميـم وعكل وضبة ؛ بعـد تطاحن أبناء الأخوين : طـابخـة وعـد ركـة ابني الياس بن مضر ، ظهر في بلاد نجد وصحاريها قبائل تميم وعكل وشبـة ،ثم ضوا فحلوا منازل بكـر وتغلب التي كانوا يحلونها في الحرب التي كانت بينهم ،ثم توسعوا

---

1) م.س: ن.ص

2) م.س.ص: 78

3) م.س.ص: 293 - 294

4) السابق ص : 87- 88

حتى اختلطوا أطراف هجر ونزلوا ما بين اليمامة وهجر ( ) (1) ،وانتشرت بعد ذلك قبائل تميم في بادية البصرة حتى اتصلوا بالبحرين واليمامة ،ثم من ورائهم عبد القيس (2) .

4 - منازل بني سعد بن زيد مناة: هؤلاء بطن من تميم ،وكانوا يقيمون في البصرة والرسال حتى خالطوا بني عامر من بني عبد القيس في بلادهم قطر ،ووقعت طائفة منهم الى عمان ،وأصبحت قبائل منهم بين أطراف البحرين الى ما يلي البصرة (3).

5- منازل مدركة بن الياس: قبائل مدركة بن الياس بن مضر أقامت بأراضي تهامة وما والاها من البلاد وما قبلها ، وأضحت منتشرة بناحية عرفات وطا وعرنة وبطن نعمان ... وغيرها ،وكانوا مجاورين لأعجاز هوازن (4).

6 - منازل هذيل: توجد لهؤلاء جبال من جبال السراة ، ((ولهم صدور أودية وشعابها العريضة ،وسائل تلك الشعاب والاودية على قبائل خزيمة بن مدركة في منازلها ، وجيران هذيل في جبالهم فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان)) (5) .

7 - منازل خزيمة: نزل هؤلاء أسفل هذيل بن مدركة في جبل السراة (8).

---

1) المسالك والممالك ص: 25
2) معجم ما استعجم 1/ص: 88
3) م.ص.ع: ن.ص
4) م.ص : ن.ص
5) م.ص : ن.ص
6) م.ص : ن.ص

8 ـ منازل ولد النضر بن كنانة : سكن هؤلاء حول مكة وما والاها (1)

وفي النهاية أن بني النضر هم قريش على المذهب الراجح (2)،

وذهب آخرون الى أن قريشا هو فهر بن مالك بن النضر ، فلا

يقال لاحد قريش الا من كان من ولد فهر (3) ،وفي الجمهرة

لابن حزم أن قريشا ولد النضر بن كنانة بن مدركة بن الياس

ابن مضر (4) ،وفي الاشتقاق لابن دريد أن فهرا هو ابن

مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن

مضر (5) ،والارجح عندي أن قريشا هو فهر بن مالك بن

النضر بدليل أنه لا يقال لأحد قرشي الا من كان من ولد

فهر ،ولقريش قبائل كثيرة ، مثل بني الحارث بن فهر ،وبني

جذيمة ،وبني أسد بن عبد العزى .... وغيرها (6)، وأقام

أولاد فهر حول مكة حتى أنزلهم أخيرا قصي بن كلاب الحرم (7)،

ب ـ من كان بنجد والحجاز عند مجيء الاسلام :

1 ـ من كان بالحجاز : لما جاء الاسلام كان بالحجاز قبائل كثيرة

مثل عبس ،وأسد ،وغطفان ،وفزارة ،ومزينة ،وفهم ،وعدوان ،وهذيل ،

1) نهاية الارب ص: 76
2) م،س،ص: 387
3) جمهرة ابن حزم ص : 479
4) الاشتقاق ص : 25 ـ 30
5) نهاية الارب ص : 398
6) معجم ما استعجم 1/ص : 89
7) م،س،ص: 90

وخثعم ،وهلال ،وكلاب بن ربيعة ،وطيء ، - وطيء وأيهد حلفان - وأما ثقيف وبجيلة فنزلتا حضرة الطائف ، ومن بقي بالحجاز من عجاز جشم ونصر بن معاوية ومن ولد خصفة بن قيس ، وكانوا يقيمون بحضرة بني سليم ،وحرة بني هلال ، وحضرة الربذة الى قرن تربة، وهم مخالطون لكلاب بن ربيعة (1) .

وقبائل قيس هي : عيص و غطفان وفزارة و أشجع وعدوان وهلال وكلاب بن ربيعة ،و ثقيف وجشم ونصر ونضر بن معاوية ، وأما مزينة وأسد فهما خندفيتان ،وطيء وسنبس حيّ قحطانيتان (2) وكذا خثعم على بعض الاقوال - كما مرّ بنا - وهذا الاختلاط لمختلف القبائل حتى مجيء الاسلام يكشف لنا عن تجمهر ضخم للقبائل القيسية من جهة ،وعن التداخل القبلي من جهة ثانية ، مما يجعل اللهجات القبلية النموذجية تتداخل تداخلا متكاثفا ، وتتفاعل تفاعلا عظيما ، تحت تأثيرات هذا التجمهر القبائلي الذي تلاقى من مختلف بقاع شبه الجزيرة العربية منذ زمن موغل في العصر الجاهلي ،أو بعبارة أدق قبل الاسلام بعهد سحيق، بـ - نجد ، وأما نجد فوجد بها ،والاسلام شرق ، بنو كعب بن

---

1) جمهرة ابن حزم ص : 479 - 483

2) معجم ما استعجم 1/ ص : 90

ربيعة بن عامر وديارهم الفلج وما أحاط به من اليمامة ونصر بن عامر وباهلة بن يعصر وتميم كلها بأسرها باليمامة، وبها ديارهم ما عدا حاضرتها فانها كانت لربيعة بن نزار ولإخوانهم(1)، وهذا التجمع يعني كذلك من تداخلات قبلية كثيرة من قيس، وخندف قيس وربيعة.

ولم يفت الأخنس بن شهاب التغلبي إن يصف هذا الفضاء الداخلي أو التباين بين قبائل عربية: (2)

لكل أناس من معد صارة ... عروض اليها يلجأون وجانب
لكبر لها البحران والسيف كلبه ... وان يغشها بأس من الهند كارب
تطاير طى أوجا زحوف كأنها ... جهام أراق ماءه فهو ذائب
ويكبر لها العراق وان نشأ ... يحل دونها من اليمامة حاجب
وصارت تميم بين قف ورملة ... لها من جبال منتأى ومذاهب
وكلب لها خبت ورملة عالج ... الى الرجلاء حيث تحارب
وبهراء حي قد طمنا مكانهم ... لها شرك حول الرصافة لاحب
وغارت اياد بالسوداء ودونها ... براز بين عجم تهتفي من تضارب
ونحن أناس لا حجاز لأرضنا ... مع الغيث ما نلقى ومن هو ضارب

---

1) معجم ما استعجم 1/ ص: 91

2) القصيدة مشروحة لغويا في المفضليات ص: 204 - 206. وأما لكبر الوارد في البيت الثاني فهم ولد عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن أسد ابن ربيعة بن نزار، وبنو عجل من لكبر، وشلهم بنو لغم وائل بن وائل وهذان الأخيران بطنان ضخمان.

التداخلات القبلية واللهجات :

نحن لا نريد أن نتحدث هنا بشكل عام مباشر عن الاشكالية المطروحة حول الحدود أو الفروق بين اللغة واللهجة وخصائصها أو صفات كل مستوى منها ،لان هذا سيطرح لاحقا في ضوء اللساني العام للغة وما يتصل بها ، لكن رأينا في الوقت نفسه أنه لا مانع من استغلال الدراسة السابقة في هذا المبحث والتي تناولت بشيء من التفصيل التداخلات القبائلية للقبائل العربية ذات اللهجات الفصحى للوقوف على حقائق من شأنها أنها كانت احدى نتائجها ،وأعني بها تلك الافرازات اللهجية القبلية وما يحيط بها من رؤى ودراسات وتأويلات .

ان فرديناند دي سوسور يرى أنه ((بقدر ما يوجد من أمكنة توجد لهجات)) (1) ،والفضاء الجغرافي للقبائل العربية ولا سيما تداخلها الفضائي من أحداث تاريخية وسياسية واجتماعية غالبا وتوازيها أحيانا ، لا يمكن اللغة المشتركة من أن تطغو على سطح خريطتها مظاهر لهجية قبلية هنا وهناك ، لأن حركة القبائل البدوية غير المستقرة تنقل معها لغتها وأسلوب خطابها الى كل موقع تغلب عليه أو تحل فيه مثلما

---

1) محاضرات في الالسنية العامة ص ؛ 244 فرديناند دي سوسور ترجمة ؛ يوسف غازي ومجيد النصر ط؛ 1984 . دار نعمان للثقافة - لبنان

كـا نت تصنع القبا ئل العربية المتطا حنة عبر تا ريخها المجهول والمعلوم .

ويرى بعض المختصين في اللهجا ت العربية القد يمة أ ومن درسوها وألمـوا بقواعد ها أن ((سعة الجزيرة العربيـة لم تكـن كا فيـة لا ستقلال المجموعا ت الكبرى ،من قبا ئل الشما ل أ و الجنوب بلهجا تهـا ، كـي تتمكـن هذ ه اللهجـا ت من الإمتداد والتعدد والا ستقلال والتطور والنمـو ثـم تكـوين لهجـة لهـا خصا ئص اللغة المستقلـة)) (1) ،ونحـن لا نرى أن هذا كا ن سببا وحد ه في عد م وجود كـل لهجة مستقلـة عن نظيرتها ، أي لا يعود الى انحسا ر الفضا ء والتنا فس القبلي حولـه بـل يرجع الـى كـون هذ ه اللهجا ت قد انطلقت أو ما انطلقت من عا ئلة لغوية وا حد ة، كـما أن النزعـة العرقيـة كا نت تحل محلها العصبيـة القبليـة ، وهذا لم يكـن ليغير تلك اللغة الأصليـة في شيء ما دا م العرب ، مهما اختلفـوا عصبيـا ، فهم جنس وا حد عرقيـا ،وهذا يخد م الوحد ة اللغوية أكثر مما يعمل على تشتيتهـا الى خصا ئص لهجية محلية مستقلـة ، ويظهر إن تعدد هذ ه المستويا ت النحوية والصوتية . . . والمورفولوجية والدلا ليـة هو يشبـه الى حد مـا تعدد المفرا د ات القا موسية فيها .

أ ما تلك التدا خلا ت الفضا ئية بين القبا ئل العربية وبطونها وأفخاذها بسبب الصفا ت النفسية التي كا نت مفروضة عليها من الدا خل والخا رج ،فقد

---

1) دراسة اللهجا ت العربية القديمة ص: 9 - 10 . د . دا ود سلوم (ط: 1/ 1986 مكتبة النهضة العربية - بيروت)

كانت ايجابية ،لان ذلك الاختلاط بسبب الحروب والتهاملات المختلفة ((كسر قيود العزلة أمام اللهجات ،التي كان يتوقع لها الانسان النمو ،فكانت تصطدم بعضها ببعض ، فتضطر اللهجتان المتصادمتان الى الأخذ والعطاء .... ولذلك فاللهجات قد تهجر بعض المفردات، أو تتبنى بعضها الآخر ،وهذا يؤدي الى تقارب تدريجي .... يضاف الى ذلك أن أرض الجزيرة لا تفصلها موانع جغرافية ،كالجبال الشاهقة ، والأنهار الكبيرة ،مما يمنع الهجرة ،أو يدعو الى الاستقرار ،وينطبق هذا على كل الجزيرة العربية ،ما عدا بعض مناطق اليمن حيث تمكنت بعض القبائل من العزلة الاجتماعية ،فاحتفظت بلهجاتها نقية ،وساعدت على تطورها ونموها بعيدا عن اللهجات الاخرى)) (1) وذلك كلهجة مهرة بن حيدان ذات الاصل الحميري المحلي ،وذكر ابن دريد أن مهرة بقيت لغتهم الى عهده كلغة خطاب فيما بينهم بسبب انعزالها بالشحر (2). ومن غير شك أن هذه القبيلة أو تلك لم تكن تعي بما تتميز بها به لهجتها عن الاخرى المتقاطعة معها أو المتباينة عنها الا بحس المقارنة وعامل الاختيار ،لأن القرويين ((يولعون بمقارنة لهجتهم المحلية بلهجات القرى المجاورة)) (3).

---

1) دراسات في اللهجات العربية القديمة ص: 10

2) الاشتقاق ص: 553

3) محاضرات في الالسنية العامة ص: 232

ومما هو قريب من هذا ما حكاه الجاحظ من أن أهل ((الأمصار انما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب ،ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة ،والشام ومصر)) (1) وهذا ما بعد مجيء الاسلام فكيف فيما قبله ؟ صحيح هنالك فرق بين عصر ما بعد الاسلام وقبله بالنسبة للعربية ولهجاتها ، باعتبار القبائل العربية النازلة على الاخرى من أخواتها للاسباب المبينة آنفا ، هي من ذات جنس لغتها وأساليب وعادات خطابها ، ولكن ظاهرة الشعور بالتفوق اللساني والتباهي به كانت ما بعد مجيء الاسلام أوضح عنها ما قبله ،من ذلك أن أهل مكة قالوا لاحد الشعراء من البصرة : ((ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة ،انما الفصاحة لنا أهل مكة)) (2).

قد تفرض لهجة واحدة سلطانها بعوامل كثيرة كالعامل الديني أو السياسي ذي طابع الزعامة والتوحيد المركزي للسلطة ، الى جانب ما قد تتميز به هذه اللهجة عن نظيراتها من مميزات في الانتاج الأدبي والفني والحضاري والثقافي بشكل عام .

---

1) البيان والتبيين 1/ ص: 18

2) م.س.ن.ص: 18 - 19

ويعتبر دي سوسور الزمن عاملا أساسيا في أي تنوع جغرافي لهجي اشر كل تداخل فضائي ،(1) ،بعد أنه يجب ألا نغتر بعامل الزمن بالنسبة لادراك اللغة من وعي تاريخي وتطوري أو تغيري ... فاللغة ،كما سنرى في الباب القادم ، لا تدرك ولا يحكم لها أو عليها الا بالاستعمال الملموس محكيا لنا عبر الاجيال والتراث كان أم كتابيا ثابتا فسي نصوص ، ان العامل الزمني بالنسبة للتنوع اللهجي في أي تداخل فضائي ما هو الا عنصر وهمي لا علاقة له بأي ظاهرة ، لغتنا الانسانية ،لكن الشيء الذي نتفق فيه مع دي سوسور وغيره في هذا المجال أن اللهجات المتداخلة تتبادل في تأثير الواحدة بالأخرى ،حتى ولو كانت هذه غازية وأخرى مغزوة ،لكننا لا نذهب معه بأن التفريق بين التبدلات اللهجية ينبثق عن الزمن ((ومن هنا يجب ترجمة التنوع الجغرافي بالتنوع الزمني)) (2) ،بل يرد كل شيء الى العنصر الزمني ((وبكلمة واحدة ان لاثبوتية اللغة انما تعود الى الزمن وحده ،ان التنوع الجغرافي هو اذا ، مظهر ثانوي للظاهرة العامة ،ووحدة اللغات ذات القربى لاتوجد

---

1) محاضرات في الالسنية العامة ص: 239

2) م.س. ص: 240

الا زمنيا ،وهذا مبدأ لابد للألسني من تعمقه ،)) (1) . وكذلك نجد ((أن نموذج الاختلاف الجغرافي لا يكون تاما الا مأخوذا في الزمن)) (2) ، هذا موقف لا يخلو من غرابة بالنسبة للساني مثل دي سوسور ،والا فأي شيء هو الزمن ؟ هل هناك فرق بين كمية زمنية وهمية تتمثل في لحظة مضت وأخرى أتت ؟.

وبالنظر الى هذه التداخلات الفضائية من جهة والبين القبائل العربية وبطونها وأفخاذها والى التوزعات اللهجية عبر فضائها ،فانه ليمكن الجزم مسبقا بأنه لم يكن يفصل بين هذه اللهجة القبلية أوتلك الا أحداث هي في مجملها ذات ثبات شابهة لحدود اعتباطية أو انتقالية وهمية ، وهذا يصدق على كل ما يشبه الحركات القبلية العربية التي تم بيانها ،والتي تمثلك تراثا حيا في الاستعمال من أنتواصلات اللهجية الظاهية للتراث اللهجي العربي القديم ،ولا يمكن أن نحكم بارتياح ثابت ؛ هنا تبدأ اللهجة التميمية ،وهنا تنتهي اللهجة الحجازية .... في الوقت الذي نجد شعراء التوحيد اللغوي منذ العصر الجاهلي يكادون يجمعون على استعمال لغة نموذجية أومشتركة واحدة .

---

1) م.س.ص: 241

2) م.س.ص: 240

الفصل الثاني : فصاحة قبيلة قريش

لا شك أن اللهجة القرشية كانت أكثر تداولا وتواصلا بين المتكلمين من قرشيين وغير قرشيين لعوامل معروفة عند العام والخاص ،وتتجلى بوجه خاص في العامل الروحي ، والاقتصادي و والتجمعات العربية للحج ، من كل فج عميق من أرض الجزيرة ، وتنظيم مواسم أدبية وثقافية ورياضية ،ونظرة العرب اليهم نظرة موحدة مشوبة بالوقار والتقديس ورغبة كل القبائل العربية قاصيها ودانيها في التقرب اليهم والتبرك بهم عن طريق التصاهر والتعاملات المختلفة التي تدخل في الحياة والحدث والاجتماع الانساني .

ان هذه النظرة أو الرؤية على هذا النحو وغيره جعلت غير واحد من الباحثين اللغويين قدماءهم ومحدثيهم لا يتردد طويلا في تصور اللهجة القرشية لهجة نموذجية لسائر العرب وبرهم وبدرهم ، بحيث ذابت فيها كثير من اللهجات البدوية الأخرى لتتشكل في النهاية لغة أدبية واحدة هي لغة الحكمة ،ولغة الخطابة ،ولغة المثل ، ولغة السجع ،ولغة الشعر ،ولغة الحكاية والآداب الشعبية ، ثم لغة القرآن الكريم .

وانني هنا ، كما في المواضيع الاخرى ، لا ألتزم قطعا بالترتيب بين قدم الآراء وحداثتها ،وفي البداية يرى الاستاذ عباس حسن

أن ((قبيلة قريش منذ نهضت في أرض الحجاز وبدأت تسود غيرها من القبائل وتتزعمها في الدين والسياسية والاقتصاد وأخذت لهجتها كذلك تسود اللهجات الأخرى ،وتتغلب عليها ،فقد استمرت هذه اللهجة في طريقها من الرقي بواسطة عدة عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية حتى كادت تهمل في جانبها لهجات القبائل الأخرى ،وهي التي أورثتنا هذه الآثار الدينية والأدبية والعلمية ،وهي أيضا لغة القرآن والحديث والأدب العربي)) (1)،

وبناءً على هذه العوامل السابقة وغيرها من المبررات ذات العلاقات العامة الأخرى التي لا يمكن حصرها كلها ، فإن اللهجة القرشية ،كما يرى الباحث السابق ، كانت في أغلب الأحيان ((هدفا لأن تطعم من اللهجات الأخرى ، ولكن مهما كان كثر الدخيل في تلك اللهجة القرشية فلن يرقى ، فيما يظن ، الى أن ينحي أمامه الأصل ، أي اللهجة القرشية ، ليتأصل ذلك الدخيل ،والذي ينبغي أن نتصوره ونطمئن اليه هو أن لقريش لهجة خاصة ممتازة ،وكانت مع ما لها من صلات دائمة باللهجات الاخرى تطلع وتهضم ما يفد اليها من تلك اللهجات ، وليس أدل على ذلك من هذه الفروق في اللهجات الأخرى)) (2) .

---

1) اللغة والنحويين القديم والحديث ص: 42 ، أنيس حسن (ط: 1966 دار المعارف ، مصر)

2) م.س.ع: ن ، ص

وقال الدكتور أحمد سليمان ياقوت معلقا على قول الاستاذ عباس حسن : ((وما دام الامر كذلك ،أي ما دامت لغة قريش قد سادت واستطاعت أن تبتلع ما يفد اليها من تلك اللهجات ،وأصبحت هي اللغة النموذجية الادبية ، فقد كان حريا بالنحاة أن يضعوا القواعد طبقا لما سمع من هذه اللغة دون غيرها من اللهجات ، وألا يحاولوا أن يطبقوا هذه القواعد على تلك اللهجات مما أحوجهم الى التقدير والتخريج حتى يخضعوها لقواعدهم)) (1) مستدلا مرة أخرى بأحد نصوص الباحث المصدق آخر من أن ((تعدد صور الاعراب في حالة تعدد اللهجات يعني الخلط بين المستويات اللغوية وهذا الخلط أمر ترفضه الدراسات اللغوية الحديثة ،لاصرار هذه الدراسات على وجوب تحديد مستوى الكلام المدروس وبيئته منذ بداية الأمر)) (2).

ويفهم من بعض دراسات الدكتور ابراهيم أنيس ،وهو يدرس الافعال التي لامها أو عينها من حروف الحلق مثل : نكح ،نزع، رجع ، ... والتي خرجت عن القاعدة العامة ،أن لغة القرآن أسست في معظم ظواهرها اللغوية على اللهجة الا القرشية ،لكن مثل هذه الافعال ((يظهر أنها تنتمي في صيغتها للهجة أخرى غير

---

1) ظاهرة الاعراب في النحو العربي ص: 122 د.احمد سليمان ياقوت (ديوان المطبوعات الجامعية ط: 1983 الجزائر)

2) م.س.ص: 122

اللهجة القرشية)) (1) ..

أما الدكتور عبده الراجحي فيرى أن لغة النصوص المحددة بالعصر الجاهلي لم تكن لغة متوحدة توحدا كاملا ،بل كانت لها لهجات كثيرة تختلف ((فيما بينها اختلافا يكبر أو يصغر حسبما يكون بينها من تقارب أو تباعد ،لكن هذه اللهجات المختلفة لم تكن تمنع من وجود لغة مشتركة عامة يصطنعها أصحابها ،... اذا كان الأمر كذلك ،فكيف تكونت هذه اللغة العامة ؟ أمن كل هذه اللهجات المختلفة أم من لهجة واحدة تهيأ لها من أسباب القوة والسلطان ما حقق لها السيادة على ما عداها من اللهجات ؟)) (2) ثم يخلص الى القول بأن القدماء يكادون يتفقون ((على أن لهجة قريش هي أعلى اللهجات العربية وأفصحها ،وهي التي سادت شبه الجزيرة العلى العربية قبل الاسلام)) (3).

وهناك نص قديم لابن فارس يفهم منه فهما جليا أن قريشا : (4)

1) أفصح العرب ألسنة

2) أصفاهم لغة

---

1) من أسرار اللغة ص: 36 د. ابراهيم أنيس، (ط: 3/ 1966 الانجلو مصرية)

2) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص: 40 د. عبده الراجحي (ط: 1969 دار المعارف - مصر)

3) م.س : ن.ص

4) فقه اللغة ص: 52 - 53 ابن فارس، (ط: 4 1964 . بيروت).

3) مفضلون عند الله ، لأن النبوة منهم ،ولأنهم كانوا قطان حرمه ، وجيران بيته الحرام .

4) تحاكمت العرب اليهما في أمورهما،وطمتهم اياهم مناسكهم.

5) تخيرت أرق وأصفى ما في لغات العرب الوافدين عليها في كل موسم .

6) خالية لغتها من بعض العيوب الكائنة في بعض اللهجات الأخرى .

ان قريشا كانت تسكن مكة ،والمدينة تفسد اللغة،وخاصة حين تكون هذه اللغة قائمة على الطبع والسليقة ،فضلا عن أن القرشيين كانوا تجارا ،والتجارة فيها اختلاط اجتماعي من مختلف الطبقات والأعمار والأقطار أو الامصار ، قائم على المصلحة الاقتصادية المتبادلة أو المشتركة ،ثم ان الرسول ،وهو صبي ، قد نشأ في بني سعد بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ، وكان هؤلاء أهل وبر ،ولم يكونوا تجارا بالشكل الذي عرفت عليه قريش ، ثم ان قريشا كانت تبعث بغلمانها الى هذه القبيلة المجاورة لتعلّم أو اكتساب اللغة والفصاحة (1) ، ومهما يكن من شأن المتعلم فهو مدين لمعلمه .

---

1) ضحى الاسلام :2/ص: 247 .أحمد أمين (ط: 10 .دار الكتاب العربي بيروت)

وتمييز الأستاذ أحمد أمين بين الفصاحة من جهة ،وسلامة اللغة من جهة ثانية ـ من دخيل الدخيل فيها ـ أمر في غاية الادراك وأعمق التحاليل ، لأن قريشا لما خالطت غيرها من الأمم عن طريق التبادل التجاري (رحلة الشتاء والصيف) ، فان لغتها من حيث سلامتها من دخول الدخيل فيها ، ينطبق عليها نفس ما انطبق على سواها من اللهجات العربية الأخرى والأجنبية التي خالط أصحابها أمما عربية ، وان كانت الاختلاطات الدائمة كالمجاورة أكثر تأثيرا وعملا على تحويل لغة وفسادها من تلك الاختلاطات العارضة أو القصيرة كصفقات البيع والشراء ،وعلى هذا الأساس فلن لهجة قريش تكون قد سلمت مما اعترى سواها من اللهجات التي كانت متاخمة للأحبش ،أو والأقباط أو البيزنطيين ...

وعلى هذا ، فان القبائل العربية متفاوتة في فصاحتها ، مثلما هي متباعدة في سلامة لغاتها ،وبعضها اشتهر بالفصاحة كقريش ،وبعضها الآخر اشتهر بسلامة اللغة من دخول الدخيل فيها كلغة هوازن وسواها من اللهجات الجبلية البعيدة عن الاختلاط الجنسي ، وكان تفضيل العلماء والرواة في صدر الاسلام قائما على هذا الاعتبار في جمع اللغات وتدوينها .

أما فيما يخص النقطة الثالثة فان قريشا لم تكن أول من تكلف بولاية البيت أو مجاورته ، اذ جرهم أول من ولي البيت ،وكان أول من عشّر من يدخلون مكة بتجارة ، ثم صارت ولاية البيت الى العماليق ثم عادت لجرهم ، ولما كثر ولد اسماعيل ظلموا على أخوالهم جرهم وأخرجوهم من مكة فلحقوا بجهينة (1) ، فانتقلت الولاية من مضر الى خزاعة حتى أصبحت في قصي بن كلاب بن مرة (2) الذي جعل قريشا أورتبها على منازلها في النسبة بمكة ، فجعلهم أبا طحة وظواهر (3) ، بمعنى أن هذا الشرف كان متوارثا ومتنقلا بين قبائل عاربة شتى ولم يكن وقفا على قبيلة قريش وحدها حتى يكون هذا أحد العوامل في فصاحة قريش وصفائها دون سائر لهجات القبائل الأخرى.

أما تحاكم العرب لقريش ،فليس بين يدي ما يؤيده ،ذلك أن :

1) حكم العرب في الشعر لم يكن قرشيا ،بل لم ينبغ فيها شاعر قبل الاسلام على الاطلاق ، أي الى أن كان عمر بن أبي ربيعة .

2) حكم العرب في أمورهم لم تكن حتى آخر العصر الجاهلي هو عامر بن الظرب ،وكان حكم العرب بعكاظ ،وهو أول من قرعت له العصا وتحاكمت العرب اليه حتى خرف ،وهو عدواني الأصل .(4) .

---

1) مروج الذهب :2/ص: 22

2) م.س.ع.ص: 32

3) م.س : ن.ص

4) جمهرة ابن حزم ص: 243 و ص: 264

3) الاسواق في الجاهلية والمواسم كان يحضرها سائر العرب القاصي منهم والداني ، وكانت تقام في دومة الجندل من البحرين ثم في عمان بالبحرين ، ثم في ارم وقرى الشجر وعدن وحضرموت ، وأخيرا بنزلون عكاظ (1) ،وكان الذي يقوم بأمر الحكومة في هذه السوق الاخيرة رجل من تميم ،وكان آخر من قام بها الأقرع حابس التميمي (2) ،وان كانت هذه الوظيفة الاخيرة قد تفسر بتقديس العرب لمنزلة قريش أكثر مما تفسر بأنها وظيفة لم يكونوا أهلا لها ،وهم سدنة البيت الحرام وخدام الحجيج والساهرون على سلامتهم ورعايتهم من أول يوم يحلون فيها بدء بمكة الى آخر يوم يرحلون فيه ،وهذه الظاهرة لا تزال منتشرة في كثير من قرانا الجزائرية حيث نجد قبائل أو شيوخ قبائل هم الذين يقومون بخدمة عشائر وقبائل أخرى مجاورة يقال فيها أو يظن عنها أنها ((شريفة)) ،وذلك من خلال اقامة مأدبات موسمية على بعض أضرحة هذه القبائل ((الشريفة)) ،وهم لا يقبلون بالمرة حتى مساهمة أثرياء هذه العشائر ((الشريفة)) ماديا فقط معهم .

أما المظاهر اللهجية التي خلت منها لهجة قريش فهي لا تعدو أن تكون ظواهر لغوية قبلية محلية ،وليست ذات تأثير

---

1) نهاية الارب ص: 464

2) م.س.ع: نفس ص

يذكر على الفصاحة ولا على سلامة اللغة ،فمن شاء من شاء من المتكلمين استعملها ، كهيت ذي الرمة ؛

أم توسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

حيث أبدل الشاعر الهمزة عينا ،وقد ومن شاء هجرها ،بل الظاهر من شعراء التوحيد اللغوي أنهم كانوا يهجرون منها أزيد من الاقتال عليها ، فمنعنعة تميم السابقة ليست بأكثر من تهادل صوتي ،

ويحلو لبعض المستشرقين ،ومنهم (لا) أن يرتاب في فصاحة لهجة قريش ،معولين على نشأة النبي (ص) فيها في بني سعد واسترضاعه فيهم ، ومن أجل هذا نسبت الفصاحة الى قريش فقط لاعلاء شأنها على أن الرسول منهم (1) .

والظاهر أن أهل المدن لم يكونوا يرسلون أبناءهم الى البوادي من أجل تعلم اللغة وحدها فقط ،وانما كان من أجل اكتساب صفات نفسية كالقساوة والشهامة واعتياد العيش الشظف ،واتقان الفروسية ،وركوب الخيل ،ومعرفة أماكن الكلأ وعيون المياه من مواضيع القحط والجفاف ،،، الى جانب اقتناء صفات أخرى أخلاقية كالكرم وقرى الضيف واغاثة المستغيث واجارة المستجير وحماية الجار ، وتعلم الصبر ،،،، بالاضافة

---

1) ضحى الاسلام :2/ص: 247

الى محاسن قومهم الموروثة .

والناظم في أقدم كتاب في النسب وصلنا ،يستطيع أن يلاحظ أنه كانت تجمع قريشا وأغلب سائر القبائل العربية رابطة دموية ، ومن حمل هذه الرابطة يظهر أن هذه القبائل كانت تتصعد التودد الى القرشيين والتداني منهم في مصاهرتهم ،اذ ان جل نساء أشراف قريش وسادتها في الجاهلية وصدر الاسلام هن من قبائل عربية متنوعة ،وهذا لا يمكن اعتباره صفوة صدفة أو أواتفاقا ، ومثالا على ذلك فان :

1) عاتكة أم هاشم والمطلب وعبد شمس من بني سليم .

2) أم نوفل من بني مازن بن صعصعة .

3) أم عبد المطلب من بني النجار من الأنصار .

4) أم العباس بن عبد المطلب ترجع الى النمر بن قاسط.

5) زوجة العباس بن عبد المطلب التي ولدت الفضل وعبدالله من بني عامر بن صعصعة .

6) عبد الله بن عباس تزوج بامرأة من كندة .

7) زوجة عبد شمس بن عبد مناف من ابن كلاب ،وله زوجة ثانية من مناة بن تميم .

8) أم أبي العاص جد عثمان بن عفان ترجع الى عامر بن صعصعة .

حتى قال النابغة الجعدي :

فشاركنا قريشا في تقاها ... وفي أحسابها شرك العنان

بما ولدت نساء بني هلال ... وما ولدت نساء بني أبان

9) أم قصي بن كلاب ترجع الى بطن من الأزد .

ومن خلفاء قريش (بني هاشم) :

آ- زيد بن حارثة حالا حارثة بن قضاعة .

ب- بنو جعونة بن شعوب من بني ليث بن بكر .

ج- بنو الهادي من بني ليث بن بكر .

د- بنو شيبان من بني سليم بن منصور ... الخ (1) .

ومن هذا الجبل الدموي المختلط الضاربة جذوره في القدم والذي يقضي مضجعا فتلاشيا وطردا حتى ما بعد بعد الاسلام يتجلى بشكل ظاهر أن القبائل العربية من كل مواقعها كما كانت ترغب في مصاهرتها والعيش تحت كنف حمايتها والتقرب منها ،كانت تندفع اندفاعا يميل الى أخذ أطفالها للاسترضاع فيهم رمزا لهذه العلاقة الروحية والدموية والتاريخية . وليس فقط من أجل تعليمهم الفصاحة أو سلامة اللغة أو من أجل الاكتساب في حد ذاته من خلال مهنة الرضاعة .

---

1) كتاب حذف من نسب قريش من ص : 3 الى ص : 6

واختلاط اللهجة القرشية بغيرها لا يضع فتهلا من قيمتها اللغوية ما دام الدخيل فيها كان يمثل صقلا جديدا تبعا لقوانين اللغة المستوردة، وشأن الدخيل فيها أنه اذا قبل على شروطه شأن سائر الألفاظ التي عربت منذ العصر الجاهلي والواردة في أشعار الفحول كامرئ القيس والاعشى والنابغة وغيرهم ولربما من هنا طرحت اشكالية وجود أو عدم وجود ألفاظ أعجمية في القرآن بين اللغويين والفقهاء المسلمين، اذ اختلف الأمة ((في وقوع المعرب في القرآن فالأكثرون ومنهم: الامام الشافعي وابن جرير، وأبو عبيدة، والقاضي أبوبكر وابن فارس على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى: ((قرآنا عربيا)) وقوله تعالى: ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته أأعجمي وعربي)، وقد شدد الشافعي النكير على القائل بذلك، وقال أبو عبيدة: انما أنزل القرآن بلسان عربي مبين فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول، ويقابل هذا القول ما جاء عن بعضهم بجواز وقوع ذلك، وان هناك ألفاظا غير عربية استعملها العرب وجرت مجرى الفصيح فوقع بها البيان ونزل القرآن.

وقال آخرون: كل هذه الالفاظ عربية صرفة، ولكن لغة العرب متسعة جدا، ولا يبعد أن تخفى على الأكابر الجلة، وقد خفي على ابن عباس

معنى ((فاطر)) و ((فاتح)) ... وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: والصواب عندي أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء ولكنها وقعت للعرب فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم الى ألفاظها فصارت عربية ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال : انها عربية فهو صادق ، ومن قال : أعجمية فصادق ، ومال الى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون)) (1).

ونحن نورد هذا النص لاثارة اللغة التي نزل بها القرآن الكريم فأنزل بلغة قريش وحدها باعتبارها كانت أو من الممكن أنها كانت اللغة المشتركة التي ذابت فيها معظم أو كل اللهجات العربية الباقية فصادف ذلك العصر علا الادبي الجاهلي ثم الوحي أم أنه نزل بكل لغات العرب التي اشتركت جميعها في تكوين العصر الادبي وبالتالي كانت مهيأة للتنزيل ؟ . ان هذا ما سنحاول أن نثيره في المبحث الثالث التالي من هذا الفصل .

---

1) زبدة الاتقان في علوم القرآن ص : 46 - 47 . محمد بن علوي بن عباس المالكي (ط:1/ 1981 ،دار الانسان - القاهرة)

الفصل الثالث : اللغة النموذجية وموقعها بين القبائل

خلال التطرق لبس التفكير في انجاز المبحث الثاني (الباب الثالث) من هذا الفصل حول درجة أوفصاحة قبيلة قريش ، كنت أحسب أني قادر على بحث هذه المسألة بمعزل عن باقي اللهجات العربية العربية الأخرى التي أحاطت بها خارجيا أو انصهرت في بوتقتها داخليا ، غير أنه بعد قراءات متكررة في هذه المسألة ، اتضح لي أنه من غير الممكن استقصاؤها بل أخذ نظرة شبه مقنعة عنها دون تناولها مع الكل أي مع اللهجات العربية الأخرى من جهة ، ومع الاشاره الى اللغة القرآنية من جهة ثانية ،لأنه اذا اقتنعنا بأن اللغة القرآنية هي كلها أوأغلبها تعود الى اللهجة القرشية ، فانه يصير من العبث بمكان أن نتناقش في مسألة فصاحة أودرجة لهجة قريش مادام القرآن الكريم منزلا بها .

ذلك أن كل اللغويين العرب القدماء والباحثين في علوم القرآن وقراءاته لا ينكرون أن العربية جمعت من أكثر من قبيلة واحدة ،كما أنهم لا يدحضون أن هناك مناطق جغرافية لغوية توصف بأنها فصيحة أوافصح من غيرها ،وخاصة حين يتعرضون الى الحديث الشريف المشهور: ((أنزل القرآن على سبعة أحرف)) (1)

---

1) سيوشك الحديث بعد قليل ،ونحن نتحدث عن اللغة القرآنية التي نزل بها وتقاطعها مع لهجات عربية فصيحة عديدة .

مما لا شك فيه أن الحديث عن اللغة القرآنية أو تقويم اللهجة القرشية ، يقودنا حتما الى الحديث عما يسمى باللغة ((النموذجية)) التي كانت متبناة كلغة أدبية منذ العصر الجاهلي ، لكن هذا الحديث لن يكون غاية في حد ذاته بل من خلال القبائل التي أخذ عنها من القبائل التي لم يؤخذ عنها ، ومن خلال التعرض - كما أشرنا - الى اللغة القرآنية .

لكن ما هي الفصاحة ؟ ربما يكون من الهذر والبعد عن المقام هنا لو حاولنا أن نطنب في تفصيل هذه النقطة لأنها تتباين من فرض الى فرض ، ومن عالم يشتغل في حقل أو مختص مهتم بحقل آخر ، اذ مفهومها في وجهة نظر المستعمل أو الباث هي ليست ذاتها في وجهة نظر المستمع أو المتقبل للرسالة ، زد على ذلك أن الفصاحة بالنسبة للغة في حد ذاتها ليست مستوية الرؤية ولا التقدير ما بين شكلها ومضمونها ، وهي في مجازها شيء آخر بالنسبة لحقيقتها ، ولمستعملها الأكثر شيوعا ليس هو عينه بالنسبة للأقل أو الأندر استعمالا وتداولا بين القوم منها ، ولذا فاننا كلما اضطررنا الى لمس هذا الموضوع أو الجانب ، فسنقتصر على ربطه بالمتكلم أو تحديد المنطقة اللغوية أو القبيلة (1) .

---

1) لا يخفى على المختصين الكتب والأبحاث والاعمال التي تناولت هذا هذا الموضوع بالنسبة للقدماء ، وأما بالنسبة للمحدثين فيجد أن : ((علم الفصاحة العربية)) للدكتور محمد علي رزق الحفاجي (ط: 2/ 1982

ومـــا ذهب اليه الدكتور شوقي ضيف أن لهجة قريش هي عيـن الفصحى التي سادت وعـــت في العصر الجاهلي لا في الحجاز ونجد فحسب ،بـــل انتصبت أبواب القبائل الجنوبيـــة من حميريين ويمنيين ،ولأن القرآن نزل بلغـة قريش لقولـــه تعالى :

- ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ)) (1)،

ثـم يردف :((أما مـا يورده اللغويون من أن القرآن الكريـم نزل على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن ، ... فذلك فرا فـي رأيي انما هو تفسيـر منهم للحديث النبوي :((أنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه)) ،فقد فسروا الحروف باللغة أو اللهجة و نظروا فوجدوا لهجات العرب ولغاتها كثيرة ؛ فاختاروا منها سبعا هي أفصحها ،وهي التي كان يرحل اليها اللغويون لجمع مادتهم اللغوية الصحيحة))(2) .

ان قول الدكتور شوقي ضيف أعلاه لا يخلو من غرابـة وتناقض ، لأنه لا يميز بين نزول القرآن كنص هو وحي ، وبين هذا النص كقراءة متواترة بأكثر من وجه ، وكلها (القراءات المتواترة) تحمل على قارئ واحد هو الرسول عليه السلام ،لانه من غير المعقول

-- دار المعارف -القاهرة) يعد كتابا قيما محيطا بالمسألة .

1) سورة ابراهيم ؛آيـــة ؛ 4

2) تاريخ الأدب العربي ؛1/ص؛ 134 - 135

حسب ظننا أن قارئا يقرأ حسب هواه أو ما يراه هو أفصح من الوجه الآخر دون أخذ القراءة المتواترة مرجعا أساسيا لقراءته مثلما نجد في القراءات الصحيحة .

وانما قد يفهم من الحديث النبوي السابق أن الله أراد أن يخفف على الأمة ويسّر عليها تهوين مشقة انتقال اللسان من لهجة الى لهجة ، لان الرسول لم تكن تعوزه اللغة ولا الفصاحة في فهم كل قوم أو تفهيمهم ، ولذلك لما وردت عليه الوفود أقرأ الأخماس - أي العالية ، وبكر بن وائل ، وتميما ، وعبد القيس ، والأزد - كل خمس على لغته ، ولوحظ أن أعراب القوم عندئذ تميم (1)

ولربما كان الاستاذ مصطفى صادق الرافعي ممن أدرك الاشكالية في الصميم ، وهو يتحدث عن أفصح القبائل قائلا : ((وهذا فصل لا يؤخذ فيه الا بأقوال الرواة الذين جمعوا اللغة وتلقوها عن أهلها ، وذلك لتقادم العهد بزمان العرب ، ولان لغاتهم غير مميزة في الدواوين حتى يعارض بعضها ببعض ويفصّل بينها بطبقات ، ... والفصيح عندهم ما كثر استعماله في ألسنة العرب ودار في أكثر لغاتهم)) (2) .

وكما لمحنا أعلاه ، لا يمكن معرفة هذه المسألة والإحاطة بها

---

1) الفاضل ص: 13 ، المبرد ، (ط: 1956 دار الكتب العربية) .
2) تاريخ آداب العرب : 1/ص: 131- مصطفى صادق الرافعي (ط: 4/1974 دار الكتاب العربي - بيروت)

دون أن نتناولها ضمن علاقات لغوية قبلية شاملة وفق ما قال به الرواة المتشددون أو النقلة المعتدلون ، من ذلك ما يفهم من أمرين واردين في نص للفارابي : (1)

1) القبائل التي أخذ عنها وعليها اتكل :

آ- في الغريب

ب) في التصريف .

ج - في الاعراب

2) القبائل التي لم يؤخذ عنها .

أما القبائل التي أخذ عنها جماع اللغة فهي :

1) تميم

2) قيس

3) أسد

4) بعض كنانة

5) بعض طيء

أما القبائل التي لم يؤخذ عنها - باختصار - فهي كل القبائل التي كانت متاخمة لأمم أجنبية على طول حدود شبه الجزيرة العربية من فرس وأنباط وبيزنطيين وأحباش ... وكذلك لم يؤخذ من بني حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف ،

---

1) المزهر : 1/ ص : 211 - 212

نظرا لمخالطة هؤلاء تجار اليمن المقيمين عندهم ،ولا من حاضرة الحجاز ،ولا ن جماع اللغة وجدوهم خالطوا غيرهم من الأمم الاجنبية ،ففسدت ألسنتهم .

والذي يحول أول وهلة أو نظرة للنص أعلاه أنه كيف ترقى اللغة من ثقيف ،وأن عمر بن الخطاب صرح أو أمر ((ألا يطعن في مصاحفنا الا غلمان قريش أو ثقيف)) (1) .

كما أن النص ينظر الى المخالطة على الاطلاق ،حتى كأنه لا فرق بين مخالطة أهل الطائف وثقيف لليمنيين الذين هم عرب أقحاح وللأعاجم الاجانب عن العربية كليسة ،الا من نشأ بين العرب صغيرا أو بينهم وقتا طويلا .

وأما الدكتور طه حسين فقال :((فلم يكن التميمي أو القيسي حين يقول الشعر في الاسلام يقوله بلغة تميم أو قيس ولهجتها ،انما كلهم يقوله بلغة قريش ولهجتها)) (2) لأن القرآن ((الذي تلي بلغة واحدة ولهجة واحدة هي لغة قريش ولهجتها ،لم يكد يتناوله القراء من القبائل المختلفة حتى كثرت قراءته وتعددت اللهجات فيه ،وتباينت تباينا كثيرا)) (3)

---

1) فضائل القرآن ص: 34 لابن كثير (ط: 1966 دار الاندلس، بيروت)

2) في الادب الجاهلي ص: 103 .د .طه حسين (ط: 1964 دار المعارف ،مصر)

3) م.س.ص: 93

والواقع أن العلماء لما شدوا الرحال لأخذ اللغة عمن مثل هذه القبائل التي ذكرها طه حسين ،انما صنعوا ذلك والاسلام قائم ،ووجدوا اللهجات مختلفة في قواعدها ،ثم استشهدوا على وضع القواعد وتأييد كل مذهبه بأشعار فحول القبائل ذات اللهجات الفصيحة خاصة ،لشعراء مطبوعين ومكثرين ،معلومين ومجهولين ،والاسلام قائم أيضا .

وبشأن السبعة أحرف أن هذا الحديث موثق عند الامام البخاري وغيره ،وهو يروى مسندا بروايات طويلة ،ولكن الروايات تتفق في النهاية على أن القرآن أنزل بسبعة أحرف (1) ،لكنهم يختلفون في تفسيره اختلافا شديدا ،لا سيما حين نجمع تفسير الفقهاء بتفسير اللغويين (2) ،الا أن هناك أقوالا مشرقة حول الحرف الحديث النبوي يمكن للعقل أن يطمئن اليها ،ومنها قول أبي عبيد : ((ولا نرى المحفوظ الا السبعة لانها المشهورة ،وليس معنى تلك السبعة أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه ،وهذا شيء غير موجود ،ولكنه عندنا أنه نزل سبع لغات متفرقة في جميع القرآن من لغات العرب ،فيكون الحرف الواحد منها بلغة قبيلة ، والثاني بلغة أخرى سوى الاولى ،والثالث بلغة أخرى سواهما

---

1) راجع مثلا : فضائل القرآن ص : 28

2) لمن أراد التوسع في هذا المسألة فليعد مثلا الى المرجع أعلاه من ص : 28 الى ص :33 ثم الى ما بعدهما .

كذ لك الى السبعة ،وبعض الا حيا ء أسعد بها وأكثر حظا فيها من بعض)) (1) .

بينما يسند الى ابن عباس أنه قال : ((نزل القرآن على سبع لغات منها خمس بلغة العجز من هوازن)) (2) حيث فسر أبو عبيد العجز بأنهم هم بنو أسعد بن بكر ،و خثعم بن بكر ، ونصر بن معاوية ،وثقيف وهم طيا هوازن الذين قال فيهم أبو عمرو بن العلاء : ((أفصح العرب طيا هوازن وسفلى تميم يعني بني دارم)) (3) .

وما هو عليه أهل العلم والتفسير أن المراد بسبعة أحرف هي سبعة أوجه من المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة نحو : أقبل وهلم وتعال . وقال القاضي الباقلاني : ((ومعنى قول عثمان انه نزل بلسان قريش أي معظمه ،ولم يقسم دليل على أن جميعه بلغة قريش كله ، قال الله تعالى : ((قرآنا عربيا)) ولم يقل : قرشيا ، قال : واسم العرب يتناول جميع القبائل تناولا واحدا ، يعني حجازها ويمنها ...) (4) .

ويذهب الرازي الى أن الكلام لايخرج عن سبعة أحرف في الاختلاف (5)

1) اختلاف الاسماء من افراد وتثنية وجمع ،وتذكير وتأنيث .

2) اختلاف تصريف الافعال من : ماض ، مضارع ، وأمر

1) فضائل القرآن ص : 33

2) م.س.ص : ن.ص 3) م.س.ص: 34 . 4) م.س.ص: 38

5) معجم القراءات القرآنية : 1/ص : 71 الدكتوران : عبد العال سالم واحمد مختار (ط: 1/1982 ذات السلاسل - الكويت)

3) اختلاف وجوه الاعراب

4) الاختلاف بالنقص و الزيادة

5) الاختلاف بالتقديم والتأخير

6) الاختلاف بالابدال

7) اختلاف اللغات

ومما يدل على استبعادنا لقبول قول أو تقدير الشيخ أبي الفضل الرازي أن الاختلاف الأول في حد ذاته يتكون على الأقل من مستويين مختلفين : الجنس والعدد ، فيلاحظ غير أنني أعترف مع ذلك وفق ما نجد في التصنيفات اللسانية الحديثة لبنية أقسام الخطاب في لغة أخرى غير العربية كالفرنسية مثلا ، أن هذه البنية لا تعدو أن تكون ثماني فئات للخطاب ،وهذه الفئات الثماني ليست حجة على العربية عدديا ،لان مصنفي أقسام البنية الخطابية في هذه اللغة يفرقون بين فئات الحروف من جهة و(la classe des prépositions) وفئات الروابط من جهة ثانية ، وهي السماة: ((la classe des conjonctions)

وهذه الفئات اللسانية التي تكون بنية الخطاب تتشكل كما يلي : (1)

1) الفئات الاسمية .

(1 voir : Guide pratique de Graminaire Française P: 51 , 54 charles Goedert EDITION Hachette 1978

1.1: الاسم

2.1: الفئات الفرعية

3.1: الجنس

4.1: تعديد الاسماء

5.1: تكوين الجمع

6.1: اسم العلم

7.1: صنف أسماء عرضية

2) الفئات الفعلية :

1.2: تركيب الفعل في الجملة

3.2: تكوين الفعل

4.2: الزمن

5.2: التحويل من الاسلوب المباشر الى الاسلوب غير المباشر

6.2: هيئة الفعل

7.2: التصريف

3) الفئات التعريفية :

1.3: أدوات التعريف

2.3: أسماء الاشارة

3.3: ما دل على الملكية

4.3: الاعداد

4) فئـات الصفـات :

4.1 : مختلف الفئـات النعتيـة

4.2 : وظائف النعـت

4.3 : درجـات المقارنة بين الصفـات

5) فئـات الظروف والاحوال :

5.1 : التعابير الظرفيـة والحاليـة

6) فئـات الحروف :

6-1 : التعبير بالحـروف

6-2 : أهـم الحروف

7) فـئـات الضمـائـر :

7.1 : الضمائر الشخصية

7-2 : الضمائر المتصلة

8) فئـات الروابط :

8.1 : وظائف هذه الفئات

وعليـه ، فان تقسيم الشيخ الرازي على الرغم من ابتعاده عن هذا التقسيم جملـة وتفصيلا ، الا أنـه يظل مع ذلك متلاقيـا معه .

ولعـــل من تعمق المسألة وفهمها فهما عميقا ، حيث جمع بين تفسير الفقهاء وتحليل اللغويين ، هو ابن قتيبة ، ونظرا لأهمية هذا التحليل فانا سنورده مطولا حتى لا نخل بوجه من وجوهه .

قال ابن قتيبـــة : ((أما ما اعتلوا به في وجوه القراءات من الاختلاف ، فانا نحتج عليهم بقول النبي (ص) : ((نزل القرآن على سبعة أحرف ، كلها شاف كاف ، فاقرؤوا كيف شئتم)) .

وقد غلط في تأويل هذا الحديث قوم فقالوا : السبعة الأحرف : وعد ، ووعيد ، وحلال ، وحرام ، ومواعظ ، وأمثال ، واحتجاج .

وقال آخرون : هي سبع لغات في الكلمة .

وقال قوم : حلال ، وحرام ، وأمر ، ونهي ، وخبر ما كان قبل ، وخبر ما كائن بعد ، وأمثال .

وليس شيء من هذه المذاهب لهذا الحديث بتأويل .

ومن قال : فلان يقرأ بحرف ((أبي عمرو)) أو بحرف ((عاصم)) ، فانه لا يريد شيئا مما ذكروا ، وليس يوجد في كتاب الله تعالى حرف قرئ على سبعة أوجه - يصح ، فيما أعلم .

وانما تأويل قوله ، صلى الله عليه وسلم : ((نزل القرآن على سبعة أحرف)) ، على سبعة أوجه من اللغات متفرقة في

في القرآن ،... و (الحرف) ، يقع على المثال المقطوع من حروف المعجم ،وعلى الكلمة الواحدة ،ويقع الحرف على الكلمة بأسرها ،والخطبة كلها ، والقصيدة بكمالها .

وقد تدبرت وجوه الخلاف في القراءات فوجدتها سبعة أوجه :

أولها : الاختلاف في اعراب الكلمة ،أو في حركة بنائها ، بما لا يزيلها عن صورتها في الكتاب ولا يغير معناها ، نحو قوله تعالى :

((هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ)) (1) ،وأطهر لكم ...

والوجه الثاني : أن يكون الاختلاف في اعراب الكلمة وحركات بنائها بما يغير معناها ولا يزيلها عن صورتها في الكتاب ، نحو قوله تعالى :

((رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا)) (2) ، وربنا باعد بين أسفارنا ...

والوجه الثالث : أن يكون الاختلاف في حروف الكلمة دون اعرابها ، بما يغير معناها ولا يزيل صورتها ،نحو قوله :

((وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا)) (3) ،وننشرها ...

والوجه الرابع : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يغير صورتها في الكتاب ،ولا يغير معناها ، نحو قوله :

((إِنْ كَانَتْ إِلَّا زَقْيَةً)) و ((صَيْحَةً)) ،... (4)

---

1) سورة هود : آية : 78 ، 2) سورة سبأ : آية : 19 ،

3) سورة البقرة : 259 ، 4) سورة يس : 29

والوجه الخامس : أن يكون الاختلاف في الكلمة بما يزيل صورتها ومعناها نحو قراءة :

((وَطَلْحٍ مَنْضُود)) في موضع ((وَطَلْحٍ مَنْضُود)) (1)

والوجه السادس : أن يكون الاختلاف بالتقديم والتأخير ، نحو قوله جل ثناؤه ((وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ)) (2) ، وفي موضع آخر : ((وَجَاءَتْ سكْرَة الحق بالموت)) .

والوجه السابع : أن يكون الاختلاف بالزيادة والنقصان ، نحو قوله تعالى :

((وما عملت أيديهم)) ، ((وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ)) (3) ...

فكان من تيسيره (الله سبحانه) : أن أمره (النبي عليه السلام) بأن يقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم ؛

فالهذلي يقرأ : ((عتى حين)) ، يريد : ((حَتَّى حِينٍ)) (4) ، لأنه هكذا يلفظ بها ويستعملها .

والأسدي يقرأ : ((تعلمون وتعلم)) و ((تَسْوَدُّ وُجُوهٌ)) (5) و ((أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ)) (6) .

والتميمي يهمز ، والقرشي لا يهمز .

---

1) سورة الواقعة الواقعة : 29

2) سورة ق : 19

3) سورة يس : 35

4) سورة المؤمنون : 54

5) سورة آل عمران : 106

6) سورة يس : 60

والآخر يقرأ ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ)) (1) ((وَغِيضَ الْمَاءُ)) (2) باشمام الضم مع الكسر ، و ((هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا)) (3) باشمام الكسر مع الضم ، و ((مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا)) (4) باشمام الضم مع الادغام ، وهذا مما لا يطوع به كل لسان .

ولو أن كل فريق من هؤلاء ، أمر أن يزول عن لغته ، وما جرى عليه اعتياده ، طفلا وناشئا وكهلا ، لاشتد ذلك عليه ، وعظمت المحنة فيه ، ولم يمكنه الا بعد رياضة للنفس طويلة ، وتذليل للسان ، وقطع للعادة ، فأراد الله برحمته ولطفه ، أن يجعل لهم متسعا في اللغات ، ومتصرفا في الحركات ، كتيسيره عليهم في الدين حين أجاز لهم على لسان رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، أن يأخذوا باختلاف العلماء من صحابته في فرائضهم وأحكامهم ....)) (5) .

---

1) سورة البقرة : 11

2) سورة هود : 44

3) سورة يوسف : 65

4) سورة يوسف : 11

5) تأويل مشكل القرآن ص: 33 - 40 (بتصرف في الاختصار)
---ط : ابن قتيبة (ط: 2/1973 ، دار التراث ، القاهرة)

لا شك أن اختلاف القراء والعلماء أعم منه بين العرب ، لان العرب كانت تتكلم عن سجيتها لتعبر عن وجدانها وأغراضها بحد بخطابات ... مباشرة وغير مباشرة دون ... مراعاة للصنعة والتكلف ودون تقدير لأي تغيير من المتقص لكلامها .

غير أن الذي ... نراه ونميل اليه بقوة ، مع تقديرنا لكل الآراء والتفسيرات التي نسجت حول الحديث النبوي ، أن هذا الحديث ينبغي ان ... يفسر وفق علم التركيب أو السانتكس لا علم اللهجات أوالقراءات السبع أوالعشر ... أو بعض القراءات الشواذ ، ثم ان القرآن الكريم معجز بتركيبه أو بنيته أو نظمه علاوة عن المعجزات الأخرى الواردة فيه ، وهو حين تحدى العرب الأقحاح أصحاب لغته لم يتحداهم بما فوق عقولهم بما وراء طوقهم ليأتوا بمعجزات ماضية أو حاضرة أو غيبية بل تحداهم لما تواهم والانس والجن معهم ... بمثل هذا القرآن أوسورة منه أو ادنى شيء من تركيبه .

ولهذا فان مفهوم السبعة أحرف عندنا مفهوم لساني تركيبي أو سانتكسي ، وبالنظر الى أقسام الخطاب التي تتركب منها اللغات الانسانية الفاضحة كما عموما ،فان السبعة أحرف لا تكاد تبتعد عن هذه القاعدة اللسانية العامة ،والا تعذر ترجمة

القـــرآن الكريم الى لغات الشعوب الا سلامية التي لم تتعرب حتى الآن ، وهذه معجزة لسانية في هذا الحديث النبوي الشريف لم أعرف أحدا من اللغويين أو المفسرين قدمائهم ومحدثيهم قال به حتى الآن ، وعليه ،فان مفهوم السبعة أحرف بالنسبة لنا لها دلالتان :

أولاهما معجزة لسانية عامة تتعلق ببنية أقسام الخطاب ومراتبه ،والتي لم تبحث في اللغة العربية بشكل عام ولا في اللغة القرآنية بشكل خاص حتى الآن ، على الرغم من الجهود التي بذلت من باحثين عرب قدماء ومحدثين في خصائص وأشكال اللغة القرآنية بما في ذلك ما سمي بـ ((النحـــو القرآنـــي)) (1) . وثانيتهما أنها خاصة بكل لغة لغة خصوصها باللغة العربية باعتبارها اللغة الاولى التي سجلت كلام الله بواسطة الوحي ، ثم انها آخر لغة انسانية تسجل الكلام الالهي بواسطة وحي أيضا . ويظهر لي من حيث المبدأ أنها محصورة في سبعة نماذج عامة ،يمكن تصنيفها وفق تراكيب سانتكسية ،مثلا يمكن أن تمثل الجمل السبع التي لها محل من الاعراب هذه التراكيب تعارضا بالجمل السبع التي ليس لها محل من الاعراب ، حسب منطق النحاة العرب .

واذا قلنا بالجمل السبع التي لها محل من الاعراب بالتعارض مع الجمل السبع التي ليس لها محل من الاعراب ، فلأنّ التعبير عـــن

---

1) لايمكن هنا أن نحصر كل الأبحاث والكتب التي تعرضت الى اللغة القرآنية تحليلا وتركيبا ، ومن هذه الكتب ((نظرية النحو القرآني)) للدكتور أحمد مكي الانصاري الذي حاول أن يبحث نشأة النحو القرآني وتطوره (نظريته) ، منهيا بحثه بنماذج تطبيقية .

جملة واحدة كالتعبير عن اثنتين ، والتعبير عن السبع منها كالتعبير عن أربع عشرة منها ،لانه يستحيل على المتكلم الفرد أن يستعمل حتى جملتين مختلفتين في آن واحد فضلا عن أن يستعمل في هذا الآن ذاته جملتين متعارضتين من تركيبين مختلفتين ، وتمثل الواحدة في وعي المتكلم اللغوي لا يعني الا وجود الاخرى .

لان ما يسمى بالجمل السبع التي لها محل من الاعراب فانها مفهومة على أنها محولة من بنيات جمل أخرى أصلية أو نوانية وهي اما بسيطة واما مركبة أو متعددة ،أي ما يسمى بالجمل التي لها محل من الاعراب هي جمل تقوم مقام عناصر أصلية ، لكن النحاة حصروها في سبعة نماذج عامة بحيث يستطيع نموذج واحد منها أن يقوم مقام نموذج آخر أو أكثر مما يناسبه في نوع التركيب ،كالجملة الواقعة فاعلا أو نائب فاعل .

ومما يدل على أن ما يسمى بالجمل التي لها محل من الاعراب ، وهي كلها جمل معقدة أو مركبة ، ما هي الا تراكيب سانكسية موسّعة لجمل أصلية أو نواتية ، ويمكن في الآن ذاته أن تحول الى أكثر من تركيب ،أننا كمتقبلين لها لا نفهمها من خلال كونها جملا معقدة أو موسعة بل من خلال تمثلنا لجملها الاصلية التي ولدتها ؛

1) في الجمل التي لها محل من الاعراب :

أ) الناس طويهم قاسية

ب) ظننت الولد لا يصدق

ج) عاد المسافر وهو فرح

د) غدا العامل الى عمله رغم أنه مريض

هـ) من يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه

و) للأمة العربية تاريخ ماضيه مجيد

ز) الظالم يمهل ولا يهمل

ان هذه التراكيب السبعة هي تراكيب أساسية أو نموذجية ، وتوليدها لا يمكن أن يكون نهائيا ،وكل منها يمكن أن تكتب على الشكل التالي تبعا لفهم المتقبل لها من خلال جمل أو تراكيب أخرى مشتقة منها أو أن هذه مشتقة أو موسعة من جمل أصلية متماثلة في وعي المتكلم اللغوي ذي الملكة اللسانية في لغة معينة :

آ ـ تكتب :

1) قلوب الناس قاسية

2) الناس قساة القلوب

واذا ما حولت الى الاستفهام فانها تكتب أيضا :

1) أ قاسية الناس قلوبهم ؟

2) أ قاسية قلوب الناس ؟

3) أ قلوب الناس قاسية ؟

ب) - تكتب :

1) ظننت الولد غير صادق

ج) - تكتب :

1) عاد المسافر فرحا

د) تكتب :

1) غدا العامل الى عمله رغم مرضه

هـ) تكتب :

1) تعدي حدود الله ظلم

و) تكتب :

1) للأمة العربية تاريخ مجيد الماضي

2) تاريخ الأمة العربية مجيد الماضي

ز) تكتب :

1) الظالم ممهل ولا مهمل (باعتبار : ممهل ومهمل كليهما اسم مفعول)

أما الجمل التي يزعم النحاة أنها لا محل لها من الاعراب فان بعضها على الاقل لا يخلو من تساؤل وغموض ،من ذلك الجملة الجملة الابتدائية .

ولكتب التركيبين أو الجملتيين :

1) الجزائر مساحتها واسعة

2) كانت الجزائر تصدر القمح الى فرنسا

أليست الجملتان كلتاهما في صدر الكلام أو التركيب ؟ ألا يمكن لأي نموذج على نحوهما أن يرد في نص منقطعا عما قبله مثل :

هطل المطر ، صفت الريح ؟ .

لما زا تكون (1) أعلاه ذات محل من الاعراب باعتبارها محولة أو مشتقة من جملة أصلية أو نواتية أخرى (مساحة الجزائر واسعة ...) ولا تكون الثانية بعدها لا محل لها من الاعراب على أنها ابتدائية ؟ و (1) أليست ابتدائية ؟ وكيف يعقل أن تكون جملة ؛

كانت الجزائر.الخ لا محل لها من الاعراب لانها ابتدائية وجملة ؛

تصدر القمح..الخ ذات محل من الاعراب على أنها خبر ((كان)) ؟؟

ان ما يسمى بالجمل التي ليس لها محل من الاعراب هي تراكيب بالدرجة الاولى . ليست متعلقة باللغة في حد ذاتها بقدر ما هي تابعة للاختيار الحر للفرد المتكلم حسب ما يحضره من بنية سانكسية عقوية ،وليس فقط أو بالضرورة حسب المقام ، فحينما يمكن

لمتكلم عربي - مثلا - أن يعبر عن غرض بجملة موصولة :

حضر الذي يستحق الجائزة

يمكن لمتكلم آخر من نفس اللغة - ليس بالضرورة ان يكون عربيا -

أن يعبر عن الغرض ذاته متجنبا الجملة الموصولة :

يستحق الجائزة حضر ، على الرغم من أن النتيجة - حسب منطق النحاة -

واحدة ، أي أن الجملتين كلتيهما لا محل لهما من الاعراب ، على أن

الاولى موصولة ، والثانية ابتدائية .

ان النحاة العرب في مثل هذه التراكيب قد التزموا

بتفسيرات ما ورائية أو خارجية ، وابتعدوا عن التفسيرات الطبيعية

الداخلية الداخلية للغة العربية ، فاذا قلنا مثلا :

الولد أصغر من الاب (تلازم منطقي وبديهي)

الشمس أكبر من الارض ، الشمس تكبر الارض ، الارض أصغر من الشمس ،

الشمس دون الارض ... (تلازم علمي)

وحياتك لأخلصن الى الوطن (تلازم في الدال لا في المدلول)

ان تجتهد تنجح (غير متلازمة في الدال ولا في المدلول ، لكن

التلازم حاصل ما بين الشرط وجوابه أي هو تلازم مشروط بتركيب

لساني رياضي لا بتركيب دلالي) ... الخ

ان اختيارنا لتفسير الاحرف السبعة تفسيرا لسانيا

مرتبطا بالتركيب السانكسي المتعدد في نحو سبعة تراكيب أساسية

جميعا ، من اقتناعنا بأن العلماء الذين تناولوا هذه المسألة في وضعها الفقهي أو وضعها اللساني أو التفسيري أو القراءتي ... لم يتفقوا على وجه واحد أو حتى متقارب الا قليلا ، على الرغم من أن بعض التحاليل ، كتحليل ابن قتيبة ، هي تحاليل داخلية ، ولكنه حين ربطها بقول هذا القارئ أو ذاك ابتعدت نوعا ما عن طبيعة التحليل الداخلي للغة ، وكأن هذه التراكيب منتهية ، ولو كان الأمر كذلك لكانت القراءات القرآنية موحدة ، وليس معنى هذا أن قارئا يركب بدل أن يقرأ أو يولد جملة أو جملا أخرى حسبما يشاء عوض أن يتبع القراءات أو احدى القراءات المتواترة ، ولكن القصد أن هناك سبعة أقسام للخطاب في العربية ، بحيث كل قسم منها يقابل حرفا ، وهكذا دواليك ، وهي أقسام أو أحرف نموذجية أو أساسية صيغ بها النص القرآني على سنة أو سنن اللغة العربية باعتبار القرآن الكريم صرح عن نفسه بأنه قرآن أو لسان عربي مبين في أكثر من مرة .

- ((قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ)) (1)
- ((بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ)) (2)
- ((وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ)) (3)

---

1) سورة الزمر : 28
2) سورة الشعراء : 195
3) سورة النحل : 103

- ((فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا)) (1)

- ((فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون)) (2)

- ((وَهَٰذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا)) (3)

((وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ)) (4)

((كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)) (5)

الى غير ذلك من الآيات الدالـــة على ذلك .

وأما قول البخاري : ((نزل القرآن بلســان قريش والعرب قرآنا عربيا بلسان عربي مبين)) (6) ففيه من الصدق ما فيه طبقا للآيات القرآنية نفسها ،على الرغم من أن آيه واحدة منه لم تصرح بقرشيته بل كلها تعمم بحروفه ،لكن باعتبار النبي عليه السلام من قريش ،فان التخصيص الى جانب التعميم مقبول ،وهو شيء واحد ما دام النبي عربيا صليبة ولسانا ،لكن لا يمكن أن يدخل التعميم هنا مع ذلك تحت التخصيص ،والا كنا نقول شيئا على القرآن الكريم لم يقل هو به .

وأما قوله الآخر (البخاري) : ((فأمر عثمان بن عفان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن

---

1) سورة مريم ، 97

2) سورة الدخان : 58

3) سورة الاحقاف : 12

4) سورة ابراهيم : 4

5) سورة فصلت : 3

6) فضائل القرآن ص : 12

الحارث بن هشام أن ينسخوها في المصاحف ،وقال لهم ، اذا اختلفتم أنتم وزيد في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش ، فان القرآن نزل بلسانهم ،ففعلوا)) (1) فانه غير مسوّغ لديها ، فعمر بن الخطاب مثلا قد اختلف مع هشام بن حكيم في قراءة سورة الفرقان ، مع أن كليهما قرشي (2) ، وانما سمع كل واحد منهما في غياب الآخر الرسول (ص) يقرأها بتركيبين مختلفين على ضوء نموذجيين أساسيين أو على لهجة قبيلتين مختلفتين .

ومما يجب التنبيه اليه هنا أن قراءات الائمة السبعة متفق عليها اجماعا ،لان لكل منهم سنداً صحيحاً في روايته ، لكن ينبغي في الوقت نفسه ألا تعد هذه القراءات السبع هي تفسير جامع مانع للاحرف السبعة ، وقد نبه على هذه المغالطة ابن الجزري بقوله : ((لا يجوز أن يكون المراد من الاحرف السبعة هؤلاء السبعة القراء المشهورين وان كان يظن بعض ، لان هؤلاء السبعة لم يكونوا خلقوا ولا وجدوا)) (3) ، ومن أجل هذا وجه العلماء نقدا شديدا لابن مجاهد مسبّع السبعة المشهورين دون الآخرين ، ولهذا قال أبوحيان الاندلسي : ((وليس في

---

1) فضائل القرآن ص : 12

2) م.س.ص : 35 - 36

3) النشر في القراءات العشر 1/ص : 24 ابن الجزري (الطبعة التجارية - القاهرة)

كتاب ابن مجاهد ومن تبعه من القراءات المشهورة الا النزر اليسير ، فهذا أبو عمرو بن العلاء اشتهر عنه سبعة عشر راويا)) (1) .

وأما اسماعيل بن ابراهيم المعروف بالقرّاب فقد قال : ((التمسك بقراءات سبعة من القراء دون غيرهم ليس فيه أثر ولا سنة ، وانما هو من جمع بعض المتأخرين ، فانتشر ، وأوهم أنه لا يجوز الزيادة على ذلك ، وذلك لم يقل به أحد)) (2) .

والذي يظهر أن القراءات السبع فضلا عن كونها متواترة بسند صحيح لا يتطرق اليه الا ارتياب المرتابين بغير دليل ولا برهان مثلما تورط في ذلك طه حسين (3) ، فهي لا تعني الا حرف السبعة في قليل ولا كثير الا عند قصار النظر ، ولذا فقد اشتد ((انكار الأئمة في هذا الشأن على من ظن انحصار القراءات المشهورة في مثل ما في التيسير والشاطبية)) (4) . وانما اعتمدت السبع اجتهادا من ابن مجاهد ، ثم ارتاح لها بعض الفقهاء من أهل النظر البعيد من أجل العامة اتقاء للفتنة وصيانة للنص القرآني من قراءة كل من رغب وهب له .

---

1) معترك الاقران في اعجاز القرآن ص : 164 . السيوطي (ط: 1968 دار الكتب المصرية)

2) م.س.ص : 166

3) راجع الادب الجاهلي ص: 85 ، حيث يزعم ان القراءات السبع ليست من الوحي في قليل ولا كثير ، وانما هي قراءات مصدرها اللهجات واختلافها ...

4) معترك الاقران في اعجاز القرآن : القسم الاول ص : 166

ويرى بعض الباحثين المعاصرين ممن درس اللهجات العربية في مختلف مستوياتها أن الاسلام لما جا" ((صهر اللهجات تصهيرا ، فهو قد وحد لهم أسلوب التعبير ،ورغم أنه لم يحرم استعمال اللهجات المختلفة في الكلام أو المعاملة ،ولكن الاسلام لم يشجع قراءة القرآن حسب اللهجات التي لم تتعود فيه ،ولم يجز التعبد بلغة غير اللغة التي نطق بها الرسول الكريم" وباللهجة التي اختارها)) (1) ثم يضيف نفس الباحث قائلا : ((لا شك أن لهجة القرآن كانت لغة الادب ، ولهجة المحافل الراقية ، وهي في حد ذاتها لم تكن لهجة قريش خالصة ،وانما كانت أمشاجا من اللهجات المختلفة ، التي اشتهر استخدمها الشعراء والخطباء وأهل الفكر ، لمخاطبة جميع قبائل العرب ،فهي لهجة مختلطة ،بدليل الالفاظ المختلفة التي تعود لمختلف القبائل في القرآن ،فالقرآن الكريم ارتضى لهجة منتخبة ،وهذا جعل أمر تطور تطور اللهجات الاخرى واستقلالها أمرا مستحيلا منذ يوم دخول العرب في الاسلام)) (2)،

والذي يظهر غريبا في قوله : ان الاسلام منع تطور اللهجات واستقلالها ،مع أن العربية ذاتها ـ كما اعترف الباحث نفسه ـ هي أمشاج من اللهجات ، ذلك أن اللهجات العربية

---

1) دراسة اللهجات العربية القديمة ص : 12 - 13

2) م.س.ص: 13

الفصيحة المسجلة للرسم أو النص القرآني ظلت تتطور داخل مدونة واحدة سواء داخل النص القرآني من خلال القراءات المتعددة منها المتواتر والشاذ أو خارجة في نصوص فصيحة أخرى ، هذه المدونة هي مدونة حقل لساني واحد هو حقل التوحيد اللغوي العام .

لكن ما يبدو - ربما - أغرب هو بعض النصوص الأخرى التي يرى صاحبها من خلالها أن ((تعدد صور الاعراب في حالة تعدد اللهجات يعني الخلط بين المستويات اللغوية ، وهذا الخلط أمر ترفضه الدراسات اللغوية الحديثة)) (1) ، غير مفرق ولا واع بالقدرة أو الطاقة اللسانية لكل لغة على حدة ، وسنرى في عمل لاحق كيف أن اللغة العربية لها من الطاقة التواصلية ما يسمح لها بالفرز بين المستويات اللغوية فيها على مستوى تركيب واحد ، ولسنا ننتظر الى غاية حينونة هذا العمل اللاحق دون أن نشير الى القراءات القرآنية المتعددة التي لاتؤدي بالقارئ الى هذا الخلط ولا الى الرفض اللذين أشار اليهما الدكتور كمال بشر أعلاه ، ولنشر بالمناسبة فقط الى التركيب القرآني المشهور في قوله تعالى :

((إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)) (2) .

لتفنيد واستبعاد هذه الوجهة اللسانية العامة حين تحاول أن

---

1) ظاهرة الاعراب في النحو العربي ص : 122

2) سورة طه من آية : 63 ، وسندرس هذا التركيب مفصلا في حينه .

تطبق على أيـة لغة دونما تمييز بين لغة أدبية تحدرتهـا عبر تاريخ أدبي حافل وطويل وبين لغة لا تزال تخطو خطوات أولية في تطورها وحداثتها .

وحسبنا اشارة أيضا لاستبعاد القول السابق أن القرآن الكريم بالنسبة لمستوى واحد هو المستوى المعجمي يحتوي على أكثر من خمسمائة جذر يعود الى قبائل مختلفة ومتباينة ، مما يؤكد بأن القرآن لم يكن بلهجة قريش خالصة ، وانما كان بلهجة أدبية راقية)) (1) .

أما أبو بكر الواسطي فقال في كتابه : ((الارشاد في القراءات العشر)) ان في القرآن خمسين لغة من اللغات (2) ، عددها ، وهي القبائل التي ذكرناها سابقا في موطنها . وأما ابن عبد البر فقال من جهته : ((نزل القرآن بلغة قريش معناه عندي الأغلب ، لأن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات)) (3) ، وأما جمال الدين بن مالك فقد صرح بان الله أنزل القرآن بلغة الحجازيين الا قليلا (4) .

ان الواقع اللهجي الوارد في القرآن الكريم والموزع على عدة قبائل وعشائر وبطون وأفخاذ ... عربية لا يدع شكا

---

1) دراسة اللهجات العربية القديمة ص : 14 - 15

2) معترك الأقران في اعجاز القرآن القسم الأول ص : 204

3) م.س.ص : 205 ، 4) م.س.ص : 205 - 206

لسشا لك بأن القرآن نزل بغير لغة واحدة ،بما فيها لغة قريش ، لكن هذه اللهجات التي ارتضى القرآن الكريم النزول بها لم تكن تتعدى جميعها نماذج لسانية تتواصلية ذات قاعدة قواعدية موحدة في اجمالها بين العرب جميعا ،وفي حالة تباين بنياتها التركيبية السطحية فانها كانت تنوب عن بعضها بعضا في التعبير عن القصد الواحد دونما تناقض بحيث لا يصير ما أحله الله حراما ، ولا ما حرمه حلالا ،وهذا التعدد اللهجي في العربية هو الذي زودها بتلك الطاقة اللسانية الذهلة ، واذا كان لا بد من تباين فان ذلك لم يكن يتجاوز المستوى المعجمي أحيانا بين القبائل ،ولا سيما فيما يعرف في العربية بـ ((الاضداد)) ،مثل الساجد في اللغة العامة بمعروف الدلالة ،لكنه في لغة طيء يعني المنتصب (1) ، وكلمة ((الغور)) في اللغة العامة هو المهزول ، وفي لغة الهلاليين تعني السمين (2) ، ومن ذلك قال الاصمعي : ((يقال قد وثب الرجل اذا استوى قائما أو قفز ،ووثب الرجل اذا قعد)) (3) وهذا الباب يحكى أن رجلا دخل على ملك حمير فقال له : ثب أي اقعد ،لكن الرجل وثب أي قفز حتى تكسر ((فقال له الحميري :

---

1) ثلاثة كتب في الاضداد ص : 43 (دار الكتب العلمية - بيروت)

2) م.س.ص : 44

3) م.س.ص : 45

ليس عندنا عربيت ، من دخل حمام طفمار حمّر ... أي تكلم بالحميرية)) (1) .

لكن علماء لغات القرآن يروون كلمات حميرية في القرآن الكريم من عشرات القبائل والعشائر العربية الاخرى مثل اليمن ، وهوازن ، وهذيل ، وكنانة ، وجرهم ، وأزد شنوءة ، ومدلج ، وخثعم ، وقيس عيلان ، وسعد العشيرة ، وكندة ، وعذرة ، وحضرموت ، وغسان ، ومزينة ، ولخم ، وجذام ، وبني حنيفة ، واليمامة ، وسبأ ، وسليم ، وعمارة ، وطيء ، وخزاعة ، وعمان ، وتميم ، وأنمار ، والاشعريين ، والاوس ، والخزرج ، ومذيس ، وهمدان ، ونصر بن معاوية ، وعامر ابن صعصعة ، وثقيف ، وعك ... (2) .

ولذلك لا يمكن الوصول الى أية نتيجة لموسة لادراك الحديث النبوي الشريف اذا ما حاولنا أن نفسر حروفه السبعة الواردة فيه بعدد لهجات قبائل معينة دون باقي اللهجات القبلية الاخرى ، ولذلك اخترنا منهجا مستقلا عما سبق لادراك أو محاولة تحليل الحديث النبوي الشريف من خلال ربط هذا التحليل بعدد من النماذج التركيبية في العربية والتي تتوافق ترجمة للنص القرآني مع لغات اسلامية أخرى بواسطة أقسام الخطاب في كل لغة .

---

1) م.س.ص : 45

2) راجع ((معترك الاقران في اعجاز القرآن)) ، م.س: 188 الى 205

أما القراءات السبع فلا يمكن هي الأخرى أن تمثل بشكل منطقي ولساني هذه السبعة الاحرف على نحو شامل وجامع ،وذلك على الرغم من اشتمالها على أرقى النماذج التركيبية في اللغة العربية ولهجاتها ، لكن هذه القراءات نفسها لم تسلم من الطعن والتجريح ، فهذا الشيخ عطية قابل عنها بحثا بعنوان :((القراء السبعة وشيوخ كل منهم في تلحين قراءته)) ،ثم طفق يشير الى كل قارئ من القراء السبعة محصيا عدد الهفوات التي وقع فيها كل قارئ :

1) قراءة ابن عامر (ت :118هـ) ،وجه اليه التلحين 18 مرة

2) قراءة حمزة (ت : 150 هـ)وجه اليه التلحين 15 مرة

3) قراءة نافع (ت: 169 هـ) وجه اليه التلحين 12 مرة

4) قراءة الكسائي (ت: 189 هـ) وجه اليها التلحين 11مرة

5) قراءة ابن كثير (ت : 120 هـ) وجه اليها التلحين 9 مرات

6) قراءة أبي عمرو (ت: 154 هـ) وجه اليها التلحين 7 مرات

7) قراءة عاصم (ت : 127 هـ) وجه اليها التلحين 7 مرات (1) .

غير أنه مما يجب التنبيه عليه هنا أن ثمت بونا شاسعا بين هذه الهفوة اللسانية أو تلك والتي قد يقع فيها قارئ أو يرى لها وجها في العربية الصحيحة لا يراه غيره فيها من جهة ، وبين العربية كقواعد مستقلة لا تضيق طاقتها بين استعمال وآخر من جهة ثانية .

---

1) نظرية التحري القرآني ص: 144 ـ 145 . د. أحمد مكي الانصاري (ط:1/ 1405هـ ،طبع بمطابع أبو الفتوح)

وحسب نص الفارابي المشار اليه آنفا فان القبائل التي أخذ عنها كانت تتجمع متجمهرة وسط الجزيرة العربية ، وبعضها كان متجاورا مع اهل القبائل الاخرى ،كمجاورة طيء لأسد ،ومجاورة هاتين لقبيلتي قيس وتميم ،وهذا التجاور في الارض والدم كان له أثر لا يكبر على تأثر اللهجات بعضها ببعض ،كما سنأكد بعد حين ، وقد ينفرد بطن في قبيلة بعينها بظاهرة لغوية مخالفة اللهجة الأم للقبيلة ، وهذه القبائل الشمالية التي قصدها جماع اللغة في جملتها كانت بعيدة عن الاطراف الأربع لبلاد العرب مما جعل لغاتها تبقى سليمة .

وحسب دراستنا السابقة للاحرف السبعة واشارتنا لعشرات اللغات القليلة المتناثرة عبر شبه الجزيرة العربية كلها والتي وردت بالنص في القرآن الكريم ،فانه من غير اللائق المكبس الاطمئنان الى نص الفارابي وزعمه بأن جماع اللغة لم يأخذوا العربية الا من القبائل التي ذكرها،وسنرى بعد حين ،ونحن نتحدث عن جماع اللغة لا بأن هذه المقولة مستبعدة ، بل لو كان الامر كما زعم الفارابي لبقيت جملة من الكلمات في القرآن غير مفهومة على لغات هذه القبائل وحدها ،لان الاطلاع الاحالة على هذه المناطق اللغوية وحدها لم يكن كافيا لفهم وشرح كل الدلالات المتعلقة بغير قليل من الالفاظ القرآنية .

وحسبنا أمثلة على ذلك أن ابن عباس فسر : ((سامدون)) في قوله تعالى :

((وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ)) (1)

بأنه : الغناء ،وهي لغة يمانية ، بينما يسند الى عكرمة أنه قال : هي بالحميرية ، (2) ، لكن الأهم أنها ليست من الغناطق التي حددها الفارابي .

واخرج أبو عبيد عن الحسن أنه قال : ((كنا لا ندري ما الأرائك حتى لقينا رجل من أهل اليمن فأخبرنا أن الأريكة عندهم هي الحجلة فيها السرير .

وأخرج عن الضحاك في قوله : ((وَلَوْأَلْقَى مَعَاذِيرَهُ)) (3) ، قال : ستوره بلغة أهل اليمن .

واخرج عن عكرمة في قوله : ((وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ)) (4) ، قال : هي لغة يمانية ،وذلك أن أهل اليمن يقولون : زوجنا فلانا بفلانة)) (5) .

ان اللغة العربية منها ما كان يدل على كلمات بدوية ومنها ما كان يدل على كلمات حضرية ، ومنها ما كان يدل على دلالات انتقالية من البداوة الى الحضارة ، ولما جاء القرآن الكريم راعى هذه الجوانب الثلاثة التي كان كل يتميز بها المجتمع العربي ،

---

1) سورة النجم : 61

2) معترك الاقران في اعجاز القرآن ص : 188

3) سورة القيامة : 15 ، 4) سورة الدخان : 54

5) في معترك الاقران ص : 188

بحيث وجدت فيه كل طبقة من هذه الطبقات ما ينا سبها من دلالات طيبها وعلى أحوال معاشها وسلوكها واجتماعها.

مواقع الفصاحة :

وللتأكد من صحة نص ابن فارس السابق ، ارتأينا أن نتطرق الى مناطق عدة لتتبع ماأمكن مواقع الفصاحة بين قبائل وعشائر عربية سكنوه لا بد من ضمن المناطق التي حددها .

وكان الهمداني رائعا اذ صور العلاقات اللغوية في جنوبي الجزيرة العربية الى نهاية القرن الثالث الهجري ،فذكر أن مناطق العروض فصيحة ماعدا قراها ،وأن الحجاز ونجدا السفلى فالى الشام والى ديار مصر وربيعة فيها الفصاحة ، ولكن قرى هذه المناطق غير فصيحة شأنها في ذلك شأن قرى العروض (1) .

ومن خلال تصويره للعلاقة اللغوية في جنوبي الجزيرة العربية حتى هذه الفترة من الزمن ، يتبين أن سكان حضرموت لهجوا فصحاء ، وربما كان فيهم الفصيح ،وأفصحهم كندة ،وهمدان ،وبعض الصدف (2) .

وأما لهجات أهل سروعذحج ،ومأرب ،وبجيلة ،وحريب ،فيعدها فصيحة (3) ،ثم يعد فيمن يتكلمون بالفصاحة أقواما من منطقة همدان التي تمتد الى الشمال الشرقي من صنعاء ومأرب حتى نجران وإجاورها هذه الاقسام أيضا

---

1) العربية ص: 155 يوهان فوك (ط: 1951 دار الكتاب العربي .القاهرة)

2) م.س.ص: 155

3) م.س.ص: 155

حيث يسكن قبائل بلحارث بن كعب في منطقة نجران الرحبة ،الا أن صنا ف بالجوف الا على دون ذلك في الفصاحة (1) ،

وشعب سفيان بن إرحب ، وهم همدانيون ، يعد ، من الفصحاء على الرغم من أداة التعريف عند ، هي ((ام)) بدلا من ((ال)) ،وأصحابه يلزمون المثنى الالف مطلقا في جميع حالات الاعراب (2) .

وبنو حرب وهم فخذ من همدان ،يسكنون في بلد وادعة ، وهم أهل اصالة في جميع كلامهم ،وبنو [illegible] أسعد أفصح منهم (3) .

وتغلب الفصاحة على المنطقة العظمى التي تبدأ من حدود اليمن عند وادعة ،وتمتد عبر سلسلة السروات على الساحل الغربي من شبه الجزيرة ، ومن القبائل التي تسكن هذه المنطقة العظمى بعض أفخاذ من مذحج (جنب وزبيد) ،وقضاعة (سنحان ونهد) وأزد شنوءة (بني أسامة وعنز) ،وثقيف من خثعم وهلال وعامر بن ربيعة ،ثم بعد هذا قبائل من الازد (الحجر ،ودوس ،وغامد ، ويشكر) ثم من فهم وثقيف ، ويضم الهمداني الى هؤلاء طائفة يسميهم بني طي (4) ،وينبه بوجه خاص الى أن المجموعات التي التي تقطن سفوح الجبال الغربية من هذه القبائل - تجاه تهامة -

---

1) م.س.ص : 156

2) م.س. ؛ ن. ص

3) م.س ؛ ن.ص

4) م.س : ن. ص

هي أقل فصاحة ممن تعيش في أعالي هذه الجبال ،ورأى أن اللهجة التهامية قد أثرت تأثيرا سيئا في فصاحة اللغة في هذه المناطق المجاورة لها (1) ،لان أهل تهامة ينطقون لغة رديئة ، (2) ،وبلد الأشعر وهك وحكم (من بني سعد العشيرة) من بطن تهامة ، يقول ، لا بأس بلغتهم ،الا من سكن منهم القرى (3) ، وذكر أن قبيلتين أخريين توجدان في جوار الاشعريين ، وهم بنو واقد من ثقيف ،وبنو مجيد من حميير في الاصل ،وكلتاهما فصيحة ايضا (4) .

وفي ناحية صعدة توجد العربية الفصيحة عند بني خولان الذين كانوا يخيمون في السهل ،بيد أن بني قبيلتهم الساكنين بالموبالمنخفض (الغور) فتم غير فصحاء (5) .

ويصف لهجات أخرى بأنها غير فصيحة كاللهجات الجارية بين ذمار وصنعاء ولهجة السكاسك التابعين لكندة ،ويعد لهجات سكان غربي ذمار أقرب الى اللكنة منها الى الفصاحة ، في حين يصف قوم ظاهر همدان النجدي بالفصاحة .

أما اللهجات التي هي خارج اليمن فيجتزئ بملاحظات عابرة حولها ،ولعل الهمداني اكتفى بتصوير وتتبع لهجات الجنوب دون

---

1) م.س.ص: 157

2) م.س : ن.ص . 3) م.س.ع : ن.ص . 4) م.س.ع : ن.ص

5) م.س.ع : ن.ص

الشـــمـــال ، مـا عدا التلميح لها على مستوى المناطق الاقليمية ،

يرجـــع لأمـــرين :

1) كـــونه همدانيـــا ،وهوأدرى من سواه بهذه اللهجات .

2) كـــونه لاحظ العلماء وجماع اللغة لم يحفلوا بغير اللهجات الشمالية الفصيحة أي لغة القرآن والآداب ثم لغة القواعد والتدوين والتأليف ،

وأيـــا كان هذا السبب أوذاك فهو قد سبق علماء

الاجتماع اللغويين المعاصرين بقرون ،لان دراسته المنهجية على هذا النحو الميداني والدقيق لا نجد اليوم مثيلا لها عند الغربيين الا فيما يسمى بعلم الاجتماع اللساني ،وهولم يكتف بهذا الوصف وحسب بل شمل عمله الميداني بدل بدراسة متداخلة ، تاريخية ونسبية وجغرافيه وحد واجتماعية ،على نحو متدرس به اللهجات في الوقت الحاضر ، من غير النظر الى رداءة مستوى اللهجات الملفوظة في المناطق أو فصاحتها ،حتى وان كان قد أضاف شيئا أكثر من هذا حيث فصل بين مستويات الفصحى وما يسمى عند العرب بالتكلمات المذمومة فصلا يقوم أحيانا على أضيق مساحة سكانية .

والمنطقـــة الموصوفة لديه بالفصاحة ،والتي تنطلق من حدود اليمن عند وادعـــة ، تأخذ امتدادها عبر سلسلة السروات على الساحل الغربي من شبه الجزيرة العربية حتى تتصل بالناحية الشمالية العليا ، توصف من لدن غير الهمداني بالفصاحة أيضا ، فهذا الخليل بن أحمد

يقـــول : ((أفصـح النـاس أزد الســراة)) (1) ،وقال العسكري عن علي بن القاسم الهاشمي :« ((رأيت قوما ممن أزد السراة لم أر أفصح منهم)) (2) . وقيل للحارث بن كعب التي كانت تسكن الرحبة والذين وصفهم بالفصاحة قال حولهم ابو قلابة (ت:104 هـ) : ((رأيت قوما من بني الحارث بن كعب لم أر أفصح منهم)) (3)، وهذا الوصف للهجة الحارث ، وان جاء عن راو منذ القرن الاول الهجـري ، الا أنـه لا يضير بوصف هذه اللهجة نفسها في نهاية القرن الثالث الهجري ،اذ بقيت حتى هذا العهد سليمة على مذهب سليقة وصفها ،وهذا ما يراه السيرد كذلك : ((وكل عربي لـم تتغير لغته فصيح على مذهب قومه ،وانما يقال : بنو فلان أفصح من بني فلان ،أي أشبه لغة بلغة القرآن ولغة قريش ، على أن القرآن نزل بكل لغات العرب ...)) (4).

ثـم ان الاصمعي ذكر أن أبا عمرو قال : ((أفصح الشعراء لسانا وأعذبهم أهل السروات)) (5) ، وهي ثلاث:

1) الجبال المطلة على تهامة ،مما يلي اليمن ، وأولها هذيل ، وهي تلي السهل من تهامة .

---

1) الفاضل ص : 113

2) م.س : ن.ص

3) م.س.ص ؛ 115

4) م.س.ص : 113

5) العمدة ج: 1/ص: 88 ابن رشيق (ط:3/1963 مط: السعادة ـ مصر)

2) بجيلة ،وهي في السراة الوسطى ،وقد شاركتهم ثقيف في ناحية منها

3) ثم سراة الازد (أزد شنوءة) ،وهم بنو الحارث بن كعب بن

الحارث بن نصر بن الازد (1) .

ان شهادة هؤلاء العلماء الاقذاذ تتضارب الى حد كبير مع ما زعمه الفارابي بأنه لم يؤخذ عن ثقيف أوغيرها من البلدان التي شهد لها غير عالم لساني وجغرافي بالفصاحة ، ومن عاشر الأعراب البدو في عيش أماكنهم ،وآكلهم ،وشاربهم ، وشافههم ،واخذ عنهم ليس كمن أخبر عنهم ،أوعاش بعيدا في مدينة أو قرية عنهم موطنا وسكنا (وليس الخبر كالعيان) ،ثم ان اقامة تجار أو طارئ مرورهم ببلدة لايؤثر على لغة المقام عند هم أو التمرين عليهم ،بل خلو من اللغة لا يرتبط حتى بالدم والنسب ،فضلا عن أن يتأثر بالاخذ عن الاجنبي العارض والسريع ما دام الدخيل خاضعا دائما لقوانين المواطنين الاصليين ،والا سبقت القواعد وقتها ، ثم ان اقليم كومان المتاخم لجبل اسبيل من شماله الشرقي مكانه حميريون في الاصل ،وان تعذ حجوا على عهد الهمداني ،ومع ذلك فان لهجتهم كانت فصيحة (2) ،وأميه ابن أبي الصلت يرجع الى ثقيف (3) ،وهو من استشهد سيبويه المعروف بتحفظه الشديد ومحافظته المطلقة بشعره ،وبغيره من بني حنيفة ، كما استشهد بشعر أبي دؤاد الايادي وعدي بن زيد ...

---

1) العمدة : 1/ص : 88 ، 89 2) العربية ص : 105

3) الاشتقاق ص : 304 ابن دريد .

العربية النموذجية في منظور بعض الأجانب :

ان آراء الاجانب من مستشرقين ومهتمين باللهجة النموذجية للعرب ومرقعها من الفصاحة وانتسابها الى هذه المنطقة أو القبيلة أخذت حيزا واسعا من اهتماماتهم وجهودهم كلما تعرضوا الى الخطاب العربي القديم .

ان آراء هؤلاء مختلفة باختلاف مصادرهم واتجاهاتهم المرتبطة بمنهجيتهم من جهة ، وبتصورهم المتشاكل أو ذي البعد الأحادي للظاهرة اللغوية بشكل عام ،وأعني بهذا أنهم غالبا ما يقارنون الأحكام التي تنطبق على اللغات الأوروبية بالأحكام ذاتها ، التي لا تنطبق بالضرورة على لغة كالعربية لها تاريخ وظروف وخصائص تختلف كل الاختلاف عن اللغات الأوروبية التي تعد جد حديثة بالنسبة للغة ذات تراث بعيد وعريق ولا يزال حيا ومجسدا في نصوص مادية ،واقصد بها العربية .

ولهذا ،فاننا لا نتفق ،من حيث المبدأ، مع أية منهجية تتخذ قد حكمها وبعدها من وسط مسيرة ثقافية لا من بدايتها .

على أي حال ،تتضارب مواقف هؤلاء إزاء اللهجة النموذجية التي كانت معينا واحدا لشعراء التوحيد اللغوي والخطاب اللساني لمختلف القبائل العربية.

من هؤلاء الاستاذة أوديت بوتي (ODETTE - PETIT) التي حاولت أن تبحث المسألة تحت عنوان ((اللغة العربية المشتركة)) ، حيث لم تعترف في البداية بأن الاسلام قد لعب دورا حاسما في تنمية وتطور اللغة العربية ، وأن القرآن الكريم كان محور الدراسات اللسانية التي توصلت الى تناول اللغة العربية من الناحية النظرية .

وتقرر بأن لغة الوحي هي لغة قريش التي كانت لدى مختلف القبائل العربية وخاصة في الشعر ، وأن هذه اللغة سبق أن كانت تحتوي على طابعها الكلاسيكي قبل محمد (ص) ، كما يذكر جاك بيرك (JACQUES BERQUE) ، مفيدة بأن العربية قبل الاسلام كانت تمتلك ، الى جانب تكلماتها النوعية ، لغة مشتركة منها ما كان يستعمل في أحوال متعددة ، التبادلات التجارية بين البدو والحضر ، التقابلات التي كانت تغلب على القبائل المتجمعة بحثا عن المراعي ، التجمعات المنتظمة للسكان خلال الحج ، ... هذه العوامل كلها أعطت ميلاد ظهور المناظرات الادبية والشعرية ، وأخيرا التبادلات اللسانية بين السجناء أثناء الحروب وأيام العرب القبليـة . وهذه المعطيات ذات الطابع الاقتصادي والادبي ، والاجتماعي مكنت من فرض لغة مشتركة ، يضاف الى هذا المبررات ذات الطبيعة الدينيـة .

وتضيف الاستاذة أوديت بوتي : ((وبالنظر الى عدة معطيات لا تزال غامضة ، فان الوجود الحقيقي لهذه العربية المشتركة بقيت منذ مدة طويلة محل تساؤل ، حاولنا أن نحدد المشابهات التي يمكنها أن تقدم من جهة شعر ونثر لغة ما قبل الاسلام ، ومن جهة أخرى العربية الكلاسيكية كما كانت محددة منذ القرون الأولى التي تبعت لغة التنزيل ، من قبل المعجميين والنحويين التي تمثل أعمالهم مع ذلك تفاوتات عديدة)) (1) منتهية إلى أن هناك لغة أدبية موحدة مشتركة ، ولغات جهوية أخرى ، وخاصة بالنسبة للأمة العربية في العصر الحديث أي أن العربية لم تخل مما عرفته اللغات الأخرى من ذلك التفرع الثنائي في عملية التواصل .

وأما نولدكه فقد ذهب الى أن الاختلافات بين اللهجات القبلية الأساسية مثل نجد والحجاز وإقليم الفرات كانت قليلة ، وقد تركبت منها جميعا هذه اللهجة الادبية العامة (2) ، وتبعه في هذا الرأي جويدي الذي قال : ((انها ليست لهجة معينة لقبيلة بعينها ، انما هي مزيج من لهجات أهل نجد ومن جاورهم)) (3) .

---

(1) RIVAGES ET DESERTS P. 64 (ENSEMBLE D'AUTEURS)
EDITION SINDBAD 1988

2) تاريخ الادب العربي 1/ص : 131 ، د. شوقي ضيف

3) م.س.ع: ن.ص

أما كارلو نالينو فيرد وحدة اللغة الأدبية ،مع اختلاف شعوب القبائل العربية ولهجاتها ، الى الشعر الذي نشأ قبل الاسلام(1) وأن هذه اللهجة الفصحى تولدت من احدى اللهجات النجدية وصارت مهذبة في زمن ملكة كندة ،وان الفصحى لغة القبائل التي اشتهرت بتنظيم الشعر ،والتي جمع النحاة واللغويون منهـــا مادتهم اللغوية .

ويورد معنى هذا القول ، وكأن نالينو يلمح تصريحا الى امرئ القيس الذي تهذب واستوى الشعر على يده ، كما يجمع النقاد ومؤرخو الأدب العربي ، الا أن الشعر طبع وهو وموهبة قبل أن يكون فقط حرفة تكتسب اكتسابا ، مع عدم استبعاد هذه الحرفة لتصح لتصبح في ظرف ما عادة ، اذ قد تكون قبيلة مشهورة بالفصاحة ولا ينبغ فيها شعراء كقبيلة قريش ،وأخرى غير فصيحة بدرجة فصاحة قريش كطيء أو كندة أو الاوس أو الخزرج ... ومع ذلك ينبغ فيها شعـــراء فطاحل ، ثم ان الاشكال ليس مطروحا في عهد ملكة كندة ولا في وقت استواء الشعر على يد امرئ القيس ، بل هو مطروح قبل هذه الفترة ،بل مطروح حتى بالنسبة للغة شعر هذا الشاعر نفسه ، والذي لا يخفى عن الذهن أن كون هذه اللهجة النموذجية قد

---

1) تاريخ الآداب العربية ص : 84 كارلو نالينو
(ط :2/ 1970 دار المعارف مصر)

تولدت من احدى اللهجات النجدية الى أن نضجت في عهد مملكة كندة يقودنا الى الاعتقاد بتجريد لغة قريش من أي فضل أو دور تاريخي وحاسم للعمل على مداناة اللهجات العربية وبين التقارب المتداخل بشتى أنواعه ،كما سبق أن بيناه بين القرشيين من جهة ومعظم القبائل العربية من جهة ثانية سواء قبل الاسلام أو ما بعده .

أما بروكلمان فزعم أن الفصحى كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات ،وان غذتها جميعا (1) ،وأما بلاشير فذهب الى ان ((اللغة العربية الفصحى ... تولدت عن لهجة أعدت لتكون لغة أدبية)) (2) ولكنه لم يعين هذه اللهجة التي أعدت وتسامت حتى غدت لغة أدبية ،

وأما المستشرق فولرز فبين حدود اللهجات الفصحى بساحة محصورة بين خطين يمتد أحدهما من مسافة عدة كيلومترات جنوبي مكة الى خليج البحرين على الخليج العربي ،ويمتد شمالا من ضواحي يثرب حتى شمال الجزيرة (3) .

وواضح من هذه الخريطة اللغوية التي رسمها فولرز بين هذين الخطين أنها تشتمل قبائل عظيمة ،بما في ذلك القبائل التي أجمع العلماء العلماء العرب على الاخذ منها .

---

1) الشعر الجاهلي ص : 21 . السيد حنفي حسنين (الهيئة المصرية)

2) تاريخ الادب العربي : 1/ ص : 77 بلاشير (طبعة الجامعة السورية)

3) السابق ص : 81

ومنذ حوالي قرن ذهب برجيه الى أن العربية كأنها لهجة محدودة جدا ((بل لغة قبيلة صغيرة وصلت في وقت من الاوقات بفضل ظروف محلية الى درجة من الكمال خارقة للعادة زفهي مدينة بانتشارها للاسلام)) (1)، وبرجه مثله مثل بلاشير لم يعين موقع هذه القبيلة الصغيرة التي كانت مصدرا لهذه العربية الفصحى فيما بعد ولا ذكر اسمها .

وهذه الآراء لاترسم للباحث منطقة محلية ضيقة أو واسعة كانت موردا واضحا أخذ منه الرواة والقراء مادتهم اللغوية الا اذا سططها شرقا وغربا لا في الشمال بالجنوب أحيانا ،والشرق بالغرب غالبا .

غير أن تركيز الاجانب الذين يقصدون لدراسة اللغة العربية النموذجية أو المشتركة هم غالبا ما يتصورون ، كما لمحنا أعلاه ، هذه العربية المشتركة على نحو تاريخ وظروف اللغات الاوروبية الاخرى التي غالبا ما نجدها تنطلق أو تقر تبرز فعلا من منطقة ضيقة لتتخذ بعد ذلك لغة رسمية للبلاد كما هو الشأن بالنسبة للغة الفرنسية وغيرها ،وغالبا ما تفرض بمراسيم وقرارات لكن العربية المشتركة الاولى تختلف عن هذه اللغات اختلافا بينا .

---

1) السابق ص : 86

الباب الثاني : ملامح تركيبية في اللغات السامية

الفصل الأول : الساميون والسامية

لقد تنبهت الى درس ما أمكن من الحقوق والحدود التي تشكل المدونة اللغوية للهجات العربية البائدة وجدت نفسي في كل مرة محالا على ظاهرة تركيبية مماثلة أو قريبة في بعض اللغات السامية أو فيها جميعها ، فترددت طويلا ثم اقتنعت اخيرا بأنه من غير الممكن أن نلج مجالا من غير بابه ، لأن هذا المجال السامي يشكل حقا البداية الطبيعية لدراسة أي تركيب في اللهجات العربية البائدة ، بل وحتى في اللهجات العربية الباقية .

الا أن محاولة الولوج الى المجال السامي للوقوف على الظواهر التركيبية يقتضي - فيما رأينا - المرور بمحطتين أساسيتين :

1) الساميون والسامية 2) العلاقات اللغوية بين الساميات ، وهو الأمر الذي جعلنا نخصص لكل نقطة منهما فصلا مستقلا ، لأن الأولى أقرب الى علاقاتهم التاريخية وحيزهم الفضائي الشاسع هنا وهناك ، ومهدهم الأصلي ، وبعض فروعهم اللغوية ، واللغة الأم لهذه اللغات ، ... ونحو هذا ، والثانية تتعلق بالتداخلات اللغوية السامية بلاقتها بالعربية ، واندارسين العرب القدماء ، وعلاقة هذه الدراسات بالدرس اللغوي المقارن عند العرب ...

ان العلاقات العرقية والتاريخية ثابتة بين الساميين عبر تاريخ كل الشعوب

السامية وما يتصل بها من أحداث محليـة وجهوية ودوليـة ،

وأهم ما في المسألة بالنسبة لنا هو الحيز الفضائي لهذه الدول أو الشعوب ، وأعني بـه هنا المهد الاول لهم وما يتصل بها من تنقلات وهجرات من منطقة الى أخرى .

والاصعب في هذه النقطة بالذات يتجلى في ذلك الحيز الفضائي الشاسع لهذه الشعوب ،لان هذا المهد غير قار في منطقة واحدة أو حتى قارة واحدة ،لان بعض الدارسين لا يتردد في ترجيح هذا المهد خارج الشرق الأدنى .

ومصطلح ((السامية)) تسمية ظهر في صرح الابحاث للمرة الأولى عام 1781 في دراسات المستشرقين ، حيث قال المستشرق شلوزر : ((من المتوسط الى الفرات ، ومن بلاد بين النهرين الى شبه الجزيرة العربية تسود ،كما هو معروف ، لغة واحدة . وعليه فالسوريون والبابليون والعبريون والعرب كانوا أمة واحدة . والفينيقيون الحاميون أيضا يتكلمون بهذه اللغة التي أود أن أدعوها ((ساميـة)))) (1) .

أما الحيز الفضائي لهذه الشعوب فقد حدده العلماء ((بجبال آسيا الصغرى وجبال ايران والخليج الفارسي والمحيط

---

1) من الساميين الى العرب ص : 9 نسيب وهيبة (دار مكتبة الحياة ـ بيروت)

ونشير الى ان شلوزر استوحى هذه التسمية من التوراة التي كانت في العصر الوسيط مرجعا تقليديا للغربيين .

الهند ي والبحر الا حمر والبحر المتوسط الى مينا ء اسكندرون ؛) (1)

وهـذ ا النص ، كما ترى ، يستثني القارة الا فريقية ، غير أن احدث النظريا ت التي قا ل بها نولد كه منذ عا م 1887 ، وهو البا حث الا كبر في هذ ا الميدا ن ، ترى أن ا فريقية هي الموطن الا صلي للساميين ، بسبب التشا به الكبير الحا صل بين اللغتين : السا مية والحامية ، وأخذ بهذ ه النظرية بعده غير واحد من البا حثين (2) ، حتى وا ن كنا نعتقد أن التشا به اللغوي نشأ من الا صل وليس من الفرع أي قبل ا نفصا ل ما يسمى بالشعب الحا مي عن الشعب السا مي ، اذ لا يمكن أن نتصور مهد ين اثنين مختلفين لهما وهما من أرومة أو عا ئلة وا حد ة .

والى جا نب النظرية اللسا نية ، فهنا لك النظرية الطبيعية التي والا نثروبولوجية التي ترجح نشأة الا نسا ن في هذ ه القارة قبل غيرها من القارا ت المجاورة ، ومن اشهر هؤلا ء المرجحين دارو ين نفسه ، ولا سيما الدكتور ((ليكـي)) الذ ي يرى أن الحيا ة وجدت على سطح هذ ه القارة منذ عشرا ت ملا يين السنين (3) .

ولعل أقد م نص تورا تي يشير الى هذ ه المسألة ما ورد في سفر التكوين (الا صحا ح الحادي عشر) : ((وكا نت الارض كلها لغة وا حد ة وكلا ما واحدا وكا ن أنهم رحلوا من المشرق وجدوا بقعة

---

1) م س.ص : 6

2) م.س.ص : 11

3) م.س . ص : 11

في ارض شنعار فأقاموا هناك . وقال بعضهم لبعض(أبناء نوح): تعالوا نصنع لبنا ونشويه طبخا. فكان لهم اللبن بدل الحجارة والحمر كان لهم بدل الطين . وقالوا : تعالوا نبن لنا مدينة وبرجا رأسه الى السماء فنزل يهوه لينظر الى المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنونها . وقال يهوه : هوذا هم شعب واحد ،وهذا ما أخذوا يفعلونه . هلم نهبط ونبلبل هناك لغتهم حتى لا يفهم بعضهم لغة البعض . فبددهم يهوه من هناك على وجه الارض كلها ،وكفوا عن بناء المدينة ،ولذلك سميت بابل ،لان يهوه هناك بلبل لغة الارض كلها)) (1) .

واضح أن هذا النص يجعل المهد الاصلي للشعوب السامية الاولى أرض العراق ، غير أن ما نميل اليه مرتاحين أن المهد الاول للساميين هو شبه الجزيرة العربية ،وهذا ما رجحه الكثير من الباحثين على المستوى الطبيعي والجيولوجي والانتروبولوجي والتاريخي وحسب ما تقتضيه طبيعة الاشياء ،ومن هؤلاء العلماء دوسو الذي يعتبر الفتح الاسلامي لسوريا خامس موجة لهجرات العرب ، مما جعل العلامة كانتاني يعزى بهذه النظرية من خلال اتخاذه طبقات الارض دليلا على خصوبة شبه الجزيرة العربية ((حيث كانت تروي أرجاءها

---

1) التكوين : 10 - 14

أنهر ثلاثة ، وان الجفاف الذي تلا عهد الخصب ، وحول أرضها الى الصحاري الحاضرة ، اضطر سكانها الى الهجرة)) (1) .

وعلاوة على استشهاد فليش بالعلم بالعالم كونتنو الذي يرى ان افتراش شبه الجزيرة العربية ليس بعيد الاحتمال لان يكون المهد الاصلي للشعب السامي الاول ، فان هناك ارنست رينان الفرنسي وبركلمان الالماني اللذين ((يرجحان أن الموطن الاول للشعب السامي هو القسم الجنوبي الغربي من شبه الد الجزيرة العربية)) (2) .

على أي حال ، مهما كان اختلاف الناس اليوم في موطن اللغة الاول للساميين ، فان أحدا منهم لا يختلف مع الآخر في عهد العرب - ما قبل قبل الاسلام - ولغتهم ، وفي أن مصدر اللهجات العربية القديمة ما بادر منها وما بقي (3) يرجع الى السلالة السامية كمصدر أعم والى البيئة العربية كمصدر أخص ، ولا يهمني في هذه النقطة أولية كلا الموطنين بقدر ما يعنيني بالدرجة الاولى التعرف على هذين المصدرين ، لان الغموض ليس لصيقا بالعربية والعرب وحدهم ، بل يوجد سائدا بين عامة الشعوب القديمة ذات الحضارات العريقة .

---

1) م.س.ص: 10

2) فقه اللغة ص: 48 د.صبحي الصالح (ط:3/1968 دار العلم.بيروت)

3) لا نعني بما بادر منها أنه اندثر نهائيا ، ولكن أطلقنا هذا اللفظ تماشيا مع المصطلح التاريخي او النسبي ((العرب البائدة))

ومما هو قريب من العقل والمنطق أن اللغات السامية قبل تشعبها تشعب متكلموا وتفرقهم في الأمصار المتنائية كانت ترجع الى أصل واحد ،وتشكل بمجموعها وحدة شعبية ((الا أنه من العسير جدا تعيين زمان الأصل وتحديد هذه الوحدة)) (1) .

والختم التوراتي السابق لا يعدو مؤشرا في فطنة عريضة من الدارسين الذين يميلون الى أن الأصل السامي الذي تفرعت منه الألسن السامية هو اللسان البابلي ((الذي عثروا على بقيته من آثار دولة حمورابي ... لانهم رأوا مشابهة قريبة بين هذا اللسان وبين العربية ،بل رأوا كلمات في العربية كأنها نقلت عن البابلية نقلا صريحا ،مع أنها في العبرانية والسريانية قد دخلها التحريف)) (2) .

ان دولة حمورابي العربية تهيمن على الأمر منذ سنة 2460 ق.م وفق أحدث الآثار المكتشفة عام 1904 ،وربما أقدم بذلك بكثير بالنسبة للجنس العربي السامي (3) ،لان بعض أصحاب من يرجعون الجزيرة العربية مهدا أول للساميين يذهبون الى أن ((جميع الأمم السامية هم من العرب ،وانهم خرجوا من جزيرتهم

---

1) فقه اللغة ص: 46 د. صبحي الصالح

2) تاريخ آداب العرب : 1/ص: 70 - 75

3) انظر المرجع السابق ص: 47 - 48

الى ما يجاورهم من البلاد في شكل موجات بشرية بين كل واحدة وواحدة ما يقرب من ألف سنة ، ولكن أول موجة كانت موجة الأكاديين ، وآخر آخرها كانت موجة العرب المسلمين) ، (1)

أما الشعوب السامية المتشاركة لغاتها ولغتها ، فهي كثيرة اذا اخذنا بعين الاعتبار كل القبائل ، لكننا نجتزئ هنا بالالسن الاساسية أو المتهايئة أزمنة وحتى أمكنة ، على أننا سنلخص هذه الالسن وما تفرع عنها [illegible] ، وهذه الألسن : (2)

1) اللغة الأكادية التي هاجر أصحابها من الجزيرة العربية الى العراق حوالي سنة 3500 ق.م

2) اللغة الكنعانية التي يعتقد أن شعوبها نزحوا من الجزيرة العربية أيضا زحفة سنة 3500 ق.م ، حيث استوطنوا بلاد الشام .

3) اللغة العبرية ، ويراد بأصحابها جملة الشعوب التي تنتسب الى ابراهيم الخليل ، وهي قبائل كانت تتجول في صحراء سيناء وشمال الحجاز الى أن استقروا على فلسطين حوالي نهاية القرن الثالث عشر قبل الميلاد .

4) اللغة الآرامية وأصحابها هاجروا كذلك من الجزيرة العربية صعودا نحو الشام حوالي القرن التاسع عشر قبل الميلاد .

5) اللغة الجعزية ، ونزولها قبائل سامية نزحت من اليمن الى بلاد

---

1) الوجيز في فقه اللغة ص: 32 . محمد الانطاكي (ط 2 ، دار الشرق بيروت)

2) يرجى النظر في المرجع السابق ص: 82 - 100 .

الحبشـــة ،وأسست ملكا لها عاصمته أكسوم ، ومما يراه المختصون أن اللسان الجعزي هـو شديد الشبه باللغة السبئية، الى درجـــة أن بعض المستشرقين عد اللغتين لغة واحدة .

5) اللغـــة الاحـــارية ، وأصحابها هم من تغلبوا على مدينة أكسوم السابقة سنة 1270 م ،وعلى الرغم من كون هذا اللسان لغة سامية لا يرقى اليها الشك ،اذ أنها متأثرة بالصيغة الحامية،وبعد صراع بين في الحبشة بين اللغتين : الجعزية والاحارية كتب الفوز لهذه الاخيرة بفعل الفوز السياسي ،لانها اللغة الرسمية الى يومنا هذا للدولـة الحبشيـــة .

7) اللغـــة العربيـــة ،

لكـــن ما هي اللغة الأم لهذه اللغات السامية ،لانه من غير العكس أبدا أن تكون كلهتا أصلا ،وفي الوقت نفسه تكون فـــرعـــا ؟ من العسير جدا اعطاء جواب علمي دقيق لمثـــل هذا السؤال ، بل طرحه يعتبر أمرا مخيفا ومحيرا .

وفي هذا يقول الدكتور علي عبدالواحد وافي: ((كما اختلف العلماء في الموطن الاول للأمم السامية ،اختلفوا كذلك في اللغة الاولى التي كان يتكلم بها الشعب السامي أيام أن كـــان أبناؤه مجتمعين في موطـــن واحـــد .

فكان أحبار اليهود في العصور القديمة يعتقدون أن العبرية هي أقدم لغة انسانية ... وذهب بعضهم الى أن الآشورية البابلية هي أقدم اللغات السامية ،ولم يقدم أصحاب هذه النظرية دليلا يعتد به .... وذهبت طائفة من المحدثين،وعلى رأسها العلامة أولسهوزن .. الى أن اللغة العربية هي أقرب اللغات السامية الى اللغة السامية الأولى)) (1).

ان معظم ما نعرف من أحوال عن اللغات السامية قديمها وحديثها أنها لم تظل في حيز فضائي جغرافي منغلق أو ضيق ، بل غالبا ما نجد فضاءاتها شاسعة الاطراف ، فاضة الاحداث، ... فالبابلية - الآشورية مثلا عد على الرغم من نصوصها المكتشفة والتي تمثل أول قانون تشريعي على وجه المعمورة ، كانت أن سبقت بلغة أخرى عظيمة فيما بين النهرين ،وأعني بها اللغة السومرية ، ومما هو مؤكد أن اللغتين الغالبة والمغلوبة كلتيهما تأثرت الواحدة بالأخرى ،... والعبرية ليست مستقرة عبر تاريخها الطويل المعلوم والمجهول .. ومن أجل هذه العوامل وما يشبهها ،وجدنا رأيا سائدا لدى معظم المحدثين من علماء الاستشراق بأن ((اللغة العربية قد احتفظت بكثير من الأصول السامية القديمة في مفرداتها وقواعدها ،وأنه لا تكاد تعدلها في ذلك أية لغة سامية أخرى)) (2).

---

1) فقه اللغة ص: 14 - 15 د.وافي (ط: 7. دار نهضة مصر - القاهرة)

2) م.س. ص: 16

وتظل المسألة في هذا الباب أغمض من أن توضح ، فضلا عما يكتنفها من تناقضات وأوهام وعواطف عرقية وأحقاد تاريخية بعيدة كل البعد عن الموضوعية العلمية ، فالاوروبيون لم يضرهم ، وهم في أوج حضارتهم ، أن اكتشفوا الاصل اللساني للغاتهم ، مجمعين على سنسكريتيته بفضل الدرس اللغوي المقارن .

ويزعم الكثير ان اللغات السامية كلها تعود الى ثلاثة أصول ، الآرامية ، والعبرية ، والعربية ، مثلما يردون اللغات الآرية الى ثلاثة أصول أيضا : اللاتينية ، واليونانية ، والسنسكريتية ((وكل من هذين النوعين بأصوله يرد عندهم في الاشتقاق الى لغة مفقودة يتوهمونها انفصلت عنها هذه اللغات ، فكانت متشابهة في أول عهدها ، جعلت تتنوع وتتباين حتى قلت وجوه المشابهة الا ما يكون من قبيل الدلالة التاريخية على وحدة الاصل)) (1) .

ان مثل هذا التشبيه ليس له أي أساس علمي ، لكن البعض يحاول أن يخضع الموضوع الى المنهج دون دليل مادي ملموس ، لان اشكال الاصل سائد بقوة حتى على مستوى اللغات السامية ذاتها فكيف بمقارنته بأصول لغوية خارجية عنها توهما ؟ ومع ذلك فان البعض يرى أن الاصل السامي الذي انشقت منه اللغات الثلاث السابقة المزعومة أصلا لكل اللغات السامية الاخرى ، انما هو اللسان

---

1) تاريخ آداب العرب : 1/ ص : 75

البابلي القديم على أنهم رأوا مشابهة قريبة بين هذا اللسان وبين العربية ((بل رأوا كلمات في العربية كأنما نقلت عن البابلية نقلا صريحا ، مع أنها في العبرية والسريانية قد دخلها التحريف، وعللوا ذلك بأن العربية بادية ، فهي قلما تتغير كلغات الحضر التي تتنازعها التهجية لغيرها ،... فمن المشابهة بين البابلية والعربية ، حركات الاعراب ، وهي في اللغتين واحدة ،ولا وجود لها في سائر اللغات السامية ،حتى لقد جاءوا يذهبون قبل ذلك الاكتشاف الى أنها من اختراع العرب)) (1) .

أما الدكتور محمود فهمي حجازي فيلخص المسألة في الاصل السامي لهذه اللغات بقوله : ((ان الحديث عن العربية واللغات السامية الأخرى طويل ، ولكننا نكتفي بأن نقرر مع هنا مع الباحثين أن العربية قد احتفظت بعدد من الظواهر اللغوية التي تفوق الهجرة الأكادية سنة 2500 ق.م قدما ، وأن مقارنة العربية باللغات السامية الأخرى توضح جوانب الاشتقاق في كثير من الأمور التي حار اللغويون في الفصل فيها ،وأن هنالك تطورا عرفته اللغات السامية في الاصوات والصيغ والدلالة ، وفوق هذا وذاك ، فالعربية هي أقرب اللغات السامية الى اللغة الأم ، ومن ثم فهي أساس المقارنات)) (2).

---

1) م. س.ص: 76

2) العربية عبر القرون ص: 28 د. محمود فهمي حجازي

وأما الباحثة جرجي زيدان المعروف بتضلعه في هذه الدراسات أن أمّ هذه اللغات ، والتي تسمى اللغة السامية أو الآرامية (1) ، ((تم نموّها ، فتكونت أفعالها ، وأسماؤها ، وحروفها ، واشتقاقاتها ، ومرادفاتها قبل أن يتشتت أهلها ، أو نزحوا الى فينيقية ، وجزيرة العرب ، وما بين النهرين ، حيث اختلفت لغة كل قوم منهم بعد ذلك النزوح ، باختلاف أحوالهم ... فتولدت منها اللغات السامية المعروفة)) (2).

ويقول في موضع آخر : ((من الحقائق المقررة ، أن العربية والعبرانية والسريانية ، كانت في قديم الزمن لغة واحدة ، كما كانت لغات عرب الشام ومصر ، والعراق ، والحجاز في صدر الاسلام. فلما تفرق الشعب السامي ، أخذت لغة كل قبيلة تتنوع بالنمو والتجدد طبق مقتضيات أحوالها ، فتولدت منها لغات عديدة ... أشهرها اليوم العربية ، والعبرانية ، والسريانية ، كما تفرعت عربية قريش بعد الاسلام الى لغات الشام ، ومصر ، والعراق ، والحجاز (3) وغيرها)) (4).

---

1) لقد نبه الاستاذ جرجي زيدان على هذه المسألة إلى أنه من الخطأ أن نعتبر الآرامية أم اللغات السامية ، لانه ثبت أن هذه الأخيرة ليست الا واحدة من اللغات التي تفرعت عن اللغة السامية الأصلية.

2) اللغة العربية كائن حي ص 28 ، جرجي زيدان (دار الهلال)

3) كأن الاستاذ جرجي زيدان يحسب أن لغة الحجاز ليست هي لغة قريش وذلك من خلال هذين النصين ، ومهما يكن فان الحجاز هي المنطقة الشاسعة التي انطلقت منها العربية نحو المناطق التي ذكرها.

4) نفس المصدر ، ص ، 48 ، 49

ولعل الباحث محمد عطية الابراشي لم يكن بعيدا عن جادة الحقيقة العلمية حين قال : ((ليس من السهل أن نعرف اللغة السامية الاولى معرفة حقيقية ، وان كان من الممكن معرفة الكلمات والتراكيب المشتركة في اللغات السامية على العموم ، تلك الكلمات والتراكيب التي تدل على أن أصلها واحد ،وهو لسان سام بن نوح (1) ، وعلى أنها كانت جزءا من اللغات السامية الاولى ، تلك اللغة التي لم يصل الى معرفتها أحد)) (2) .

ويقول سبرنجر :"((ان الساميين جميعا طبقات متتابعة من العرب)) (3) ،ثم يأتي اللغوي الآخر ((سيس)) فيعضد في كتابه " الأجرومية الآشورية " نظرية سبرنجر قائلا : ((ان كل التقاليد السامية تدل على أن بلاد العرب هي الموطن الأصلي للساميين ، فهي الارض التي ظلت منذ قرون متوغل في القدم خاصة بهم)))(4) .

وأما ((د ي جوج)) فيرى من وجهته رأيا لا يبعد عن رأي اللغويين السابقين مختصره أن ((الجوالبديع لبلاد العرب الداخلية والجمال الجسمي للعرب يدلان على حقيقة لا نزاع فيها ،

---

1) اننا لا نفهم من هذا التركيب (لسان سام بن نوح) أن اللغة السامية كلها ترجع الى سام بن نوح وحده ، ولا نفهم من هذا المنشأ الأول لهذه اللغة

2) الآداب السامية :ص:9 . محمد عطية الابراشي (ط:2/ 1984 دارالحداثة)

3) م.س.ص: 10

4) م.س.ع: ن.ص

وهـــي أن اللغة العربيـة تقـرب كثيرا من اللغـة الســا ميـة الأولى ،وتتصـل بهـا أكثر من اللغات السا ميـة الأخرى)) (1) ،

ا ن الآ را ء ما قـد م منها ومـا حد ث لا تكـا د تنتهـي حـول هذ ه الا شكـا ليـة الغا مضة المرتبطة ـ بعـا ص مطموس ومجهول المعالـم واللذ ين لا يرجعا ن الى هذه الا شكـا ليـة في حد ذا تها ،أي الى العهد الاو ل لهذا الشعب السا مي العظيم ولغته الاولى ، بقـد ر ما يعودا ن في حقيقـة أ مرهما الى تاريخ هذه الشعوب الموغلـة في القد م ،لا ن كـل ما اكتشـف من آثار ما د ية لسا نيـة كـا نت أ م حضاريـة لهذ ه الشعو ب يـد ل على أ ن تاريخ هـذه الشعوب هي أبعد وأعـمق مـما تترجمـه لنـا تلك النقوش أ و المخلفـا ت الحضاريـة ،

الا أن معظم النظريا ت تميل أ وتكـا د تتفق ا تفا قـا وا حد ا يتجلـــى في ا عتبـا ر ؛

1) شبـه الجزيرة العربيـة مهدا أ ول للشعب السا مي ، بغض النظـر عن ايجـا د احد ى الجهـا ت من هذ ه الجزيرة ،والتي منه انطلقت الهجرا ت السا مية التاريخية الكبرى نحو الشمـا ل ،

2) اللغـة العربيـة أكثر وزنا وترجيحا لا ن تكون اللغة السا ميـة الأ م أ وعلى الأ قل ،هي أ قرب أ خوا تها الأ خرى قربا وا تصا لا باللغـة السا مية الأ م المجهولة التحديد لا المجهولة الهويـة ،متنا زلين عن الرأي السا ئد بأ ن جميع اللغات السا ميةأ خذ ت من العبرية أ والآ راميـة ،

---

1) م،س،ه ع: ن ،ص

الفصل الثاني : العلاقات اللغوية بين السامية

حين نعود اليوم الى الدراسات اللغوية الحديثة ، ولا سيما الى الأبحاث الأوروبية ،فاننا نجدها تتفق بأن الدرس اللغوي المقارن هو وليد القرن التاسع عشر ، أو بعبارة أخرى هو مرتبط باكتشاف اللغة السنسكريتية ،هذا الاكتشاف الذي أحدث انقلابا علميا شاملا ، حتى انه ليمكن اعتباره نهاية مرحلة عصر لغوي ، وبداية ظهور مرحلة عصر لغوي آخر .

الا أن شغل الدرس وهذا المنهج لم تجهله الدراسات الفقلغية (فقه اللغة) أو العلمغية (علم اللغة) العربية ، ففيها معالم كثيرة للمنهج اللساني المقارن لو طورها الدارسون العرب في اطار منهج مستقل لما تأخر هذا الدرس الى غاية القرن التاسع عشر .

ومع ذلك ، فان اللغويين ومن اشتغل في حقلهم ، وهم يدرسون اللغة العربية وما يتصل بها من تكلمات أجنبية لاحظوا أن هناك ظواهر لسانية تشترك في لغات متداخلة مع العربية ، وكان هذا منذ العصور الاسلامية الوسطى ، بل أبعد من ذلك ،حيث ان القراء والنحاة واللغويين من جميع الطبقات المبكرة الى جانب الفقهاء والمفسرين قد تجادلوا جدالا حادا ،كما وقفنا على البعض من هذا ، حول طبيعة عدة

ألفاظ وكلمات وردت في القرآن الكريم : أهي أجنبية على العربية أم هي عربية أم هي ألفاظ دخيلة عربت وصيغت وفق القوانين السائدة في اللغة العربية ؟ .

كما سبق أن لمحنا (1) أن أبا عبيدة وابن فارس الى جانب الامام الشافعي ،وابن جرير ... أن النص القرآني لم يحتو على ألفاظ أجنبية أو أعجمية - كما كانوا يسمونها أو دخيلة - . وليس معنى هذا أن هؤلاء العلماء المختلفين قبلوا أو رووا هذه الالفاظ الاجنبية الواردة في النص القرآني من خلال وصف القرآن الكريم نفسه بأنه عربي فقط ، بل عن دراية و دراسة لتلك الالفاظ التي دخلت العربية قبل نزول القرآن الذي تبناها لأ لفتها بينهم وتعبيرهم بها عن أحوالهم وأغراضهم ، ومثال هذه الكلمات التي هي ليست من اللسان أو أصل اللسان العربي : ((سجيل))و ((المشكاة)) و ((اليم)) و ((الطور)) ، و ((أباريق)) و ((استبرق)) وغير ذلك (2) .

ونحن اليوم حين نتصفح كتاب سيبويه الذي يعد ((أقدم وأصح كتاب لغة علمي ،فانا نجد صاحبه يرسم ما يمكن تسميته اليوم بتعليمية لغوية علمية واضحة .. مركزا حديثه فيها على ما قد يلحق الاسم الاجنبي المعرب من تغيير ..)) (3) خاتما تعليميته بقوله : ((هذه حال الأعجمية ، فعلى هذا فوجهها)) (4) .

---

1) راجع ص: 89 - 90 من هذا البحث

2) المعرب من الكلام الاعجمي ص: 53 الجواليقي (ط: 2/ 1969 مطبعة دار الكتب)

3) العربية بين الطبع والتطبيع ص :

4) الكتاب ج1 ص: 303

ويذهب أبو منصور الجواليقي الى أن كلا الفريقين مصيب في رأيه والكل ذهب الى مذهب ، أي منهم من ذهب الى الاصل فأنكر وجود هذه الالفاظ ، ومنهم من ذهب الى الفرع فأثبتها ، ومن هذا لفظة ((دست)) للصحراء ، وهي بالفارسية ((دشت)) حيث أبدلوا من الشين سينا ، ومثلها : ((سراويل)) و ((اسماعيل)) وأصلهما : ((شراوال)) و ((اشماويل)) وذلك لقرب السين من الشين في الهمس (1) .

وقال أبو علي الجوسي : ربما خلطت العرب في الاعجمي اذا نقلته العين لغتها ، ونجد بعض الاعراب قد فطن الى ما دخل العربية من ألفاظ أجنبية ، فقال هازئا : (2)

يقولون لي : شنبذ ، ولست شنبذا طوال الليالي أو يزول ثبير

ولا قائلا : زوذا لمعجل صاحبي وبستان في صدري على كبير

ولا تاركا لحني لأحسن لحنهم ولو دار صرف الدهر حين يدور

بينما قال الفراء : ((يبنى الاسم الفارسي أي بناء كان ، اذا لم يخرج عن أبنية العرب .)) (3) .

---

1) المعرب من الكلام الاعجمي ص : 55

2) السابق ص : 57 . والكلمات :

- شنبذ : يريدون ((شون بوذ ي)) .

- زوذ : اعجل .

- بستان : خذ (الشرح من المصدر أعلاه ص : 57

3) م.س. ص : 57

وذكر أبو حاتم أن بعض الشعراء أشال رؤبة بن العجاج والاعشى وغيرهما من الفصحاء ربما حلا لبعضهم أن يستعير كلمة أعجمية للقافية لتطرف ، لكنهم لا يصرفونه ،ولا يشتقون منه أفعالا (1) .

ولم تقتصر المقارنة من اللغويين العرب القدماء بين العربية وغيرها من اللغات الاجنبية على مستوى دون آخر ، بل شملت هذه المقارنة مختلف المستويات . من هذا قولهم :

- لم تجتمع الجيم والقاف في كلمة عربية ، ومتى اجتمعتا في احدى الكلمات ، فمعنى هذا أنها أجنبية ،وليست عربية .

- كما أن الصاد والجيم لا تجتمعان في كلمة عربية . ولهذا ،فان كلمة ((صولجان)) ليست عربية،و مثلها ومثلها : ((جص)) و((صنجة)) ...

- وليس في أصول أبنية العرب اسم فيه نون بعد ها را ، ولذا فان ألفاظا مثل ((نرجس)) و ((نورج)) ... ليست بعربية .

- كما لاحظوا أنه لا يوجد زاي بعد دال ،وعليه فالمهندس في العربية هي كلمة أجنبية .

- كما أن أحدا من الثقات لم يرو كلمة عربية مبنية من با ، وسين وتا ، فاذا لوحظ كلمة مبنية من هذه الاصوات الثلاثة فهي أجنبية.

---

1) السابق ص : 57 - 58

و أنشد للأعشى :

بساباط حتى مات وهو محرزق

فقالوا : ان لفظة ((محرزق)) معناها بالنبطية : محبوس ، وتنطق مختلفة صوتيا : ((هزورق)) ، وذكر أن الاصمعي كان يرويه ((محرزق بتقديم الراء على الزاي ، وكذلك رواه أبو زيد . وكان أبو عمرو الشيباني يرويه بتقديم الزاي على الراء ، فذكر ذلك لأبي زيد ،فقال : أبو عمرو أعلم بهذا منا ، يريد أن أبا عمرو أعلم باللغة النبطية ،لان أصله كانت نبطية)) (1) .

وقال الخليل بن أحمد ملخصا المسألة لمعرفة ما هو عربي مما هو أعجمي :((فان وردت عليك كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلق أو الشفوية (2) ،ولا يكون في تلك الكلمة من هذه الحروف حرف واحد أو اثنان أو فوق ذلك فاعلم أن تلك الكلمة محدثة مبتدعة ،ليست من كلام العرب ،لانك لست واجدا من يسمع في كلام العرب كلمة واحدة رباعية أو خماسية الا وفيها من حروف الذلق والشفوية واحد أو اثنان أو أكثر)) (3)

---

1) الاقتضاب في شرح أدب الكاتب القسم الثاني ص : 262 . البطليوسي (ط: 1982 الهيئة المصرية العامة للكتاب)

2) الحروف الذلق ستة : ر،ل،ن (تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم) . ف،ب،م (مخرجها من بين الشفتين خاصة)

3) العين ج : 1/ص : 53 . الخليل بن أحمد (ط: 1967 مطبعة الغاني ببغداد)

وعناية الدارسين العرب القدماء بمثل هذه الدراسات اللغوية المقارنة ظلت تصحب الفضاء الفكري والحضاري للغة العربية في مشرقها ومغربها ، من ذلك أن ابن حزم الاندلسي ربما يعتبر اليوم من أكبر الدارسين الذين أدركوا بمعرفة ووعي تامين هذا الضرب من الدراسة ،فالرجل علاوة على مناقشة أهل عصره من عرب ويونان ويهود بشأن تفضيل لغة على لغة ونحو ذلك ، فانه تعلم لغات مختلفة مثل السريانية والعبرية الى جانب اللغة اللاتينية .

وهو الى جانب تعلمه للغات أجنبية عديدة مكنته من ابراز رأيه في قضايا لسانية عامة وخاصة ، كان مولعا بمراقبة وتفحص الفروق اللهجية العامية أو ملاحظة التكلمات اليومية التي يسمعها حيثما حل وارتحل .

وهذا إتقانه للغات السامية الحية في عصره الى أن هذه اللغات كانت لغة واحدة ((ان الذي وقفنا عليه وطمئنا يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر لا لغة حمير ، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرس (احتكاك) كالذي يحدث من الاندلسي اذا رام نغمة أهل القيروان ، ومن القيرواني اذا رام نغمة الاندلسي ، ومن

الخراساني اذا رام نغمتها ، ونحن نجد من سمع لغة أهل فحص البلوط وهي على ليلة واحدة من قرطبة كاد يقول انها لغة أخرى غير لغة أهل قرطبة ، وهكذا في كثير من البلاد ، فانه بمجاورة أهل البلدة بأمة أخرى تتبدل لغتها تبدلا لا يخفى على من تأمله ، وهذا تصوير للتطوير الدائب لحياة اللغة لبل نهار)) (1) .

اننا أمام عالم دبالكتولوجي يطبق منهجا وصفيا علميا دقيقا قائما على التسجيل والملاحظة الواقعية لفئات المتكلمين الذين يستعملون اللغة في مختلف مستوياتها ومناطقها الجغرافية المتباينة وله ملاحظات تطبيقية وحية على أنواع شتى من التكلمات ، لا نريد أن نقف عندها ، لان ما يهمنا من وقفاته نظرته المقارنة للغات السامية واللاتينية .

لقد أدرك ابن حزم ادراكا لا يدع مجالا للشك بأن العربية والعبرية والسريانية تعود الى أصل واحد أو عائلة لغوية واحدة ، بل ذهب مذهبا بعيدا حينما يقرر أن السريانية أصل العربية والعبرانية معا (2) ، وهو قول غريب لم تقل به الدراسات اللغوية المقارنة للغات السامية بشكل قاطع بل لم ترجحه

---

1) نظرات في اللغة عند ابن حزم ص : 26 ، سعيد الافغاني (مطبعة البيان - بيروت)

2) م . ص . ص : 27

ويرجح المطلعون أن ابن حزم كان يعرف أيضا الا سبانيـــة التي كـانت في عهده ، وهو أمر ليس بالمستبعد ، ويصفه الا ستاذ سعيد الافغاني قائلا : ((فلما اطلعت على مخطوطـة التقريب لحد المنطق في تونس (وقد طبعت أخيرا في بيروت) ، أيقنت أنه يتقن اللا تينيـة ... كما عرف السريانيـة والعبرانيـة ، واذا فقد صدر في حكمه بنفي التفاضل بين اللغات عن اطلاع وعلـم ، ... وانا لنحيي انصافه وحريته حين يقـر بقصور المصطلح الذي وضعه عن المصطلح اللا تيني ، ولا يفعل هذا الا متمكـن في اللغتيـن وفي العلم ذاتـه)) (1) .

ولمـا وضع الرجل اسم الا ستفهام (مـا) قصد السؤال بـــه عن الجنس والنوع ، ووضع الاداة (أي) بغية السؤال عن الفصـل في المتساويات من حيث الجنس والنوع شعـر بفضل المصطلح اللا تيني في لغتـه مما جعلـه يتأسف قائلا بعد الجهد الذي بذلـه : ((واعلم أن اللغة العربيـة لم تمكـن العبارة فيها بأكثر مما ترى ، على أن السؤال بـ (مـا) والسؤال بـ (أي) قـد يستويان في اللغـة العربيـة ، وينوب كل واحد من هذين اللفظيـن عن صاحبـه ويقعان بمعنى واحد ، ومن أحكم اللغة اللا تينيـة عـرف الفرق بين المعنيين اللذين قصدنا في الا ستفهام ، فان فيها للا ستفهام عن العام لفظا غير لفظ الا ستفهام عن أبعاض ذلك العام بيمـا ن لا يختـل عن صاحبـه أصـلا)) (2) .

---

1) نظرات في اللغة عند ابن حزم ص/: 35
2) م.س.ص: 36

وغيرُ ابن حزم مَنْ كان يعرف غير العربية واشتغل في حقل الدرس المقارن ، فابن العبري كتب في النحو السرياني على غرار المفصل للزمخشري مستفيدا من دراسته الضليعة في النحو العربي منهجا وعلما ومادة .

((وهناك عدد من النحاة اليهود عاشوا في الاندلس ودرسوا في اطار الثقافة الاسلامية النحو العربي ، وألفوا كتبا في النحو العبري على غرار ما وجدوه عند العرب من دراسات ،... وفوق هذا وذاك فقد كان للنحوي العربي ابن حيان قصب السبق في محاولة تأليف نحو للغة التركية وآخر للغة الحبشية ، والحبشية من اللغات السامية)) (1) .

ونخلص من هذا الى أن الاشتغال بالدرس اللغوي المقارن ليس غريبا في الدراسات اللغوية العربية القديمة ، لكن الأغرب هو أن نجهل أو نتجاهل هذه المجهودات الأصيلة في هذا الميدان اذا قلنا مع القائلين بأن هذا النوع من الدراسات ظهر باكتشاف الصلة بين السنسكريتية واليونانية في نهاية القرن الثامن عشر (2). بل هناك حقيقة لا بد من الاعتراف بها والاشارة اليها ، وهي أن جل الدراسات اللغوية العربية القديمة من تأليف وتفسير ودلالة ... لا تخلو من مثل هذه المقارنات باعتبار تداخُل العربية بغيرها من أخواتها الساميات ، سواء شعرنا بذلك أم لم نشعر .

---

1) العربية عبر القرون ص : 17

2) يراجع هذا الاكتشاف في : البحث اللغوي عند اليهود ص : 18 - 21 للدكتور أحمد مختار عمر (ط: 1972 دار الثقافة - بيروت)

وتبعا للحيز الفضائي السامي الشاسع والممتد عبر أزمنة متقادمة ما هو مجهول منها أكثر مما هو معلوم ، وصوب أمكنة متنائية ومتنازع فيها من المقيمين والظاعنين ثم من المؤرخين والدارسين ، فإن التداول للغة الشا السامية الاولى لا شك أنه كان يتطور ويتفرع في كل اتجاه داخلي وخارجي سواء تعلق الامر بمؤثرات خارجية أو بعوامل لسانية داخلية ، لان ايقاع التطور للغة من اللغات يختلف باختلاف الظروف والملابسات ، وهذا التطور لا يلحظه الناس مطلقا خلال جيل واحد أو حتى أجيال متقاربة أو محافظة ((الا أنه في نهاية المطاف تطور سريع ، لأننا في حقل ملاحظتنا التاريخية ، منذ استعمال الكتابة التي يعود تاريخها الى حوالي خمسة آلاف سنة في الحواضر المتقدمة ، والتي ترقى الى ما قبل التاريخ ، استنادا الى نتائج الابحاث اللغوية المقارنة ، كثيرا ما تطالعنا لغات تظهر ولغات تضمحل . وأما في شأن اللغات التي نستطيع متابعة تاريخها فاننا نراها تتشعب في الغالب وتتفرع ، ونلاحظ ان الأنظمة التي تتطور تتجه نحو التبدل ، حتى لتمسي غالبا مختلفة اختلافا جذريا عما كانت عليه في الاصل)) (1)

---

1) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص : 80 (ط : 1 / 1979 دار ابن خلدون - بيروت)

غير أننا لا نستطيع أن نقول مع القائلين بأن لغة تظهر وأخرى تضمحل ، الا اذا كان يتعلق الامر بعائلات لغوية متصارعة على البقاء ومن أصل مختلف جنسا ولسانا ، أما اللغات السامية فهي مختلفة عن هذا الصراع لانها تعود الى أصل جنسي واحد ، والى وحدة لسانية أصلية واحدة ، فمن هنا نستطيع القول بأنه حتى اللغات التي كانت تتلاشى انما كانت تضمحل من الداخل ،ولذا فيجب الحذر حين نعود الى التراث السامي الحي كالتراث الادبي واللغوي العربي الذي نجده متداخلا مع ألفاظ سامية ليست بالقليلة ، وهذه اللغة الاولى وما تبعها أو خلفته من لهجات امتدت واتسعت مع انتشار أهاليها في جميع بلاد الشرق الادنى وحوض البحر الابيض المتوسط لتستقر منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد مع أبنائها الفينيقيين في احد بلدان المغرب الامر الذي مهد المناخ العام فيما بعد للفتح العربي الاسلامي وتعريب هذه البلدان .

وباعتبار الصلة الوثيقة بين هذه اللغات ، فانه ظلت على مر التاريخ تخدم بعضها بعضا ، فاذا كان فضل العربية الباقية على أخواتها الساميات لا يشك فيه أحد لاحتفاظها بخصائص لغوية مشتركة هي في غاية الاهمية للدراسات المقارنة والتاريخية ،

فان بعضها الآخر اتخذ كأداة أو وسيلة وصل في نقل تراث انساني متعدد من لغات أجنبية إلى اللغة العربية مثل اللغة السريانية التي زعم ابن حزم أنها أصل للعربية والعبرانية، كما أن اللغة النبطية قدمت خدمات جلى للعربية القديمة حيث كانت منطلقا للكتابة العربية المبكرة التي تطورت الى هذا الخط العربي الذي نعرفه على شكله الحالي .

ومن ناحية العلاقات التركيبية أو البنى الداخلية للغات السامية ، فانها تتبلور في بنيات داخلية تتعلق بالتوزع والأحداث التي تتعكر على أنظمتها الصوتية والصرفية والدلالية والمعجمية ، ولعل ما نُقدم في ثنايا هذا الفصل من اشارات مقارنة يمكن اتخاذه هاديا من روافد الوقوف على مثل هذه الأنظمة اللغوية من وجهة التقاطعات الخارجية ، غير أننا نريد أن نجتزئ بما ذكرنا في هذا الفصل الذي خصصناه للعلاقات اللغوية بين اللغات السامية التاريخية أو المشهورة وما أثير حولها من جدالات لننتقل الى ما يربط هذه اللغات من وجهة داخلية ، وذلك من خلال :

آ ـ البنية السانتكسية : structure syntaxique

ب ـ البنية المورفولوجية : structure morphologique

ج ـ البنية المعجمية : structure lexicale

د ـ البنية الدلالية : structure sémantique

هـ ـ البنية الصوتية : structure phonétique

لا في البنية السانتكسية :

من خلال الوقوف على مدونة لأية لغة انسانية ،يتبين أن أنظمتها التي تتمثل في بناء هيكلها التواصلي لا تثبت على حال واحدة ،من ذلك مثلا تعذر الفرنسية ان تظل محتفظة بقواعد التصريف اللاتينية التي علاقة الأسماء فيما بينها ، وفيما بينها وبين الأفعال)) (1) . وبالمثل ، فان لغة أخرى كاليونانية استغنت تماما عن صيغة التثنية في وقت مبكر من عمرها التاريخي ، واذا التفتنا الى نص الخليل بن احمد السابق نجد أكثر هتافا ، فانه يجب من هنا أن ننطلق من هذه الملاحظة اللسانية العامة والدقيقة ، فالخليل ذكر على أن احدا من العرب لم يسمع في كلامهم كلمة واحدة مصراة من حروف الذلق والشفوية اذا كانت رباعية أو خماسية ، لان اللغات السامية غير الغربية معنية بهذه الملاحظة ،حتى وان كانت العربية استأثرت أصوات الذلاقة فيها بالمكان المتميز الظاهر .

وعليه ،سواء كانت السامية الغربية هي الأصل المحتمل أو الأكثر احتمالا للسامية الأم أو ليست الا احدا هاء فان مجموع اللغات السامية قد (استأثرت بخاصية تميز أصوات الذلاقة فيها ،فلم تخل منها ، أو قل من بعضها ، لغة سامية معروفة ،كالبابلية والآشورية ،والآرامية ، والحبشية والعبرية ،ولغات جنوب الجزيرة ،بل دخلت في تأليف مفرداتها ،وأثبتت الدراسات المقارنة أن الضمائر وأسماء الاشارة ،

1) دراسات لغوية في ضوء اللسانيات ص : 85

ومفردات أعضاء الجسم ، وجمهرة من الافعال والاسماء والحروف تتفق في أبنيتها ، ونلاحظ من بينها أن الحروف المذلقة تتخذ مواقعها في أماكن واحدة منها جميعا) (1)

ويجب أن نعترف بأن الوقوف على هذه العلاقات اللغوية فيما بين الساميات يعني أننا لا نقف على ظواهر منها الا بفضل التعارضات في البنية الصوتية من جهة وما يتصل بهذه اللغة من اشتراك لفظي وتضاد وحقيقة ومجاز من جهة ثانية ، ولذلك قد نجد أحيانا أن بعض الجوانب من هذه الدراسات المقارنة متداخلا .

ان اللغات السامية تشترك بوجه عام من الخصائص الدالة على وحدة أصلها ، وتتباعد في خصائص أخرى تدل على تطورها المستقل - ولو نسبيا - كوحدة لغوية ذات ظاهرة متفردة أو ذات متكلمين بعدت الهوية التاريخية بينهم وبين من تقدموهم من الساميين الموحدين لسانا ومتاخا .

وهي تتميز عن سواها من اللغات بأن أصول كلماتها غالبا ما تتألف من ثلاثة أصوات ساكنة (س.ك.ن) ، حتى وان كان بعض العلماء يجنح الى حقيقة أخرى أي يقول بثنائية هذه الاصول فيها ، وذلك كالأب مرمرجي الدمشقي الذي كان يرد الثلاثي الى الثنائي لأنه يرى أن الثلاثي متفرع عن الثنائي (2) ، وأما القائلون

---

1) الاستاذ ص : 268 (مجلة جامعة بغداد ع: 2/ 1978 - 1979)

2) فقه اللغة ص : 40 ، 41 د. صبحي الصالح .

ثلاثيتها فانهم يردون الرباعي فيها الى الثلاثي ذاهبين الى أن تخرج أصلها دحرج أو درج مثلا.

ويلخص هذه المسألة الدكتور علي عبدالواحد وافي بقوله :

((فبعض الاصول السامية يتألف من صوتين فقط. ويصدق هذا على بعض الحروف (عن ،قد ،بل ،..) والضمائر (هو ،هم ،..) وأسماء الشرط والموصول والاشارة (من ،ذا ،..) وبعض أسماء الذوات (يد ،دم ،..). وثم أفعال لا يبقى منها الا حرفان في معظم وجوه تصرفها .. وهذا يدل على أن المعنى العام يتوقف في هذه الافعال على صوتين فقط ،..)) (1).

وهكذا ،فان المعنى العام ، حسب النص أعلاه ،يتعين بصوتين فقط ،وأما الصوت الثالث فانه يحدد هذا المعنى العام ويوجهه وجهات خاصة (2). أما ماعدا هذا المعنى العام فيشار اليه بأصوات مد طويلة أوبصوائت طويلة أو صوائت قصيرة (فتحة ،ضمة ، كسرة). فنوع الكلمة وهي اسم أوفعل أوحرف أو اسم فاعل أواسم مفعول ،.. أو كون هذه الكلمة مفتدية أولازمة ،مفردة أوثنى أو جمعا ،... وأزمنتها المختلفة ماضيا أوحاضرا أو مستقبلا ،... ووظيفتها داخل الجملة وهي فاعل أومفعول أوحال

---

1) فقه اللغة ص: 17 .. وافي

2) سنعود الى هذا الموضوع ونحن نتحدث عن البنية المعجمية .

أو تمييز ، أو نعت ، ... الخ ، كل ذلك ((وما إليه تعتدل عليه في اللغات السامية أصوات مد طويلة أو قصيرة تلحق جميع أصوات الأصل أو بعضها)) (1) .

ومن خلال النقوش والنصوص القديمة للأكاديين ، والتي ترجع الى أكثر من خمسة وأربعين قرنا ، يتضح لنا أن هؤلاء كانوا يعتبرون الحركات الثلاث أو الصوائت القصيرة شيئا أساسيا في كتاباتهم ، وبالتالي في نطقهم العادي ((وكل هذا في نفس الخط ونفس السطر لا فوقه ولا تحته ، فالرمز المقطعي يدل على مقطع كامل دون امتهان أو استخفاف بالحركات ... فمعظم الاسماء الاكادية وصلتنا في النقوش المسمارية في ثلاث صور : أحداها بحركة هي الضم ، والثانية بحركة هي الفتح ، والثالثة بحركة هي الكسر ، ومعنى هذا يتتبع سياق هذه الحالات الثلاث وجود نهايات اعرابية في الأكادية على النحو الثلاثي الذي نعرفه في العربية ، ومعنى هذا بالنسبة لتاريخ اللغة العربية أن ظاهرة الاعراب تفوق الهجرة الاكادية قدما ، وأن الاكاديين خرجوا بهذه الظاهرة من مهد الساميين ، فالاعراب في العربية والاكادية أقدم من سنة 2500 ق.م ، وعمره أكثر من خمسة وأربعين قرنا)) (2) .

---

1) فقه اللغة ص : 19 د . وافي

2) العربية عبر القرون ص : 25

أما في الجنس ، فان الدكتور ابراهيم السامرائي يخلص الى القول وهو يقيم مقارنة للجنس في اللغات السامية ((الى أن التأنيث بالعلامة طارئ في العربية من الناحية التاريخية كما هو طارئ في غير العربية من إخواتها الساميات)) (1) .

ولا نريد أن نقف عند هذه المسألة طويلا ولا حتى قليلا ضمن العربية والساميات لان الاشكالية المطروحة في العربية وحدها تستحق مجلدا أو مجلدات ، ولذا فاننا نكتفي هنا بمقارنة الجنس بما يقابله في اللغات السامية .

فكلمة ((الجمل)) عادة ما نحسب أنها مذكر لان مؤنثها ناقة ، لكن بعض المعاجم تفيدنا أنه يطلق على المذكر مثلما يطلق على المؤنث (2) ،وفي العبرية جمل وفي السريانية جملا يدل على المذكر والمؤنث (3) ، ومثل الجمل كذلك ((البعير)) فهو يشرف للمذكر والمؤنث ،وهو في العبرية ((بعير)) مذكر ،وفي السريانية ((بعيرا)) مؤنث ،ويراد به جميع الدواب العاملة .

---

1) مباحث لغوية ص : 134 د . ابراهيم السامرائي
(ط: 1971 مطبعة الآداب في النجف الاشرف)

2) يراجع هذه المادة (جمل) في لسان العرب مثلا

3) مباحث لغوية ص : 135 - 136

ـ الحمار : وهو مذكر ،ومؤنثة أتان ،وهو في العبرية ((حمور)) للمذكر و ((أتون)) للمؤنث ،وفي السريانية ((حمارا)) للمذكر و ((أتانا)) للمؤنث ، على أن ((حمارا)) السريانية قد تنصرف للمذكر والمؤنث .

وهناك ألفاظ أخرى كثيرة مشتركة ،وخاصة تلك الالفاظ التي يرتبط نموّها بنمو الحياة في أي بيئة اجتماعية بدائية ،ومن أعضاء الجسم مثلا : اليد ، وهي مؤنثة في العربية وكذلك في العبرية الا شذوذا ، أما في الآرامية الانجيلية فهي للجنسين على الرغم من وجود جنس واحد أي يجوز فيها التذكير والتأنيث . أما الرجل فهي مؤنثة في أغلب اللغات السامية، وأما الذراع فهي مؤنثة في العربية والعبرية ، أما ((دراعا)) السريانية فهي مذكر ، وأما الاذن فهي مؤنثة في العربية وسائر اللغات السامية ...الخ (1).

ظاهرة الاختلاف في الجنس ثابتة بين اللهجات العربية على مستوى الفصحى نفسها ،وليس فقط بين العربية وأخواتها أو بناتها الساميات ،وهي من الظواهر اللغوية التي استقصيت بحثا ولم تعط حتى الآن تفسيرا مقنعا ، والأهم أن الساميات تتشابه في الصفة وفي الجنس باضافة تاء التى المذكر،وهذه الخاصة موجودة أيضا في الحامية(2)

---

1) يراجع : مباحث لغوية ص : 136 ـ 138

2) فقه اللغة ص : 21 د . وافي

وعلاوة على اشتراك أو تقارب الساميات في الجنس الذي يعد موسوعة معقدة على مستوى لغة واحدة كالعربية ،فانها تتفق أحيانا في القواعد السانتكسية ،على الرغم من وجود مميزات خاصة بكل لغة منها ، لكن الأهم عندنا في هذه المقارنة هو وجود الظاهرة السانتكسية في حد ذاتها وليس شكل أو رسم هذه الظاهرة التي نجد اختلافها منبثقا من الناحية الصوتية الناتجة عن الاختلاف العام في النطق وفي التباين البيئوي والمناخي والتباعد الزمني بين المتكلمين الساميين السابقين واللاحقين ،...

من هذه القواعد السانتكسية أداة التعريف ، نحن نعلم أنها في العربية ترسم (ال) حيث تلفظ مع ما يسمى بالحروف القمرية وترسم ولا تلفظ مع الحروف الشمسية ، بينما ترسم هذه الأداة هاء في أول الاسم في العبرية حيث تضبط بقواعد خاصة،وفي اللغة العربية الجنوبية (السبئية) يعبر عن أداة التعريف فيها بزيادة ((نون)) في آخر الاسم ، بينما يعبر عن هذه الأداة بحرف مد ((آ)) في آخر الاسم بالنسبة للآرامية ((وليس في اللغة السريانية أداة تعريف، ولكن المتتبع للغة السريانية يجد آثارا لها . وليس في اللغة الآشورية ولا الحبشية أداة تعريف مطلقا)) (1)

---

1)الأدب السامية ص : 17

وبالنسبة للفعل ، فان كل لغة من اللغات السامية تبنيه للمجهول ، وهو يقابل ما يوجد في العربية أي يضم أول المضارع ويفتح ما قبل آخره ، غير أن لكل لغة من هذه اللغات طريقتها في بناء الفعل المتعدي الى المجهول (1) ، وفي السريانية يزاد (ات) في أول الفعل الماضي الثلاثي الغائب ، و (نت) في أول الفعل المستقبل للغائب (2) ، ويرى بعض الدارسين أن اللغة السامية الاولى أو القديمة - على الأقل - حين رحل أصحابها الى العراق (3) حدث في تركيبها تبديل في الجمل حيث أصبح الفعل في آخر الجملة ، مثل احدى الجمل في ملحمة جلجامش - اذ تتم ارصيتم هشا تامورو قيبا ١٠ (قانون الارض التي رأيتها ، قل) (4) .

وكما نعلم أننا نجمع جمع المذكر السالم في العربية بواو ونون في حالة الرفع ، وياء ونون في حالتي النصب والجر ، في حين

---

1) الآداب السامية ص : 17

2) ص : ٣٠

3) هذا طبعا يفترض أن المهد الأصلي للساميين خارج العراق .

4) من الساميين الى العرب :ص : 26 - 29

أن نفس الجموع في العبرية يكون بزيادة ياء وميم في آخر الاسم مع كسر ما قبل الياء مذكرا (كاتبيم) في (كاتبون) واو وتاء مؤنثا (كاتبوت) في (كاتبات) ، بينما يكون هذا الجمع في اللغتين السريانية والآرامية بزيادة ياء ونون مع كسر ما قبل الياء (1) .

وقد تتشابه لغتان وتتقارب في بعض القواعد أكثر من تشابههما مع لغات سامية أخرى ، مثال ذلك أن قواعد اللغة الفينيقية تشبه قواعد اللغة العبرية ، ففي كل منهما يكثر استعمال ((كان)) الماضي للتعبير عن الزمن الماضي التام (2) ،وهذا لا يعني أن اللغتين تتشابهان في كل شيء ، فمهما اذا كانتا تتفقان في الاصوات الساكنة أو الصوامت ، فانهما تختلفان في الصوائت الطويلة (أو حروف العلة) ثم ((من الفروق الهامة بين اللغتين أن اللغة الفينيقية لا تستعمل فيها الواو والقالبة التي تقلب معنى الماضي الى المستقبل ، والمستقبل الى الماضي ، بخلاف اللغة العبرية،فان استعمال تلك الواو والقالبة فيها كثير جدا)) (3) .

---

1) فقه اللغة ص : 21 د . وافي مع المقارنة ب: الآداب السامية ص: 17-18

2) الآداب السامية ص : 40

3) م.س.ع: ن.ص

ومن التراكيب الغريبة في السريانية أنه يفصل أحيانا بالدال بين المضاف والمضاف اليه ، وهنا تصبح الدال علامة من علامات الاضافة فيها ، وبالنسبة لظاهرة المثنى فانه لا يوجد فيها فيسر أن المستشرقين للغة السريانية وتراكيبها يلاحظ فيها كثيرا للمثنى (1).

ب - في البنية المورفولوجية :

لقد لمحنا فيما سبق الى أن الجذر الثلاثي يعتبر احدى الميزات أو الخصائص العامة بين جميع اللغات السامية ، وتبعا لهذا الجذر تصاغ جميع المعاني بتغيير الحركات والتشديد أو بزيادة حرف أو حروف في أول الكلمة أو في آخرها ، كما نجد في اللغة العربية ، وأشرنا الى بعض الاختلافات بين العلماء في هذا الشأن ، اذ بينا أن هناك ميلا عاما الى أن الحامية أقدم من الساميـة ، وأن الجذر في الأولى ثنائي ، فان هناك ملاحظة بالمقابل بأن (الثلاثية ليست أصلية في الساميـة ، ومن ذلك أن الضمائر وأسماء الأشياء الحسية ، والتعبير عن الافكار البدائية ، وبعض أسماء الجسد ، وأسماء القرابة ، والأفعال الأكثر استعمالا ، كل هذه تدل على أصل ثنائي ، هذا فضلا عن أن التحليل الدقيق قد أعاد العدد الكبير من من الكلمات الثلاثية الى جذر ثنائي ، وأثبتت ذلك المقارنة مع الكلمات الحامية) (2)

---

1) الآداب السامية ص : 60

2) من السلاميين الى العرب ص: 20

لكـــن الرأي الغالب هو أن أصول الكلمات في اللغات السامية ثلاثي أو ثلاثية سواكن ، وما عداها فهو زائد لغرض مورفولوجي ، كما أن الحركات القصيرة أو الطويلة في بنية الكلمة فيها تعمل على تغيير معنى هذه البنية ، ففي اللغة السريانية مثلا :

- قـرق :(بتسكين القاف وكسر الراء) : تعني قرب
- قـرق (بفتح القاف وكسر الراء) : معناها : قرّب أو ضحى
- اقرق (بوضع همزة وصل على الالف من فوق وتسكين القاف وكسر الراء) تعني : حارب : ، قاتل ،والصفة قريق (بفتح القاف) : قريب ،مجاور والاسم قربانا أي ضحية ،هدية ،وصنه : قرانا أي حرب أو موقعة . والأمثلة على هذا غزيرة (1) .

وإذا كانت المشابهة بين العربية والبابلية أوضح ما تكون في الحركات الاعرابية التي لا توجد في سواهما من بين سائر اللغات السامية ، فإن صيغ الافعال أيضا في البابلية أقرب الى الصيغ العربية منها الى غيرها من سائر اللغات السامية (2) ،مما يدل على الصلة السانكسية والمورفولوجية المتميزة بطابع التشابه والتوثيق بين هاتين اللغتين ،مما يوحي بتفاعل تاريخي ما أكثر أهمية .

ومن هذه المشابهة أيضا أن التنوين في البابلية ميم ، وهو في العربية نون ،وهما يتبادلان حتى العربية .

---

1) الآداب السامية ص : 59 - 60

2) تاريخ آداب العرب ج 1/ص : 76

وحيـــن نتكلم هنا عن صيغ الافعال فاننا غالبا ما نقصد فقط العلاقات بين أمهات اللغات السامية الثلاث ،وهي العربية ، والعبريـــة ،والسريانيـــة . وفيما يخص البابلية أو الآشورية أو الكلدانية القديمـــة فقد عثروا فيها على اثنتي عشرة صيغـــة فعليـــة أكثرها موجود في اللغات الثلاث الأساسية أو البافية أعلاه ، بينما بعض هذه الصيغ غيـــر موجود في جميعها ، وهذه الصيغ هـــي : (1)

فعـــل	نفعـــل	فاعل	شفعل
افتعـــل	افتنعـــل	اتّفعل	اتّنفعـــل
افتاعل	افتنعـــل	استفعل	استنفعـــل

ان صيغتي افتنعل واستفعل لا توجدان الا في الآشوريـــة ، وفعل وفاعل لا توجدان الا في هذه اللغة الى جانب العربية ،أما صيغتا نفعل (بكسر النون) واتّفعل فممّا يوجد في اللغتيـــن : العبرية والسريانية دون العربيـــة .

وأكثر الصيغ المهملة في العربيـــة نجدها مستعملـــــة في اللغتين الأخريين أي العبرية والسريانيـــة .

وقبـــل أن نعرج على ذكر الأوزان لهذه الصيـــغ العديدة التي تخص اللغات الثلاث الباقيـــة ، فيودنا لو نشير الى أن صيغة الاستقبال للغائب المذكر هي نون مكسورة في أول الفعل مثل :

---

1) ينظر تاريخ آداب العرب ج 1/ ص : 31

- نـقتول : أي سيقتل

- نعبـد : أي سيفعـل

- نـد خـل : أي سيخـاف

وليـس في هذ ه اللغة تضعيـف (1) .

ويظهر أن كسر صيغة الاستقبال للغائب المذكر في السريانية لا تبتعد كثيرا عن ظاهرة كسر حروف المضارعة في بعض اللهجات العربية الفصيحة ، كما سيجيء ، بل نجد بعض الأئمة المشهورين المتقدمين يقرأ في احد ى قراءاته بكسر هذا الحرف مثل يحيى ابن وثاب (ت: 103 هـ) الذي قرأ ((نستعيـن)) بكسـر النون ،و قال فيها صاحب الابانة عن معاني القراءات :

((وهي لغة مشهورة حسنـة)) (2) .

أما أوزان الافعال في اللغات الثلاث فهو متقارب من حيث فهي متقاربة

أو متوازية بين اللغتين العربية والسريانية منها بين هاتين اللغتين والعبريـة ، فهو يكثر بين هاتين ويقل بينها وبين العبريـة ..

وحين ننظر الى هذ ه الصيغ لا ننظر في الوقت نفسه الى الشكل الظاهري أو التركيب الصوتي لهذ ه الصيغ ،لأن هذ ه المسألـة لها مبرراتها حتى على مستوى لغة واحد ة فضلا على مستوى اللغات الثلاث

---

1) الآداب السامية ص : 60

2) الابانة عن معاني القراءات ص : 70 مكي بن أبي طالب (مكتبة نهضة مصر الفجالـة)

أما الأوزان الفعلية بين اللغات الثلاث فهي (1) :

العبرية	السريانية	العربية
فعل	فعل	فعل
انفعل	أفعل (2)	فعل
افتعل	فعل	فعل
افعل	فاعل	هفعيل
افعال	سفعل	هفعل
فعّل	شفعل	تفعال
تفعل	فعلعل	هتفعّل
فاعل	اتفعل	
تفاعل	اتفأفعل	
استفعل	اتفعل	
افعوعل	اتفاعل	
افعول	استفعل	
افعلى	اشتفعل	
	اتفعلعل (3)	

---

1) نظمنا هذا الجدول من تاريخ آداب العرب ج 1/ص : 108

2) كل الكسرات التي تكون على ((العين)) في هذه الصيغ يترك فيها الصوت أعور فلا تنطق الا بالامالة .

3) نلاحظ هنا الصيغ متطابقة بين اللغات الثلاث في الكم والنطق والشكل .

وإذا اعتبرنا الضمائر المتصلة تدخل في سياق البنية المورفولوجية فإنها تشكل المادة الأصلية والعريقة لهذه اللغات الثلاث : (1)

العربية	السريانية	العبرية
أنا	أنا	أنا
أنت	اتاه (2)	أنت
أنت	ات	انتي
هو	هوا	هو
هي	هيا	هي
نحن	انحنو	حنن
أنتم	اتم	انتون
أنتن	اتن	انتين
هم	هم	هنون
هن	هن	هنين

ومثلما توجد اتفاقات توجد اختلافات ،كما أنه لا يمكن الاحاطة ولو من بعيد بكل ما يربط هذه اللغات السامية من علاقات مورفولوجية أو بنيات لسانية أخرى ،ثم ان هناك لهجات ولغات سامية أخرى لها اعتبارات لسانية وتاريخية وثقافية وانسانية ... لا تقل أهمية عن اللغات الثلاث السابقة ، من هذه اللغات اللهجة السامرية التي

---

1) تاريخ آداب العرب ج 1/ص : 82

2) ينطق الحرف الذي توضع تحته كسرة بالامالة

هـي خليـط من العبرية والآرامية (1) .

ومـن ذلك أيضا اللغة المعينية التي وجدوا فيهـا علامة السين كضمير متصل للغائب ، حيث لم يلاحظ الدارسون وجودا لهذا الضمير الا في هذه اللغة والبابلية والحبشية ،حتى ان البعض يزعـم بأن هذه السين كضمير متصل لصيغة الغائب ((ربمـا كانت دخيلـة في الاصل السامي من اللغـة الطورانيـة)) (2) .

ج - فـي البنيـة المعجميـة ::

ألمحنـا أكثر من مرة بأن هناك اشكالية قائمة حول الجذر الاصلي أو الأساسي في الساميات عموما ، فمن قائلين بثنائيته لما في هذه اللغات فعلا من كلمات ثنائية أولما فيها من كلمات ثلاثيـة أمكن ردها الى جذور ثنائية فضـلا عن كون الجذر الحامي ثنائيـا ،وأن اللغة الحاميـة أقدم من الساميـة على الرغم من أن البحث في وحدة أصلها (الحامية) وتتبع فروعها ولهجاتها وقواعدها ليس بالامر الهين ، ومـن قائلين بأن الجذر الثلاثي فيها يعد طابعا خاصا بين لغات الساميين قاطبـة .

1) الآداب الساميـة ص : 50

2) تاريخ آداب العرب ج 1/ص : 78

على أي حال سواء أكانت اللغات السامية ثلاثية الأصل أم ثنائيته ، حتى وان كنا نرجح أن طابعها العام هو الجذر الثلاثي ما عدا كلمات قليلة تعود الى النطق البدائي الأول الخاص بالعائلة السامية الأم ، فان المعجم اللغوي لهذه اللغات هو مجموعة الجذور المختلفة والمتضمنة دلالات متباينة تبعا لما يضاف الى احدى هذه اللغات ، ومنها العربية ، من زوائد أو لواحق ، ومع ذلك فان مصطلح ((معجم)) يبقى دائما من أغمض الأبحاث اللسانية قديمها وحديثها ، لأنه اطار لغوي عام وشامل يصحب تجزئته الى عناصر أو بحثه وفق قواعد مستقلة جزئية ، زد على هذا أن الجذور المعجمية في اللغة الانسانية هي دوما عرضة للزيادة التي على أساسها تتألف الكلمات في بنية خاصة من المعاني والعلاقات ،

وكل لغة و بنيتها المعجمية ، ففي لغة كالفرنسية مثلا ، فان الزيادات على الجذور الأصلية فيها غالبا ما تضاف كلواحق لا كسوابق أو حوادي ، وأن كلماتها مختلفة من حيث طولها وقصرها الى حد بعيد ، حتى وان كانت الالفاظ ذات المقطعين هي الغالبة فيها ، وفي لغة كالصينية فان كثيرا من ألفاظها تتكون جذورها من مقطع واحد ، في حين أن اللغات السامية فيها عدد وافر ((من الجذور المكونة من ثلاثة حروف سواكن تضاف اليها الحروف المتحركة الزوائد لتتكون

منهـا الأصـول ومشتقـاتهـا)) (1)

وليس من السهل متابعة المعجم اللغوي السامي المشترك هنا ،فهذا يطلب من قبيل الخيال ، لأن كلمة واحدة وبين لغات محصورة كاللغات الباقية منها تأخذ حيزا واسعا وخاصا ، فكلمة ((انبسو)) مثلا - ((كانت تدل في اللغة السامية الأصلية على ((الثمر)) عموما ، وما زالت تدل على ذلك في اللغة الآشورية ،والآرامية ، أما في العبرانية فقد أدغمت النون في الباء وعوض عنها بالتشديد فصارت ((آبـه)) بتشديد الباء ،عملا بقاعدة جارية في نحو ذلك باللغة العبرانيـة .. ثم اشتقوا من هذه اللفظة فعلا فقالوا ((ابب)) بمعنى أثمر ،وأما فصيلي السريانيـة فقد أصاب هذه اللفظة نفس ما أصابها في العبرانيـة ،،صارت ((ابا)) وهي تدل عندهم على الفاكهة ، كالتين ،والبطيخ ، والزبيب ، واللوز ،والرمان ، . وأما في العربيـة ، فقد حدث نحو ذلك ،ولكن ((الأب)) صار عندهم للدلالة على الكلأ والمرعى أو ما أنبتت الارض ،وقالوا : ((الأب للبهائم كالفاكهة للناس)) (2) .

ومن أسماء العائلة لفظة ((الأب)) ،ففي العربيـة هو : ((أب)) وفي البابلية-الآشورية : ((أبو)) وفي العبرية ((اب)) وفي

---

1) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص : 218

2) اللغة العربيـة كائن حـي ص : 52

السريانية (أبا) وفي لغات جنوب الجزيرة العربية (أب) (1).

والذي يعنينا هنا بوجه خاص هو الوقوف على المعجم النموذجي الأولي بالنسبة لاشتراك العربية مع سائر اللغات السامية، لأن العلماء في الميدان يفترضون أن مثل هذه الالفاظ وجدت أول ما وجدت في اللغة السامية الأم، ولا نريد أن نتعسف أكثر لا يراد كلمات يعتقد أنها مشتركة كذلك بين السامية الأم والآرية مثل كلمة ((بعل)) التي يظن أنها انتقلت من الآرية الى اللغات السامية أو لعل الآريين نقلوه عن الساميين، أو كان مشتركا بين الجنسين معا قبل تفرق هؤلاء عن أولئك الى غير ذلك من الاحتمالات البعيدة (2).

ومن هذا المعجم النموذجي: (3)

1) بعض أسماء الانسان: أنا، س، ذكر، أنث، أب، أم، ابن، بنت، أخ، بعل، أمة...الخ

2) بعض أسماء الحيوانات: نمر، ذئب، كلب، خنزير، ابل، ثور، حمار، نسر، عقرب، ذباب،...الخ

3) بعض أسماء النباتات: عنب، ثوم، قثاء، كمون، زرع، سنبلة..الخ

4) بعض أعضاء الجسم: رأس، عين، أذن، أنف، فم، لسان، سن،

---

1) مجلة: الاستاذ ص: 298-299

2) راجع مثلا: اللغة العربية كائن حي ص: 53

3) اعتمدنا على توثيق هذه الكلمات من المرجع أعلاه ص: 54-55 هـ: 1

شعر ،يد ، كتب ، دم ، نجد ،كرش ، ....الخ

5) ومن أجزاء الكون والارض : سماء ،وكوكب ، وشمس ،وحقل ، ..الخ

6) ومن الافعال : كان ، شام ، نشأ، علا ، قدم ، ضرب ،بكى ،صرخ ، نفخ ،أخذ ،ذكر ،سأل ، لمس ، رعى ،سقى ، ذبح ، قال ، ...الخ

وبجانب العديد من الالفاظ التي اشتركت العربية فيها مع كل أخواتها الساميات والتي تدل دلالة واضحة على البيئة الأولية لهذه الشعوب ، فهناك الأعداد التي تعد قاموسا مشتركا فيها ،وهي من واحد الى ألف ،حتى وان كان الساميون القدماء لم يعرفوا للمليون كلمة (1) .

ومن هذه الاعداد من واحد الى عشرة بين اللغات الثلاث (2):

العربية	العبرية	السريانية
واحد	إحاد	حد
اثنان	شنايم	ترين (3)
ثلاثة	شلاشا	تلاتا (4)
أربعة	أربعا	أربعا
خمسة	حمشا	حمشا (5)

---

1) العربية عبر القرون ص : 24

2) ننقل هذه المقارنة من : فقه اللغة المقارن ص : 193 - 194
(د. ابراهيم السامرائي .دار التعليم للملايين بيروت)

3) في العامية الجزائرية (اتنين) وهي قريبة من النطق السرياني

4) نفس النطق في العامية الجزائرية التي أعرف في منطقتي

5) تلفظ في العلمية التي اعرفه ((خمشا)) بإعجام الخاء المعجمة

ستة	شتا	إشتا
سبعة	شفا	شبعا
ثمانية	شمونا	تمنيا (1)
تسعة	تشعا	تشعا
عشرة	عسرا	عسرا

د ـ في البنية الدلالية :

ان البنية الدلالية لا تنفصل من حيث المرجعية اللسانية عن البنية المعجمية ،غير أن البحث فيهما معا يقود الى الخلط والتداخل بين المنهجين ، الا أننا مع ذلك نعترف ببعض القصور في هذه الدراسة لمتتبع هذا العمل ،لان هدفنا ليست هي المقارنة في حد ذاتها ولكن للوقوف على النتائج التي تحققت في هذا الحقل لمعرفة مدى ارتباط العربية وأخواتها الساميات في كل البنيات الطبيعية التي تشكل أية لغة انسانية ،كما أننا نعترف بقصور منهجي آخر يتجلى في تنظيم هذه العناصر وفصلها أو ربطها ، ومن هذا ما يتجلى لنا في كثير من العناصر الاساسية مستقلة كانت أم تابعة ،مثال ذلك :

1) التضاد بين اللغات السامية .. فالى أي عنصر يضاف ويبحث ؟

---

1) الغريب أن هذه الكلمة تنطق عندنا تماما في العامية الجزائرية

2) المتباين والمشترك والمترادف

3) انتقال اللفظ من معناه الاصلي الى معنى آخر مجازي

4) اختلاف اللفظ الواحد باختلاف الاوضاع

5) الثلاثية أو الثنائية نفسها : هل تتعلق بالحقل المعجمي أم الدلالي أم بهما معـــا ؟

وأقترح أن نبدأ من التساؤل الاخير الذي لمحنا اليه في كل مرة ،لاننا نجدها أمنا تقريبا في كل نقطة أو على الاقل يتراءى لنا هكذا .

صرح الدكتور وافي أن المعنى العام في اللغات السامية بصوتين يتعلق بصوتين فقط ((أما الصوت الثالث فيحدد هذا المعنى العام ويوجهه وجهات خاصة . فالمعنى العام للتفرقة مثلا يؤدى في العربية بصوتي : ف.ر ، ويضاف الى هذين الصوتين صوت ثالث يشاربه الى نوع التفرقة والمادة التي حدثت فيها (فرى ،فرم ،فرص ، فرض ، فرث ،فرج ،فرق ، فرز ..الخ) . والمعنى العام للقطع يؤدى بصوتي ق.ط (أو صوت شبيه بالطاء كالدال) ، ويضاف الى هذين الصوتين صوت ثالث يشاربه الى نوع القطع والمادة التي حدث فيها (قطع ، قطف ، قطم ، قط ،قد ،...الخ)) (1)

---

1) فقه اللغة ص : 17 د . وافي

وحسب النص السابق أن البنية الدلالية العامة للجذر الفعلي في اللغات السامية تتم بصوتين فقط، وأما البنية الدلالية الخاصة بكل مدلول على حدة يتم بالصوت الاضافي الثالث .

ويذهب الدكتور ابراهيم السامرائي تقريبا نفس المذهب أو أو أبعد ((ونريد الآن أن نسلك مسلكا صعبا فنقرر أن الصورة الاولى للفعل العربي هو الضعف الماضي الثلاثي ، والقول في هذا يؤدي بنا الى أن نقول مع القائلين ان مبدأ الثلاثية في الاصل العربي مرحلة تكميلية وليست أولى ، ومن أجل هذا فلابد أن تكون الأصول الثلاثية تمت بعد أن كان هناك مرحلة كان فيها الاصل ثنائيا ، ثم تطور هذا الثنائي الى الثلاثي الذي صار ميزة من مزايا العربية واللغات السامية)) (1) .

ويؤيد السامرائي قوله بالاستدلال بحروف الجر في العربية وبعض هذه الحروف في لغات سامية أخرى ، ثم يستطرد قائلا : ((ان المعاني العربية تؤدى بحرفين صامتين فالكاف والنون في كن تؤدي في العربية التخفي والاستتار فهي بمعنى جن التي استحالت بالتضعيف الى جن ، هذا في العربية ، وفي العبرية مادة ((كن)) أيضا تؤدي المعنى نفسه ، وقل مثل ذلك في مادة در في اللغتين العربية والعبرية ، وكذلك مادة فر ، فهذه

---

1) فقه اللغة المقارن ص : 100

المواد تؤدي المعاني وهو بحرفيس ،وما الحرف الثالث الذي لتمن به كسعا الا لغاية اكمال الاثنين وصيورتها على ثلاثة ، وهذه المرحلة الثلاثية متأخرة بالنسبة للأولى ،والأمد بينهما واسع طويل ، ... أقول : ان هذا الثالث الطارئ على طريقة التضعيف زيادة في الكلمة وليس بأصل .)) (1)

وهكذا يلاحظ اللغوي أن مادة كثير من الفعل المضاعف هي أصل بالنتيجة في الفعل الآخر ، كما ان مادة : غب هي أصل بالنتيجة لمشتقاتها في غاب ،وكذا مادة : جب هي أصل للفعل جاب ،ومادة : صر أصل صار ...الخ (2).

والمطلع البسيط على هذه الأفعال ووظائفها مثل صار مثلا ، لا يأخذه العجب فقط بل قد تسول له نفسه أن ينفي تماما النوعية العلمية العقلانية لمثل هذا الرأي البعيد كل البعد عن الحقيقة اللسانية العامة للغة العربية التي تعد أنقى وأثرى لغة سامية باقية ، فهذا الرأي نظرة تعسفية تعتبر اللغة العربية خصوصا والساميات منها عموما بريئة كل البراءة .

اننا لا ننكر أن تكون هذه الدلالة منوطة بالتعارض بين صوتين مثلما هو الحال بين الوحدتين الدالتين : ((سار)) و ((صار)) ،لكن دلالة كل وحدة على حدة لا تكمن في الوحدة الصوتية

---

(1) م.س.ص : 196

(2) م.س.ص : 197

((ص)) أو الوحدة الصوتية ((ص)) ... فكيف الحال بين وحدتين دالتين مستقلتين : ((صر)) و ((صار)) ؟؟ .

ان وحدات الجر الثنائية التي يحاول البعض أن يمثل بها كدليل على ثنائية الجذر السامي هي وحدات - كما نعلم - دالة وظيفية ، أي تشير من خلال تركيبها السانتكسي الى وظيفة وحدة دالة أخرى ، وهي ليست وحدات دالة مكتفية بذاتها حتى يمكن للمعبر بها أن يتفوه بها كيفما اتفق أو يركبها في الجملة أو التركيب في أي وضع خطي يشاء (1)

ولسنا بحاجة الى التأكيد على أن هذه الوحدات من حروف المعاني غير مكتفية بذاتها ، والرسائل اللغوية العربية القديمة وكذا كتب معاني الحروف وكتب الحروف ،... كلها تشهد على هذا الاكتفاء غير الذاتي ، وفي الوقت نفسه على خلق وظيفة جديدة في الوحدات الدالة التابعة ، ويكفي هنا أن نمثل بالباب الاول (اللامات) من كتاب الحروف لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني (ت: 384 هـ) حيث نجده يذكر أن للامات اثني عشر وجها : (2)

1) لام الابتداء : لزيد خير منك

2) لام القسم : والله لآتينك

---

1) مدخل الى اللسانيات ص : 81 وص: 103 - 104 رونالد ابلوار (ط: 1980 مطبعة جامعة دمشق)

2) كتاب معاني الحروف ص : 141 - 143 الرماني (دار نهضة مصر . القاهرة

3) لام الاضافة : لزيد مال

4) لام التعريف : الرجل والغلام (وهذه تكون كذلك موصولة وعهدية وجنسية)

5) لام الأصل : لها يلهو .

6) ما يسمى باللام الزائدة :

لما أفضلت شكرك فاصطنعني فكيف ومن عطائك جل مالي ؟

7) لام الاستغاثة : بالكسر ، يا للرجال ..

8) لام الكناية : له ،لهم ،حكمها الفتح ،وأصلها لام الاضافة

9) لام كي : كقوله تعالى : ((لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ)) (1) أي كي يغفرلك

10) لام الجحود : كقوله عزوجل : ((مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ)) (2) . لولا الجحد لم تجز اللام ههنا .

11) وهي لام الاضافة لام العاقبة : كقوله جل شأنه : ((فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا)) (3)

12) لام الامر : كقوله جلت عظمته : ((ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا)) (4)

---

1) سورة الفتح : آية : 2

2) سورة آل عمران الآية : 179

3) سورة القصص الآية : 8

4) سورة الحج الآية : 29

اننا لو اخذنا الفكر اللساني عند الخليل بن أحمد بعين الاعتبار من خلال التقليبات الصوتية الستة وجدها لا ستنورنا في هذه المسألة أيضا استنوار ، فالعلامة اللسانية - مهد ئيا - هي اعتباطية لكنها غير مجزأة لانها عبارة عن كتل ما ينجم عن ترابط الدال بالمدلول حسب وجهة نظر سوسور (1) ، ونحن حين ننظر الى الكلمات الثلاثية المهملة من البنية الاصلية المستعملة لا نفكر فيها لحظة واحدة بانها ثنائية .

وبعد ان اللغة السامية الأم قد استفادت من دلالة أصلية اشتقت منها دلالة ثانية فرعية ، وهذه الدلالة الثانية هي قبل كل شيء دلالية نحوية كتمييز الجنس بين المذكر والمؤنث ،من ذلك أن كلمة ((أخ)) تحولت الى ((اخت)) وأن كلمة ((ابن)) تحولت الى ((بنت)) ... الخ ، واذا كان سوسور يعتقد بأن فكرة ((أخت)) لا ترتبط باي صلة داخلية مع تعاقب الاصوات : أ. خ. ت (2) فان الرجل معذور في ذلك ،لان كلمة ((SOEUR أخت)) فعلا لا علاقة لها صوتيا ولا دلاليا بكلمة ((FRÈRE اخ)) .

وقد يقول قائل : ان هناك كلمات أخرى مثل ((ولد)) لا تقابل

---

1) محاضرات في الالسنية العامة ص : 81 دي سوسور (دار نعمان للثقافة بيروت)

2) السابق ص : 50

((ولد ة)) مثلا في اللغات السامية ،ومنها العربية ،فاننا نقول مرجحين بأن هذه الكلمة وأشباهها أخذت من المبنية الاصلية للفعل الماضي : ولد . د أو من معناها العام ،خاصة وأن النظرية العربية تميل بقوة الى أن الاسم أخذ من الفعل وليس العكس (1) .

هـ ـ في المبنية الصوتية :

مما هو ثابت أن كل لغة بشرية تمتلك عددا ضئيلا من الاصوات بالقياس الى الكلمات والاشتقاقات التي تستغلها من نفس الاصوات ،اذ هذا العدد لا يتجاوز خمسين صوتا كحد أقصى ولا يقل عن عشرين كحد أدنى (2) .

ومما لا شك فيه أيضا أن اختلاف المختصين في اللغات السامية يرجع الى اختلافهم في قراءة النقوش واستنطاقها أكثر مما يعود الى اختلاف هذه اللغات التي يفترض فيها أنها تتفق في كثير مما يعتقد أنها تتباين فيه ، لأننا ((لا نعرف عامة اللغات الا كتابيا ، وأما ما يخص لغتنا الام نفسها ،فان الوثيقة ماثلة دائما بين أيدينا . واذا

---

1) ليس من مهمتي هنا أن أخوض أكثر في هذا الجدل ،لكن من يعود الى مصادر عربية أصيلة مثل :الايضاح في علل النحو ص : 83-84 للزجاجي ، وكذلك : الانصاف في مسائل الخلاف ج 1/ص : 6 - 16 للانباري ،يقف على هذه الحقيقة ،ومذهب البصريين فيها أقوى من مذهب الكوفيين .

2) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص : 77

ولا مقترنة ، ولا دالة على معنى من معاني الاسماء والافعال والحروف الا أنها أصل تركيبها . (1)

اننا لا نعتبر هذا الفرض العربي الاصيل بعيدا عما أسماه اللساني الفرنسي المعاصر أندريه مارتيني بـ ((التفصل المزدوج)) (2) ، وخاصة عند تحليل الكلام الى تقطيع مزدوج أي الى فونيمات أو أصغر وحدة دالة والى فونيمات أو أصوات .

على أي حال ، ان النظريات التي ترجع العربية أصلا أول للساميات كلها ترتكز ، مما ترتكز اليه ، على الناحية الصوتية ، على أن العربية احتفظت بكل الاصوات الموجودة ((في أخواتها وزادت عليها أصواتا غير موجودة الا بها كالضاد مثلا)) (3) .

وعندما استوطن الاكاديون ما بين النهرين جعلوا يكتبون بالخط السماري السابق عليهم مكانا وزمانا ، وعلاوة على مرور هذا الخط بمرحلتين : ((مرحلة تصويرية كانت فيها العلامة تعني فكرة ، ومرحلة صوتية كانت فيها العلامة تعني مقطعا صوتيا من مقاطع الكلمة)) (4) ، فان

---

1) الايضاح في علل النحو : 54 الزجاجي (ط : 1959 مطبعة المدني - مصر) والذي يتبع نص الزجاجي يزيد نفيا لثنائية السامية بالاعتماد على حروف المعاني مثلا ، والتي تدل على دلالة في غيرها لا في نفسها .

2) ANDRÉ MARTINET (double articulation)

3) المورد ص : 21 العدد الثالث . 1973 .

4) الوجيز في فقه اللغة ص : 85 محمد الانطاكي

الخط المسماري لا تحتوي أبجديته الا على ثمانية عشر حرفا فقط ،وهو دون اللسان السامي أو البابلي القديم بكثير (1) .

ومن ثم لم يتمكن الساميون من تدوين النطق بالاحرف التي لم تكن في نطق السومريين (2) ،وبذلك ((ضعفت عندهم الحروف ((ع)) و ((غ))و ((ه))و ((ث)) الى أن زالت وزال الحرفان : ((ض)) و ((ذ))وحل محلهما حرف الصاد)) (3) .

فضلا عن ذلك ،فان أنظمة الكتابة السامية عموما مثل الفينيقية والعبرية القديمة أو العربية تتمثل في كونها أنظمة صوتية ألفبائية ، وهي تقوم على أساس الحروف الصامتة ، ويرد المطلعون هذه الظاهرة الى البنية الاعرابية للغات السامية ((وبالواقع الخاص الذي يستند الى كون جذور الكلمات في هذه اللغات ،كانت مكونة أصلا من الحروف الساكنة ،وأما الحروف المصوتة فان حركتها تتغير لتعطي استقاقات مختلفة صرفية ونحوية ... وفي العصور الوسيطة ،فيض لنظام الكتابة العربية أن ينتشر ... غير أن نظام الكتابة العربية القائم على تدوين الاصوات الساكنة فقط ،والموافق للبنية الاعرابية ،وللبنية الصوتية

---

1) السابق ص : 88

2) حروف الخط المسماري هي : ا ب ج د ه ز ح ط ك ل م ن س ع ص ق ر ش ت ، ومن هنا ندرك الصعوبة للملائمة بين الرسم المسماري والنطق السامي

3) من السامين الى العرب ص : 26

للغة العبرية، أسوة عن كونه غريبا لا يتلاءم مع لغات الشعوب التركية ، والايرانية ، والقوقازية وغيرها، مما ينتمي الى أسر لغوية غير سامية)) (1)

كما أن سورا لا تظهر للاسطة [illegible] ان الساميين لم يسجلوا الا الصوامت (2) ، وحين ينظر شعب لا قرار الفاء شعب آخر ، فانه ((ما يحدث أن امكانات هذه المنظومة لا تتناسب ووظيفتها الجديدة، الامر الذي يدعو الى التذرع بذرائع مختلفة لحل المشكلة)) (3) .

وعلى الرغم من أن اللغتين العبرية والفينيقية لهجتان للغة واحدة، وأصل واحد (4) ، وعلى الرغم من أنهما تتفقان في الحروف الصحيحة الا أنهما تختلفان في الصوائت أو حروف العلة ، فاللغة الفينيقية الفرنجية مثلا ، من الصعب شرح نهائيا لكثرة ما فيها من لبس وغموض لان حروف العلة لا تستعمل فيها الا نادرا (5) .

عموما ، فان أهمية الاصوات الساكنة في الدلالة والنطق سرت الى الرسم نفسه ، فأهم ما يعني الرسم السامي باظهاره هو الاصوات الساكنة ،

---

1) دراسات لغوية في ضوء الماركسية ص : 65- 66

2) محاضرات في الالسنية العامة ص : 56

3) م.س.ص: 44

4) الآداب السامية ص : 19

5) م.س.ص : 32

أما الاصوات اللينة فيغفل بعضها اغفالا تاما ويشير الى بعضها بالشكل ، ويرسم بعضها رسما مضطربا غير دقيق . وهذا في الرسم الحديث ، أما الاشكال القديمة للرسم السامي فكانت تغفل جميع أمهات اللين)) (1)

ومن باب الانصاف العلمي أن نذيل هذه الدراسة بأن نقول : ان العرب القدماء قد أدركوا عن وعي وعميق هذه الاشكالية التي تتعالى شكاواها من الشرق والغرب ، ومن هؤلاء ابن درستويه (ت:347هـ) الذي قال : ((اعلم أن الكتاب ربما يكتبون الكلمة على لفظها وعلى معناها ويحذفون منها ما هو فيها ويثبتون فيها ما ليس منها ويبدلون الحرف من الحرف ويصلون الكلمة بأخرى لا تتصل بها ويفصلون بين أمثالها ويختزلون عامة صور الحروف اكتفاء بالطائفة منها ولا يخطون ولا يشكلون الا ما أشكل)) (2) .

ان قراءتنا لكتاب ابن درستويه تحيلنا على معلومات تاريخية مهمة قد تساعدنا حتى على قراءة بعض النقوش العربية القديمة ، من ذلك ما يحكيه أن العرب تنطق وتكتب : ((سوفلان علماء)) (3) أي على الماء ، وقال قطري بن الفجاءة : (4)

غداة طفت علماء بكر بن وائل وعاجت صدور الخيل نحو تميم

---

1) فقه اللغة ص : 20 د. وافي

2) كتاب الكتّاب ص : 16 ابن درستويه (ط:1977 دار الكتب - الكويت)

3) م.س.ص : 45

4) م.س : ص.ع

ليتصور أحدنا وهو يقرأ الأول وهلة هذا النقش اذا كان نقشا ، فانه يجد نفسه أمام تركيب واحد مكتوب برسمين مختلفين فضلا عن الرسم الثالث العادي المألوف في كتابتنا الحديثة .

كذلك وعلمهم ((ويلمه)) ويريدون : ويي لأمه ، وقال امرؤ القيس : (1)

ويلمها في هواء الجو طالبة ولا كهذا الذي في الارض مطلوب

كذلك الحذف الشائع الموروث عن الرسم السامي القديم أو الخط العربي الانتقالي ، كما هو الحال في كلمات عديدة :

هأنذا ، هاك في قولهم من مد وفتح وهاتم ، ههنا ، السموات ، وحذفوا كذلك من الرسم ((الالف من الملائكة (الملئكة) بعد اللام لأنها جمع .. وفي آخرها تأنيث وكثر استعمالها ، وكذلك ((سلم عليك)) .. وما أجري هذا المجرى من أسماء الايام : الثلثاء ..)) (2) .

ثم لنتأمل هذه الكلمات : الصلوة ، الزكوة ، الحيوة .. وما جاء على نحوها في الرسم القديم ، مع أنها بمنزلة الفلاة واللهاة والقطاة والسراة .. كيف نقرأها لو وجدناها على نقش سامي أو عربي قديم ؟ .

---

1) م.س.ص : 52

2) م.س.ص : 72 - 73

أما بالنسبة لعدد الحروف وهيئتها واختلاف صورها ،فان ابن درستويه يقـــول : ((اعلم أن حروف المعجم ثمانية وعشرون حرفا مختلفة الالفاظ ، و صورها ثماني عشرة صورة لتشابه صورة الحرفين منها والثلاثة كالباء والتاء والثاء ،وكالدال والذال ،وكالراء والزاي ، ونحو ذلك ،ولولا التشابه لكانت لكل حرف منها صورة ، وقد تؤول هذه الثماني عشرة صورة الى خمس عشرة صورة أيضا في الاتصال لتشابه صورة القاف والتاء المتصلتين اذا ابتدئتا أو توسطتا ، وتشابه الياء والنون والباء والتاء والثاء المتصلات اذا ابتدئن أو توسطن ، ومن الحروف ما له صورتان أو أكثر ،....)) (1) .

وما دعاه للوقوف الى الانتباه في هذا النص أن صور الحروف ثماني عشرة صورة ،وألمحنا فيما سبق الى أن الرسم المسماري الذي اتخذته اللغة السامية القديمة خطا لها فيما بين النهرين يحتوي على نفس الصـور : ما هذه الصدفة الغريبة ؟

ونريد أن ننبه الى أن الاختلاف في تركيب البنيـــة الصوتية على المستوى الفونولوجي متباين ،لكن هذا التباين ليس خطرا على المعنى أو الدلالة ،فكلمتا ، نفس في العربية ،ونفس في العبرية لهما نفس البنيـة الفونولوجية : (ثلاثة صوامت صوص) ،وكلمة (أبو) في البابلية الآشورية و (أبا) في السريانية لهما نفس البنية أيضا (صامتان + صائت)

1) م.س.ص ، : 113

ولعـــل أهم شيء لاحظناه من خلال استعراضنا للعربية على ضوء أخواتها الساميات المختلفة هو ظاهرة الاعراب الذي يعد ظاهرة بنيوية قديمة في العربية وأختها الأكادية على الشكل الثلاثي الذي بقي طابعا ظاهرا في نصوص العربية الموروثة خطا ونطقا .

ولاحظنا أن جل آراء العلماء ممن تصفحوا العلاقات اللغوية العربية السامية على ضوء مستوياتها المختلفة تميل بشكل أو بآخر نحو تأصيل العربية كلغة أم لباقي الساميات الأخريات لعدة عوامل أتينا على ذكرها ، لكن الدلائل التاريخية والجغرافية والانثروبولوجية وخاصة اللسانية لم تتوفر بعد لتأكيد هذه الدعوى بصفة قطعية مثلما تأكد الغربيون مثلا بأن السنسكريتية أصل للغات الهندية الأوربية ،وحتى الآن لا يمكن القول قطعا بأن العربية ((هي اللغة السامية الأم نفسها ، وليس كما قال العلماء هي أقرب الساميات الى اللغة السامية الأم ، ونظن أيضا بأن باقي الساميات هي لهجات أو لغيات ناقصة النمو متفرعة عن اللغة العربية)) (1) .

ان الحكم الأعلاه حكم غير علمي،وهو أقرب الى ذاتية موصدة منه الى موضوعية شفافة ،زد على ذلك أن هذا الحكم صادر عن رجل مختص في التركيب للغة العربية الفصحى ، ثم لا يمكن ضرب آراء العلماء المختصين

---

1) ظاهرة الاعراب في النحو العربي ص : 4 د. أحمد سليمان ياقوت (ط: 1983 ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر)

عرض الحائط هشم ان من يتتبع التراث السامي في جميع بنياتـــه اللســانية لايجـرؤ على تسمية احدى هذه اللغات السامية ((لغـة)) . بـل من يرجع الى بحث واحد ومبدان واحد كالتضاد في اللغـات الســامية (1) يخجـل من اطلاق عـام مثـل هذا .

والشـيء الآخر أن هذه اللغات تعتمد معجميا في الأغلب الأعم من أجل التعبير عـن بنيـة دلالية أو مورفولوجيـة على جذر ثـلاثي ، وأما الظاهرة الثنائية غـير المتبعدة فيها بشكـل قطعي فهي اذا ظاهرة موروثـة من الحاميـة التي يعدها العلماء أقدم من شقيقتها السامية ، واما لأنها ظاهرة طبيعية تمثل النطق المشترك الأول أو البدائي لهاتين اللغتين معا ، وذلـك قبل تباين الأسرتيـن الأختين ، ذلك التباين الذي لا يعرف عنه أحد حتى الآن شيئا كثيرا .

وفي نهايـة هذا العمل نريد أن نذيلـه ببعض البيانات من اللـوحات والخرائـط لعلهـا تزيـد هذه المسألة من الناحيـة الفضـائية والجغرافية والتاريخيـة و النسبيـة شيئـا من التحديد والوضـــوح في بعض القضايا ـ ان لم أقل في كثير من القضايا (2) ـ التي لا تزال شائكـــة ومعقدة في كل المستويات تقريبا ، لان الحديث عن الظاهرة الطبسة لايعني الحديث عنها بالضـرورة لتقديمها بقدر ما قد يعني كذلك قراءة معينة في الظاهرة الغامضة نفسها .

1) مثال هذا البحث المبدائي المقارن ((التضاد في اللغات السامية)) للدكتور ربحي كمال (ط: 1975 دار النهضة العربية ـ بيروت)

2) سبق أن ألمحنا في ص: 183 من هذا الفصل الى أن الهدف من هذا العمل ليست المقارنة في حد ذاتها ، لكن الوقوف على النتائج .

ان المخطط أدناه يمثل الوشائج اللغوية بين مختلف اللغات السامية ، بما فيها اللهجات العربية الثلاث : الثمودية والصفوية واللحيانية التي سنتناولها في الفصل التالي بشيء من الدرس الى جانب اللهجة النطية التي نلاحظ أنها غير مثبتة في هذا المخطط ، مع أنها لهجة عربية لا شك فيها .

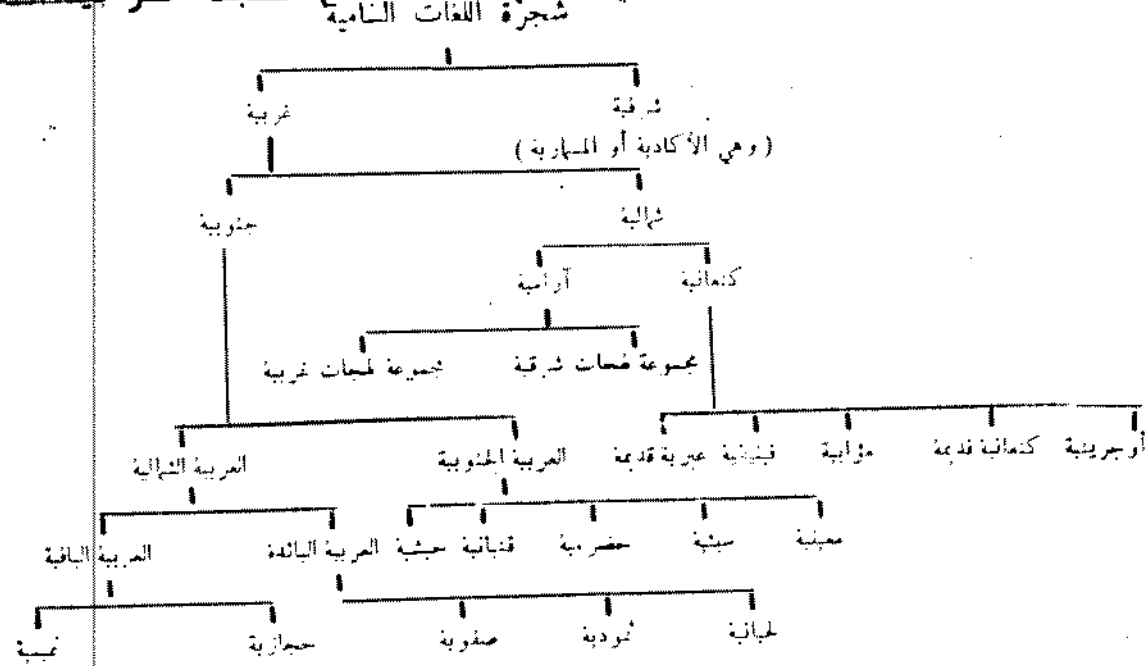

(لـــوحـــة رقـــم : 1)

لكن من غير الممكن أن نثبت كل اللغات واللهجات السامية ، واذا كان الامر موضوعيا بالنسبة للهجات البائدة وفق النقوش والآثار اللغوية ، فان الأمر غير موضوعي بالنسبة للعربية الباقية ، اذ لا يمكن اعتبارها مؤلفة فقط من الحجازية والتميمية ، بل من عشرات اللهجات الأخرى . (1)

---

1) نقلنا هذا الجدول لشجرة اللغات السامية من : فقه اللغة ص : 71 للدكتور صبحي الصالح .

(لـــوحـــة رقـــم : 2)

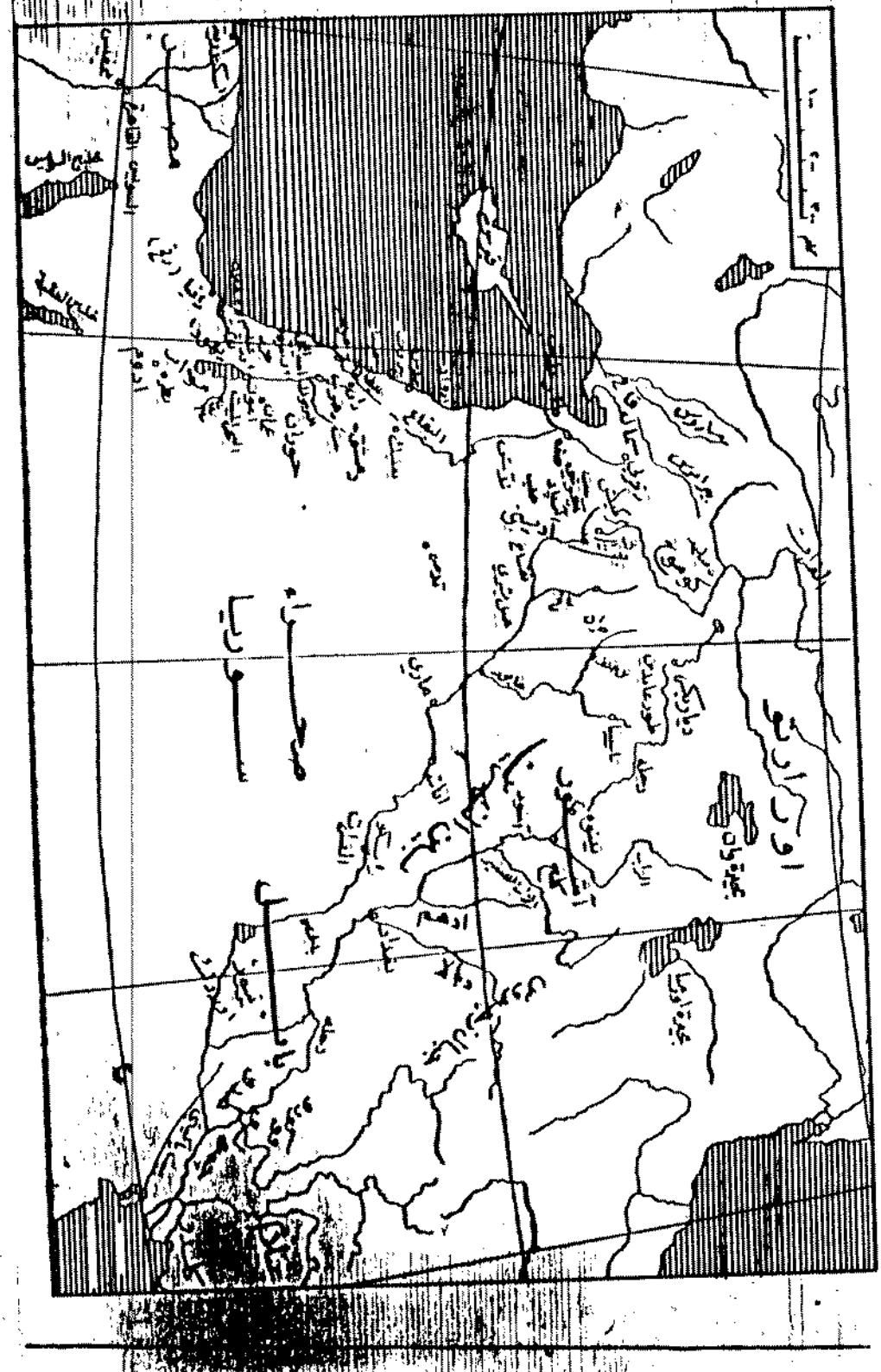

نقلنا هذه الخريطة من كتاب :

من الساميين الى العرب ص : 8

(لـــوحـــة رقـــم : 3)

اعتمدنا في نقل هذه الخريطة على كتاب :

العـــرب قبل الاسلام ص : 53 الاستاذ جرجي زيدان

ان هذا النقش أدناه نقش آرامي مكتوب بالحروف الفينيقية في الوسط ، وعربت في العمود الاول ، وترجمت في العمود الثالث ، وهي موجودة في ستة مستطيلات ، ونلاحظ أن المستطيل الثاني فيه ((بار)) وهي ابن في العربية والعبرية معا.

ك ل م و	٢ ٧ ٩ ٩	كلمو
ب ر ح ي	٩ ٩ ٨ ٦	بن حي
ل ر ك ب ا ل	٧ ٩ ٩ ٨ ٧ ٩	(لكوبم) ركبايل
ي ن ن ل ه د	٩ ٨ ٧ ٧ ٨ ٩	(ل) يعطيه ر
ك ب ا ل	٧ ٩ ٩ ٨	كبايل (الله)
ا ر ك ح ي	٤ ٨ ٨ ٩ ٨	طول حياة

(لـــوحـــة رقـــم : 4)

اعتمدنا في نقل هذا الجدول على كتاب :

من الساميين الى العرب ص : 115

انا تعمدنا اثبات هذا النص السرياني توسيعا للمقارنة وزيادة في الفائدة علما ان هذا النص مازال مستعملا الى اليوم في كنائس لبنانية. الا أنها لم تحافظ على أصالتها ، كاللغة العبرية ، حيث دخلتهـــا ألفـاظ عربية كثيرة ،ولا عجب في هذا ، وكلمات أخرى تركية وكردية .

النص السرياني

ܗܘ ܕܡܢ ܟܠ ܐܚܝ ܡܐܬܝܢ ܘܐܠܦ ܘܫܒܥ ܡܐܬ ܘܚܡܫܝܢ ܕܡܘܪܢ ܒܝܘܡ ܚܕ ܒܫܒܬܐ ܕܡܪ ܝܘܚܢܢ ܦܛܪܝܪܟܐ ܕܐܢܛܝܘܟ ܘܐܦ ܗܘ ܛܘܪ ܠܒܢܢ ܘܫܛܚ ܝܡܐ ܘܟܠ ܐܣܦܣܦ ܕܩܘܦܪܘܣ

النطق

١ – شلم chlem بشنت ألف وتلتا ta ouatllnolo وشبع

٢ – وخمشين دمورن بيومه يوحنن فطريركا fatriarco دانتوقيا d'Antioquia

٣ – ودطورا ouadloura لبنونا lebnonofo وسفري يما وديوحنون أفيسقوفا nfiscofo دقوفروس d'Koufros .

١ – كل بسنة الف وثلاثمئة وسبعة

٢ – وخمسين للرب بعهد يوحنا بطريرك انطاكية

٣ – وجبل لبنان وشطوط البحر وليوحنا أسقف قبرص

(لـــوحـــة رقـــم : 5)

اعتمد في نقل هذه اللوحة أعلاه على مرجع :

من الساميين العرب ص : 92

الباب الثالث : التراكيب اللسانية في اللهجات العربية البائدة

الفصل الأول : في البنية السانتكسية

أن المقصود بهذه اللهجات القديمة هي أربع لهجات ، ثلاث منها كتبت بالخط العربي الجنوبي أي المسند ، وهي :

1) اللهجة الثمودية

2) اللهجة اللحيانية

3) اللهجة الصفوية

وأما اللهجة الرابعة فهي اللهجة النبطية ، والتي كتبت بالخط الآرامي ، ونعتمد مكرهين على تتبع هذه التراكيب بواسطة بعض النقوش التي لا تعطينا صورة واضحة بشكل نهائي حول هذه كل البنى التي كانت تتميز بها ، ولا سيما البنية الصوتية التي يستحيل على أحد بمن فيهم المختصون أن يقفوا عليها بشكل علمي صرف ، والسبب في ذلك واضح لدى الدارسين والمهتمين ، أي أن ((وجود اللغة كظاهرة صوتية منطوقة شيء وتدوين اللغة في صورة مكتوبة شيء آخر ، ... ورغم أننا نسلم أن استخراج حقائق لغوية من النقوش العديدة عمل عكسي ، فالأصل هو الصورة المنطوقة لا المنقوشة ، الا أننا مضطرون لهذا في الدراسة التاريخية للغة ، فليس أمامنا الا هذه النقوش .. هي مصدرنا في التعرف على أقدم مظاهر العربية)) (1)

---

1) اللغة العربية عبر القرون ص : 29

وكم كان فرديناند دي سوسور صادقا حين أشار بأن الكتابة تحجب الرؤية عن اللغة ، وأنها - أي الكتابة - ((ليست ثوبا بل قناع تكتنفه ، وانما الذي ذلك بوضوح في كتابة كلمة ((OIGNON)) (عضو) الفرنسية ، اذ لا علاقة خاصة تشد أي صوت من أصوات هذه الكلمة المحكية ONYO ، ولا شيء أخيرا يبقى من صورة اللغة)) (1) ، ولذا فان الحل الجذري للوقوف على نقص ليس هو فك الرموز بطريقة عشوائية أو فرضية بل تتبع تاريخ الكلمة كيف كانت تشتق وتنطق ،وبما أن الشق الثاني متعذر بل مستحيل ،فانه لا يبقى أمامنا الا الشق الأول ،وهذا بدوره لا يقدم لنا حلا نهائيا لأن الامر هنا يتعلق بلغة محكية مجهولة النطق عن طريق الملاحظة المباشرة ، وهكذا نجد أنفسنا ندور في حلقة واحدة مغلقة تتجلى في كيفية البحث عن لفيظ كل حرف لا صوت في اللغة المرسومة أمامنا في أحد النقوش القديمة غير المستقرة لغة ولا رسما .

ويرى سوسور أن تحديد أصوات سلسلة كلامية لا يضطلع أربد بالانطباع السمعي ، لكن حين نريد أن نقدم على وصف هذه الاصوات من السلسلة الكلامية فان الامر يختلف تماما ((وعلة ذلك أن الوصف لا يمكن له أن يقوم الا على أصل الفعل النطقي ، بفعل

---

1) محاضرات في الالسنية العامة ص : 44

أن الوحدات السمعية المأخوذة من سلسلتها الخاصة غير قابلة للتحليل ، اذ يجب الرجوع الى سلسلة حركات النطق ، وعندئذ نلاحظ أن الصوت نفسه يقابل الفعل نفسه :

ب (زمن سمعي) = ب (زمن نطقي) .

ان الوحدات التي نحصل عليها بتجزئة السلسلة الكلامية تتألف من ب و ب ، وندعوها الصوتيمات (1) Phonologique. فالصوتيم اذن هو مجموعة الانطباعات السمعية والحركات النطقية للوحدتين الكلامية ، والمسموعة اللتين تشترط احداهما الأخرى)) (2) .

ان النقوش التي تمثل هذه اللهجات العربية البائدة (3) وصلتنا مبعثرة ومتضاربة ، وهي كما أشرنا دونت بالخط المسند المشتق على الارجح من الرسم الكنعاني (4) ، لكنه مضطرب في كتابته ، فالمعروف عنه أصلا أنه يكتب من اليمين الى الشمال ، لكنه غير ثابت على هذه الطريقة ، لانه قد يكتب أيضا في سطره الاول من اليمين الى الشمال وفي سطره الثاني من الشمال الى اليمين .. وهكذا دواليك ، وجاء خلا من الصوائت القصيرة وحتى الطويلة كأن الرسوم السامية القديمة ،

((وتجرد هذا الرسم من حروف المد يجعل قراءة كل كلمة محتملة لعدة وجوه)) (5)

1) كتابة هذا المصطلح هو احترام للترجمة فقط ، لكننا لا نتفق معه بهذا الشكل .

2) محاضرات في الالسنية العامة ص : 56 - 57

3) نشير مرة أخرى الى أن البائدة عندنا لا تعني الفناء تماما ، ولكننا نقبلها للتمييز بين اللغة التي وصلتنا مروية وهي هذه الفصحى وبين هذه اللهجات .

4) فقه اللغة ص : 78 د . رافعي

5) م.س.ص : 79

ومما ظهر للدكتور علي عبدالواحد وافي من خلال نقوش هذه اللهجات الثلاث أن المتكلمين بها ((كانوا في عزلة عن عرب نجد والحجاز ،وأنهم فقدوا كثيرا من مقوماتهم العربية ،وصبغوا بالحضارة الآرامية والنبطية ،حتى انهم ليؤرخون نقوشهم بحرب النبط وتاريخ بصرى وحرب الفرس والروم)) (1) .

ان النص أعلاه ليس لصاحبه ما يقوم له دليلا عليه ، بالنسبة للتأريخ فلا يزال العرب حتى اليوم يؤرخون بميلاد السيد المسيح ، ولا سيما في الادارات الحكومية ، وفي أحسن الحالات يقابل التاريخ الميلادي بالتاريخ الهجري من العرب المسلمين ، وبعض البلدان العربية استحدث تاريخا ثالثا مخالفا تماما لما عليه العرب والمسلمون ، وأما بالنسبة للعزلة فان في المسألة كذلك نظرا اذا نظرنا الى الحيز الجغرافي أو الفضائي المترامي الاطراف الذي وجدت فيه هذه النقوش هناك ، فاذا أخذنا نقوش ثمود وحدها كانت كافية لبطلان صاحب النص أعلاه ، لان هذه النقوش (الثمودية) وجدت ((في الجوف وحائل وتيماء ، وعلى طريق حائل الى تيماء ، وشمالا الى العلا عن طريق الحجر ، وفي مدائن صالح ، وجنوبا في الطائف ،وعلى درب الحج ، وفي النسل تبوك وضواحيها ،ثم في جبل رم قرب العقبة)) (2)

---

1) فقه اللغة ص : 90

2) من الساميين الى العرب ص : 160

ووجدت نصوص ثمودية في أماكن أخرى مثل قادس ببلاد أدوم ،وأم الراس في الاردن ،وفي نواحي الصفا ، وجنوب شبه جزيرة العرب ، بل حتى في مصر الى جانب نص واحد على الاقل في سيناء (1) ، ومنذ وقت ليس بالبعيد عثر أحد مديري المعهد الفرنسي للآثار في بيروت على جعل يحمل نقشا ثموديا (2) ... أين هذه العزلة التي ذكرها الدكتور افي ؟

أما استنطاق هذه النصوص الثمودية فقد قرأها المستشرقون اعتمادا على الابجدية اليمنية أو السبئية المعروفة في جنوب شبه الجزيرة العربية ، واستنتجوا بالتقريب تاريخ هذه النقوش بين القرنين الثاني والخامس قبل الميلاد (3) .

ويرى الدارسون أن العربية ((الثمودية)) تمتاز عن العربية الباقية بشدة تأثرها باللغة الآرامية ،وعلى هذا ،فان النقوش التي وصلتنا عنها قسمان : قسم شديد التأثر بالآرامية ، وقسم أقل تأثرا بها ، وهو أقرب الى العربية الباقية (4) .

ويظهر أن القسم المتأثر منهما بالآرامية لا يعني الا شيئا واحدا ، وهو أن المتكلمين بهذا القسم انفصلوا بعد انفصال القسم المتأثر

---

1) م.ه.ه : ن.ص.

2) م.س : ص.ع

3) م.س.ص : 160 - 161

4) فقه اللغة ص : ... د. زاي

بالعربيـــة البائيـــة ، أولا أن أصحابه قد ظلوا متمسكين بهذه اللهجة منطوين على أنفسهم في منطقتهم من غير اتصال بمن انفصلوا قبلهم وطوروا لهجتهم التي أضحت فيما بعد لغة الخطابة والشعر والحديث الفصيح ثم لغة القرآن الكريم .

والتقارب بين هذه اللهجات الثلاث واللهجة العربيـــة الجنوبية أو اليمنية القديمة له ما يبرره من الناحية الصوتية على الاقل ، حيث جاءت مدونة بالمسند ، في الوقت الذي جاءتنا نقوش العربية البائيـــة بالخط النبطي المتطور عن الخط الآرامي ((على أوجه الأقوال والآثار)) (1) .

ثم إن عثور العلماء على هذه النقوش الثلاثة مدونة في الشمال بالخط العربي الجنوبي لا يجعلنا نرتاب في صلة ((البائدة)) بالبائية أدنى ارتياب ، لان ابجدية المسند نفسها تتألف من تسعة وعشرين رمزا للأصوات العربية ، وهي تمثل الحروف العربية في البائية بزيادة صوت واحد ((بين السين والشين على ما يسمى)) (2) .

ويقول الدكتور شوقي ضيف : ((وهذه النقوش مع أنها كتبت بالخط المسند الجنوبي تقوس للعرب الشماليين ، فاللغة التي تعبر عنها عربية شمالية)) (3)

---

1) قصة الكتابة العربية ص : 14-15 . ابراهيم جمعة (ط : 2/ دار المعارف بمصر)

2) تاريخ اليمن القديم ص : 201 محمد عبد القادر بافقيه (ط : 1973 مطبعة العربية بيروت)

3) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي ص: 112

رأينا أن نترك هذه الدراسة التركيبية لهذه اللهجات الثلاث لكونها تشترك اشتراكا كبيرا في عدد من خصائصها اللسانية العامة مع الاشارة الى ما قد تتفارق فيه في أحد العناصر، ولكننا ترددنا عن هذه الرؤية لسبب منهجي أو خوفا من عدم التحكم في ظاهرة التقاطع من جهة والتشابه أو التوازي أحيانا من جهة ثانية .

مما يدل على اللهجة الثمودية المسماة بـ((اللحيانية)) عادة من العربية الباقية صيغة التثنية ، هذه الصيغة ظاهرة لسانية وجدت في اللغات السامية ،أوكما قال الدكتور ابراهيم السامرائي : ((نستطيع أن نقرر أن التثنية ظاهرة سامية أو قل عربية قبل كل شيء)) (1) ، وهي لم تبرز بشكل واضح الا في العربية من اللغات السامية ، فهي زالت تماما من اللغة السريانية الا في بعض كلمات لا تتعدى الخمس (2) .

وأما اللهجات السامية الأخرى كالآرامي الانجيلي فان التثنية مقصورة على أعضاء الجسم المزدوجة كما في (يدامين) و (رجلاين) أي علامة التثنية ياء ونون فقط ،ونفس الحال في البابلية أي لا

---

1) فقه اللغة المقارن ص : 75

2) م.س.ص : 76

يقتصر فيها الا على أعضاء الجسم المزدوجة ((ولا يوجد المثنى في الحبشية الا في بقايا متحجرة والعلامة ( ) كما في عشرا ومعناها عشرون ، وفي العبرية يستعمل المثنى في أعضاء الجسم المزدوجة وفي الادوات التي تتألف من شقين كالمقص والميزان مثل ((يداييم)) ، وكلمات دلت على الجمع وجاءت على صيغة المثنى (شمايم) سموات و (مايم) مياه ، وتوجد فيها كلمات دلت على المفرد وهي بصيغة المثنى كما في (صهورايم) أي الظهيرة ، وعلامة التثنية في العبرية يا ء وميم مفتوح ما قبلهما)) (1).

ان وجود صيغة المثنى في الثمودية لدليل على تقاطعها مع العربية الباقية ،ولذلك كنا أشرنا الى عدم استيعابنا جوهريا لكلمة ((باثدة)) ، اذ لم لا تكون هذه الصيغة هي نفسها التي ورثتها الفصحى المتأخرة عن اللهجات العربية الأقدم منها ؟ لأنه لاتوجد الا صيغة واحدة عامة ، أما أشكالها الدالة على التوسع الفضائي من متكلميها فهي لا تقوم دليلا مانعا من كونها ذات شكل لساني يكاد يكون عاما بين المتكلمين العرب القدماء (2) .

---

1) م.س.ص : 80

2) سنعود الى مسألة المثنى بشيء من التفصيل حين سنتحدث عن هذه البنية من خلال تناولنا اللهجات العربية في العربية الباقية .

والى جانب صيغة المثنى توجد عندهم صيغة الجمع ، وحروف الجر مثل اللام والباء والى وعلى وفي ومن وحرف العطف (الواو) (1) ، وتستخدم نفس أسماء الاشارة والاسماء الموصولة ، ولعل أهم خاصة توجد فيها هي الاعراب وهو ظاهرة لم توجد في غير العربية الباقية والبابلية الحمورابية اذا استثنينا آثارا منها في كل من لغة بطرا وتدمر (2) .

وتتفق اللهجات الثلاث مع العبريين في استخدام أداة التعريف هاء ، في حين تستعمل النبطية هذه الأداة (ال) مثل العربية الباقية ، وفي هذا يقول الدكتور شوقي ضيف : ((ومن هنا يصح أن نطلق على الأولين اسم أصحاب لهجات الهاء)) (3) ، وهذا القول عندنا غير مستساغ ، اذ لا يمكن تسمية لغة أو لغات بظاهرة جزئية ، لان هناك بعض اللهجات الاخرى كالسريانية مثلا فقدت أداة تعريفها الصدري كانت (ܐ) في ܒ حسر الاسم (3) ، ثم ان المنقبين قد عثروا على خطوط فيما بين دمشق والعلي ((وهي من رسم الرعاة خطوها على الصخور ومن أغرب ما في عربيتها أن أداة التعريف فيها بالهاء ...)) (4) .

---

1) اللغة العربية عبر القرون ص : 30 مقارنة بتاريخ الادب العربي ص : 112

2) العرب قبل الاسلام ص : 54

3) راجع ص : 165 من هذا البحث

4) تاريخ آداب العرب ج : 1 / ص : 85

وفيما بدا للدكتور فهمي حجازي أن الجماعات السامية القديمة لم تكن تعرف أداة للتعريف ((فطورت كل لغة سامية وسائلها الخاصة بها للتعريف)) (1) ، وأجد بهذا التحليل أن يكون منطقيا ، لأن هذه الاداة متنوعة في الساميات و لهجات أخرى بصورة تدعو الى الالتفات ثم ان البنية السانتكسية لايفترض فيها أن تتعدد الا اذا تعدد النظام القاعدي فيها من متكلمين متباينين لعوامل خارجية ، أما البنية الداخلية للغة فمن المفروض أن تكون ذات نسق واحد ، اذ لا يمكن للمفعول - في العربية مثلا - أن يكون تارة منصوبا وأخرى مرفوعا ، واذا ما وردت بعض البنى السانتكسية مستظهرة في أكثر من نسق واحد ، وهذا أمر وارد أحيانا ، فان الامر لا يعود الى هذه البنى في ذاتها التي يفترض فيها أن تكون منتظمة حتى لا تصير اللغة تراكيب فوضوية ، بل الى الطاقة اللسانية لكل لغة من اللغات الانسانية ، وهنا تتفاوت أو وتتقارب الانظمة اللسانية.

أما البنية السانتكسية في اللهجة اللحيانية التي يدرجها الباحثون في اللهجات العربية المهكرة فأداة التعريف كما مر بنا فيها هي الهاء ، لكنهم قد يشذون عن هذه القاعدة

---

1) راجع اللغة العربية عبر القرون ص : 31 - 32

فيعرفون بأل أ و باللام على شاكلة العربية الجاهلية ، وربما جمعوا بين العنصرين في تركيب واحد مثل :

هلحسى = بمعنى : الحسى (1)

ومن أسمائهم الموصولة من وما الموجودان في العربية الباقية الى جانب ((ذو)) الطائية ، ويستنتج الدكتور شوقي ضيف وهو يقارن بين اللغات السامية على أن الاسم الموصول ((ذو)) عند الطائيين بهذا الشكل يعني أن الاسماء الموصولة كانت في الاصل أسماء اشارة (2) .

واذا اعتبرنا البقايا اللهجية في العربية الباقية ما هو الا امتداد أو ارث طبيعي - وهذا ما نعتقده غالبا - للهجات العربية الأصلية الموغلة في القدم ، فاننا لا نذهب هذا المذهب الذي أشار اليه الدكتور شوقي ضيف ، لان أسماء الاشارة في اللهجات العربية الفصيحة الباقية ضمن تراكيب راقية شيء وأسماء الموصول الباقية في هذه اللهجات شيء آخر ، وكلاهما مختلف عن الآخر أيضا في تركيبه الافرادي والجملي (3) .

ومن جهة أخرى ، فان اللحيانيين يشيرون بالذال المعجمة وذه وذات (4) بينما تكون (ذات) قائمة مقام (التي) في لغة

---

1) تاريخ الادب العربي ص : 112 (العصر الجاهلي)

2) م.س.ص : 108 - 109

3) سنعود الى هذه التراكيب لاحقا

4) تاريخ الادب العربي ص: 112 - 113 (العصر الجاهلي)

طبيعي ، وأما ذوات فتقوم عندهم مقام (اللاتي) في الجمع (1) .

وستتضح هذه المسألة أكثر حين سنتناول بعد حين اللهجة النبطية .

ونجد عندهم قواعد سالكسية أخرى مثلما هو موجود في العربية الفصحى تماما ، مثال هذا ظاهرة الجنس حيث يذكرون ويؤنثون على نحو ما هو معهود عندنا في الفصحى ، أما اذا كانت العربية القديمة التي سبقت هذه اللهجات الثلاث قد مرت بمرحلة تاريخية ((لم يكن الجنس (GENRE) فيها واضحا تمام الوضوح بقسميه : المذكر والمؤنث)) (2) ، فان الامر طبيعي ، لان هذه الظاهرة مرتبطة قبل أي شيء بأشكال مادية وملموسة يصطدم بها أي مجتمع بدائي في حياته منذ عهده البدائي ، ويبقى التساؤل اللغوي الفلسفي مطروحا — ولا نريد أن نخوض فيه — : أيهما أسبق المذكر أم المؤنث ؟ فانا نقول من الناحية اللغوية التي تجسدها هذه الظاهرة ان أحدا منهما لم يسبق الآخر ، وانما كل واحد منهما وجد يوم وجد أول مؤنث رأول مذكر ، وليس كما زعم الدكتور ابراهيم السامرائي : ((ان التأنيث بالعلامة طارئ في العربية من الناحية التاريخية كما هو طارئ في العربية من أخواتها السامية)) (3) .

---

1) دراسة اللهجات العربية القديمة ص : 40

2) مبادئ اللغويات ص : 125

3) م.س.ص : 131

وأهم ظاهرة أخرى في هذه اللهجة هي ظاهرة الافراد والتثنيـــة ، وهم يعاملون جمع المذكر السالم وجمع المؤنث السالم مثلما يعامل في العربية لغة الآداب والقرآن تماما وهذا الى جانب وجود جمع التكسيـــر عندهم ، ومن أدوات الجر عندهم أيضا الباء واللام وفي ومن ، ومن أدوات الاضافـة مع و قبل وبعد وتحت ولدى وخلف (1) ، وهذا يعني أنهم عرفوا ظروف الزمان والمكـــان التي تقسوم بوظائف مزدوجة منها ما يتعلق بالناحية السانتكسية ومنها ما يتعلق بالناحيـة الدلالـــة ، كما أنهم يستعملون أداة (لا) للنفي .

أمـا ما يخص بالبنيـــة السانتكسية لدى الصفويـــن ، فاننا نريد أن نشير الى أن نقوشها التي وصلتنا هدت الباحثين الى القول بأن اللهجـة الصفويـــة تشكل الى أبعد حد كبير اللهجة العربيـة الشمالية الفصيحة أو العربية الباقيـــة على الرغم من بعض الظواهر التي تعكس تأثيرا للآراميـة فيها ((ولا غرو ، فقد كانت الآراميـة ســائدة في منطقـة الشام والعراق ، وهي أقرب اللغات جغرافيا للمنطقة التي وجدنا فيها النقوش الصفوية في بادية الشام والعراق وسمـاء ، وتتضح الآثار الآراميـة في بعض أسماء الاعلام والمفـردات الحضـاريـــة)) (2) .

---

1) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص :113

2) اللغة العربيـة عبر الدهور ص : 31

ومما أثبته بعض الدارسين مثل دوسر وغيره أن سكان الصفا الاقدمين ((نقشوا على الاحجار والصخور الهركانية حروفا من أبجدية جنوب جزيرة العرب ، ودعيت هذه النقوش ((صفوية)) (1)

ومما هو شائع في هذه اللهجة أن التعريف فيها بالهاء على نحو اللهجتين السابقتين ، الا أن أسماء وردت لديهم معرفة بالالف واللام مثل الأوس والعبد (2) ، ويشيع عندهم اضافة المنعوت الى النعت كأن يقولوا : ((بنت الكبيرة)) بدلا من : البنت الكبيرة ، وذلك على شاكلة اللغة الحبشية وكذا العبرية المتأخرة وحتى بعض اللهجات الجاهلية التي عقبت هذه اللهجات ((البائدة)).

ومما يتصل بتعريف هذه اللهجة أحيانا بالالف واللام ، فانه مما يدولي أن هذه الظاهرة لا تتعلق بالتعريف ، وانما تتعلق بغرض بلاغي يراد به التفخيم ، وقد جاءت تراكيب عربية فصيحة مشوبة بنفس الظاهرة ، من ذلك قول أبي النجم العجلي : (3)

بعد أم العمرو من أسيرها حراس أبواب على قصورها

وقال ابن ميادة : (4)

رأيتك الوليد بن اليزيد مباركا شديدا بأحناء الخلافة كاهله

---

1) من الساميين الى العرب ص : 165

2) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 113

3) المفصل في علم العربية ص 130 الزمخشري (ط: 2/ دار الجيل - بيروت)

4) م ن ص ن و ن ه ص

وقال الاخطل (1) :

وقد كان منهم حاجب وابن أمه أبوجندل والزيد زيد المعارك

وقال الزمخشري : ((وعن ابي العباس اذا ذكر الرجل جماعة اسم كل واحد منهم قيل له : فما بين الزيد الاول والزيد الآخر ، وهذا الزيد أشرف من ذاك الزيد وهو ظليل)) (2).

وقال صاحب نظم الفرائد وحصر الشرائد ذلك لام التعريف ومعانيها المختلفة (3) :

تعلم فللتعريف ستة أوجه اذا لاحه زيدت على أول الاسم

حضور وتفخيم وجنس وعهد ومعنى الذي ثم الزيادة في الرسم

ثم أردف قائلا : ((واما التفخيم فكقولك : العباس والاحنف والحارث)) (4

وأي فرق بين عهد وأوس وعباس وأحنف ؟ وان لم تعن عندهم المدح والتفخيم في كل حال فهي قد تعني في المقابل تعريف الحضور مثل : ((هذا الاوس حليفنا)) ونحو هذا .

وبالنسبة لاضافة المنعوت الى النعت فانهم من غير شك متأثرون بلهجة سامية قديمة لا يمكن الجزم فيها بأنها حبشية أو عبرية .

---

1) م.س.ص : 14

2) م.س.ع : ن.ص

3) نظم الفرائد وحصر الشرائد : لـ الامام مهذب الدين مهلب بن حسن بن بركات المهلبي (ط: 1/ 1986 مطبعة المدني - القاهرة)

4) م.س.ع : ن.ص

ويتبع عندهم اسم الاشارة المشـــارالية ولا يتقدمه ،فيقولون :

((جـو ،د)) أي الوادي هذا ،كما أنهم يستخدمون ((ذو)) الطائيـة اسما موصولا ، وهي تدخل تاء التأنيث على الكلمـة كمميز للجنس بين المذكر والمؤنث ،وتكثر فيها أدوات الجر المعروفة في العربية الباقيـة ،وتعطف بحرفي الواو والفاء ، وتستعمل الهاء والياء للنداء (1).

ولعله من خلال الاتيان ببعض النصوص الصفوية التي اكتشفت في احدى المقبرات الصفوية بالاردن ،نأخذ فكرة أعم وأوسع عن هذه اللهجة التي يجمع الدارسون على اعتبارها أقرب الـى العربيـة الباقية أو الفصحى العاديـة منها الى اللهجتين السابقتين أي الثمودية واللحيانيـة على الرغم من أنها تشترك معهما في كثير من الصيغ أو البنى السانكسية والمورفولوجية والمعجميـة .

والنـــص أو النصوص هي : (2)

لهرس بن عقرب بن هنا بن حجر ، اهارس بن عقرب بن حيسار

وبنى على أخـــه تـــــــرح = وبنى لأخيـــه وحـــزن

ورجـم (3) على هنا وبنـــى = ورجم (على ضريح) هنا وبنـــى

---

1) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 113 - 114

2) نعتمد على توثيق هذا النص من مرجع : من الساميين الى العرب ص165 وما بعدهـــا

3) وجم في اللهجة الصفوية تعني ((رجم)) ،لان طريقة تكريمهم الاموات كانت تقوم على رمي حجر فوق القبر ،والغريب ان هذه العادة لا حظتها في منطقة رأسي ،حيث كان كل ولد منا يلقي حجرا صغيرا في مكان معين .

لسعد بن احدث بن رمحت = لسعد بن احدث بن رمحة

ف هلت وهد شر = فيا اينها اللات ويا ذا الشرى

شا رلعن حولت = الثأر من (قبيله) حوالات

لنصر بن وهبلله بن اوس = لنصر بن وهب الله بن اوس

وتشوق الى أخـــه = واشتاق لأخيه

ف هبله سلـم = فيا الله سلـم

لشهور بـن اس = لشهور بن اوس

ومن هذه الجمل الصفوية أو بعبارة أكثر دقة فما ، من هذه الجمل أو التراكيب في العربية القديمة نلاحظ أن كلا من البنيتين السانكسية والمورفولوجية الى جانب البنيات الأخرى - طبعا - قام بمعيشه اللسانية كما تقتضيه القواعد اللسانية في اللغة العربية المعروفة لكنها تتميز بشخصيتها الصفوية الخاضعة للتاريخ والزمان والمكان .

الالفاظ منفصلة بعضها وراء بعض في سلسلة خطية كلامية معتمدة في هذا الانفصال الخطي الافقي على طابع الواقع الملموس بين الكائنات التي لاحصر لها ، وعلى طابع الدلالات الفضائية المدركة من الصفوي بحس التجربة الثقافية واللسانية العامة ، ولذا فان كاتب هذه الجمل راعى باتقان معاصرلـه ، من حيث الرسم وقواعده وطبيعته بين المتكلم أو البات والمرجع والمتلقي ، وباتقان معاصرلغيره ، وهي الجماعة المتكلمة التي تعقبه أو تقف على آثار رسمه ،

ثم رابعا - وهذا هو الأهم في دراستنا هذه - عاملين اثنين لا يسلم تركيب لغوي في أي لغة انسانية بدونهما، وهما عامل السانتكس وعامل المورفولوجيا، وهما هنا يقومان على الاعراب من جهة وعلى ما تقوم به الادوات النحوية والمورفولوجية من وظائف مزدوجة بين الباث والمتلقي من جهة ثانية، وهذه اللهجة كغيرها من اللهجتين الأخريين وحتى اللهجة النبطية كانت الالفاظ المنفصلة تنتظم في جملها ونصوصها وفق الدلالة أو التوصيل الذي تريد العبارة أو التركيب ان يبلغه للمتلقي أو الى أي متلق(1)،

ولعل المطلع على قواعد اللغة العربية الحالية لا يردد كثيرا في الوقوف على حقيقة أو طبيعة هذه الجمل الصغوية في كل المستويات التي تشارك أو تتشارك في تركيبها بداية من الرسم الذي سنعود اليه حين الحديث عن البنية الصوتية ، ... الى شكل الادوات أو المقولات النحوية والمورفولوجية، فهي تحوي حروف الجر، والعطف ، والنداء ، والتعريف (الهاء) ، والافعال الماضية ، واسم المفعول ، والبدل ، والصفة ، والفاعل المستتر ، ... الخ .

أما من الناحية المعجمية التي سنشير اليها في موضع آخر فانها بينة بغزارة الجذور والاشتقاقات وأسماء الأعلام العربية ... الخ

---

1) سنعود الى هذه النقطة الاساسية في صدر الحديث عن اللهجات العربية الباقية من خلال المدخل الخاص بالجملة .

وبشأن الانباط قال الاستاذ مصطفى صادق الرافعي : ((قامت في شمال الجزيرة دول عربية متحضرة ، كالنبط والتدمريين ، وهؤلاء وان كانوا عربا فيما حققه العلماء ، بيد أن عربيتهم غشة غير متوقحة ، لا تبين على آثارها البادية مما يلي الحجاز ، لان أقدم ما عرف من تاريخ النبط يرجع الى أوائل القرن الرابع قبل الميلاد ، ... وهم قوم كما قلنا يكتبون بالآرامية التي خلفت البابلية في مدونات السياسة والتجارة ، لان الاحرف العربية لم تكن وضعت يومئذ ، ... على ان ما اكتشفوه من آثارهم الكتابية لا يخلو من الفاظ شبيهة بعربية الفدانيين ، مما رجح عند العلماء أنها تحول في الآرامية التي هي مشتقة من البابلية القديمة ، كما خرجت المضرية بذلك التحول عينه من فروع البابلية ، وقد استدلوا بهذا على أن لسانهم كان عربيا على وجه ما حتى أثرت عربيته على لغة الكتابة التي اضطروا اليها بحكم الحضارة)) (1).

وأما الدكتور محمود فهمي حجازي فيقول : ((وليس الثموديون والصفويون واللحيانيون وحدهم هم اصحاب النقوش التي وجدناها في صحراء الشام والعراق ، فالنبط أيضا شعب عربي ، ونعرف هذا من أسماء الأعلام عندهم ، ولكنهم لم يكتبوا بالعربية ، وكتبوا

---

1) تاريخ آداب العرب ج 1/ ص 94.

بالآرامية لغة الحياة الدولية آنذاك ، ولكن للنبط أهمية كبرى في تاريخ العربية وخطوطها ،فالنبط هم من علموا العرب كيف يكتبون ، والخط النبطي هوصورة متطورة عن الخط الآرامي وهو أساس الخط العربي)) (1) .

ولسنا هنا بصدد اثبات أو نفي عروبة النبط أو الشك قليلا في لغتهم التي وصلتنا بأنها عربية ، لكن فقط لطرح اشكالية سهى للباحثين السابقين أن أشار اليها كل واحد منهما ، وهي أن لغة التواصل الدولي في ذلك الوقت كانت هي الآرامية وليست النبطية أو واحدة من اللهجات العربية الشمالية الاخرى .

غير أن الاستاذ جرجي زيدان يعد - في نظرنا - أبرز باحث عربي وأجنبي تناول بالبحث العميق والاصيل هذه المسألة ، وفي ردود ه على من يشكون او ينكرون عروبة هؤلاء ، فانه يرى أن مؤرخي اليونان الذين عاصروهم سموهم عربا ،وهم أعلم الناس بهم (2) ، وأما اللغة التي قرأوها على آثار النبط ،وهي آرامية ، فانها لم تكن لم تكن هي لغة التكلم (3) ، أما لسانهم الذي كانوا يتخاطبون به فانه عربي مثل أسمائهم ((فاللغة التي نقرأها على آثار بطرا وغيرها من اطلال الانباط آرامية ،واما لغة الكلام فكانت عربية ،والاثنتان

---

1) اللغة العربية عمر القرون ص : 32

2) العرب قبل الاسلام ص : 11

3) م.س.ص : 81

مرتبطتان بأمهما القديمة لغة بدو الآراميين ،أو اللغة البابلية القديمة ،بعلامة تشتركان فيها دون سائر اللغات السامية ، أعني حركات الاعراب في أواخر الكلم في بعض الاحوال)) (1).

وأما الدكتور شوقي ضيف فانه لا يتردد في القول :

((والنبط عرب شماليون كانوا يتكلمون العربية الشمالية في احاديثهم اليومية ،غير أنهم اختلطوا بالآراميين ،وكتبوا بها بجد يتهم فظهرت في نقوشهم آثار آرامية كثيرة)) (2).

ومما لاحظه ليتمان مما يتصل بالبنية السامية تكسية أن النبط كانوا يلحقون في كتاباتهم ونقوشهم حرف ((الواو)) بآخر الاعلام أحيانا ذاهبا الى أن هذه الواو تعني أن اسم العلم معرب أو متمكن ، وأما الأسماء المبنية أو غير المتمكنة فكتبوها بلا واو في آخرها ، مما جعل العرب بعد ذلك يأخذون هذه الواو عنهم ليلحقوها بـ ((عمرو)) فرقا بينه وبين عمر (3) وهم بهذا يكونون قد سبقوا في نقوشهم ((بين الأعلام الممنوعة من الصرف والمصروفة بأن أضافوا للأخيرة واوا دلالة عليها)) (4).

---

1) العرب قبل الاسلام ص : 83 - 84

2) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 115

3) م.س.ص : 110 - 111

4) الشعر الجاهلي ص : 15 د. سيد حنفي حسنين (ط: 1971 الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر)

والعرب الانباط كانوا،خلا فا لأداة التعريف في اللهجات الثلاث ، يعرفون بأداة التعريف المعروفة في العربية الباقية (ال) ، وقد يجارون ((الآراميين في تعريفهم الكلمات بالحاق ألف في نهايتها فقد نجدهم يكتبون القبر ((قبرا)) و المسجد ((مسجدا)) ولكن الغالب عليهم استخدام أداة التعريف العربية ((ال)))(1)٠

لكن المشهور في لغتهم أنهم لا يستخدمون الا أداة واحدة هي ((ال)) ، أما هذه الالف في نهاية الاسماء فانها ذات صلة بطبيعة الخط الآرامي الذي كانوا يكتبون به ،ولا علاقة لها بطبيعة أداة التعريف عندهم ، لأن الأسماء التي كانت تنتهي في اللهجات الآرامية بالحرف (ٱ) كانت في البداية تدل على التعريف عندهم حقا ،لكنها لما لبثت أن تحولت الى عنصر نحوي دلالي يدل على التأكيد (2) ،حتى وان كان بعض الدارسين الآخرين يرى أن علامة التعريف الآرامية ((الملحقة بآخر الاسم (ٱ) ، قد فقدت في اللهجات الشرقية (3) وظيفتها وأصبحت جزءا من الكلمة لا تدل على التعريف)) ، (4) ٠

---

1) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 116

2) الآداب السامية ص : 51

3) يقسم الدارسون المحدثون اللغة الآرامية الى قسمين : شرقية،وغربية.

4) فقه اللغة ص : 58 د. وافي

ويلخص الدكتور شوقي ضيف الصلة الوثقى لهذه اللهجة بالعربية الباقية فيقول : ((واذا رجعنا الى خصائص هذه اللهجة وجدناها حقا شديدة الصلة باللغة الجاهلية ، فهي لا تكاد تفترق عنها في أبواب الضمير والفعل وأسماء الاشارة والأسماء الموصولة والنسبة والتصغير وحروف الجر والعطف ، وكذلك الشأن في التذكير والتأنيث للاسم والفعل)) (1) ، ثم يردف قائلا : ((والشبيه بذلك كله تعد وثيقة الصلة بعربية الجاهلية ، وهو طور قريب منها قربا شديدا)) (2) .

ولكل من الباحثين : الكثير مورد فهمي حجازي والاستاذ جرجي زيدان رأي متقاطع من الآخر ، فالأول يرى أن لغة الشعر الجاهلي والقرآن الكريم لا تعتبر الا مستمدا المباشر للغة هذه النقوش على ان اللغة التي وصلتنا في الشعر الجاهلي والقرآن الكريم هي صورة منقولة ومتطورة (3) .

وأما الثاني فهو الآخر يتحفظ بقوله : ((على أننا لا نظن اللغة العربية التي كان يتفاهم بها النبطيون هي نفس اللغة العربية التي عرفناها في صدر الاسلام)) (4) .

---

1) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 116

2) م.ن.ص : 117

3) راجع اللغة العربية عبر القرون ص : 33

4) العرب قبل الاسلام ص : 85

كتابة نبطية على النقش مدائن صالح

(لـوحـــــة : 6)

ان هذا النقش النبطي يعود الى السنة الأولى قبل الميلاد ، وهو عهد كتبه رجل اسمه عائذ بن كهيل على قبره في الحجر (مدائن صالح) ، ونحاول ترجمته بالحرف العربي ، ومما لاحظناه بين المختصين والدارسين أن نطق هذا النقش بالحرف العربي مختلف فيه اختلافا متباينا بين مصدر وآخر ، وهذا الاختلاف لا يقتصر على ظاهرة واحدة كالظاهرة الصوتية ، بل يشمل جميع الظواهر الأخرى ، حتى اننا لنتردد ونحتار ؛ ما هو النطق أو الرسم الصحيح المقابل من النطق والرسم الخاطئ؟ (1) نطق هذه النقوش بالاحرف العربية في كل سطر على حدة ؛

1) - د نه قبرا د ي عهد عبد و بر كهيلو بسر

2) - الكسي لنفسه وبلده واحره ولمن دي يخلف بيده

3) كتاب تقف من يفد عبد و قيم له ولمن دي يختن ويقبر به

---

1) كشاهد على هذا الاختلاف في ترجمة هذه النقوش نفسها ، قارن بين الشيخ نسيب وهبه الخازن في كتابه (من الساميين الى العرب: 143) وجرجي زيدان في : (العرب قبل الاسلام ص : 84) .

4) عبد وحيرومي حرح نيسان سنة (1) تسع لحرتت ملك

5) نطورحم عمه راعنر ذو شرا ومتوتو وقيمه

6) كل من دبي نز ر كفرا دنه او نزين ا يهدمن او يقلعن و

7) يوجرا ريتالف طوهي كتب كله او يقربه انوس

3) لان اس دبي ملا كتب وكفرا وكتبه دنه حرم

8) كحليقت حرم نطور ذلر لعلم طيمن

اما ترجمة النص بالعربية سطرا سطرا فهو :

1) هذا هو القبر الذي بناه عائذ بن كهيل بن

2) القصي لنفسه وأولاده وأعقابه ولمن يكون في بيته

3) كتاب من بيت عائذ سمح له ولأي واحد يخوله عائذ في حياته أن

يدفن فيه ،

4) في شهر نيسان (ابريل) السنة التاسعة للحارث ملك

5) الأنباط محب شعبه ، ولعن ذو الشرى ومناة وقيس

6) كل من يبيع هذا القبر أو يشتريه أو يرهنه أو يهبه أو

7) يؤجره أو يفتح عليه شيئا آخر أو يدفن فيه احدا

8) الا الذين كتبت أسماؤهم أعلاه . ان القبر وما كتب عليه حرم

مقدس .

9) حسب القاعدة التي يقدسها الأنباط والسلاميون الى أبد الآبدين .

---

1) هذا من الاختلافات الخطية ، والمشهور ان التاء مبسوطة لا مربوطة

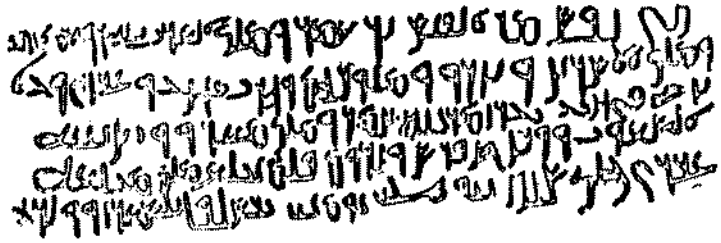

وهذا نصها بالحرف العربي : (لـوحـة : 7)

(١) ذي نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو اسر التاج .

(٢) وملك الأسديين ونزور وملوكهم وهرب مذحجو عكدى وحاء .

(٣) يرجو في حبج نجران مدينة تمر وملك معدو ونزل بنيه .

(٤) الشعوب ووكله لفرس ولروم فلم يبلغ ملك مبلغه .

(٥) عكدي هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ بكسول باسعد ذو ولده .

ان هـذا النقش اُعلاه المؤرخ في سنة 328 م والمعروف بنقش النمارة (بلاد الشام) ، يكاد يجمع الدارسون على اُنه يصور تطورا خطيرا للغة النبطيـة ،حتى انـه ليعتقد اعتقادا راسخا باُن هذا النص يمثل ((مرحلة من مراحل تطور اللغة العربية الفصحى التي نزل بها القرآن الكريم ،ويدل ايضا على ان اللغة العربية اخذت منذ القرن الرابع الميلادي تبسط سلطانها على شمالي بلاد العرب)) (1) .

وترجمة النقش سطرا سطرا هو : (2)

1) هذا قبر امرئ القيس بن (3) عمرو ملك العرب كلهم ،الذي عقد (اُ وتقلد اُ وا ُسر) التاج .

2) وملـك قبيلتي اُسد ونزار وملوكهم و شتت مذحج بالقوة وجاء

---

1) الشعـر الجـاهلـي ص : 17

2) لم نعتمد على مصدر واحد بعينه في هذه الترجمة ،بل على الاجتهاد من خلال مصادر مختلفة ،لانها هنا ايضا تتباين في هذه الترجمة .

3) النقش مصور من ((تاريخ الادب العربي ج 1/ص : 56)) ،وانفرد برسم الرا ُ في ((بسر)) نونا ،وهذا خطا ُ،لان النقش ((بر)) لا ((بن)) .

3) بالدفاع (بالنصار) في شارف نجران (أو أسوارها) مدينة شمر ، وملك معد الوولى بنيه .

4) على الشعوب (القبائل) ، وانابهم شبهه لدى الفرس والروم ، فلم يبلغ ملك بلغه (1)

5) في القمة . هلك سنة 223 يوم 7 من ايلول . ليسعد الذي ولده .

اذا استثنينا بعض الكلمات مثل (بسر) بمعنى ابن ، وهي آرامية ، وتجاوزنا عن بعض العناصر الدالة تكسية الاخيرة مثل الحاق الواو بآخر الاسماء دلالة على الاعلام المصروفة من الممنوعة من الصرف ، حيث كانوا يضيفون للمصرفة إذا في آخرها دلالة على تنوينها ، ... فانه ليكن الغرل بان هذا النص ليس فقط طورا من أطوار العربية في بداية عهد تبلورها ونضجها وانتظامها في بنياتها المحكمة وفق مقولات نحوية وقوانين صوتية وما الى هذا ... بل هو هذه العربية الباقية نفسها ، وللقسي وصلتنا تراكيبها فهي اشعار الجاهليين المكرمين التي صارت نماذج تحتذى للشعراء الجاهليين المتأخرين ، شم كان القرآن الكريم فتبناها وأثبتها وطورها في جميع مستوياتها وبنسج خطابي مقارع وجديد .

---

1) لا شك ان جملة أصلية في النقش من مثل هذه الجمل تجعلنا نتحفظ ونتراجع حين نستعمل مدلول (ترجمة) ؛ اذ ماذا نترجم هنا مثلا ؟ لاننا لسنا امام لغة اجنبية اولغة غريبة تماما ولو بعض الغرابة .

الفصل الثاني : في البنية المورفولوجية

سبق أن تناولنا هذا الموضوع في اللغات السامية التي اعتمدناها نموذجا للمقارنة بينها وبين العربية دون أن نتعرض الى اشكالية هذا الموضوع من خلال التعرض الى مفاهيمه المتعددة ومصطلحاته المتفاوتة لدى اللسانيين المعاصرين أمثال فندريس ، جمبرسين ، بلومفيلد ، واندريه مارتيني ،...الخ ،الى جانب مفهومه التقليدي في النظريات اللغوية القديمة ،وأثرنا الدخول في استعراض هذه البنى المورفولوجية مباشرة ،على اننا سنعود الى هذا الموضوع حين نتحدث عن العربية الباقية .

كان بودنا لو تعاطينا في هذه البنية مباشرة مع النصوص وفق الخطوط التي الاصلية التي كتبت بها ،لكن هذا غير ممكن من عدة وجه : أولها أن هذه العطية تحتاج الى تخصص دقيق في قراءة كل نقش على حدة ، وثانيهما أن احدا من الدارسين المتعمقين في هذه النقوش لم يدع — ولن يستطيع أن يدعي — أنه قصر أو نقشا واحدا قراءة صحيحة متفقة مع الآخرين فكيف بالنقوش كلها ،وهذا ما وقفنا عليه يقينا ، وثالثها أن هذه النقوش في ذاتها ليست على نسق واحد في بنياتها المتعاقبة تاريخيا ،كما أنها لم تكتب بخط واحد مستقر فضلا عن البقائص المتعددة في هذه الخطوط ،

رابعهـــا ، وهو الأهم من كل ما ذكر ، أن اللغة ، وهي محكيـة ، شيء ، وأنهـا ، وهي مدونة ، شيء آخـر تمامًا ، لا سيما بالنسبة للغة لم تتوارثها الأجيال المتعاقبة خلفًا عن سلف مثلما كانت تنطق ، لأننا إذا استثنينا من اللغة النبر والتنغيم والأداء الصوتي بأوجه مختلفة ، فإن البنيات الأخرى كيفما كان نسجها البنيوي لن تقوم مقامها أو تعوض جانبًا منها ، ولهذا فإن دراساتنا ستهتم بها ، ولا سيما في البنيتين : السانكسية والصوتية ، لكن لهاتين البنيتين تداخلا قويا من الوجهة اللسانية المتكاملة مع البنية المورفولوجية .

إن من يتتبع بعض النصوص النبطية ليلاحظ كتابتهم بعض الأسماء باشباع الكسرة بعدها في نهاية هذه الأسماء :

((لـه أبوهـــي ببدء الول)) (1) أي : ((لهأبوه في بدء ايلول)) . ومعنى هذا أنهم كانوا ينطقون هذا الضمير بالكسر ، ومثال قولهم الآخر من النقوحة السادسة (سطرًا أربعة) :

عبدوبحيوهي بعرح ... أي عبدو في حياتيه في شهر ... (2)

ومثال آخر : ((والوبر سعد الهي)) أي وائل بن سعد الله .

---

1) من السامين الى العرب ص : 142

2) إن ترجمة النص التي اعتمدناها تهمل ترجمة (في حياته) ويبدو أنه سهو ، لأنه من غير المعقول أن تضاف كلمة معجمية واضحة وقريبة من العربية نفسها ، لكن هذه الظواهر مغرية في ترجمة النقوش القديمة بين الدارسين .

وذكر اللغويون أن اشباع حركات الاعراب من لغة الأزد (1)، وهذا يعني ان الاشباع ليست قضية صوتية أو لغة شعرية فقط، بل هي أيضا لغة قديمة قد تم المتكلمين الأصليين بهذه اللغة ثم لما كانت التالية حافظت عليها وتمثلتها في سياقاتها وخطاباتها، لان ما يصل التكلمات المتعاقبة للأجيال المتتالية في اساسهم هو مثل هذه البنى والاشكال وليست البنى المعجمية ولا حتى الدلالية التي هي عرضة الى التغيير أو الزوال أحيانا لتحل محلها كلمات ودلالات أخرى.

مما يذكره علماء القراءات القرآنية أن القراء قد اختلفوا ((في ضم الهاء من عليهم، فقرأ حمزة وحده عليهم بضم الهاء وكذلك لديهم، ... وقرأ الباقون عليهم واخواتها بكسر الهاء)) (2)، ومعنى هذا أن القراء والعرب القدماء كانوا متفاوتين في نطق الضمائر المتصلة في آخر الاسماء المذكرة.

وكان عبد الله بن كثير يقرأ: عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، وَعَلَى قُلُوبِهِمْ، وعَلَى سَمْعِهِمْ، وعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ (3). وقالوا: ضم الهاء هو الأصل ... والواو هي القراءة القديمة ولغة قريش وأهل الحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن)) (4).

---

1) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص: 107

2) الحجة في علل القراءات السبع ج 1/ص: 42 الفارسي (دار الكتاب العربي)

3) م.س.ص: 42 في الآية: 7 من سورة البقرة

4) م.س.ص: 43

واذا اعدنا مرة اخرى الى النص النبطي (اللوحة السادسة) السابق ، فاننا نجد (بحموهي) وخاصة (علرهمي أي عليه) تشبهان بعض الآثار اللهجية الفصيحة ، فمن العرب من يقول : مررت بهي ، ولد بهي مال ، ومررت بداره هي قبل ، بينما يقول الحجازيون : مررت بهو قبل ، ولد بهو مال ، ويقرؤون : (فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ) ، (1) .

ومن نصوصهم نلاحظ جلاء أنهم - أي النبطيين - كانوا من لغة أهل التخفيف ، مثل جملتهم السابقة (والوبر سعد الهي) (2) .

وبالنسبة لصيغ الافعال ، فان تعدية الفعل اللازم في العربية الباقية يكون بطريقين : الهمز أو التضعيف ، وصيغة واحدة من هاتين الصيغتين تشيع (أفعل بالهمز) في كل من الحبشية والسريانية ، بينما تعبر العبرية والسبئية وبعض اللهجات الآرامية عن هذه الصيغة (أفعل) بالهاء ، أي ((أفعل)) في العربية الباقية تقابلها صيغة ((هفعل)) في اللغات الثلاث السابقة ، في الوقت الذي كان اللحيانيون والثموديون يستخدمون الصيغتين معا ، في حين ان بعض اللهجات الجنوبية تعبر عن هذه الصيغة بالسين (سفعل) . ويعبر عنها الآكادية بالشين (شفعل) (3) الى

---

1) م ص ، ص : 46 والآية 81 من سورة القصص

2) هذا مما سيرد حول في البنية الصوتية .

3) راجع تاريخ الادب العربي ص : 107 ، وقارن : الآداب السامية ص : 56 .

درجة أن ليتمان يرى ((أن اداة التعدية كانت في الاول سينا ،ثم صارت شينا في الأكادية ، وصارت السين هاء عند بعض الساميين ،ثم صارت الهاء همزة في العربية و السريانية والحبشية)) (1)

اننا نذكر ما لمحنا اليه آنفا من أن هذه السين وجدت في بعض اللغات السامية (البابلية والاشورية ثم الحبشية) كدلالة على تصيير الفاعل في هذه اللغات ،حتى ان البعض ليعتقد أن هذه السين دخيلة في الاصل السامي عن اللغة الطورانية (2)،وهناك بعض الابحاث تذكر أن ((هناك لهجة أخرى (3) تعبر عن الفعل المتعدي بزيادة (سا) في أول الفعل و هي تطابق شفعل في اللغتين الآرامية والسريانية)) (4) .

ومما يفهم من نص ليتمان أعلاه أنه يرمز الى أن هذه السين التي يجعلها أداة تعريفية متقلبة صوتيا ذات أصل طوراني دخيل في اللغات السامية ،و سيأتي تضمن نصه هذا الترميز أم لم يتضمن ، فانه لا يمكن للغة ان تعجز عن وضع صرف ترقفه

---

1) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 107

2) راجع ص : 178 من هذا البحث

3) لم تذكر هذه اللهجة ولكنها احدى اللهجات العربية الجنوبية

4) الآداب السامية ص : 56

أو تفخيمه ، ترقيقه أو تجهره ، ... للدلالة على وحدة مورفيمية أو لاحقة أو زائدة ، ولا سيما في لغة سامية ذات الوفرة من الوحدات الصوتية والفونولوجية الى جانب تعدد وتنوع البنى المورفيمية فيها ، ثم كيف يمكن لوحدة مورفيمية أن تكون مرة شيئا متمثلا دالا على المذكر وتارة صيغة تعدية ؟ قد يحدث هذا التبادل الوظيفي بين الوحدات الصوتية في اطار أو مستوى مورفيمي أو صائتي ... لكنه لا يكون بتعاقب تاريخي وزمني بين لغات منفصلة عن لغة واحدة .

وقد يوجد ما يضعف التحليل السابق ، لكن هناك ، على الاقل ، ثلاثة اعتبارات لا ترد بسهولة :

١) ان العربية ان لم تكن هي الاصل السامي نفسه ، فانها ليست بعيدة كما في الفصائل السامية الاخرى عن هذا الأصل ، اذ لو كان هذا الصوت (السين) وبالدراسات التي ذكرها ليتمايل بقي في العربية ((الماندة)) وخاصة الباقية قليل أو كثير من هذه الآثار المورفولوجية مثلما بقيت فيها آثار من مستويات لسانية أخرى ، لان العربية الباقية تعد الخزان الحي لكل أو أغلب الظواهر اللسانية في اخواتها الساميات ، ولا سيما بما يتصل بها من أشكال لهجية نهائية ، بمثال ذلك ان آثار اللهجات الجنوبية لا تبرح ماثلة في الشمالية ، فاذا كانت اداة التذكير في الجنوبية صوتا ساكنا في آخر الاسم مثلا فالنون ساكنة في آخر الاسم في الشمالية ،

فان الاصمعي ذكر أن العرب تزيد السين في أشياء ؛ قالوا : رجل فسحم اذا كان واسع الصدر ، وفرس الانفساح ، ورجل زرقم ، اذا كان أزرق ... (1) ، وهي مما يبدو أنها من آثار اللهجات القديمة ظلت متوارية في العربية ...

2) من الكتب العربية التي وقفنا عليها لم نجد مصدرا واحدا منها يذكر أن صوت السين يتبادل مع الهاء أو الهاء تتبادل مع السين ، فهذا التبادل حاصل بين السين والثاء ، بين السين والتاء ، بين السين والشين .. (2) ، لكن لا يوجد تبادل في العربية بين السين والهاء .

3) ان تعدية الفعل الثلاثي بالهاء في العربية كذلك وارد وثبت في تراكيب فصيحة لا يتطرق اليها الشك ، مثال ذلك قول امرئ القيس (3) :

وان شفائي عبرة مهراقة ... فهل عند رسم دارس من معول ؟

حيث قال الخطيب التبريزي : (مهراقة : مصبوبة ، من : هرقت الماء وأنا أهريقه ، بمعنى أرقت ... وعين الكلمة محذوفة ، كان أصلها : أريقت ، على وزن أفعلت .... ومن العرب من يبدل من الهمزة الهاء ،

---

1) كتاب الابدال ص : 147 ابن السكيت (ط. 1973 الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية - القاهرة)

2) م.س.ص : 104 ، 107 ، 109 ، 131 ...

3) راجع شرح البيت في : شرح القصائد العشر ص : 28 - 29 التبريزي (ط: 4/ 1980 دار الآفاق الجديدة - بيروت)

وقارن نفس الشرح في : القصائد السبع الطوال الجاهليات ص : 25 - 26 للانباري (ط : 3/ دار المعارف - مصر)

فيقولون : هرقت الماء ، وقالوا في المستقبل : أهريقه .. وقالوا :
أهرقت الماء فأنا أهريقه ، بسكون الهاء في الماضي ، والمستقبل ،
جميعا ...))1

وهذا هو شائع ، ظاهرة ابدال الهمزة هاء ظاهرة عامة
ومنتشرة بين العرب في غير هذه الصيغة ، وفي غير هذا الفعل ،
وفي تراكيب أخرى متعددة مما يدل على استعمال قول ليتمان
الباحث (2) ، غير ان صاحب الاقتضاب يرى أن اللغويين الذين
يرون في هذه الهاء أصلا في هذه الكلمة هم ممن لا يحسنون
التصريف ، ( ) والصحيح ان هرقت وأهرقت فعلان رباعيان معتلان ،
أصلهما : أورقت ، غير قالوا : هرقت ، فالهاء عندهم بدل من همزة
أفعلت ، كما قالوا : أرمت الماشية وهرمتها ، وأنرت الثوب
وهنرته ... وكان يلزم أن يجري أهرقت في تصريفه مجرى
أكرمت وتجريه من الأفعال الرباعية الصحيحة ، فيقال : أهرقت
أهرق اهراقا ، كما تقول : أكرمت أكرم اكراما ، ولم تقل العرب
شيئا من ذلك ، وانما يقولون في تصريف هرقت أهريق فيفتحون
الهاء ، وكذلك يفتحونها في اسم الفاعل ، فيقولون : مهريق ، وفي اسم
المفعول : مهراق ، لانها بدل من همزة لو ثبتت في تصريف الفعل لكانت مفتوحة) (3)

---

(2) راجع هذه التراكيب المتنوعة في كتاب الابدال ص ... ، ... ، 8
(3) الاقتضاب في شرح ادب الكاتب ، ج 2 / ص : 242 - 243

(1) ش انقصائد العشر ص: 28-29

وبصرف النظر عن هذه التحاليل لورود صيغة التعدية بالهاء في بعض اللغات السامية واللهجات العربية البائدة ، فان كل لغة سامية طورت مع نظيرة لها أو انفردت بتطور خاص بها في هذا المجال ، لان وزن «فعل» يوجد فعلا في النقوش اللحيانية ضمن أوزان التعدية ، فقد جاء مثلا في الفعل «متع» (أي متع بالصحة (1) ولعل بعض هذه اللهجات التجأت الى هذه الأداة للدلالة بها على التعدية لأنها تدل في بعض اللهجات واللغات السامية الأخرى على بنية السكسية مقابلة هي بنية التعريف ، واللبس ، في هذه الحالة ، مأمون بين البنيتين المتعارضتين .

على أي حال ، ان هذه النقوش تعرف عددا هائلا من الظواهر المورفولوجية التي نعرفها في العربية الباقية ، فهي علاوة على وزن التعدية السابق تشتمل على النقوش الثمودية مثلا على الفعل أيضا بوزن فاعل ، مثل : ساعد ، وبوزن أفعل مثل أبتر (2) ... وانا لرتأ هذا النقش النبطي الوارد في اللوحة السادسة لما شككنا في هذه الظواهر المورفولوجية لحالة واحدة على الرغم من انه مكتوب بالأبجدية التي كان الآراميون يكتبون بها ، لكن الاشكال ، بوجه عام ، ليس مطروحا في هذه الظواهر وغيرها ، بل

---

1) اللغة العربية عبر القرون ص : 31

2) راجع المرجع السابق ص : 30

في هذه النقوش نفسها ، فبالرغم من أنها ((تمثل فترة من حياة اللغة العربية سابقة على عصر نضجها وازدهارها)) (1) فان ظواهرها لم تستنبط بعد كلها من خلال الآلاف النقوش أو النصوص التي كشفت وجمعت منذ أوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر واستمرت الى نهايته (2) .

وبالنسبة لصيغة الافعال الخمسة ، فان بعض الدارسين يلاحظ أن هناك ندرة فيها ، حيث لم يعثر الا على صيغة واحدة من صيغ الافعال الخمسة فيها (اللهجات الثلاث ؛ الثمودية واللحيانية والصفوية) وهي الفعل المضارع المسند الى واو الجماعة ، وهي صيغة ((يعوّروه)) ، حتى ((لو فرضنا أن في بقية النقوش التي نطلع عليها بعد ، صيغا أخرى من هذا القبيل فان ذلك لا يتعارض مع وصفنا لها بهذه الندرة)) (3) .

ان بعض الظواهر المورفولوجية تظل غامضة ايضا بسبب طبيعة الخط الذي كتبت به (المسند) ، حيث ان جميع نقوش ثمود مثلا بضمير الغائب ، ((وانهم كثيرا ما يحذفون منه بعض الحروف كالنون من ابن والضمير من لي ، وايضا فانه تختلط به آثار عربية وآرامية)) (4)

---

1) دراسات في اللغة واللهجات العربية ص : 99 د . حسن عون (ط : 1963 مطبعة الكيلاني)

2) بل الابحاث استمرت الى ما بعد هذا التاريخ ولم تكمل كما ذكر الدكتور حسن عون

3) المرجع نفسه ص : 50

4) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 112

ونفس الصعوبة الشار اليها في تكوين الشودينين توجد لدى اللحيانيين ، الا أن هؤلاء يستبقون بين صيغ الفعل على صيغتي هـفعـل و سفعـل ، وهم يستخدمون في نهاية الماضي تاء دلالـة على التأنيث كما هو معهود في العربية الباقية .

غير أن اللهجة الصفوية التي يعدها الدارسون والمقارنون أقرب الى العربية الباقية أو عربية الجاهليين ثم لغة القرآن الكريم تعتبر أثرى بالمظاهر المورفولوجية المتشابهة مع الفصحى اذا ما قورنت باللهجتين الاخريين (اللحيانية والثمودية) سواء في الصائر أو صيغ الافعال المختلفة ، وأبرز نقطة في هذه الصيغ أنهم لا يستعملون الهاء دلالة على تعدية الفعل الثلاثي اللازم، أي لا نجد لديهم شكل (أ هفعـل)) التي بقيت آثار منها حتى في العربية الباقية نفسها ، وعندهم الفعل المبني للمعلوم والمبني للمجهول (ز وهـي تتشابـه مع العربية الفصحى في تصريف الأفعال ومصادرها ،فعّـل مصدره : تفعـيل أو : تفعلـة ،وفاعـل مصدره : فعـال أو : مفـاعلة ، وأفعـل مصدره : إفعـال ، وانفعـل مصدره : انفعـال ،وهلم جـرا ... وهم لا يدغمون الحرف الثانـي في الثالث في الاسماء المشتقة من الفعل المضاعف مثل فيقولون أو يكتبون : ظانن ، ... ودائما لام الفعل الناقص تذهب ياء) ، (1)

---

1) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 114

الفصل الثالث : عن البنية المعجمية والدلالية

سبق أن تحدثنا عن البنية المعجمية بين اللغات السامية الشهورة ، الى ان المقصود بهذه البنية هو النظام الداخلي المغلق في لغة من اللغات ، اذ لا نحسب أن هناك مستويات لغة في لغة من اللغات ومستويات أخرى بدائية فيها ، فالمستويات التي تكون نظاما لغويا هي :

1) كل لا يتجزأ الا من حيث الادراك المنهجي

2) تتطور في آن واحد ، انطلاقا من اعتقادنا بأن كل عنصر ووظيفته .

ولعل النظام المعجمي يتعلق بالدرجة الأولى بالجذور الأصلية الحاملة لمعان أو دلالات تكون في بداية تكونها حقيقة ثم لا تلبث أن تتفرع عنها دلالات أخرى مجازية لا حصر لها (خذ لذلك مثلا كلمة كرسي) وثمة دلالات أخرى تتعلق بما يلحق أو يسبق هذه الجذور من زوائد أو لواحق ، أما أيهما أسبق أو ألحق فليس من مهمة هذا العمل هنا رغم أنه من باب الاشارة ، فاننا نحسب أن كلتا العمليتين تتم حسب الطلب المراد خلقه ، وحسب علاقة هذه الجذور بمستويات وطبيعة البنى التركيبية العامة في الجمل المتنوعة خطابا والمتماثلة بنية وفق قواعد لغة ما ،

وتبعا لعادات المتكلمين .

وحين نقول البنى التركيبية العامة ، فاننا لا نحيل على المتكلم وحده من الخارج فقط ، بل نأخذ بعين الاعتبار أكثر الاحالة على النظام اللساني من الداخل ، باعتبار المتكلم الملاحق فالها يجد نفسه مطبقا أو مستعملا لكلمات لا خالقا لها ، ولقد أشار بعض الشعراء الفطاحل العرب منذ القديم الى هذه المسألة المعجمية المتواترة (1) .

ان هذه الجذور لا تستعمل منعزلة ولا مجتمعة بل بواسطة التداعي أو الرابط الذي يطلق في التطبيع بالبنية جزئيا لينتهي بها كليا الى هذه الجذور ، كما مر بنا ، مثلما تعتمد بنيات التكسيرة وأوزان مورفولوجية (مفرد ، مثنى ، جمع مذكر سالم ، جمع مؤنث سالم ، جموع تكسير مختلفة ، كون الفاعل جمع تكسير أو جمعا سالما ، مذكرا أو مؤنثا ، ....) فانها تعتمد مقولات أخرى مثل كون الجذر متعلقا بالزمن الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، بضمائر الافعال الخمسة أو غيرها ، .... الخ .

والبنية المعجمية في هذه اللهجات العربية ((الباذخة)) أو الباقية بنية مستقرة نسبيا بالقياس الى بعض

---

1) أمثال هؤلاء الشعراء عنترة بن شداد في مطلع معلقته المشهورة ، والى جانبه نجد زهير بن أبي سلمى ، ومن طريفها جاء على لسان البحتري : (كلفتمونا حدود منطقكم) ، ... الخ .

اللـــغات كالفرنسية مثلا ((واذا كانت كمـل لصيغة تتميـز عضويا عما عداها بمكل الجذر ،وبطول ثابت نسبيا للكلمات ، فان اللغة الفرنسية ليست مثالا نموذجيا في هذا المجال ،وذلك لأن المبدأ صفاتها هي كون الجذور يسود فيها نوع من الغمـوض ، كما أن كلماتها مختلفة الى حد بعيد من حيث الطول والقصر ،وان تكـن الالفاظ ذات المقاطعين هي الغالبـة)) (1) .

لكن البنية المعجمية في هذه اللهجات والعربية الباقية معها متغيرة درسا في اشتقاقها ،حتى ان بعض الجذور فيها قد تجاوز المائة اشتقاق (مثل علم) ، وحتى ان الاستاذ أحمد الاسكندري قد ذكر أن في المهجور من ألفاظ اللغة العربية سبعين ألف مادة لم تستعمل الى اليوم (2) .

وليس لدينا اليوم ما يمكن ان يضاف على قول الخليل بن أحمد : ((اعلم ان الكلمة الثنائية تتصرف على وجهين .. والكلمة الثلاثية تتصرف على ستة أوجه .. والكلمة الرباعية تتصرف على أربعة وعشرين وجها ، .. والكلمة الخماسية تتصرف على مائة وعشرين وجها ... يستعمل أكثره ويلغى أكثره)) (3) .

---

1) دراسات لغوية على ضوء الماركسيـــة ص : 81

2) الآراء اللغويـــة ص : 133

3) العيـــــن ص : 66

وإنا حين نعود الى هذه النقوش اللهجية القديمة أو حتى العربية الباقية أو في أي لغة من اللغات ،يجب أن نتأكد من العادات الكلامية التي تقوم فيها أي شيء على التداعي أو الترابط بين الكلمات ، لنأخذ حوارا عفويا حول رجل يهمنا أمره رحل أو سافر الى مكان ما ،لا بد لك أن مجموعة المفردات التي تمثل مجموعة الوحدات الدالة أو المونيمات تكون أو يحتمل أن تكون في قالب على الشكل التالي :

- الى أين ذهب ؟
- متى ذهب ؟
- كيف ذهب ؟
- لماذا ذهب ؟
- مع من ذهب ؟
- كم سيدوم سفره ؟
- ومتى سيعود ؟ ... الخ

ان الطريقة التي تتقولب بها المونيمات المكونة مجتمعة من جملة الى أخرى تؤلف بنيتها ، ولا حظنا أن نفس القالب يمكن أن يستخدم مرة ثانية ،وثالثة ... لكب أو بناء جمل أخرى مماثلة.

وبنظرة سريعة الى هذه النصوص اللهجية العربية الشبتة في هذا العمل أو الموجودة خارجه في ابحاث أخرى ، وهي كثيرة ، لتبين لنا أن هذه النصوص أو التراكيب غالبا ما تستعمل الوحدات الأكثر تداولا بين أفرادها ، وهذه الوحدات المعجمية لئن بدت لنا أحيانا ذات دلالات فاترة ، فان الأمر لا يعود الى هذه الوحدات في حد ذاتها بقدر الى بساطة وسذاجة التراكيب من جهة ، والى جهلنا بالطريقة الصحيحة التي كانت تتم بها التلفظات ، وخاصة من الناحية الصوتية ، وما يتصل بها من أداءات لا تتصل الايحاءات المتكلمين في تلك الفترة ، من جهة ثانية .

ان النقوش الثمودية تحتوي على مادة غزيرة من الافعال والمشتقات وأسماء ، فمن الافعال : علم ، حمل ، بات ، رعى ، رهب ، بان ، كتم ، ورد ، عشق ، ... (1) . وتعرف عددا آخر من المفردات الشائعة في العربية الباقية مثل : جمل ، ناقة ، فرس ، وعل ، فلان ، فلانة ، آل ، أمير ، أسد ، ذكر ، حزم ، ظلم ، سلامة ، سعادة ... الى جانب أسماء الأعلام التي نجدها في نقوش تيماء وجوارها ، وعلى طريق مدائن صالح وجوارها (2) ... فكل هذه الظواهر والكلمات التي مازلنا نعرفها اليوم في العربية الباقية وردت في النقوش الثمودية ،

---

1) اللغة العربية عبر القرون ص : 30

2) راجع ، من السامية الى العربية ص : 163

اذا ما أخذنا بعين النقوش الثمودية ودونا ها بحروف عربية ثم ألحقنا بأصواتها الساكنة أصوات المد التي جاءت هذه النقوش خلا منها ، فتكون النقش ثم القراءة كما يلي : (1)

النقش الأول : ذ ن ل ق س ب ن ت ع ب د م ن ت

كتابته : ذين لقيس بنت عبد منات

ما عدا ((ذين)) الذي تعني : هذا القبر ، فان باقي الكلمات واضحة .

النقش الثاني : ل ت ي ش ب ن ع ش م م وع ل

كتابته : لتيم يغوث بن جشم هوعل

ما عدا الهاء الواردة في كلمة ((وعل)) كأداة تعريف ، فان ما بقي من كلمات هذا التركيب يعد إسما لا غبار عليه .

النقش الثالث : ل ح ز م وتشوق ال ع م ت

كتابته : لحزم وتشوق الى عمة

وعلى الرغم من هذا التعقيد الملحوظ في هذا التركيب الأخير الناتج عن تقديم غير مترابط أو متداع بكيفية بنيوية محكمة مع الكلمات التي وردت بعده ، فان الدلالة العامة وحتى الداخلة منها تظهر الجذور الموظفة بينة ، وظن فيه الدكتور رافي : ((ولعله شطر بيت من الشعر)) (2)

---

1) تعتمد في نقل هذه النقوش على : فقه اللغة ص : 101 ، 102 د . ط . فو

2) م . ص : 102

وبالنسبة للنهجة النجدية ، فاننا نذكر ما صرح به الدارسون المختصون بأنها تعرف كثيرا من الخصائص التي يعكس ادراجها ضمن اللهجات العربية المفكرة ، معتمدين في ذلك على ما ورد فيها من أسماء أعلام عربية وأفعال ومشتقات مختلفة مثل : عهد ، رب ، يوم ، بيت ، رأس ، عرس ، نعم ، ملك ، صلم ، مرأة ، شيعة ، حرة ، غلام ، وهذه الالفاظ مجتمعة مما نجده في العربية الباقية (1) ، ..... من ألفاظهم أيضا : ايسلاف ، عبد مناة ، بعيث ، عمر ، طود ، عبد شمس ، كبير ، قدير ، صانع ، نحاس ، وارث ، عابد ، مقدر ، منعم ، ... ومن آلهتهم التي يرددون ذكرها بعل ، العزى ، منا ة ، ود ، ، الهبة ، ... (2) .

أما الصفوية ، كما أشرنا من ذي قبل ، فان الباحثين لا يترددون ليقرروا أنها تمثل لهجة عربية شمالية ، فهي الى جانب قربها الساتكسي والمورفولوجي من العربية الباقية ، فانها تتوفر على معجم لغوي ثري في الافعال والأسماء والصفات والاشتقاقات ، فمن الافعال : ندم ، تشوق ، لعن ، نهل ، سمع ، عور ، قتل ، رعى ، ... ومن الاسماء : فرس ، ضأن ، ضأل ، خيل ، خال ، خمسة ، كبير ، ملك ، معزى ، سطر ، عشيرة ، ضيف ، رواح ، قبر ، صريح ، ...

---

1) اللغة العربية عبر القرون ص : 31

2) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 123

ونورد هنا ايضا ثلاثة نقوش من النهجة الصفوية (1) :

النقش الاول :

[illegible] وذبح

فهلت سلام

كتابته : (بعد اضافة الصوائت الى الصوامت) :

لبرد بن اصلح بن اجر وسق (في هذا) الدار وذبح فيا أيتها

اللات سلام (أو اسلمي) .

ان هذا النص ، باستثناء أداة التعريف (الهاء) في اول كلمة

الدار ، واضح بيّن ، وترجم الدكتور وافي تركيب : (فهلت)

بتركيب : فيا الله سلام ، والذي رأيناه ما ترجمناه ، وقفنا على

تراكيب شابهة لهذا التركيب الصفوي من نقش صفوي آخر ، حيث

يوجد فيه تركيب قريب من هذا : (2)

فهلت وهد شر = فيا أيتها اللات ويا ذا الشرى

وقد يكون وقع للدكتور وافي خلط مع بعض التراكيب الصفوية الاخرى

المماثلة مثل تركيب في نقش آخر :

فهله سلم أي فيا الله سلم .

---

1) ننقل هذه النقوش الثلاثة التالية من كتاب :

فقه اللغة ص : 1و2 = 1و3 د . وافي ، وسنخطف معه في بعض اوجه القراءة

2) انظر : من السامين الى العرب ص : 165

النقش الثاني :

[illegible]

كتابته :

[illegible]

النقش الثالث :

[illegible]

كتابته :

لنصر آل بن جعر الخط وحضر (في هذا) الدار ، فما أشبع سلام وخرص (معناها قتل) نعمن وفره .

ان النقش الثالث ايضا يكاد يكون بينا لولا ورود الهاء كأداة للتعريف في كل من : الدار و الخط ،الى جانب الاشكال المطروح في الرسم حيث جاءت الطاء المشددة مفككة على غير عادة الكتابة في العربية المعروفة ،لكن هذه الظواهر بقيت آثارها ماثلة في بعض اللهجات العربية الفصيحة التي نزل بها القرآن الكريم ،وهي لغة الحجاز أي أن الصفويين كان من لغتهم الاظهار ،وهذه القاعدة الصوتية بقيت عند الحجازيين ،حيث جاء الادغام ، خلافا للهجة الصفوية ، على

لغة تميم في القرآن :

- ((وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ)) (1)

وجاء فيه الفك أو الاظهار على اللغة الحجازية التي يبدو أنها أشهر من آثار اللهجة الصفوية ، كقوله تعالى :

- ((وَمَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ)) (2)

ومما هو ملاحظ في هذه التراكيب الثمودية والصفوية على حد سواء أنها تكاد تكون مقولبة وفق بنية معجمية مبتذلة أو مستكرة : أسماء أعلام في صدر هذه التراكيب يأتي بعدها البدن ((رأيس)) ثم الاسافة ، وأحيانا تتكرر هذه المونيمة مرتين في تركيب واحد متسلسل كما هو الحال في النقش الصفوي الاول ، والدعاء بالسلامة للآلهة في نهاية التركيب أو في ثناياه ، كما يلاحظ ذلك في النقشين الصفويين : الثاني والثالث ، ويرى أن أسماء الأعلام بما فيها أسماء الآلهة واردة بكثرة في هذه التراكيب ، بينما تندر الأفعال خلا النقش الصفوي الثالث الذي وردت فيه ثلاثة أفعال ماضية ، أما النقوش الثمودية الواردة هنا ، باستثناء الثالث منها ، فلا يرد فيها ذكر لأي فعل ...

---

1) سورة الانفال آية : 13

2) سورة المائدة آية : 54

أما البنية المعجمية في اللهجة الرابعة ،وهي لهجة النبط ، فليست بدعا بين أخواتها السابقة ،فنحن علمنا أنهم فاقوا في تطورهم تلك اللهجات الثلاث في بعض الظواهر ،فهم مثلا كانوا يستخدمون الهاء كأداة للتعريف استخداما واسعا ،وربما حذفوا الالف منها ،خاصة في الاضافة ، باستبدال الكسرة مما يجانسها (الياء) ، مثلما كانوا يفعلون في كتاباتهم الواو وبآخر الأعلام أحيانا دلالة منهم على أن هذا الاسم معرب،في حين أنهم لم يحافظوا مع الاسماء المبنية على التعامل ،مما يدل على أن التطور اللساني في البنية الساتكسية عندهم كان تطورا صادرا عن مرانية ووعي ،لأن التغيير عن طبيعة هذه البنية أو غيرها بما هو مرسوم لا يدع مجالا للشك أو التمويه فيما هو ملفوظ ،وهذا لو وصلتنا أغلب البنى الساتكسية وما شابهها فموصا مستدلا عليها بعلامات رسم شابهه مثل الواو لدى النبط أو من مثل ما بقي لنا من آثار لهجية فصيحة .(جمع المذكر السالم ، المثنى ،الاسماء الخمسة ،...).

والبنية المعجمية لدى النبط اذا جاءت مشوبة بأسماء غير عربية فلها عذرها ، فهم على الرغم من أنهم كانوا عربا مثلنا يتكلمون العربية الشمالية في أحاديثهم اليومية ،فانهم قد اختلطوا بالآراميين ولم يكتبوا بالخط العربي الذي كتبت به اللهجات الثلاث ،الى جانب اللهجات العربية الجنوبية ، نصوصها ومواثيقها ، بل كتبوا بالخط الآرامي

لسبب واضح عندنا متعلق بالاستقرار المدني والحضاري لهذا الشعب النبطي من جهة ، ولكون الخط الآرامي في ذلك الوقت كان هو الخط الدولي ،الى جانب الآرامية طبعا ، الذي كان شائعا في القرن الأولى غير صاحبات شاسعة (1) .

وبالرجوع الى بعض نقوشهم التي بقيت لنا كنقوش الحجر ، فاننا نصطدم بأسماء للرجال والنساء واردة عند العرب والشعوب الناطقة بالعربية ، ومن هذه الاسماء : (2)

رائلة ،كليبة ، وهب الله ، حوشب (حوشابو) ، روّوف (روف) ، حنيمن ، تيم الله ، حميلة ، جليمه (اسم قبيلة عربية) ، شاهية ،كهلان ، عبد الله (عبدالهي) ،حطيمه ، سلمى ، رضا ، عبد (عبد) ، أمية ، سليمة ، سعد ،سعيد ، نسيب ، غانم ، رزما ، مالك ، حبيب ، هانى (هانو) ،فاطمة (فطموں) ...

،بالرجوع الى النقشين الواردين في اللوحتين السادسة والسابعة ، يلاحظ فيها ايضا أسماء عربية واضحة بصرف النظر عن بنيتها الساتكسية أو المورفولوجية أو الصوتية ،... ويكفينا أن نشير فقط الى ان المستشرق الالماني انو ليتمان قد استخرج من نقوشهم ثلثمائة اسم تتفق مع الاسماء العربية الشائعة ، (3) على الرغم من بعض الآثار الآرامية التي لا ترد .

---

1) راجع فقه اللغة ص : 21 ، د . صبحي الصالح

2) راجع : من الساميين الى العرب ص : 142 - 143

3) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 115

5) في البنية الدلالية بين هذه اللهجات :

لا نريد أن نعود الى ما أشرنا له حين حاولنا الاشارة الى الموضوع ذاته تقريبا - باعتبار هذه اللهجات فروعا سامية قديمة ايضا - من خلال حديثنا عن هذه البنية بين اللغات السامية ، ولا سيما ما يتعلق بمسألة الجذر السامي التي فتحت بحثا ، وفي كل مرة تنهي بعثا ، ولكن بدون طائل كبير ، وخلاصته - كما اشرنا - أن تتم الدلالة في هذه اللغات على نحو ثنائي أو ثلاثي مع ان المسألة ، فيما نرى ، فلسفية ربما فيزيقية أو هي ما وراء لسانية ، وربما كان الخليل ابن احمد نموذجا مخالفا لمثل هذه التساؤلات ، اذ لم يتوان هنيهة واحدة - بالنسبة للعربية على الأقل - لتقرر بداهة ان العربية ذات اصول ثنائية وثلاثية ورباعية ... وهذا هو المنهج اللساني الوصفي السليم والمجدي ، والذي نتمنى ان يسود الدراسات اللغوية العربية المعاصرة بدون ضياع جهود كثيرة في قضايا اثنوغرافية وانثروبولوجية غالبا ما تكون عقيمة وسطحية وذات مردود لا يناسب الجهود التي كرست لها والأزمان التي طغت عليها .

على أي حال ، لا يمكن التفكير لحظة واحدة خلال التطرق الى بحث البنية الدلالية من خلال التركيب أننا نتناول هذه البنية بمعزل عن البنية اللسانية أو حتى المعجمية التي

تعد الأساس المكون للوحدة الصوتية لأنه بنية دلالية ، وبالعكس ، فمما يشبه أضغاث أحلام أن نتردد في تناول بنية ما تتكسية متوازية جزئيا أو كليا مع صنوتها الدلالية ، ذلك أن الفنيتيس كليهما تكمل الواحدة منهما الأخرى ، ولا يمكن لاحداهما أن تكون ذات كيان أو وجود في تركيب لساني سليم ما فصلة عن الأخرى ، ولن تتقى الا الطريقة الخاصة بالقواعد العامة المرتبطة بكل لغة والمتمثلة ، بوجه خاص ، في طاقات تكلمها وتراثها وفي خصائصها الداخلية التي بها تتميز في كيانها عن أي لغة أخرى ليست شقيقة منها ، انه من الوهم بمكان أن نذهب الى الاعتقاد بأن المتكلم العربي اليوم أو غدا يبدع في القواعد الما تتكسية او يخلق نسقا دلاليا في العربية مستغنيا عن قواعدها ، ولكننا في مقابل ذلك نعتقد بقوة بأن هذا المتكلم العربي في حاضره ومستقبله لا يحرم من الابداع من خلال قواعدها واستلهام تراثها .

انه لمن غير الانصاف أن نرمي من سجلوا لنا تلك النقوش القديمة باللاوعي أو التعرض على من وشقوا فيهم ، لا سيما وأن تلك النصوص فيها ما يتعلق بعهود ومواثيق ومقدسات كانت تحترم عندهم غاية الاحترام ، ان هؤلاء الكتاب كانوا واعين بالقواعد التي يحيلون عليها كلما أرادوا وضع تركيب دلالي موجه لمستقبل يفترض

فيه مبدئيا أنه يفهم هذه الرسالة ،والا فما جدوى كتابتها والتقيد احيانا فيها ؟ وعليه فاننا اليوم بالمقابل نفترض من جهتنا أن ذلك الباث كان يجب عليه ان يحترم القوانين اللسانية للتواصل المتماثلة عموما أو نسبيا بيننا وبينه ..

مساعدون على الوعي الدلالي لدى ذلك الباث أنه قد استخدم العناصر النسانتكسية والصوتية والمورفولوجية ... التي كانت سائدة بينه وبين متقبلي رسالته ، فنراه لكي يصل الى مبتغاه الدلالي ان يتبع عدة طرق في التركيب إتشابهها أحيانا او مخالفها في وحداتها المعجمية وتماثلها في تحويلها النسانتكسي لايدلان على ان صاحبها يقصد تكرار بنية دلالية واحدة ، فما انتقاله من المذكر الى المؤنث ومن المفرد الى الجمع ،ومن المعلوم الى المجهول ،ومن المجرد الى المزيد ،ومن جملة تحتل الصدارة الى جملة أخرى معطوفة ..... الا لغرض واحد هو محاولته صياغة هذه البنى الدلالية ،فالاصوات على تباينها وتعارضها كانت لديه عبارة عن معادن ،والوحدات المعجمية كانت عنده مواد بناء ، أما الوسائل التي كان يعتمدها في هذا الانجاز اللغوي الهندسي فهي العناصر الصوتية والمورفولوجية التي كانت بينه وبين متقبلي رسالته رباطا دلاليا قائما على التنسيق والاعراب اللذين يعبران بشكل ما عن تلك اللغة المحكية المجهولة بالقياس الى ما وصلنا عنها من نصوص مكتوبة من الصعب نطقها اليوم نطقا سليما ،

انما نريد أن نشير هنا الى ما أطلنا الاشارة اليه حين تحدثنا عن هذه الخصيصة بين اللغات السامية ، بأننا لا نقصد من وراء هذه الدراسة هنا أو هناك أن نقوم بدراسة صوتية أو فونيتيكية للأصوات التي كانت تتألف منها المادة اللغوية لتلك الكلمات والتراكيب في تلك اللغات أو في هذه اللهجات العربية (البائدة) ، بحيث نبين صفاتها العامة والخاصة وأنواعها وأقسامها وخواص كل صوت منها تبعا لما كان ينطق أو بتعبير أوجز دراسة جهاز النطق وتشريحه وعلاقة كل ذلك بما يسمى بمخارج الحروف ، لن تبقى هذه الرؤية الا حلما يراودنا ، أما على المستوى العلمي أو الدليل الملموس ، فانه لن يتحقق .

كما يعلم المختصون والدارسون بشكل عام ، فان هذه العملية تحتاج الى ادراك صوتي بواسطة جهاز أو على الاقل بواسطة اذن سليمة واعضاء بيولوجية اخرى تستقبل مثل هذه الاصوات ، لكن أين المتكلم الأصلي وأين السامع المتزامن وأين الدارس المحلل مثلما قام به جماع المادة اللغوية العرب خلال وبعد نشأة الدرس اللغوي عندهم ؟ .

وحتى الشق الثاني من المستوى الصوتي والمتعلق بدراسة وظائف الأصوات في لغة معينة ،ولا سيما ما يتصل بدلالة كل صوت منفردا في وحدة معجمية وتأثير هذه الدلالة في التركيب كله ، فضلا عما يقوم به من دراسة التركيب كله كالنبر ، والتنغيم ،وطرائق الاستخبارات،والنفي ، ... حتى هذا لن نظفر به في مثل هذه الدراسة .

وعليه ، فان المنتهج لهذا العمل قد يؤاخذنا في هذه البنية أو في البنيات التي سبقتها ، حين يلاحظ ان هذا العمل تارة هو وصف ،و مرة هو تحليل ،و نحن مضطرون في هذا العنصر أن نتورط في الشيء ذاته ، والوصف دوغالبا ما يلاحظ بالنتائج التي توصل اليها في هذا الميدان الشاق الباحثون والعلماء الأجلاء من عرب واجانب ،واما التحليل فهو غالبا ما يتعلق بالمادة التي نقرأها في هذه البنية أو في غيرها أونقف عليها بشكل مغاير لما قرأناه .

ان الباحثين يتفقون على ان اللغة قبل أن تكون مكتوبة كانت محكية ، والأصل في اللغة هو الكلام، وأما الكتابة فليست الا نسخة جاءت بعد ،واللغة المكتوبة تتقاير في الكلمات والحروف،واما اللغة المحكية فتتقاير في النقاط المحورية من الدلالة ،وتأتي

بدورها المرفيمات (1) المركبة من فونيمات (2) ، وهذه الأخيرة محدودة بعدد محدد في كل لغة)) (3) .

وكما أوردنا انطباع دي سوسير في هذا الموضوع ، والذي يرى أن اللغة المحكية كلما كانت موغلة في الزمن كانت أحوج الى الشهادة الخطية للكتابة ، أما ((اذا كانت اللهجات غير الموجودة هي المعنية بالأمر ، فان الحاجة الى ذلك أمس وألح)) (4)

ونحن اليوم في غياب منظومة لغوية ماثلة أمامنا تمام الشهود على أي شيء نعتمد ؟ على الصوت أم على الحرف لتحديد هذه الهيئة الصرتية في هذه اللهجات ؟ ان المعروف في كل حرف أن يمثل صوتا ، والصوائت ليكون لها وجود فاعل صحيح بين اللغة المحكية والمكتوبة يجب ان تكون ذات صوائت قصيرة وخاصة الطويلة منها ، ونحن اليوم اذا تأملنا ((أبجده هوزه حطي)) المشتقة اصلا من ابجدية عربية قديمة ، هي الابجدية الكنعانية ، للاحظنا وجود هذه الصوائت الطويلة من حيث الشكل على الأقل ، حتى وان لم يكن

---

1) المرفيم ، واحدتها مرفيمة ، وتعني أصغر وحدة دالة حسب مصطلح اندري مارتيني ، وهو ما يقابل المرفيم في المدرسة الانجلوسيكسونية . . .

2) الفونيم ، واحدتها فونيمة ، وهي صوت متميز غير دال بذاته وغير قابل للتقطيع ، وقد توجد بعض الاصوات المفردة دالة بذاتها كما هو الشأن في العربية

3) LES Langues vivantes P147 JEAN GUENOT EDITION SEGHERS PARIS 1971

4) محاضرات في اللسنية العامة ص : 36

يعبر بها كأمرات مد طويلة لا في اللغات السامية ولا في هذه اللهجات العربية المبكرة ،وهذه الاصوات الثلاثة كان يرمز بها الى صوامت تقوم بوظيفة فونيمية صوامتية اوقل ،انها كانت في هذه الحقب تمثل اصواتا ساكنة أو صحيحة .

لكن هذه الامرات الثلاثة لم تبق كصوامت فقط بل اتخذت منذ عهد بعيد لدى بعض الشعوب السامية والعربية كحركات مد طويلة دالة على نهايات اعرابية ،كما سوف ان فعلت ((البابلية القديمة والأكدية والعربية الجنوبية والأوغاريتية ذلك ، فالنماذج اللغوية في هذه اللغات تؤكد استعمالها في مواضع الحركات الطويلة والنهايات الاعرابية ، فكل المفردات البابلية والاكادية تنتهي بأصوات حركية تدل على وظائفها النحوية في العبارة ،وهي تشبه الحركات الاعرابية في اللغة العربية تماما ،قالوا وللرفع ،والالف للفتح ، والياء للكسر ،والملاحظ ان الاعراب في اللغات الاكادية يظهر حتى في النصائر المتصلة ،اذ تتغير نهاياتها الحركية حسب مواقعها في الجملة ، فتكون مرفوعة بالواو ،ومفتوحة بالالف ، ومجرورة بالياء)) (1) ، وهذا بصرف النظر عن الخط المسماري السومري الذي كانت تكتب به البابليات القديمة في وادي الرافدين ،وهي كتابة يدل فيها الرمز على المقطع المؤلف من صوت صحيح مرفوق بحركة ،لكن الابجدية التي ورثتها

---

1) مجلة مجمع اللغة الأردني ص : 66 د.ة . باكزة رفيق حلمي
المجلد الاول ، العدد الثاني 1979

العربية من الكتابتين لم تقتصر الا على رموز الاصوات الصحيحة ((وهذا هو سبب الارتباك الذي وقع فيه العلماء العرب عند بدء التدوين ، ومحاولة الانتقال بالابجدية الكنعانية الى مرحلة من التطور يستطاع فيها كتابة اللغة العربية كتابة صحيحة تتشكل فيها كمل الاصوات الحركية الضرورية لسلامة النطق وحفظ الصيغ من الخطأ)) (1)

وحسبي يقول الدكتور ابراهيم انيس ان يكون صحيحا ، فعلاوة على العناية التي أولاها ابن درستويه وغيره من علماء العرب القدماء فهذا السيد البطليوسي يقول : ((وقصد اضطربت آراء الكتاب والنحويين في الهجاء ، ولم يلتزموا فيه القياس ، فزادوا في مواضع حروفا ليست اللبس ، نحو واو عمرو ، وياء أوحى (2) وألف مائة ، وحذفوا في مواضع ما هو في نفس الكلمة ، نحو مالك ، وخالد ، فأوقعوا اللبس بما فعلوه ، لان الالف اذا حذفت من خالد صار (خلدا) ، واذا حذفت الالف من مالك صار (ملكا) ، وجعلوا كثيرا من الحروف على صورة واحدة ، كالدال والذال ، والجيم والحاء والخاء ، وعولوا على النقط في الفرق بينها ، فكان ذلك سببا للتصحيف الواقع في الكلام ، ولو جعلوا لكل حرف صورة لا تشبه صورة صاحبه ، كما فعل سائر الأمم ، لكان أوضح للمعاني وأقل للالتباس والتصحيف ، لذلك صار التصحيف للسان العربي أكثر منه في سائر الألسنة)) (3) .

---

1) م س ، ن ص

2) زاد العرب الواوفي كلمة (اوحي) الصغرة للفصل بينها وبين (اخي) الكبرة

3) الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ص ١٠٥

غير أن هذه المسألة ليست وقفا على العربية القديمة وحدها أو أخواتها الساميات ، بل هي ظاهرة متفشية حتى في اللغات الاوروبية الحديثة التي يمكن ان تصلح بمعواثيق ومراسيم لا بمتكلمين يمثلون اجيالا متعاقبة وأزمنة غابرة ..

اننا لا ننكر أن مجموعة الحروف في أية لغة تشكل ايجد يتهـا ((لكن مع الاسف ، في عدة لغات ، وفي الفرنسية بوجه خاص ، نفس الحرف (او مجموعة الحروف) لا تمثل دائما نفس الصوت ؛

ونفس الصوت ليس مثلا دائما بنفس الحرف (او مجموعة الحروف) . وضمن هذا النطاق فان كلمة (OISEAU : طير) لا تحتوي أيا من أصوات : O, I, S, E, A, U وكان ينبغي ان تكتب : WAZO ان الحرف H لا يلفظ به ابدا وهو على الاكثر صوت (ASPIRÉ). واذا كان الاسبان في هذا الميدان أكثر حظا من الفرنسيين ، فان الانجليز يتقاسمون نفس البلية ، فكاتب الهزليات الساخرة الانجليزي برنارد شاو (BERNARD SHAW) كان يقترح أن تكتب الكلمة : FISH ((GHOTI)) (لـ كما في ghaf | enough O لـ i كما هو الحال في women و sh لـ ti كما في nation) . بل ترك بموجب وصية ، مبلغا هاما لابتكار ألفبائي

مطابق للاصوات في الانجليزية ... وبيد و من الصعب جدا ايجاد ابجدية تتناسب مع كل اللغات ،بينما هي لاتتضمن كل الاصوات (فـ (Hh) الانجليزي مجهول في الفرنسية ،والـ (U) الفرنسي مجهول في لغات اخرى) ، والابجدية الصوتية في حد ذاتها ليست كاملة ، وكذا الناس لا ينطقون بنفس الشكل)) (1) .

وفي لغة اخرى كاللغة الانجليزية ((نجد رمزا خطيا واحدا يرمز الى صوتين مختلفين وهو الرمز (X) يرمز الى الحرفين : الكاف والسين ، ونجد فيها العكس ايضا ، فالرمزان (TH) يدلان على صوت واحد وهو الذال ،وكذلك (sh) يرمزان الى الشين ، كما نجد رمزين خطيين (CH) يرمزان الى صوتي تش . ولا نجد هذه الظاهرة في اللغة العربية فكل رمز فيها له صوت وكل صوت يدل عليه رمز ،لا يحدد هذا ولا ذاك)) (2)

وفي الانجليزية كلمات تحوي عددا من الرموز الصوتية لا يتلفظ بها ،وبهذا صار الجهد المبذول في الكتابة أكثر منه في النطق ،وصارت الحروف المكتوبة أكثر عددا من الحروف المنطوقة ... واكثر من ذلك ان في هذه اللغة رموزا صوتية تنطق أو تؤدي برموز اخرى غير المكتوبة مثل كلمة colonel التي تنطق (كارنيل) و Lieutenant تنطق

---

(1) Guide pratique de Grammaire Française. P: 8
Charles Geodert édition Hachette 1978

(2) في علم اللغة التقابلي ص : 19 - 20 د . احمد سليمان ياقوت
(ط: 1985 دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية)

(لغتنا) (1) .

ثم ان اللغة الكتابية ليست ترجمة عادية للغة الشفوية ، وكم كان عابيا فرديناند دي سوسور حين صرح ، كما سبق ان اشرنا ، : ((للغة تقليد شفوي مستقل عن الكتابة وثابت على نحو آخر)) (2) وكيف انه انتقد بشدة الذين لم يميزوا - حسب تعبيره - بوضوح بين الحرف والصوت (3) .

وقريب من هذا الاتجاه الاستاذ انطوان ماييه من ان الألسنة بعد ما استطاعت ان تنتهي الى تكوين الكتابة البجائية (التي تحمل في نفسها نظرية صرفية كاملة ، ولا بد أن تكون تلك الملاحظة قد أدركت كل ما هو أساسي في اللغة ما دامت اللغات تنتقل بالسماع من جيل الى جيل ... ذلك بصرف النظر عن الكتابة التي تعتبر صيغا ثانوية بعيدا عن ان تكون عام الاستعمال لدى الشعوب كافة ، وهي بعد أداة ناقصة تهمل عددا لا حصر لهم من الفروق الدقيقة)) (4) .

وانطلاقا من ان اللغة ليست ترجمة عادية لمن يتكلمونها عبر الازمنة والاجيال ، لا سيما حين نلتجئ الى النصوص الموروثة منقوشة هنا وهناك ، والتراكيب في اللغات الحديثة تبين لنا بعض هذه التناقضات

---

1) م . س . ص : 19 - 20

2) محاضرات في الالسنية العامة ص : 40

3) م . س : ن . ص

4) النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في الادب واللغات ص: 439 د . محمد مندور الذي ترجم نص ما ييه (دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة)

فان الاسم يتعلق بالبنية الصوتية ذات الارتباط بجنس أخرى كما يبنى المعرفة جنسية ، ففي لغة كالفرنسية مثلا يوجد على الاقل نظاما ن أو نظاما ، تتلاءم بعض الفوارق بين ما نكتب فيها وما ينطق ، اذ ((عندما نقول : cheval (الحصان) chevaux (الاحصنة)

فان علامات الجمع هي نفسها في الشفوي وفي الكتابي :

Le → les , cheval → chevaux

وعندما نقول : L'ENFANT (الولد) ، LES ENFANTS (الأولاد) فان علامة الجمع في ENFANTS لا تشترك في الشفوي ، وكذلك : chante يغني و chantent يغنون ، فان الشفوي لا يقوم بعملية التمييز ، وبامكاننا ان نأتي بأمثلة أخرى :

- L'élève est VENU (التلميذ حضر)
- L'élève est VENUE (التلميذة حضرت) (1) .

فالكتابة ترسم الفرق بين المذكر والمؤنث ، لكن الشفوي لا يرسمه ... فالنظام الرمز الكتابي متعدد أكثر من الرمز الشفوي ، لان المخاطب ليس هنا من أجل ترجيح ما قد يبدو له غير واضح)) (2) .

---

1) يمكن ان نقول : التلميذ حضر مثلما يمكن ان نقول : التلميذ حاضر ، وكذلك في التركيب المؤنث يمكن ان نقول : التلميذة حاضرة بدل : التلميذة حضرت ، والشكل ليس مطروحا بالنسبة لمميز الجنس في العربية .

2) Guide pratique de Grammaire Française P. 18, Charles Guedent, HACHETTE

ويظهر ان تأخر الحرائث عن الصوامت في الرسم السامي او الحمير القديم كان راجعا الى ان هذه الاصوات الثلاثة (الـوـيـ) كانت تقوم بوظائف دلالية منها الاعراب ، كما شاهدنا في بعض اللغات السامية ، وكما عرفنا ان الانباط كان من عادتهم اضافة الواو الى الأسماء المصروفة (مذحجو ، نزرو ، شرحو ، ظلمو ، ...) ، ونحن لما اخذنا نقشا مؤرخا في سنة 565 ، (أي سنة 463 من عهد سقرط سلع) ، والمعروف بنقش حسران لوجدناه مرسوما كما يلي : (1)

هذا سو حصل بن ظلمو ... هذا المرطول ...

(463) بعد مفسد ... سقرط (2)

(أي هذا سحيل بن ظالم بنيت هذا المرطول سنة (463) بعد مفسد خيربعام) والملاحظ على هذا النقش أنه كتب غير معجم ، وأن (سا) كتبت مخففة على لغة اهل التسهيل بينما أثبت الصائت في آخرها ، لان هذا الصائت هو جزء لا يتجزأ من الكلمة ، بينما حذف الصائت (الياء) بعد الباء من (شرحبيل) ، وكتب الصائت (الواو) في آخر (ظلمو) دلالة على انه مصروف أو قابل للتنوين ، وأثبت الواو في (مرطول) لأنها

---

1) نقلنا هذا النقش من : مصادر الشعر الجاهلي ص : 23 د . ناصر الدين الاسد (ط : 4/ 1388 دار المعارف - مصر)

2) محونا الاعجام قصدا ، ثم ترحفظ النقش ، وسنثبته على اصله في نهاية هذا الباب صحبة نماذج من خطوط ونقوش أخرى .

جزء من الكلمة ،لكننا لا نحسب أنها كانت تلفظ كصوت ساكن ،بل كانت تنطق كصوت مد طويل ،كما هو الحال في ((نسا) ، وفتح التاء في (سنيت) ليس بالامر العجيب ،فهي طريقة مألوفة في الخط النبطي ،بل حتى في القلم الاسلامي الاول ازالمكسر ، وهذه الظاهرة معروفة في رسم المصحف العثماني ،ونجد ابن فارس يروي خطة الملك الحميري شبتا التاء مبسوطة في (عربيت) : ((أما انه ليست عندنا عربيت ، من دار ظفار بحضرموت)) (1) ، بينما اهمل الكاتب في هذا النقش اثبات الصائت (الالف) في (عالم) ، مما يقضي بأنها كانت تنطق سريعة ،أي كانت العين تنطق بحركة قصيرة ،بحيث يصل النطق الاول بالثاني الساكن (على الميم) فلا يدع مجالا زمنيا لمد النطق الاول ، اذ أن اللفظ الثاني هو الذي لم يكن يسمح لعادة التكلم بالانتظار في مثل هذه اللفظات .

ثم ان هذه الصوائت الثلاثة بقدر ما كانت تدل على النهايات الاعرابية كدلالة على وظائف نحوية ،كانت تدل في الوقت نفسه على دلالات اخرى في الجمع ،كما أشرنا ، لان الجمع في البابلية (ون) كما في العربية ،وفي السريانية (ين) وفي العبرية (يم) ... وهذا دون ان ننسو النشى في العربية ،والزام بعض اللهجات العربية شاها الالف مطلقا ،كما سيجيء في بابه ...

---

1) فقه اللغة ص 52 لابن فارس ،وفصيه كذلك :

((وبينها الاختلاف في الوقف على الهاء التأنيث مثل : هذه أمه ، وهذه شجرته) تعرب النصب والجر والرفع بغير ألف ولا نون ،

ان تكلف النفة السكيسة هذه الصوامت أصلا بدلالات نحوية وصرفية وصوتية مكثفة في ملة النطور التي تعد عطبة سابقة على أي نظام كتابي في أي لغة انسانية ، جعل هذه الصوائت الثلاثة لا ترسم فيمي النصوص القديمة الا اذا كانت جزءا من الكلمة او خاضعة لاحدى الظواهر الصرتية الشفوية التي لا نستطيع أن نتصورها اليوم الا من خلال بعض الآثار الكتابية .

ويستنتج من هذا أن تطور هذه الصوامت الثلاثة كان يتحو منحى صوتيا وتلفيا دلاليا لا منحى صوتيا فيزيائيا أو حرفيا أي ألفبائيا ، والقرآن الكريم لا تزال كتابته القديمة ماثلة أمامنا في كثير من هذه المسائل ، فلو عدنا الى سورة أم القرآن لوجدنا أن عاصما والكسائي يقرآن قوله تعالى : ((مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)) (1) ، بالالف في (مالك) ، بينما قرأها الباقون بحذف الألف (2) . والرسم ليس أمرا هينا ، بل يلزم الباحث المورفولوجية الشكلية احيانا ، بل قد يوجه القارئ وجهة غير وجهة القارئ الآخر ، من ذلك ان حمزة قرأ قوله تعالى : ((وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ)) (3) بالألف من ضم الياء وكسر الميم ، في حين قرأها الباقون بغير ألف لكن

---

1) سورة الفاتحة آية : 4

2) التيسير في القراءات السبع ص : 18 أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ط : 1930 مطبعة الدولة - استانبول)

3) سورة آل عمران آية أو من آية : 21

مع فتح الياء وضم التاء ،والأولى من القتال و الثانية من القتل (1)ه

وسواء عدنا الى النصوص اللهجية العتيقة (أو الأركية) أو بعض النصوص الجاهلية أوبعض القراءات القرآنية ،فاننا نجد ان هذا الحذف تعدى العناصر ((اللسانية المستقلة او المرتبطة بصيغة الى حذف مقطع او أكثر من صيغة كاملة سواء كانت اسما أم فعلا ، وهذا مما اعتاده القوم حيث الحذف لديهم يدل على الاثبات ،لانهم يتفاهمون بالحذف كما لو كانوا يتفاهمون بالاثبات ،وهذا يدخل كذلك في اطار الطبي العربي العام والعادات اللسانية الشعبية التي تمتاز بها كل أمة ، علما بأن هذه العادات غير ما يتعلم الناس من لب هذه اللغة بين الجدران ،لان هذه العادات اللسانية تخضع لقاعدة لسانية شعبية لا تحصل الا بالمعاشرة الطويلة بين اصحابها ،،،،)) (2)

ومن ذلك ما حكاه المتأخرون نسبيا عن هذه النصوص اللهجية المكرة من أن العرب تقول : ((مخيرك)) في ((ما أخيرك)) ، وذكر المازني ان العرب تقول : ((ما شر اللحم للمريض)) و ((ما خير اللبن)) أي : ما أشره ، وما أخيره ، وسجل الكوفيون عن العرب أنهم يقولون : ((ما خير اللبن للصحيح ،وما شره للمطبون)) (3)ه

---

1) م.س.ص : 37

2) العربية بين الطبع والتطبيع ص : 68 عبد الجليل مرتاض (ط : 1993 (ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر)

3) الضرائر الشعرية ص : 101 لابن عصفور

وعلى الرغم من النقائص المشار اليها آنفا في الرسم السامي عموما وبعده العربي الجنوبي الموروث عنهم او عن بعضهم (الكنعانيين) ، تلك النقائص التي وقعنا عليها لدى بعض الشعوب الحديثة من اجل ادائه تمييزا متمايزا عن تمييز آخر ، او مفردة متمايزة مع مفردة اخرى في أصواتها ودلالتها ، وعلى الرغم من بعض المبررات التي حاولنا استنتاجها ، فان النصوص اللهجية العربية العتيقة التي وصلتنا - وحتى المتأخرة نسبيا - لا تخلو من غموض وتعقيد في بعض رسومها ، حتى ان المرء ليشك في قراءة كل من قرأ هذه النصوص في بعض الأحايين ، ولا سيما حين تتعارض التراجم لرموز هذه النقوش .

ان المستشرقين قرأوا هذه النقوش على ضوء الأبجدية المعروفة (!) في جزيرة العرب والابجدية الصفوية واستنتجوا تاريخ النقوش بين القرنين 5ق.م و5 م) ، (1) . وبصدد هذه النقوش يقول الدكتور حسن ظاظا : (وهناك صعوبة اخرى يدركها المختصون في الدرس اللغوي ويلمسون آثارها في النصوص اللغوية التي وصلت الينا ، .. ذلك ان هذه الآثار لم تصل الينا مسجلة مكتوبة بل مروية مسموعة (2) وهناك فرق كبير بين اللغة المكتوبة واللغة المسموعة ، فاللغة المسموعة

---

1) من الساميين الى العرب ص : 160 - 161

2) لو وصلتنا مروية مسموعة لما كان هناك اشكال كبير ، فالعربية الباقية لغة الشعر الجاهلي ولغة القرآن ورثناها مروية مسموعة ؛ اذ من ذا الذي روى عن لحياني أو ثمودي أو صفوي أو نبطي ... ؟؟

ليست صادقة (1) في تصوير الحقيقة كما كان ينطق بها أصحابها في عصورهم المتعاقدة ، وانما تصور وضعها في زمن تدوينها ، والمعروف ان النطق يتطور (2) من عصر الى آخر ويختلف من بيئة الى أخرى في نفس العصر ، وعلى عكس ذلك اللغة المكتوبة فهي تصور بوضوح كيف كانت تنطق في كل عصر وفي كل بيئة ، واذا كان من السهل الاهتداء الى الى تطور النطق فمعي اللغات التي حرصت على تسجيل الحركات القصيرة والطويلة بأشكال خاصة فان ذلك بالنسبة للعربية يعتبر من الأمور الشاقة (3) ، ذلك ان العربية ظلت كتابتها الى ما بعد الاسلام خالية من رسم تلك الحركات المتحكمة في طريقة نطقها ، ولسنا نقصد من ذلك الحركات الرابطة لشكل الكلمة من ناحية الاعراب فقط ، وانما نقصد كذلك كل أنواع الحركات الرابطة لنطق الصوامت أو الدواكن من حروف اللفظ كلها) ؛ (4) .

---

1) حتى في حالة كون اللغة المسموعة غير صادقة ، فان الكتابة أعجز من ان تمثلها ، وبالتالي تكون أقل صدقا منها ، لان الكتابة نظام مستقل عن نظام اللغة المنطوق .

2) الذي نراه أن النطق يتغير أو يتباين حسب المتكلمين .

3) هذه مغالطة وقع فيها السيد البطليوسي ، وها هو يقع فيها صاحب هذا النص ، وقد حاولنا ان نبين ان هذه الاشكالية ليست في العربية وحدها .

4) دراسات في اللغة والنحو العربي ص : 41 - 42

وما هو جدير بذكره ان البنية الصوتية في نصوص ملغزة او ملبسة هي غيرها في النصوص المعروفة أو غير المشروحة في جميع مستوياتها ، والبنى كلها متضامنة ومتداعية بجميع عناصرها اللسانية لتنتج في النهاية بنية واحدة تعرف او تستقل عن بنية اخرى بسماتها التعارضية على الرغم من انها تتشابه في نفس المواد والعناصر لكن المسيرة بكيفية البناء او النظم وليس بالبناء ذاته ، لكن الخصوص التي عثر عليها الدارسون على الرغم من كثرتها ، فهي قصيرة ، وهي ، فيما يبدو ، اجزاء من نقوش وليست نقوشا كاملة ، فالنقوش اللحيانية مثلا أكثرها لا يتجاوز كلماته الثلاث أو الاربع (1) ، لكن اكثر هذه النقوش في امور منذرة كأن تتعلق بأمور شخصية أو راثية او تمجيدية لحكام ودعاء للآلهة ((وليس بيننا نص ادبي او ديني طويل يمكن ان نتبين في تضاعيفه جملة الخصائص اللغوية لتلك اللغة التي كان يتحدث بها كتبة هذه النقوش ، وجميعها على لسان الشخص الثالث الغائب ، وليس بيننا نص على لسان مخاطب أو متكلم ، وهي تخلو خلوا تاما من الشكل والحركات وحروف العلة وعلامات الاعراب)) (2) .

ومن الغريب حقا أن نجد باحثا فذا مثل الدكتور شوقي ضيف يطلق بعض هذه الاحكام المتناقضة مع بعض النصوص المادية بشأن

---

1) الوجيز في فقه اللغة ، ص 104 .

2) تاريخ الادب العربي ، العصر الجاهلي ، ص 118 .

ورود النقوش كلها على لسان الشخص الثالث الغائب ،وأنه لا يوجد بين هذه النقوش مجتمعة (ما اكتشف منها طبعا) نص على لسان مخاطب أو متكلم ،في الوقت الذي نجد في النقش الذي أسلفناه (1) ضمير المتكلم واضحا : ((سا سرجيل = أي أنا شرحبيل)

2) والضمير المتصل المسند الى المتكلم : بسبت = أي بنيت

ونجد في نقوش صفوية اخرى ضمائر في غير الغائب سرا ، ماتصل منها بالفعل ام بالاسم ، كالدعاء الدال على المخاطب عادة ، والنداء :

- فهملت سلم = أي فيا أيتها اللات سلمي (أي أنت)

- ف هله سلم = أي فيا الله سلم (أي أنت) ...الخ (2)

وفي النقوش الثمودية :

- لبك سرر وهب وصدق = أي قلبك (لبك) سرور وهبة وصدق

- هلبه تمد = أي يا له ثمود

- ان ذ حب = أي أنا ذو الحب ...الخ (3)

ومن هذا ما ذهب اليه اوليتمان المستشرق الالماني من ان الواو الملحقة بآخر اسماء الاعلام في نقش النمارة وضع ليذوب عن التنوين في حالة الرفع (4) ،وهذا ،فيما يظهر لي ،وهم آخر ، لان التركيب في

---

1) راجع ص : 267 من هذا البحث

2) راجع من الساميين الى العرب ص : 167 - 168

3) راجع المرجع السابق ص : 162

4) انظر فقه اللغة ص : 104 بند : 1 للدكتور وافي

نقش حران السابق لا يتفق وهذا التأويل حسب قواعد اللغة العربية التي يمثلها هذا النقش القريب جدا من الفصحى الباقية بشهادة كل المحللين والدارسين :

ـ أنا شرحبيل بن ظالمـو

والكلمة هنا مضافة من حقها الكسر أو الجر لا الرفع ، واذا فكيف تكون الـ او هنا دالة على الرفع ؟ وانما اثبت هنا طبق نحو ما أشرنا ، أي كدلالة على أن الاسم مصروف أو غير متمكن أي لا مانع من أن ينطق منونا .

وهناك أوهام أخرى وغموضات لا تزال تخيم على هذه النقوش العربية المبكرة بوجه خاص والساميات بوجه عام ،وذلك في جميع مستوياتها ، ولا سيما في مستوييها : الفونيتيكي والفونولوجي ، لان هذه النقوش ،مهما بذلنا اليوم فيها من جهود مضنية ، فانها لا تمثل لنا الا قليلا ،وقد يكون مغلوطا أو مغالطا لنا أحيانا ، مما كان يملكه متكلموها على المستوى الشفوي من مناسبة وحركات ونبر وتنغيم ونفي وتأكيد واثبات واستفهام ...الخ .

واذا عدنا اليوم الى عدة تراكيب موروثة في اللهجات العربية الباقية ،فان كتبتها ربما كانوا يجتهدون عن دراية أو عن غير دراية منهم ، في رسمها مثلما كانت تنطق ، أو على الأقل كانوا على

دراية بما يجب كتابته مما يهمل نطقه ،ومنها الصوائت ، وليس معنى هذا أننا اليوم قادرون على ادراك ما يجب نطقه مما يمكن اهماله ، فالتهركيب : ((ويلمسها)) ،والتي وظفها امرؤ القيس في شعره (1) :

ويلمسا في هواء الجو طالبة ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

وشله التركيب ((علماء)) كلاهما يقوم على الأحادية في عملية التبليغ بين المرسل والمرسل اليه ،لكن الرمز بينهما في هذه الحالة يكون ثنائيا بين التقليد في الخطاب الشفوي وبين النظام الكتابي ، والاعدت الكتابة الموروثة هذيانا مسجونا كمية أصواتية ليست لها أية أبعاد دلالية غير كونها أصواتا طبيعية .

والذي نريد أن نتصوره أنه لم تكن الكتابة لدى أولئك الكتاب شيئا ،والنطق شيئا آخر أو على الاقل بعيدا عنه كل البعد ، اذ لا شك ان من كان يكتب ((علماء)) لم يكن يقرأ أو يتلفظ ((علم الماء)) ،وشله التركيب السابق (ويلمه أو ويلمها) .

واذا أردنا اليوم أن نفهم هذه الظاهرة التركيبية الصوتية ،الى جانب كونها تدل على ظواهر تركيبية اخرى في الآن ذاته ، فاننا نجدها أبرز ما تكون ماثلة وحية في العامية العربية المحكية الى

---

1) الكتاب ج :2/ ص : 294 سيبويه (ط:1968 دار الكتاب العربي القاهرة)

جانب وجود ما ثلة في العربية القديمة والجاهلية الباقية ،
بسبب انتشار الكتابة أو اللغة المكتوبة بدأت تبتلع تدريجيا هذه
الفروق والمستويات من اللغة المحكية في الوطن العربي بفضل انتشار
المدارس والثقافات الرسمية في القرى والمدن ،ففي العامية
التي تعرف في الجزائر يقال فيها : ((الفدار)) ويراد بها :
((فاء أو فم أو فناء الدار)) ، والسبب في هذا أن بداية
تغيير ظاهرة لسانية لا تناسبها الانسانية مماثلة للظاهرة نفسها ،
لكن معاكسة . فالعربية التاريخية القديمة كانت أشبه بما آلت
اليه الى مثل هذه العاميات التي أصبحت الرسميات اليوم تحول
بينها وبين المزيد من تغيرها الفعلي لتتخذ لنفسها قواعد مستقلة .

والذي لا شك فيه أن رغم العوامل الأخرى الكثيرة
التي لم نرد حصرها كلها هنا (1) ، أن المفاهيم التي كان أولئك
الكتاب يريدون أن يبلغوها سراعدم من الملتقطين لرسالتهم كانت
ذات ترابط بالأصوات التي يكتبون بها برموز اصطلاحية على غرار الكتابة
الحديثة ،وان كل صوت عندهم كان يقابل وظيفته ،اذ لا يمكن تصور
دال في لغة اجتماعية بدون مدلول ولا مدلول بدون دال .

---

1) لان عملنا هنا هو عمل تحليلي وصفي تزامني قدر الامكان ،ولا جدوى
لنا في المسائل التاريخية المتصلة بدراسات تلك اللغة .

اننا لا نريد ان نتورط أكثر من هذه الاشارات ،والا أخذنا الحديث عن لب الموضوع رنظرا الى أوضاع التواصل المختلفة بين الطابع الشفوي والطابع الكتابي ،لأنه من غير المجدي أن نتحدث عن موضوع لغة دون أن نأخذ في الحسبان موضوع لغة اخرى ، وبعبارة اخرى ، يستحيل ان نتحدث عن لغة شفوية دون أن نقابلها بلغة كتابية ،والعكس بالعكس ،لان الكتابة ((حسب تعبير روبيـــــر اسكريبيت هي لقاء لغة بلغة أخرى ، لقاء اللغة الصوتية بلغة الخطوط. واستخدام الكتابة يقتضي الانتقال من القناة السمعية الى القناة البصرية الأمر الذي يحتم بالتالي تغييرا في نظام الاشارات أو الرمز نفسه)) (1)

ومن غير التورط ايضا في ذكر الجرد لهذه الاوضاع التواصلية بين البنية الصوتية ،وهي مرسلة شفوية أوكتابية ، الا أننا ندرك بأن هناك ((تعارضا أساسيا بين الاصناع في التراصف الشفوي والكتابي الذي يحدد توظيفا تباينيا بين رموز الاتصال الشفوية والخطية)) (2).

وعموما ،فان البنية الصوتية في هذه اللهجـــات ليست غريبة كل الغرابة عن العربية الباقية ، فاللهجات الثلاث (اللحيانية ،والصفوية ، والثمودية) كتبت بخط عربي هو الخط المسند ،وعدد حروفه تسعة وعشرون ترمز الى تسعة وعشرين صوتا ساكنا (3) ،على الرغم من بعض الاختلافات

---

1) اللسانيات من خلال النصوص ص: 67 من جمع: د. السدي (الدار التونسية للنشر)

2) INITIATION à la problématique structurale P: 79 T: 2 collection dirigée BERNARD quemada Hachette PARIS

3) فقه اللغة ص: 79 د. وافي

الكلمة أو الجملة في كتابة هذه الدلائل حين كتاب هذه اللهجات ، وهي فوق ذلك ((تختلف عن سجاسم الاصوات التي تمتاز بها العربية الباقية عن سائر أشقائها الساميه أو يكثر ورودها فيها دون غيرها كأصوات الذال والثاء والغين المعجمة والضاد .. غير ان العربية البائدة تمتاز عن العربية الباقية بعدة تأثرها باللغة الآرامية ، وتختلف عنها اختلافا غير يسير في كثير من مظاهر الصوت ...)) (1) .

ويشمل في هذه اللهجات التشديد أو التخفيف ولا سيما في اول الكلمة ، فالحضرميون مثلا يقولون : رشى بدلا من أنس ، وودم عوضا عن أدم ((وكانت قبيلة هذيل تحض نفر الصنيع فتقول : رشاح بدلا من اشاح ، ومن ذلك انهم يقولون : واكل بدلا من آكل على نحو ما نفعل في لهجاتنا المعاصرة ، وهم لا يدغمون الحرف الثاني مع الحرف الثالث في الأسماء المشتقة من الفعل المضاعف مثل : ظن ، فيقولون اويكتبون : ظانن)) (2) .

---

1) فقه اللغة ص : ٢٠٥ د . وافي .

وهذا الحكم الأخير للدكتور وافي هو أقرب الى المنطق الرهمي منه الى المنطق اللساني ، لان الحروف بين البائدة والباقية حروف عربية ، وان النبطية وهي لهجة عربية قد كانت تستعمل حروفا آرامية هي نفس الحروف التي تطورت فيما بعد الى هذا الخط العربي الموحد ، ثم ان الحرف لا يتم في نقوش مجهولة عن طبيعة صوته على الرغم من اجتهاد الكتاب - فيما يبدو - التوفيق بين الاداء الصوتي والكتابة

2) تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ص : 114

ونفس الشيء بالنسبة للهجة النبطية فانها كانت تسهل الهمزة ولا تحققها ، وهي لهجة عربية باقية منسوبة للحجاز ـ كما سيجيء ـ ...

ان وصول النقوش العربية القديمة الينا على هذا النحو القاصر اوطى بكل سلطانها البدائية وانعدامها في كثير من مظاهرها من علامات الأداء الصوتي الزماني الذي بموجبه يتحدد الأداء القريب من الاطمئنان لأداء نطق سليم ، وخاصة فيما يخص خطوطه جاءت غفلا من الشكل والاعجام علاوة على تشابه بعض حروفه وتداخلها وصعوبة تهجيتها ، ... جعل الواقفين عليها يتباينون في الحكم العام على كثير من جزئياتها ، ومن فائدة هذه النقوش العربية القديمة التي تمثل اصدق تمثيل جزئيات هيئة من حياة العرب وثقافتهم وتاريخهم وديانتهم وبعض عاداتهم وتقاليدهم ... أن يظل الباحثون مختلفين فيها للمزيد من تقصيها ومراجعة كل النتائج اللسانية التي توصل اليها الدارسون الأولون واللاحقون ، لان هذه النقوش العربية على الرغم مما توصف به من عيوب ونقائص من اجل الوقوف على حقائقها وقفا سليما ، فان الواقفين عليها هم ايضا لا تخلو مواقفهم حولها من غموض حينا وتناقض حينا آخر ، واعتقد اعتقادا موضوعيا ومخلصا أن هذه النقوش ستفك رموزها وتحل أسرارها بكيفية أفضل يوم يدرسها العرب جذريا من جديد ، ونحن نتساءل عن دور الجامعة العربية وسواها من الهيئات العربية الثقافية ومسؤوليتها في هذا الميدان ...

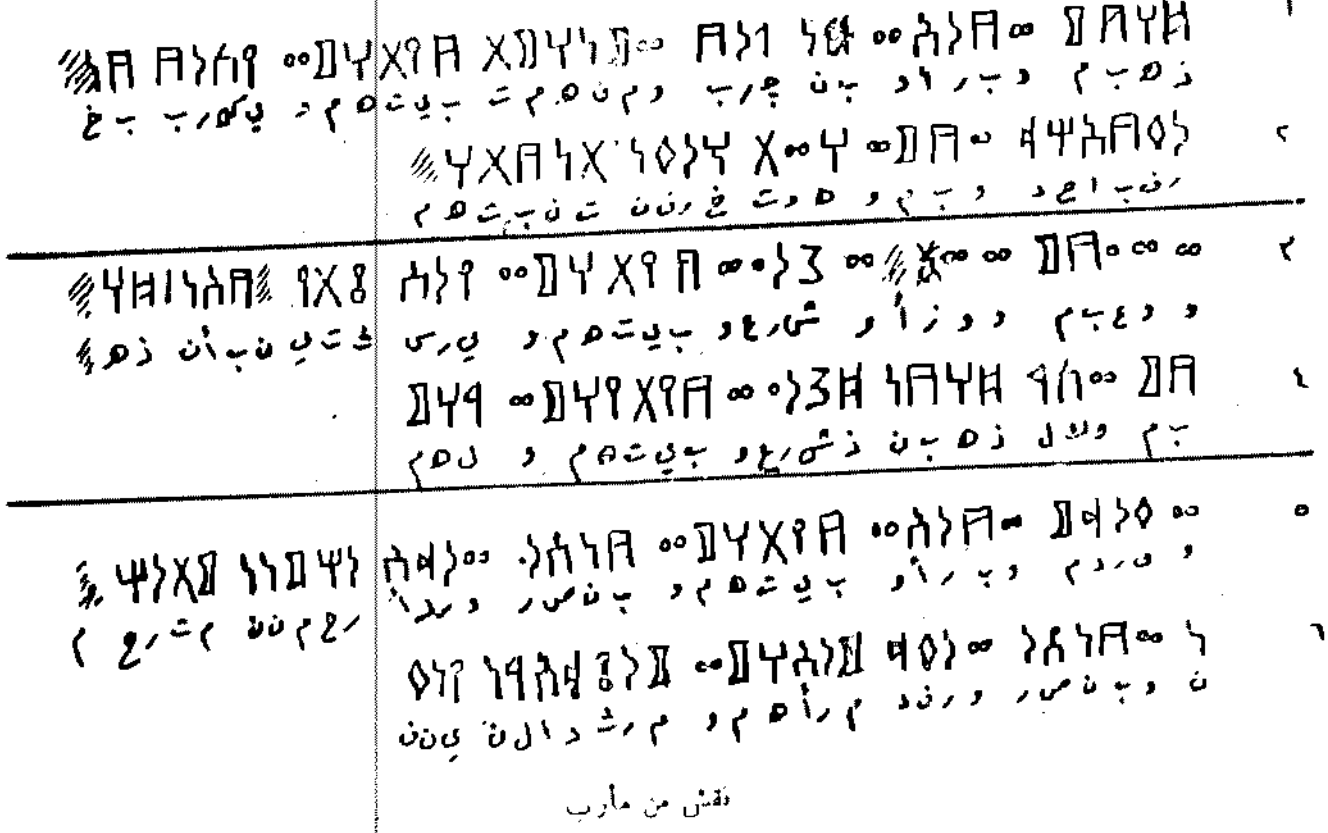

نقش من مارب

(لوحـــة : 8)

وهذه اللوحـــة تمثل الخط العربي المسند مقابلا بالحروف العربية الشمالية التي قـــرأها فيما بعـــد .

نسخ وفينيق وصفوى وثمودى ولحيانى

عربى صحيح	فينيق	صفوى	ثمودى	لحيانى
ا				
ب				
ج				
د				
ه				
و				
ز				
ح				
ط				
ى				
ك				
ل				
م				
ن				
س				
ع				
ف				
ص				
ق				
ر				
ش				
ت				
ث				
خ				
ذ				
ض				
ظ				
غ				

(لـــوحـــة : ٥)

نسخ و یونانی وحمیری وآرامی

فونیقی نسخ	یونانی قدیم	مسند حمیری	آرامی قدیم
ا	A A	ᚠ ᚢ	K
ب	B ß B	ᚢ ᚣ	٩
ج	ᚣ ᚤ ᚥ	ᚣ	٨
د	ᚦ ᚧ ᚨ	ᚨ ᚩ ᚪ ᚫ	٩
ه	ᚬ ᚭ	ᚮ	٣
و	ᚯ ᚰ ᚱ	ᚲ	٦ ٦
ز	ᚳ	ᚴ	٦
ح	ᚵ ᚶ	ᚷ ᚸ	٨
ط	●	ᚹ ᚺ ᚻ	٥
ى	ᚼ ᚽ	ᚾ	٢
ك	ᚿ ᛀ	ᛁ ᛂ	٧
ل	ᛃ ᛄ	ᛅ ᛆ	٦
م	ᛇ ᛈ	ᛉ ᛊ ᛋ	٦
ن	ᛌ ᛍ	ᛎ ᛏ	٦
س	ᛐ (?) ᛑ	ᛒ ᛓ	٦ ٦ ٦
ع	ᛔ	ᛕ ᛖ ᛗ	٥
ف	ᛘ ᛙ	ᛚ	٦
ص	ᛛ ᛜ	ᛝ ᛞ	٣
ق	ᛟ ᛠ	ᛡ	٩
ر	ᛢ ᛣ	ᛤ ᛥ ᛦ	٩
ش	ᛧ ᛨ	ᛩ ᛪ	W
ت	᛫ ᛬	᛭ ᛮ	٨ ٨ +

(لـوحـــة : 10)

نسخ وحيري ونبطي وأنباري

عربي	مسند صحيح	نبطي أو نبطي	حيري أو أنباري
ا			
ب			
ج			
د			
ه			
و			
ز			
ح			
ط			
ى			
ك			
ل			
م			
ن			
س			
ع			
ف			
ص			
ق			
ر			
ش			
ت			

(لـــوحـــة : 11)

حروف أبجدية شرقيـــة متنوعة

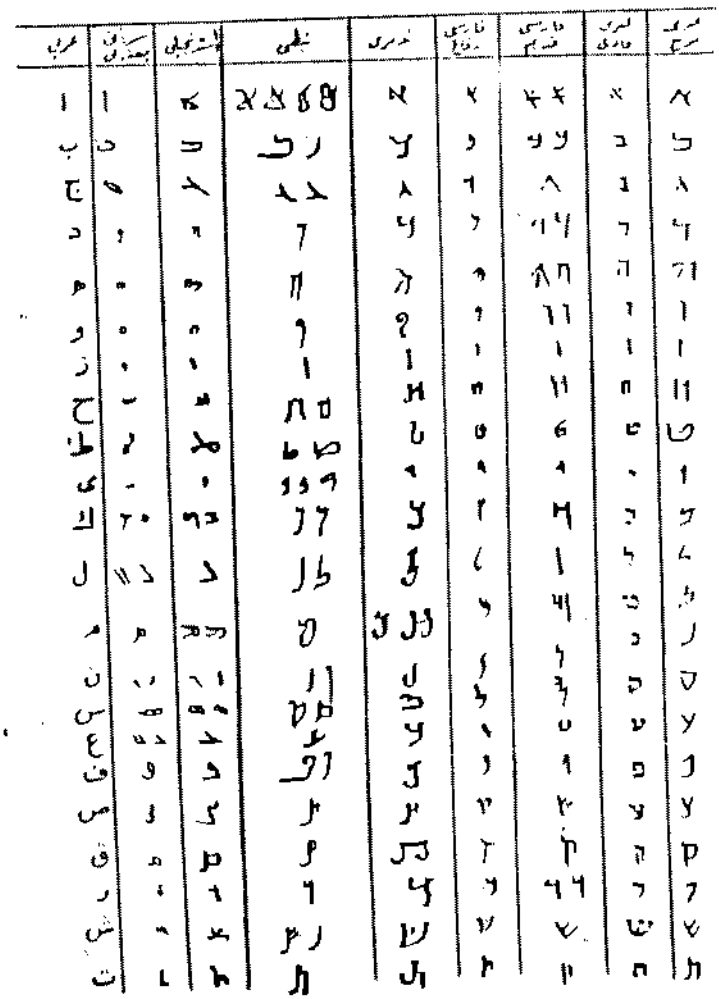

(لـــوحـــة : 12)

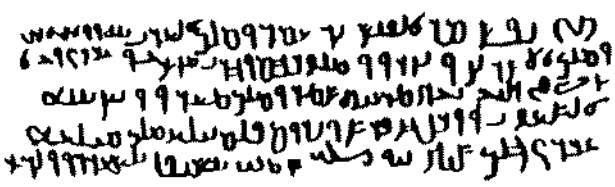

رقم (٦) نقش النمارة

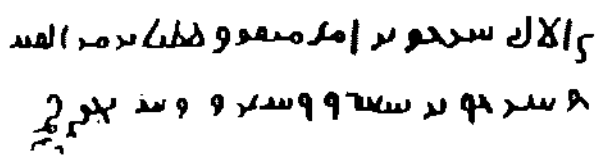

رقم (٧) نقش زبد

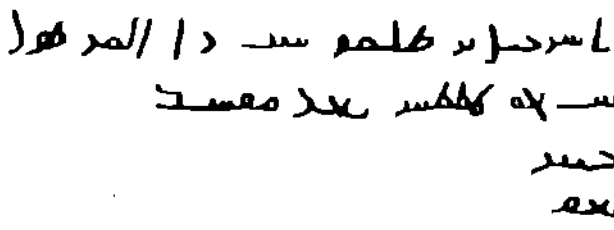

رقم (٨) نقش حران

(لـــوحـــــة : 13)

سبق لنا أن حللنا كلا من نقش النمارة (راجع ص : 230 لوحة : 7) ونقش حران (راجع ص : 267) ، وأما نقش زبد ، فانا نحيل القارئ على :

مصادر الشعر الجاهلي ص : 28 - 29 أ و :

من الساميين الى العرب ص : 171

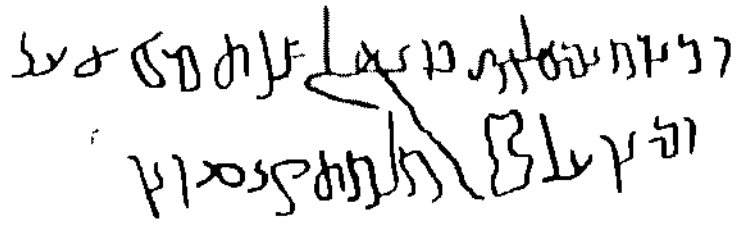

رقم (١) نقش وادي المكتب

رقم (٢) نقش وادي فران

رقم (٣) نقش طور سينا

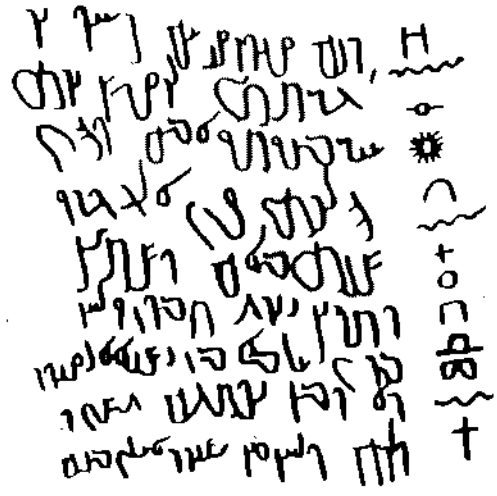

رقم (٤) نقش مدائن صالح

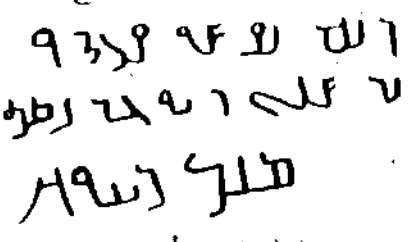

رقم (٥) نقش أم الجمال

(لـوحـة : 14)

نحيل القارىء على كتاب مصادر الشعر الجاهلي ص : 26 - 27 للاطلاع على طبيعة هذه النقوش .

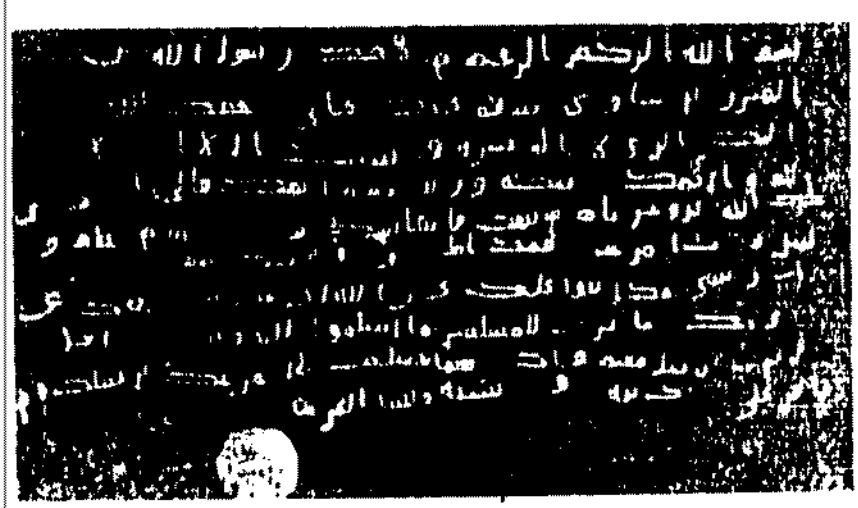

رقم (10) رسالة الرسول الله إلى الحارث بن ظالم .

(لـوحـــة : 15)

اعتمدنا في نقل هذه الرسالة النبوية الشريفة على كتاب :

مصادر الشعر الجاهلي ص : 30 .

وهذا نقش باسم الخليفة الاموي عبدالملك بن مروان(٦٨٥ ٧٠٥) للمقارنة

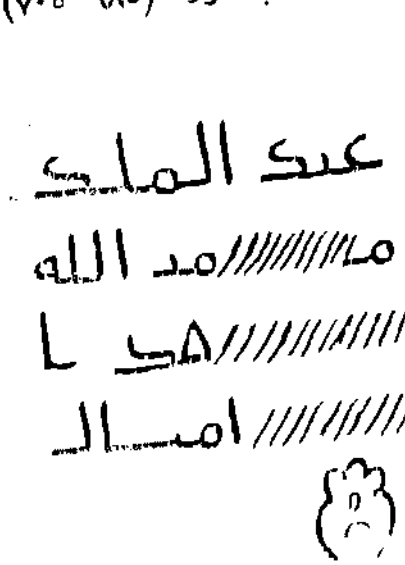

(لوحة : 16)

وجاءت هذه الرسالة الأموية مترجمة في بعض المراجع (من السامريين الى العرب ص : 171) كما يلي :

أمر بعمارة هذا
الطريق (وصنعة الأميال)
عبد الله عبد الملك
أمير المؤمنين (نور) رحمة الله
عليه (ه) من أيليا الى هذا
الميل ثمنية أميال .

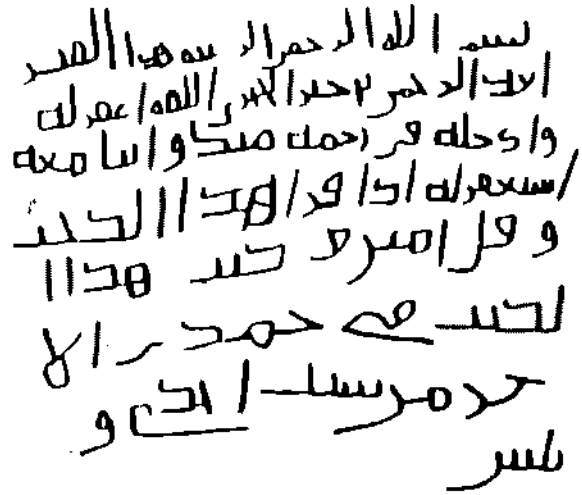

رقم (9) بمتحف القاهرة

(لـــوحـــة : 17)

والنقش مهمـلا ه في تاريخه أسبق من النقش السابق (لوحة : 16) اذ يعود تاريخه الى عهد الخليفة الثالث سيدنا عثمان بن عفان ، وهو مؤرخ في : 31 هـــ .

القسم الثاني

دراسات تركيبية

في

اللهجات العربية الباقية

القسم الثاني : دراسات تركيبية في اللهجات العربية الباقية

الباب الأول : في مدونة اللهجات العربية الباقية

الفصل الأول : المدونة

الفصل الثاني : المقابلة المدونة

الفصل الثالث : اشكاليات حول المدونة المسموعة

الباب الثاني : التركيب في اللهجات العربية الباقية

الفصل الأول : قراءات لسانية عامة حول البنية التركيبية

الفصل الثاني : التركيب الاسمي

الفصل الثالث : التركيب الفعلي

الفصل الرابع : التركيب الحرفي والظرفي

خلاصة البحث

الباب الأول : في مدونة اللهجات العربية الباقية

الفصل الأول : المدونة

ان حديثنا هنا عن المدونة يعني أننا مقتنعون سلفا بأن النصوص التي سنتخذها سبيلا لوصف وتحليل التراكيب في اللهجات العربية الباقية هي نصوص ،على الرغم من شفويتها ،

تشكل نظاما لسانيا متزايدا وباعتبار البنى التي سندرس كل واحدة منها على حدة ليست الا عنصرا لا يظفر بوجود أو كيان مستقل الا من خلال ما يربطه من تداعيات وعلاقات مع سواه من العناصر الأخرى ،والطبيعة الداخلية التي تمنح هذه المدونة ميزة خاصة بها ،هذه الميزة المتمثلة فيها كلغة أو كنظام لغوي قواعد هي التي تنظم علاقات عناصرها المتعارضة في كل مستوياتها المختلفة ، وقراءة مدونة ما لا يعني الا الوقوف على هذه القواعد التي تتحكمها ، وحين يقدر لنا الوقوف بشكل من أشكال القراءة على هذه القواعد ، يتاح لنا عندئذ الوقوف على بنياتها التي يتأسس بموجبها نظامها اللغوي .

ونحن أمام مدونة لسانية ليست كسائر المدونات ،اذ في بعض المجالات الأخرى من القراءات المختارة أو حتى ذات

ذات قراءة اعتباطية غير معينة سلفا بكيفية اجبارية ،تكون هذه المدونة ذات اختيار نسبي لأنها ليست فقط معدة سلفا للوصف ، ولكنها محددة أيضا، ولتوضيح هذه الاشكالية أكثر ،فانه من غير الممكن مقارنة قصة أو رواية أو قصيدة أو أي نص خطابي بهذه المدونة المتنافرة التي نحن بصدد النية في دراستها، ومدونتنا من الصعب اخضاعها حتى الى ما يسميه اللسانيون عادة بالملائمة اذا لم نحدد الطابع النوعي لمادتنا بشكل دقيق من جهة ، وقواعد أو لعبة هذه الملائمة التي نريد أن نطبقها أو نتعامل بها مع نصوصنا من جهة ثانية .

ما زلنا نذكر كيف تعاملنا مع بعض التراكيب في اللغات السامية واللهجات العربية البائدة ، لأن لعبة الملائمة يمكن تطبيقها على كل المستويات في أي تحليل بنيوي (مثلا : المستوى المورفولوجي ، المستوى الفونولوجي ،المستوى الدلالي،المستوى السانتكسي ...الخ) اذ من المؤكد ((أن وجهات النظر التي ينطلق منها لساني من أجل أن يطور تحليله ، يمكن أن تكون متعددة ،والباحث له كامل حرية التصرف ليقتني مستويات يراها ضرورية ليدفع مشروعه الى النجاح ،لأن الأهمية هو أن هذه المستويات يجب

أن تكون محددة باتقان ، بحيث كل واحد منها يكون محللا تحليلا مستقلا من معايير ملائمة)) (١) .

وتُعرّف بعض المعاجم اللسانية الحديثة المدونة بأنها ((مجموعة الأقوال المكتوبة والمسجلة التي تتخذ قصد وصف لساني)) ان منهجية المدونة تفترض في الميدان الوصفي ، لأنه من المستحيل أن نجس كل الأقوال لمجموعة لسانية في فترة معطاة، ومن الخطر بمكان أن نقوم نحن مقامها بصنع أقوالها ، ان اللساني لا يزيد عن أن يحدد نطاق المدونة بصورة اعتباطية محاولا أن يجعلها تمثيلية (REPRÉSENTATIVE) لحالة اللغة المجال فيها . ان المدونة التي نكوّنها هي غالبا ما تعتبر كاملة حتى لا يغير الشارح المعطيات ليضع نظرية مصاغة مسبقا (Théorie préconçue) ، لكن هذا لا يستبعد طموحات جديدة محددة بالزمن للتأكد من تلك الوقائع أو من أجل ملء فراغات . ان منهجية المدونة تكون ذات ضرر لو أدرجت مواد مختلفة الجنس مثل التنوعات الأسلوبية ، اللهجية ، التكرارات ، أو الجمل غير المنتهية أو غير المنجزة والمتفوه بها من المتكلم (LOCUTEUR) (( )) (٢) .

---

(١) REVOLUTION EN LINGUISTIQUE P:87
BIBLIOTHÈQUE, LAROUSSE DES GRANDS THÈMES

(٢) DICTIONNAIRE DE LA LINGUISTIQUE P:89
DIRIGÉ PAR GEORGES MOUNIN, EDITION PUF
1974

ان الأقوال اللامتناهية التي يتفوه بها مجتمع لغوي هي مدونة بالنسبة لأي مستقبل لها ،لكن المدونة محدودة الزمن أو ينبغي أن تكون كذلك ،في حين أن المتقبل لها مطلق في هذا الزمن ، ومن هنا تتشدد المنهجية الخاصة بمدونة ، فنحن اليوم لا يمكن لنا أن نحل محل قرن تميمي أو حجازي أو أي متكلم عربي سبقنا ، بل نحن ابعد من أن نكون مثل أولئك الجماع والرواة للهجاتهم، لكن هذا لا يمنع قارئا اليوم أو غدا لمراجعة قراءة ورواية من سبقونا ما دامت منجزاتهم متصلة بنا وزمانا متصلا بهم ،لكن هذه القراءة ، كما نتصورها ، يجب أن تكون في طرائق الاستعمالات لا في الاستعمالات نفسها التي تشكل معطيات معينة أنجزت وانتهت .

انا اليوم قد نتصرف في التحقيق من قراءة الخليل بن أحمد أو تلميذه سيبويه لكن طموحنا يكون اقرب الى الوهم لو خيل لنا أن نقوم مقام تلك القراءة نفسها ،ويكون طموحنا جنونيا لو فكرنا لحظة واحدة لأن نحل محل تلك الاستعمالات ،لأن الزمن مسألة وهمية ،فهنيهة منه مثل قرن أو قرون ،وهي لا تدرك بما مضى منه بل بزوال ما سيمضي منه ،وما يربطني اليوم بامرئ القيس أو غيره ممن مضوا هو نفس ما سيربط هؤلاء غدا بآخرين بعدي ،

لكن ما يربطنا جميعا في سلسلة تواليه هو ما استعمل أمس، ويستعمل اليوم، وسيستعمل غدا، ... ونحن حين نتفوه بمصطلح مدونة لا نعني في الغالب الأعم من ورائه هذا الا التعريف بين هذه الاستعمالات التي يفترض فيها ألا تكون متناسقة بين مرسلين حتى على مستوى فترة زمنية واحدة.

ان مرسلين اثنين يصفان شيئا واحدا يختلفان فيه خطابا واستعمالا حتى ولو كانا من فترة زمنية واحدة وفضاء واحد، ((ومحتمل جدا أن ما يقومه شخصان مختلفان قد لا يكون ذاته)) (1) بل من الغريب حقا أن يقول اثنان الشيء ذاته لأناس بأعيانهم، فلو كان العرب كلهم يستعملون نفس الأقوال ونفس التراكيب، لما تصورنا عندهم فوارق لهجية، ولما أتيح لمن جاءوا بعدهم أن يلحظوا هذه الفوارق في مختلف المستويات.

اننا حقيقة، ليس بامكاننا بعث من سبقونا، لكنهم متماثلون أو هكذا يجب أن يكونوا، وذلك من خلال استعمالاتهم التي تعد رابطا قائما بيننا وبينهم، زد على ذلك أننا واعون بأن نصوصهم التي خلفوها لنا والتي تعود الى زمن معين لا تقدم بالضرورة كل الاستعمالات الممكنة وغير الممكنة التي تسمح أو لا

---

1) الألسنية ص: 218 د. ميشال زكريا (والمقالة أو البحث لا أذكر ما رتبتي) (ط: 1/1984 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت)

تسمح بها اللغة من وجهة نظر لسانية أو من وجهة نظر أحد عادات التكلم المحلية أو العامة ،، ولكن اذا كان الولوج الى هذه اللغة مستحيلا ، فهو سعنا ، من دون أن يؤخذ علينا أي مأخذ ، اعتبار أن هذه المستندات ممثلة اللغة بصورة تامة ، فشروط العمل هذه تأتي بافادة كبيرة لدرجة أننا نحاول أن نوجدها ثانية عندما نهتم بدراسة لغة معاصرة ، من خلال تكوين مدونة أي مجموعة كلام يسجل على آلة التسجيل أو يملى علينا . وبعد أن تتكون هذه المجموعة نعتبرها غير قابلة للتعديل ، فلا يعاد يزاد عليها ، وتوصف اللغة تبعا لما نجده فيها ، والاعتراض النظري الذي بالامكان توجيهه الى هذا النهج الذي يستند على المدونة ، هو أن باحثين يعملان على نفس اللغة ولكن بالاستناد الى مدونتين مختلفتين ، قد يصلان الى وصفين مختلفين لنفس اللغة)) (1) .

وربما كان زليج هاريز أوضح بكثير من قول أندريه مارتيني السابق ، اذ بالنسبة لهاريز (أو هاريس) أن المخزون الكلامي المسجل هو الذي يكون المدونة ، وأما التحليل الذي يتناولها فهو لا يشكل الا وصفا متماسكا بغية توزيع العناصر المندرجة فيها ، وما يراه أنه لا يجب اغلاق المدونة قبل الشروع الفعلي في التحليل

---

1) م م ص ص ؛ 218

وبالنسبة لمن يهتمون بنتائج الأبحاث اللسانية ((فإن تحليل مدونة معينة يصبح مثيرا للاهتمام ،فقط ، اذا كان التحليل ،بصورة فرضية ، مثلا اكمل تحليل آخر يتم الحصول عليه وفق النهج نفسه من أية مدونة أخرى ماخوذة مادتها من اللهجة نفسها ،ولئن يكن الأمر كذلك فما كانتا أن تتكهن بالعلاقات القائمة بين العناصر في أية مدونة أخرى على أساس العلاقات الملحوظة في المدونة التي حللناها ، وفي هذه الحالة ،بالامكان اعتبار المدونة التي تم تحليلها بمثابة عينة موصوفة من هذه اللغة ، وعندما يتبين للألسني أن المواد المزادة لا تأتيه بشيء جديد غير موجود في تحاليله ، بامكانه حينئذ أن يعتبر مدونته ملائمة)) (1) .

لكن حين نتحدث عن المدونة ، فاننا نأخذ بالمقابل في الاعتبار أمرين : طبيعة المدونة أو جنسها ، وسعتها أو ضيقها ،ففي الأبحاث الفونولوجية مثلا تكون المدونة الضيقة أو الصغيرة أكثر ملاءمة مما هو الحال في الابحاث المورفولوجية أو الصرفية ، هذا الى جانب اعتبار أمر آخر سبقت الاشارة اليه ،وهو الفترة التي أنتجت فيها هذه المدونة .

وعلى العموم ،فان المدونة تتكون من مجموعة الجمل التي يفترض في قارئها أن يكون متابعا سلفا مع من أنتجوها ،بصرف

---

1) م.س.ص : 215

النظر عن الفئات التي تشارك في فترة زمنيه فيها ،وهذا في الحال
أو في المنهج الوصفي على الأقل .

والمدونة مهما كانت قصيرة أو طويلة ،قديمة أو حديثة ،
ومهما كان شكل الطبقات والفئات الاجتماعية التي تشارك بوعي آني
أو بوعي تاريخي ... فانها لا تعدو في النهاية من أن تكون عينة
من اللغة الكلية . ان اللهجات العربية المنتميه لمناطق قبليه
أو بيئات جغرافية ليست أكثر من عناصر منتميه الى مجموعة واحده،
هي اللغة العربية الفصحى ، ...

ويرى البعض أن المدونة تخضع لعدة مواصفات :

1) أن تكون واسعه بالقدر الذي يحقق للباحث أن يأخذ
فكرة كافية عن تواتر الظاهر اللغوية .

2) تكون المدونة أو نصوصها متماسكة وصادرة عن شخص واحد على
أن يكون ثمت تواضع واصطلاح بين هذه النصوص وبين ذات اللغة
بالنسبة لمن يتقبلونها .

3) يشترط في شروط التسجيل أن تكون عادية وطبيعية على نحو ما
عهد عليه العرب قبل فساد السليقة وتأسيس هذه القواعد أو على
نحو هذه العاميات العربية في كامل أنحاء الوطن العربي ،حيث
نجد كل فرد من أفراد المجتمع العربي يتكلم على طريق محليته

بصورة طبيعية وبدون ظهور أي علامة عليه من علامات التصنع أو التكلف .

4) على الباحث أن يوضح قراءته في مدونته اذا ما أحس أن هناك عناصر لغوية مهمة في حاجة الى المزيد من التركيز والتوضيح أو بعض الاضافات .

وبتعبير آخر ((لا بد من الاشارة هنا الى أن الباحث الألسني يمكنه أن يعتمد كمدونة اما تسجيلا صوتيا لمتكلم اللغة واما بعض المقاطع لكتاب كتب في هذه اللغة ،فما يحتاج اليه الباحث اليه ،في الواقع هو مدونة تمثل اللغة وتحتوي على عينات كلامية لها ،وبواسطة هذه العينات تتوافر له امكانية القيام بدراسته اللغوية)) (1) .

ويبدو جليا أن هناك تحفظا بشأن ما ورد في النقطة الثانية التي تشترط أن تكون المدونة صادرة عن شخص واحد ،وهذا ما لا يكاد يتحقق عبر كل الأشكال النسانية ،ولا سيما ما كان منها فنيا أو أدبيا ،حتى في القصيدة الشعرية الكلاسيكية العربية قد لا يتحقق في كل واحدة منها هذا الشرط ،فمجرد وجود حوار ،كما نجد لدى امرئ القيس مثلا :

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت : لك الويلات ،انك مرجلي

---

1) الألسنية (المبادئ والاعلام) ص : 106 د. ميشال زكريا (ط: 2/1983 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت)

تقول ،وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

فقلت لها : سيري وأرخي زمامه ولا تبعدنيي من جناك المعلل

...الخ ،

من خلال هذه الخطابات المتعددة والحوارات المتبادلة بين الشعراء يمكن أن نقول بأن هذه المعلقة التي تشكل جزءا من هذه المدونة أي القصيدة هنا ، ليست صادرة عن شخص واحد ، وليس معنى هذا أن داخل مدونة واحدة عدة مدونات ، لكن بالمعنى الحصري أن داخل كل مدونة عدة مستويات من الخطاب التي يفترض فيها من حيث المبدأ ،وتبعا لجنس المدونة ، أن تصدر عن أكثر من شخص واحد ،واذا كان الأمر يتعلق بجنس أدبي مثل القصة أو الرواية فإن المدونة أكثر تعقيدا وتنوعا في مستويات خطاباتها حسب وظائف شخوصها ...

وحتى ما أسماه علماء العروض عند العرب بالضرورات الشعرية وأن الشاعر يجوز له مالا يجوز للناثر ليس له سند لساني قوي ، لأن العرب ورثوا المدونة المسجلة (حفظا أو رواية ...) شعرا ، وليس نثرا ،الا بعض التراكيب القليلة ،وما زعموه من ضرورات شعرية هو موجود أيضا في التراكيب الأخرى أو في غير الأجناس الشعرية

وليس من حقنا أن نقول : ((ان الشاعر قد أصاب في هذا التركيب ، وقد أخطأ في التركيب الآخر ، ولكننا نريد أن نلمح مرة أخرى لاستبعاد هذه التراكيب كضرائر عروضية وقبولها فقط كخطابات شعرية ، بأن هذه البنى تنوعت بتنوع الخطاب الشعري ، وكان المتكلم فيها متصرفا تصرف من يعرف أكثر من لهجة أو نظام لغوي)) (1) .

على أي حال ، نريد أن نبين بأنه خلال جمع اللغة العربية من البوادي الجبلية والمناطق الصحراوية ، فان جماع هذه المدونة ، كما سنبين في الوقت الملائم ، كانوا يحددون بكيفية صارمة المناطق الجغرافية لهذا الجمع ، لم يجمعوا اللغة العربية الا انطلاقا من لهجة جماعة ذات جبلة أو سليقة غير مطعون في فصاحه وسلامة مدونتها .

اذا وجدت هناك جرأة من أحد جماع اللغة أو اللسانيين بالمصطلح العام لقبول كلمة أو تعبير لهجي معزول أي خارج هذه المناطق الجغرافية اللسانية التي اعتمدوها فضاء مغلقا لمدونتهم

---

1) العربية بين الطبع والتطبيع ص : 112

فان ذلك كان يرجع فقط الى محاولة ايجاد مخرج أو مظهر سانتكسي لعدم وجود مصدر آخر في تلك المناطق الجغرافية اللسانية المحددة .

ان اللهجات العربية كانت غالبا مرة مهمشة ،وتارة مهجورة أو منبوذة من قبل لساني زمننا القدماء لأسباب معيارية غير موضوعية وبعيدة كل البعد من أن تكون هذه الأسباب لسانية صرفا ، لأن هؤلاء الذين يمثلون الطبقة اللسانية الأولى كان يستحوذ عليهم العامل الديني المرتبط بوجه خاص بالقرآن الكريم وقراءاته وتفسيره ودلالته واستخراج شتى أنواع الأحكام منه ، فهؤلاء وجدوا أنفسهم مباشرة أو بوقت قصير بعيد تدوين القرآن ، أمام حركة علمية زاخرة محركها الأساسي الاسلام ،ولذلك فان الرواة وجماع اللغة الأولين ((لم يرووا اللغة لذاتها ، بل كانت لهم وسيلة لتفسير القرآن ،وتقعيد القواعد ،والبحث في اللسانيات ،وهذه الآثار لا تحتاج الا لما سما فكرا ولفظا ، والا فأين الكلام العربي الفصيح من العامي ؟... فمن ثم لم يلتفتوا الى ما انحط لفظا وسخف فكرا ولوكنا نحن اليوم في مكانهم لما أقدمنا على غير ما أقدموا عليه)) (1) .

---

1) بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب ص : د. عبدالجليل مرتاض (ط. ... موسسه الأشرف للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت)

وفي المفاضلة بين المدونات نجد ابن فارس يقول : ((وكانت قريش مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها اذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم وأشعارهم أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع ما تخيروا من تلك اللغات الى نجائزهم وسلائقهم التي طبعوا عليها، فصاروا بذلك أفصح العرب، ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم عنعنة تميم، ولا عجرفية قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد وقيس، ميش : تعلمون وتعلم، وش : شعير وبعير)) (1)

وهذه المستويات اللهجية التي وصفها ابن فارس بـــ ((اللغات المذمومة)) ليست كلها مذمومة، فمنها ما هو فصيح وارد حتى في بعض القراءات القرآنية، كما أن بعضها ما هو الا ابدالات صوتية لا تشكل خطرا على الدلالة مثل قلب الهمزة عينا، أو كما قال ابن دريد : ((حروف لا تكلم بها العرب الا ضرورة، فاذا اضطروا اليها حولوها عند التكلم بها الى أقرب الحروف من مخارجها، فمن ذلك الحروف الحرف الذي بين الباء والعاء، مثل : بور، اذا اضطروا قالوا : فور، ...)) (2)

---

1) فقه اللغة ص : 52 - 53

2) م.س.ص : 54

وفضلا عن أن هذه المدونة مرتبطة بعامل ديني ،فان نشأة الدراسات اللغوية المبكرة عند العرب هي الأخرى مرجع ارتباطها بأحد الخلفاء الراشدين،وهو الامام علي ،أو مؤكد رسمها من أبي الأسود الدؤلي المرتبط سياسيا وشخصيا ومذهبيا بالامام السابق ،والذي باشر في سن ضوابط للمصحف الشريف بنقاط حلت فيما بعد محلها حركات ،بينما غيرت وظائف هذه النقاط فيما بعد انتقالا من دلالتها على بنيه سا بتلك الى الدلالة على الاعجام .

ولو أن هذه القصية لم تكن الا مشروعا تمهيديا لما سيأتي بعدها ،الا أنه يجب أن يعترف اعترافا موضوعيا ،وبدون أية مبالغة بأن هذه الخطوة كانت بحق رائدة ليست فقط للدرس النحوي بل للدراسات اللغوية قاطبة ،وكما كان متوقعا وفق أي منهج معياري دقيق ، فان هذا النحو العربي الأول لم يذكر التركيب اللغوي تبعا لبناه المتعددة والنهائية وغير النهائية ،لكنه ذكر ذلك حسب المستوى التقليدي أو الظاهري لتلك التراكيب القليلة والقصيرة ، والتي يفترض فيها أنها منسوبة الى هذه الخطوة الأولى .

لكن يمكن القول من بعض الوجوه بأن هذه الخطوة التي أعتبرها عملاقة ،لئن لم تذكر هذه البنى العميقة بكيفية مباشرة فانها عبرت عنها بواسطة الأشكال والظواهر من خلال البنى السطحية ،

ذلك أن اعراب لغة متصرفة ،كما هو الحال بالنسبة للعربية ، في حد ذاته يؤسس من الداخل على تحليل سانتكسي ضمني بشكل ما ،لأنه بالنسبة لوجهة نظرنا ، فان الهدف الأكثر فعالية لأي تحليل لغوي لمدونة أو استخراج قواعد منها ،هو أن نميز بين شكل أو تركيب ما سانتكسي أنتج سلفا ثم استقبل لاحقا كهيئة اكتسبت هويتها في الذاكرة الجماعية أو الشعبية بحيث أضحت هي عينها ملتزمة بذلك العقد المتجسد في القوانين النحوية وأساليب الخطاب الدلالية ،وبين تراكيب سانتكسية لم تتحقق بعد أو لم تسجل في خطابات اعتباطية لم يقع عليها التواضع أو الاصطلاح .

والذي يبدو أن الدراسات العربية المبكرة لم تدرك بوضوح الأبعاد اللسانية للمادة التي اتخذوها ميدانا لدراساتهم تلك ،ولا سيما فيما يخص التحليل لتلك المادة ، وبعبارة أخرى لم يميزوا على الأقل منهجيا بين المدونة اللغوية التي هي موضوع الدراسة اللسانية وبين الحدس اللغوي الخاص بمتكلم اللغة ،بل يعتبر باحث معاصر مثل تشومسكي هذا المتكلم بأنه هو نفسه موضوع دراسة اللغة ((وأيضا مصدر اللغة عندما يستعمل معرفته للغة في أداء كلامي)) (1) ،لكن العرب في مقابل هذا أدركوا ما هو -في نظرهم- رديء أو مثالي من هذا المصدر الى درجة أنهم

---

1) الألسنية (المبادئ والاعلام) ص : 156

سنفسوا المتكلمين ووزعوهم وفق رقع وضاطى جغرافية .

لكن الخطوة الأولى في البحث اللغوي العربي على الرغم من أنها تجاهلت أولم تدرك المستويات الخطابية التي يخلقها المتكلمون لا اللغة ، فانها قد أدركت بصورة تنم بنفسها عن نفسها تكرارية الظاهرة اللغوية وافترضت بشكل من الأشكال نهاية الجمل الأصلية أو النواتية تاركة القياس للمتكلم لانتاج صيغ وجمل أخرى خاضعة للعلاقات الممكنة الكامنة في ذلك الترابط المتضامن بين كافة عناصر هذا التركيب أو ذاك في مستوييه : النحوي والدلالي بناء على معطيات نموذجية جاهزة سلفا تتجلى بوجه خاص في كفاءة المتكلم البلدية أو السليقية وعادات أدائه وتواصله من الداخل (من ذاته) ومع الخارج (مع غيره من المتلقين) ،وهذا يعني أن تلك الدراسات المكرة وهي تتعامل مع المدونة أو النصوص الموروثة قد أدركت فكرة الكل في التركيب قبل أن تتطرق الى نسبة الجزء في التحليل ، هي أدركت منذ البداية أن المدونة التي تتعامل معها مركبة أو وهي نظام يقوم على الكل متمثلا في مجموعة تتركب اجباريا من عناصر متماسكة ومتضامنة ،ولا يقوم الواحد في تركيب الا من خلال تناسقه وتضامنه مع عناصر أخرى ، هي العنصر النحوي ،والعنصر الصرفي ،والعنصر الدلالي ،والعنصر الصوتي ،والعنصر المعجمي ،،،، الخ .

ليست لدينا نيـــة مهد ئيه في وصف طبيعة الدرس اللغوي المبكر عند العرب الذ ي أسس بموجب اللغة المحكيـة ، ولكنا أردنا فقط أن نشير الى أنه كان من الطبيعي أن ينطلق في بدايته من التراكيب والقوالب اللـغوية الأكثر تواترا واستقرارا، وذلك وفقـا لمنهج استقرائي يقوم على تلقي النصوص من متكلمين أو منتجين لجمل لا تكاد تنتهي ،مما جعلهم يتهنون فكرة الملاءمة منذ البداية لاستخراج القواعد من تلك المدونة المحكية أو المسموعة. ولكن ذلك الاستقراء المنهجي الصارم عند هؤلاء اللسانيين المبكرين كان يقوم ،من حيث المبدأ ، على المعاضلة نظرا لارتباطه بالعامل الديني ولبعض الأسباب التي أومأنا اليها (1) ،مما جعل هذا النهج يزدري تراكيب لهجية غزيرة الى درجة الزعم بأن القرآن الكريم كوحي الهي منزل بكلام عربي قد عمل على وقاية تراكيب لهجيـة أكثر مما وقاها أولئك اللسانيون أنفسهم ، وذلك بفضل قراءاته المتعددة المرخصة بالحديث النبوي الشهور (أنزل القرآن على سبعة أحرف) ،دون أن ننسى ما سمي عند القراء بـ((القراءات الشاذة)) ، هذه القراءات التي تمثل أقدم وأصدق التراكيب الشعبية والمحلية التي لا نظفر بها في الخطاب العام.

---

1) عدنا على ما أشرنا اليه هنا في ثنايا هذا الفصل ، فانه سبق لنا أن تناولنا هذه الاشكالية في كتاب:
الحركة اللسانية الأولى عند العرب ص : 47 - 52 ثم في ص : 53 - 96

ان تلك التراكيب اللهجية التي وقف عليها أولئك اللسانيون لا تنقص من الصرح الاستقرائي لأنها حقائق ملموسة تدركها حاسة السمع وتتطبع بها عادات الكلام لدى فئات لا يستهان بها من المتكلمين ، لكن هذا المنهى ،حسب أنه تفادى فصدا عرض هذه الصور حتى يرجع المنجمين الى انتاج جمل متشابهة وفق نماذج من الجمل الأصلية التي ارتضوا مدونتها ،على الرغم من أن النص القرآني نفسه لا يخلو من عشرات الأشكال اللهجية ، وبذلك قطعوا الطريق أمام الدراسات المنجزة في حقل اللغة العربية من أن يظهر ظهورا موازيا أو مبكرا علم لهجات مستقل ينجم عن هذا ان المنهج الديالكتولوجي (Dialectologie) في العالم العربي لم يكن ثريا ولا مؤسسا على قاعدة لسانية علمية موضوعية خالية من الذات ،حتى أضحى الخوض اليوم في في مثل هذا الموضوع أقرب شبي مفهوم المحدث الى اشكالية سيا سيية منه الى اشكالية لغوية واقعية وطبيعية في الآن ذاته ، مما جعل أجانب عن هذا الفضاء يلاحظون هذا الفراغ المهول فيتسابقون الى سبره ودراساته بتعبيرهم عنا لا بتعبيرنا عن ذواتنا ، شلما فعلوا في السامیات وفي اللهجات العربية البائدة ، حتى انه

ليكـــــن القـــول بأن القراء السبعة ، كانوا أكثر واقعية وتفتحا مع هذه الأنماط اللهجية من الفقهيين (فقهاء اللغة) أنفسهم ،ولذلك لن يعجب المتتبع لهذا العمل في هذه الدراسات التركيبية للهجات العربية الباقية خلال الباب القادم ، اذا ما لاحظ احالات غير قليلة على مصادر مستقاة مـــــــن القراءات القرآنيـــــــة .

وللحصول على مدونات أساسية ،وجب علينا أن ندرس هذه التراكيب في اللهجات العربية الباقية حسب ما هو مسجل في مدونات قديمة من نصوص لغوية وأدبية وروايات شفوية سجلها العلماء ، بصرف النظر عن موقفهم منها ، نقلا وسماعا من أفواه الأعراب ،... الى جانب القراءات القرآنية وبعض المراجع الأخرى التي لا تبرح تتضمن جملا وتراكيب تنم عن بنيات لهجية في مختلف المستويات ،وهذه النماذج المعزوة الى أقوام بأعيانهم تمكننا من أولا من الوثوق من هذه المدونة، وثانيا من وضع دراسة للعناصر النسانية التي تدخل في بناء هذه الأنظمة اللهجية القبلية .

والاشارة الى المدونات الرسمية لا تقوم في نظرنا الا اطلاقا عاما غير مستثنى لنصوص وتعابير عتيقة قد يعود بعضها الى ما

فهـــل اللهجات العربية الحالية ،ولـم لا هذا التحفظ ؟ ان المدونة التي نحن مقبلون على دراستها ما هي الا تطور لتلك المدونة السامية القديمة أم ليست العربية الا احدى هذه اللغات ان لم تكن هي السامية الأم نفسها على بعض الآراء والأقوال ؟. اننا واعون بوجود تسلسل لساني بين هذه الكلمات ، ...

وربمـا كانت العلاقات الفضائية بين الأشكال الشعبيـة هي التراكيب الأكثر قدما ،والأكثر دلالة على ذلك الترابط المتسلسل بين أشكال المدونة عبر الأزمنة والأمكنة والأجيال ، وأزيد من هذا ، فان الدراسات الانثروبولوجية التي ظهرت في مطلع هذا القرن تفيد بأن الأشكال الشعبية هي الأقرب صلـة باللهجات المحلية للشعوب ،وخاصة تلك التي تعتمد التواصلات الشفويـة أسلوبا ونهجا في حياتها وعاداتها ، بحيث لا تعرف الا قانونا واحدا هو قانون الطبيعـة ،هذا القانون الذي يسمح لها بالعبور طليقة في فضاء مشترك بين الخلف والسلف ،...

ونحن اذا تبنينا منهجيـة قائمة على مدونات شاملة أو تتسم بالطابع الرسمي أو الشهرة ،فاننا لن نأمن من الوقـوع في نفس الشرك الذي حاولنا انتقاده آنفـا ،ثم لأننـا من خلال ما وقفنا عليه وتعلمناه عن سبقوا وخدموا هذه اللغة

خدمة حالة في كل مجالاتها ، وان الجملة العربية لا تعد غريبة كل الغرابة عن التراكيب السهجية المتباينة عموما .

ان الخصائص البنيوية للهجات العربية التي فيه لا تشكل فقط لغة العرب الصحراوية ولكنها تمثل كذلك كنه مجموعة اللغة السفوية المتواضع عليها عموما بين كل المجموعات اللسانية العربية ، دون الأخذ بعين الاعتبار ، طبعا ، الحدود الجغرافية أو أية عوامل أخرى أيا كانت ، والتي لم يكن لها أي نفوذ لساني مطلق امام التيار اللغوي العام الموروث عن أجيال وتكلمات سابقة بخصوص هذه العوامل الوهمية المتعلقة بقوم أو عشيرة أكثر مما هي متصلة بحركة لسانية شفوية لا حدود لفضائها الرحب في سماء الجزيرة العربية كلها .

وعلى الرغم من تلك الظروف الوقتية ، والتي كانت في مجملها قاسية بين المجتمع العربي الجاهلي ، فانه مقابل ذلك لم يكن بوسع هذه القبيلة أو تلك أن تخلق تعبيرا جوهريا عن تلك اللغة العفوية المشتركة التي كانت تعتبر كارث جماعي ، أما التباينات فكانت تقوم غالبا في طرق التواصل كالكلام فردي غير خاضع للمراقبة القواعدية ، وهذا شيء

طبيعـــــي في بيئـة تعيش على عفويتها وطبيعتها ،ومن هنا نرى أن المدونة ستكون متعددة تعدد التعابير التي اعتادت كل فئة كلامية التلفظ بها على نحو مختلف في مختلف العناصر التركيبية.

وبالنسبة للهجات العربية الباقية التي تشكل المدونة الكلية لهذه الدراسة ، فانها على تباينها ، لا تشكل في حقيقة أمرها الا هذه اللغة العربية الفصحى ذاتها ،والتي تمثل الأساس الشفوي لها ولتكاميها في بادئيتهم كحاضرتهم ،وبما كان القرآن حوّلها حالا الى لغة حضارية مكتوبة ،وذلك منذ عهد النبي (ص) .

واذا كان لدينا ميل الى رؤية هذه المدونة بنظرة سانتكسية أو ضمن سانتكسي بدون رؤيتنا اياها بنظرية سانتكسية ،فلأنه يوجد أكثر من نظرية تتناول هذه الظاهرة المنفصلة بدراسة التراكيب اللغوية حسب وجهة نظر بعض اللسانيين المعاصرين مثلما ذهب الى ذلك جورج مونان الذي كرر هذا المشكل أكثر من مرة (1) .

ان وجود أنساق لهجية باعتبارها لغة منطوقة والتي لها معايير نوعية مقابل اللغة العامة ،لا يستطيع دارس مهتم بالموضوع أن يردها ،وذلك منذ ظهور بعض الأنماط اللسانية

---

(1) انظر مثلا : Clefs pour la linguistique générale p 80 et 109, G. Mounin. Ed Seghers - Paris 1968.

التي شرعت تقرر وجودها وسط الحقل المعرفي ،حيث كان اللسانيون العرب القدماء يمارسون بقسوة أشغالهم في علوم اللغة ، لكن هذه الأشكال اللهجية المنشقة أو المتمردة مثلما كانت عقبات أمام هؤلاء اللسانيين المتصلبين ،فانها كانت في الآن ذاته نهرا ساكثيرا ما أضاء السبيل لقراء القرآن بوجه خاص ، فضلا عن ذلك أنها وجهت اللسانيين أنفسهم حيث منحتهم معلومات لا يستهان بها فيما يخص بعض التخريجات اللغوية عموما منها واللسانية خصوصا .

وعلى ضوء هذه الأشكال اللهجية المؤسسة بكيفية متشابهة أو متباينة تماما ،فانه محتوم علينا قراءة ما أمكن من هذه الجمل والتراكيب التي تتضمن معايير سانتكسية متميزة ، وهذه القراءة تشترط الوقوف على المدونات الأدبية القديمة التي اهتمت بطريقة مباشرة أو غير مباشرة بعشل هذه الأنماط اللهجية ، ومن هنا أجد نفسي غير متحمس بشكل مفرط لنظرية على حساب نظرية أخرى تفاديا لكل احتمال ممكن لأي تعسف لساني قد يكون ربما متعارضا جزئيا أوكليا بالقياس الى طبيعة المدونة المعنية ،لا سيما وأن هذه المدونات كانتاج لهجي

مستقر ومعطى سلفا ه

وهناك حقيقة أخرى لا يمكن اغفالها أو التغاضي عنها تكمن في ذلك النظام الداخلي المتناقر بصور مختلفة لتلك التراكيب ، ايمانا منا بأن كل جملة وخاصتها البنيوية ، ان هناك جمل قرآنية ، وجمل شعرية ، وجمل مركبة أحيانا من كلمات أركيية (ARCHAIQUES) أو مؤلفة بقواعد لم تعد مستعملة في العربية الباقية الحديثة ، بل منذ المراحل التالية لعهود التدوين ....الخ ه

وبكلمة واحدة ، فان هناك تداخلا مشتركا بين كل القراءات التي تدعي مبدئيا أنها تتحرى فاعلا أو ايجابيا ، لأننا لا نتصرف في خلق المدونة ، ولكننا فقط ملزمون بقراءتها ، لكننا قد نصطدم بطوابر تواصلية فيها لم نكن قط في الحسبان ه ولذلك فان ما نتمناه أن تظل مدونتنا منسجمة مع قراءة مفتوحة مع كل الآليات التي تتقاطع لبلوغ نفس الهدف ، على الرغم من توقعنا من عدم الانسجامات المنهجية كلما تجاوزت القراءة الأحادية لأنه ((لا توجد ، بأي حال من الاحوال ، نظرية أو وصف يوضح كافة الظاهرة اللغوية ، ولا للسان خاص ، ولا حتى لقسم من لسان)) (1) ، لكن هذا لا ينبغي أن يكون ذريعة للخلط والغموض ، لان اللغة لم تعد اليوم في مأزق

---

(1) POUR COMPRENDRE LA LINGUISTIQUE P : 45
MARINA YAGUELLO - EDITION SEUIL 1991

لدراستها دراسة داخلية ،أو كما قال سوسور : ((ان هدف الألسنية المنفرد والحقيقي انما هو اللغة منظورا اليها في ذاتها ولذاتها)) (1) ه

لكن مع ذلك تظل هذه الرؤية السوسورية عاملا ثانويا جيدا لا يمكن تحقيقه في أرض الواقع ،وفي كل حال ه لأن وراء كل هدف هدفا ،فمادة اللسانيات في حد ذاتها لكي تتخذ موضوعا للدراسة تصبح هدفا ،لأنه ليس كل ما هو موجود ضمن مستوى التعبير وضمن مستوى المحتوى الذين قال بهما هلمسليف ينتميان حتما الى اللغة ((لنأخذ على سبيل المثال الاصوات اللغوية في مستوى التعبير ، نلاحظ أن اللغة في واقعها تستعمل عددا قليلا من الأصوات اللغوية ، في حين أن مستوى التعبير مكون من مادة مشتركة بين كل اللغات ،وبأنه من الضروري التي يمكن النطق بها ،بواسطة الجهاز النطقي الانساني ...)) (2)

وعلى العموم فان ما نصبو اليه في التعامل مع مدونة اللهجات العربية الباقية في هذا الحضار هو كيفية الوصول حسب ما تقتضيه المادة من جمع وحصر وتحليل قد لا يفي ببيانه التمسك بقرار شكلا نيمه واحدة ه

---

1) محاضرات في الالسنية العامة ص : 80 ؛

2) الالسنية (المبادئ والاعلام) ص : 245 ؛

الفصل الثاني : التقاط المدونة

خلال الفصل الماضي ، حاولنا أن نلمح الى أن اللسانيات يجب ألا تنظر الى المدونة على أساس أنها سجل احادي للكلام ، لأن المدونة كيفما تصورناها فهي ليست انجازا فرديا بصورة ابداعية مستقلة ، لأنه حتى لو ذهبنا الى أن الكلام انتاج فردي حقا ، فان هذا المتكلم لا يسأل نفسه كيف يتكلم خلال عملية الابداع ، خاصة حين يكون هذا الكلام شفويا ، ولا أحسب أن احدا منا سأل نفسه نفس السؤال وهو يتكلم ، لأن المتكلم يحيل دوما على مرجع جاهز تمت المصادقة عليه ، هذا المرجع هو الجماعة اللغوية الكلية ، وليس معنى هذا أن المتكلم الفرد محكوم عليه سبقا بالتقليد نسخة طبق الأصل لمن سبقوه ، لكن يعني أن ابداعه لا يخرج عن حدود الفضاء التي تواضعت عليه جماعته اللغوية التي وجد نفسه هكذا يحاكي لغتها .

وهؤلاء اللسانيون مهدعا الافي اطار هذه المدونة المتواضع عليها ، والتي سمعها من جماعته اللغوية ، وهذه المدونة المسموعة متسلسلة تسلسل المتكلمين وكأنها مجردة من تسلسل خطاباتها ، مما

يسمح لكل متكلم تال ،من خلال فضائها المفتوح ، وجعلها غيـــر المتناهية ، أن يدعي ،ولوبشكل من الأشكال ، أنه يقول شيئا غير ما سمع أو تلقى من المدونة السابقة عليه زمانا ومكانا ووجودا ،وابداعه يكمن في مقاومته المستمرة بأنه لايقول الشيء نفســه ، وليس في الابداع ذاته ،والا أليس الوصف الأفضل للعمل هوالعمل نفسه على حد قول تودوروف ؟.(1)

وكـــم كان قول ملارمي الشهير :((اننا لا نصنع الأبيات الشعرية بالأفكار ،بل نصنعها بالكلمات)) (2) جديرا بالاعجاب ،ولربما كان جـــان كوهين أكثر ممن عبر عن هذه المسألة وضوحا ،اذ يقول :((وعندما يخلق الشاعر ان استعارة أصيلة فانما يخلق الكلمات وليس العلاقة ،انه يجسـد شكلا قديما في مادة جديدة ،وهنا يكمن ابداعه الشعري ،فقد أعطيت الطريقة ،وبقـي أن تستعمل ،،،، ان الصور الابداعيـة ليست جديدة في شكلها بل في الكلمات الجديدة التي جسدتها فيها عبقرية الشـاعر لا غيـره ، وقد يحدث ان يعاد استعمال بعض هذه الانجازات فتسقط لذلك الى مستوى الاستعمال ، نحصل حينئذ على هذه الـــصور الاستعماليـة حيث الشكل والمادة ، العلاقة والكلمات متوفرة سلفا))(3)

---

1) الشعرية ص : 21 تودوروف (ط: 1987 دار توبقال للنشر-المغرب)
2) بنيـة اللغة الشعرية ص : 41 جان كوهن (ط: 1/1986 دار توبقال-المغرب)
3) م.س.ص : 44 - ط

وفي اعتقادنا أن سماع مدونة يختلف اختلافا بينا عن قراءة لمدونة أخرى أو حتى لتلك المدونة نفسها ، فالملتقط لمدونة سماعا لا يسعفه الوقت أو يمهله لتبديل سماع بسماع آخر ،ويجد نفسه مضطرا بين حالتين : القبول أو الرفض ،ويتوسط هاتين الحالتين أوصاف أخرى كثيرة كالتحفظ ،والتردد ،والقياس ، والاستشهاد بسماعات أخرى تتفاوت نسبتها بين القلة والكثرة ، بين الاطراد والشذوذ ....الخ .

وفي تقديرنا أيضا أن سماع مدونة لا يبتعد عن ظاهرة التبليغ أو التواصل اللساني العام بين الفئات المتكلمة للغة أصلية أو مكتسبة ،ومما يراه جيرولد كاتز أن التواصل اللغوي ينحصر اجمالا ((في انتاج فونيم سمعي خارجي بامكان الجميع ملاحظته وتقوم بنيته الصوتية والتركيبية بارسال أفكار المتكلم وآرائه الحميمة والذاتية، وفي التقاط المبنية الفونيتيكية والتركيبية التي تقدمها هذه الظاهرة الفيزيائية التي يقوم بها متكلمون آخرون على أنها خبرة ذاتية حميمة لنفس الأفكار والآراء)) (1)

وان سماع مدونة ما يفترض في ملتقطها سلفا أن يتقن

---

1) الألسنية (قراءات تمهيدية) ص : 75

يكون متقنا لقواعد ما وطرائق وعادات استعمالها حتى تكون هذه العملية ممكنة منذ البداية بين الباث أي صاحب المدونة الأصلية وبين المتلقي أي المستمع ((وبما أن التواصل اللغوي سار يكون المعنى الذي يقرن به المتكلم الأصوات هو نفس المعنى الذي يقرن به المستمع الأصوات نفسها ، بعد يكون من الضروري أن نستخلص من ذلك أن متكلمي لغة طبيعية معينة يتواصلون فيما بينهم في لغتهم ،لأن كلا منهم يمتلك بصورة أساسية تنظيم القواعد نفسه ، ويتم التواصل لأن المتكلم يرسل رسالته عبر استعمال نفس القواعد اللغوية التي يستعملها المستمع اليه لكي يلتقطها)) (1).

لكن كيف يتم التقاط هذه المدونة ، بصرف النظر هنا عن العوامل الخارجية التي كانت تتم فيها هذه المدونة ؟ وهل الأمر متعلق بالسائل أولا والمسؤول ثانيا أم العكس هو الأنسب أو الأصح ؟ وبعبارة أخرى من الراغب في التكلم من الراغب في الاستماع ؟ ... لا نريد هنا أن نسبق الأحداث لاعطاء توضيحات مبدئية لهذه الاشكالية ،لان الفصل الثالث القادم ربما سيوضح بعضا منها ، ونبقى في الميدان الداخلي لنشير الى أن المتكلم يختار مرسلة حسب المقام أو الغرض الشيء له ليدفعه الى التكلم ، وذلك لأسباب ليست مناسبة من الناحية اللغوية ،وهذه المرسلة

---

1) السابق ص : 82

يريد ارسالها ((الى الذين يستمعون اليه : فكرة يريد أن يلتقطوها ، أمر يريد أن يعطيه لهم أو سؤال يريد أن يطرحه عليهم ، ويتم ارسال هذه المرسلة على شكل تمثيل صوتي للكلام بواسطة تنظيم قواعد لغوية يمتلكه المتكلم ، وهذا الارسال يصبح اشارة لأعضاء المستكلم النطقية ،فينطق المتكلم بكلام يتخذ الشكل الصوتي المناسب ، وهذا الشكل الصوتي تلتقطه بدورها أعضاء المستمع السمعية .... يلتقط هذا التمثيل بواسطة التنظيم المماثل للقواعد اللغوية والعائد الى المستمع ، عبر تمثيل للمرسلة نفسها التي اختار المتكلم أن يرسلها منذ البداية ،ولأن المستمع يستعمل تنظيم القواعد نفسه الذي يستعمله المتكلم للارسال)) (1).

و تتم عملية التواصل في هذه الحاله بين المتكلم والمستمع على النحو التالي :

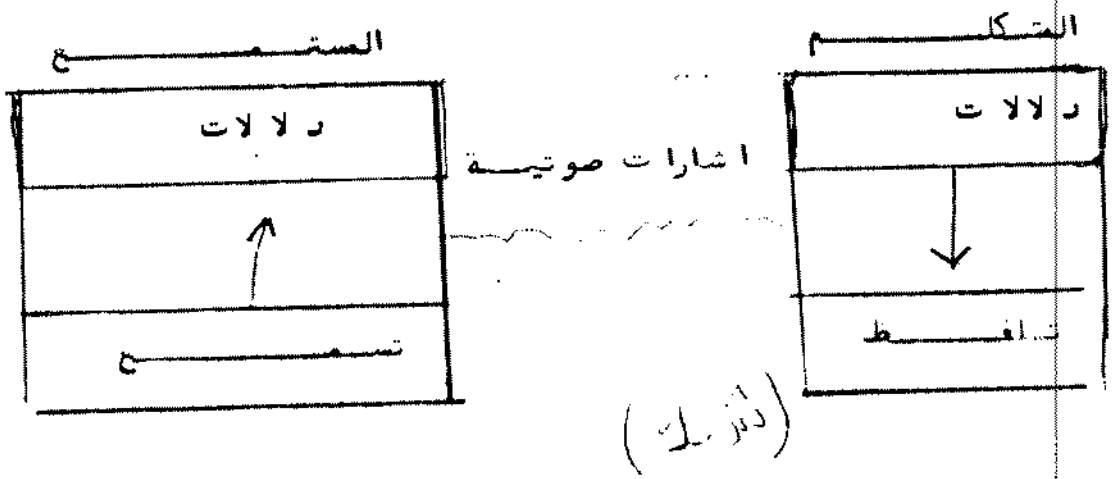

(1) م.س.ص : 42 - 43

ان الجدول السابق يبين عملية التواصل بين الدلالات التي تنتقل من المتكلم الى ذهن المستمع عبر الاشارات الصوتية ، وفي هذه الحالة يقوم المتكلم مقام المرسل ، بينما يقوم المستمع مقام الملتقط أو المتقبل .

وعلى الرغم من تباين دور المتكلم والمستمع يرتبط الاستماع والتلفظ بعضهما ببعض من خلال تعاملهما مع الاشارة الصوتية الواحدة . فيتوافق في الدماغ النطق بأصوات اللغة والانطباع السمعي الذي تتلقاه اذنان نتيجة هذا النطق ، تسمى هذا التوافق بين النطق والاستماع بالارتباط الصوتي المتبادل (connection phonique) (1) . بينما يسمى التوافق بين الدلالات في ذهن المستمع وفي ذهن من يرسل اليه تلك الرسالة بالارتباط الدلالي المتبادل (connection semantique) .

وبناء على الترابط الصوتي المتبادل من جهة ، والترابط الدلالي المتبادل من جهة ثانية بين كل من المرسل والمرسل اليه ، فان الجدول أو المخطط السابق يمكن أن يحوّل على الشكل :

عملية التواصل

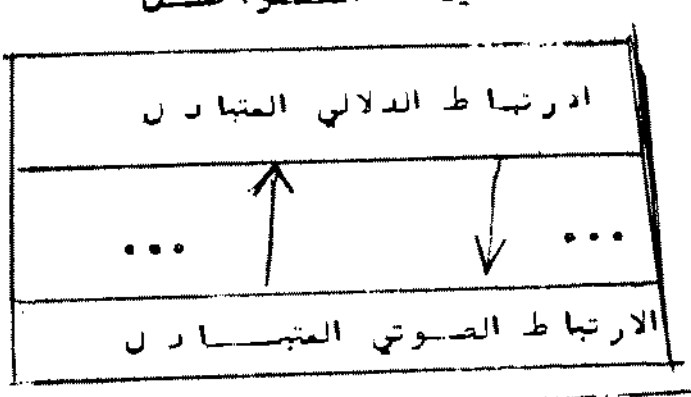

(1) الالسنية (المبادئ والاعلام) ص 47 .

وقبل وصف عملية الالتقاط لدى السامع وهو يخص بكيفية مباشرة أو غير مباشرة أي بتوظيف عوامل خارجية أو يكتفي بما يصله بالمتكلم من ارتباطات لسانية داخلية كالتماديين ، الصوتي والدلالي ، بودنا لو نشير الى أن عملية السماع بين جامع المفهوم وبين منتجها أو الملتفظ بها كانت تتم ، حسب تصورنا كالتالي :

هـــو ← مصدر السماع ومرسل أول للسماع

أنـــا ← ملتقط السماع ومرسل ثان للسماع

أنـــت ← المرسل اليه السماع

ان الضمير الشخصي الأول (هو) يجسد الأعرابي في باديته ، والضمير الشخصي الثاني (أنا) يمثل الراوي عن الأعرابي ، وأما الضمير الثالث (أنت) فيمثل المستمع الثاني أو المسجل عن الراوي .

لكن هذه الضمائر لا تثبت على حال واحدة ، فالضميران الشخصيان ، الثاني (أنا) والثالث (أنت) هما بدورهما يصبحان سامعين ، لكن أولهما (أول هذين الضميرين (أنا)) أقرب الى الأصل من الثاني (أنت) ، ثم تتكرر الضمائر الثلاثة عبر الزمن ، بحيث تتشابك دون أن تفقد طابع التقاطع والتعاضد .

هـــو ، أنـــا ، هـــو

أنـــا ، أنـــت ، أنـــا

هـــو ، أنـــت ، أنـــا

... الخ

والسماع عملية متزاوجة بين المرسل والمرسل اليه ،فهي في سلسلتها الصوتية تشكل أفقيا ، و تلفظ الباث بها عبر السلسلة الكلامية يحولها الى شكل عمودي :

لكن عملية التلفظ هذه لن تلبث أن تتحول الى خط أفقي ، والتلقي لها الى خط عمودي :

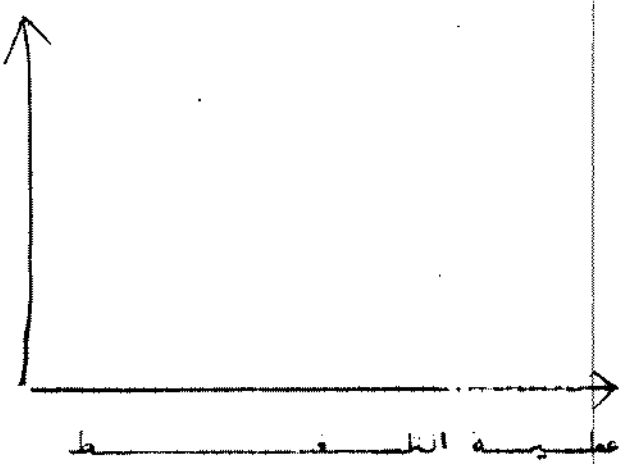

واذا أردنا أو حاولنا على الأقل أن نتصور اليوم كيف كانت تتم تلك العملية بين الراوي والمروي له ،فان الوقائع النسانية كانت تترابط بينهما وفق تصورات ذهنية نعبر عنها بصور سمعية مستخدمة لهذا الغرض ((فالدماغ يخفف الى أعضاء النطق ذبذبة مصاحبة للصورة ،ثم تنتشر الموجات الصوتية من فم المتحدث (أ) الى أذن المتحدث (ب) في اتجاه معاكس : اذ يستتم الانتقال الفيزيولوجي للصورة السمعية من الأذن الى الدماغ ،وفي الدماغ نفسه يعقد الترابط النفسي بين هذه الصورة والتصور الذي يقابلها)) (1) .

ويتصور دي سوسور عملية التواصل بين المرسل والمرسل اليه أو بين النطق والسمع :

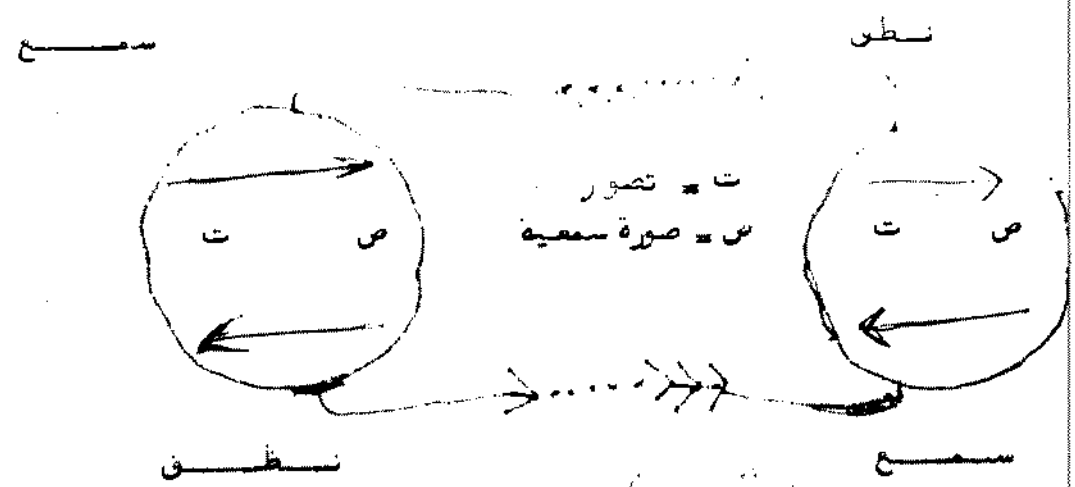

1) محاضرات في الألسنية العامة ص 23

ويبـــــدو أن مخطط سوسور المسابق يميز بين الكلمة في شكليها التصوري وصورتها السمعية وبين هذه الكلمة نفسها ومن يلفظها ويستقبلها ،لأنه لا يمكن فهم فكرته هذه الا باحالتها على المرسل والمرسل اليه ،ولا تخص احدا منهما دون الآخر فضلا عن أن تخص الكلمة وحدها بين كيانها الصوتي وانعكاسه كصورة سمعية في ذهن المتلقي ،حتى كأن المتكلم ينوب عن السامع على الرغم من أحدا منهما لايقوم جوهريا مقام الآخر ،لان المتكلم لا يفكر لحظة واحدة في الكيان الصوتي أو الدال بقدر ما يفكر نفسيا في التلازم بين هذا الكيان الصوتي وبين ما يدل عليه عليه ،وهو الأهم ،انطلاقا من أن المدلول لا ينبغي أن يكون اعتباطيا ، وهذا دون أن نهمل القول بأن الكيان الصوتي المنعكس في ذهن السامع أو الملتقط هوكيان صوتي فيزيائي وفي الوقت نفسه كيـــان صوتـــي فونولوجـي .

على أي حال ،ان عملية التواصل بين الراوي والمروي لـــه لا تعدو أن تخرج عما هو مألوف في عملية التواصل العادية ، والتي وضحتها اللسانيات منذ أمد بعيد ،حتى وان كان منطلقها العلمي لم يتبلور الا في هذا القرن بشكل جلي بفضل المعلومات

الغزيرة التي قدمتها علوم الاتصال وعلوم أخرى الى اللسانيات المعاصرة ، وهكذا فان عملية التبادل للتواصلات بين الراوي الأصلي والمروي الأول له كانت تقوم ، حسب مخطط سوسور السابق ،على ما يلي :

1) المتكلم ،بفعل اثارة للكلام ، يتصور الفكرة ويرفقها بصورة ذهنية للفظة التي تعبر عن ذلك التصور .

2) يتكفل المتكلم بنطقها .

3) تنتقل اللفظة بين هذا المتكلم وسامعه عبر الاشارات الصوتية

4) يلتقطها السامع بصورة نهائية حيث ينتهي تملص المتكلم منها .

5) يتكفل المرسل اليه أو السامع بتفسيرها من حيث هي صورة صوتية فونولوجية بصرف النظر عن صفات أصواتها أو احدى العاهات التي يمكن أن تكون في المتكلم بها ،لأننا هنا نفترض سلفا بشكل غير قابل للجدل بأن المدونة المسموعة من هذا السامع متواضع عليها بينه وبين من أرسلها اليه ، اذ لا يعقل أن تتم هذه العملية بيني وبين متكلم صيني اذا كنت أنا لا أفهم الصينية .وحسبنا هنا أن نتذكر قول جيرولد كاتز السبق الذي ينص بوجه خاص على أن متكلمي لغة معينة يملكون بصورة أساسية تنظيم القواعد نفسه ، ولان المتكلم يرسل مرسلة عبر استخدام نفس القواعد اللسانية التي

يستخدمها المستمع اليه ،أي لا فرق من حيث المبدأ العام للغة بين قواعد الراوي والمروي لـه ، ونحن اليوم لا نتصور أدنى تصور بأن الرواة الذين كانوا ينطلقون من حواضر معينة ليتجشموا وعث السفر ومخاطر الطرقات ،وصعوبة المسالك ،... من أجل تعلم قاعدة من أعرابي متكلم في هذه المنطقة أو تلك ، ولا حتى لتعلم جملة أو جمل من الكلم .. ولله در سوسور اذ يقول : ((ان الجزء النفسي لا يدخل كليا في الموضوع ، والجانب التنفيذي يظل خارج الموضوع ايضا ،ذلك أن الجزء التنفيذي لا يحدث أبدا عبر المجموعة ، فهو عمل فردي دائما ،وللفرد طغيان دائم عليه ، اننا ندعوه كلاما ... واذا ما استطعنا جمع الصور الشفوية المختزنة كلها لدى الأفراد ، فربما لمسنا الرابط الاجتماعي الذي يشكل اللغة ،انها كنز يدخره الافراد الذين ينتمون الى مجموعة واحدة ، عبر ممارسة الكلام ، وهي منظومة نحوية موجودة بالقوة في كل دماغ ، ...)) (1) .

---

1) محاضرات في الألسنية العامة ص : 24-25

يعود سوسور مرة اخرى الى نفس الموضوع تفويها حيث يقرر بأن اللغة توجد على شكل مجموعة آثار مرتسمة في كل دماغ على شكل معجم تقريبا ،وتكون جميع نسخه المتماثلة موزعة بين الافراد ومتموضعة خارج ارادتهم بالصيغة التالية : 1+1+1+1+.....1 = ج (نموذج جمعي) (المرجع السابق ص : 38)

واذا أردنا اليوم كذلك أن نتصور تلك العملية الشائقة التي كانت تتم بين المرسل والمرسل اليه أو بين الراوي والمروي لـه ، فان عملية التواصل بينهما الجانبين كانت تنجز وفق تعدد مصادر المدونة بالنسبة لتراكيبها ومستويات خطاباتها بالشكل التالي :

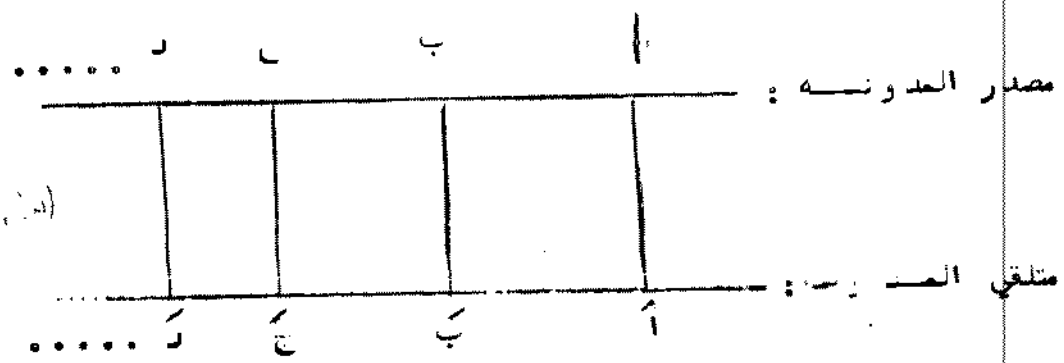

فضلا عن التواضع المفروض بشكل اجباري أو طبيعي بين الراوي والمروي لـه ،فهناك أيضا تقاطع حتمي بينهما ، اذ لابد أن يتقاطع ا مع أ ، وب مع ب ، ...الخ .

لكن عملية التواصل من خلال المدونة المشتركة بين الراوي والمروي لـه ،والتي عرضناها بالشكل السابق تظل مع ذلك ناقصـة ، لأنها تشغل على وجه الخصوص القناة والسيـاق ، وهذان الجانبان الأساسيان في أية عملية من عمليات التواصل أو تبليغ مرسلة معينة لم يأخذهما سوسور بعين الاعتبار ،لأن اللغة بالنسبة اليه لا توجد فيها الا الصور السمعية ،بل هي مستودع لهذه الصور السمعية (1) ،

لكن جاكبسون قد أصلح تصور سوسور لعملية التخاطب بمخطط آخر

يعد ه اللسانيون مخططا أساسيا كلما أردنا أن نتواصل أو نكشف سبر ولعبة التواصل لد ى غيرنا ،ومخططه كما يلي (1) :

السيـــاق
المرسل ..... الرســالــة ..... المرسل اليـــه
الاتصـــال
رموز الاتصال

وبالنسبـة اليه أن ((كل واحد من هذه العناصر الستة يعطي نشأة أو ولا دة لوظيفة لسانية مغايرة ، ولنقل هكذا على الفور ،بأننا اذا ميزنا ست حالات (Aspects) أساسية فحي الكلام ، فسيكون من الصعب علينا أن نجد الرسائل (MESSAGES) التي كانت تشغل حيز واحدة فقـط ، ان تنوع الرسـائل لا تكمن في احتكار احد ى الوظائف للأخرى ،بل في اختلاف الترتيب فيمـا بينهـا)) (2) .

وبعد استطراد لساني في بيان كل وظيفة من الوظائف الست ، يجعل لكل عنصر من العناصر الستة في مخططه السابق وظيفة تقابله :(3)

مرجعيـــة
انفعاليـــة ـــــــ انشائية أوشعرية ـــــــ ندائيـــة
اقامة الاتصـال
ما وراء اللغـــة

---

1) Essai de Linguistique Générale P: 213
R. Jakobson edition de minuit 1963

2) المرجع أعلاه ص : 214

3) المرجع نفسه ص : 220

ومن المخططين السابقين لرومان جاكبسون نرى أن المتكلم الذي يقابل في مدونتنا الراوي تقابله الوظيفة الانفعالية حتى كأن هذا الراوي لايدلي بمدونته التي يختزنها في دماغه أو وجهازه اللغوي الداخلي الا بعد انفعاله ، بينما يقابل المتلقي أو المروي له في مدونتنا المنقولة عبر هذا المتلقي الوظيفة الندائية ، ونلاحظ من نفس المخطط السابق أن المروي له من حيث المبدأ لسانيا لايستطيع أن يواجه مدونته وجها لوجه اذا ما كان مجردا من تواضع كلي أو عريض مع من ينتج أو يرسل هذه المدونة .

وهذه العناصر الستة هي متضامنة في عملية التبليغ الكلامي ، وعلى ضوئها يمكن وصف عمل المستمع أو المروي له خلال عملية التواصل على النحو التالي (1) :

1) يصغي المستمع الى الكلام الموجه اليه

2) يحلل المستمع عناصر الكلام المسموعة بالتوافق مع المهارات الفونولوجية التي سبق له أن اكتسبها من نفس اللغة الموجهة اليه

3) يتقبل المستمع الكلام باعتباره أنه يؤلف جملا صحيحة تماشيا وتنظيم القواعد نفسه والذي بحوزته

---

1) راجع : الالسنية (المبادئ والاعلام) ص : 51 - 52

4) يتقبل المستمع المدونة المرجعية اليه من الراوي المرغوب فيه حيث يعطيها التفسير الدلالي الملائم بها ،والذي لا يدرك كنهه الا بالتعارض مع مدونة أخرى .

5) يستفهم المستمع هذا الكلام .

6) أخيرا ،يتأكد المستمع من ملاءمة هذا الكلام الذي هوبصدد سماعه نفس التنظيم الذي يعرف في محيطه العام

وعلى ضوء الضمائر الثلاثة السابق ذكرها من هذا الفصل (هو ،أنا ،أنت) ،فانه يمكن تصور الخصوص المسموعة بأنها تشكل زمنا للسماع وزمنا آخر للرواية ، وتكون المدونة المبلغة قائمة على ما يمكن أن نسميه بالثنائية الزمنية ،لأن السامع أو المروي له بعد رغبة وارادة منه بشكل من الاشكال لا يروي لنفسه بل من أجل اقامة صرح لساني أو تفسير دلالي ونحو ذلك ، حتى كأن السامع يقوم بقراءة شفوية فضائية لما ينعكس عليه عبر كيان صوتي فونولوجي يقوه به المتكلم أو ماشبه ،وهذه العملية تتم وفق التصور التالي :

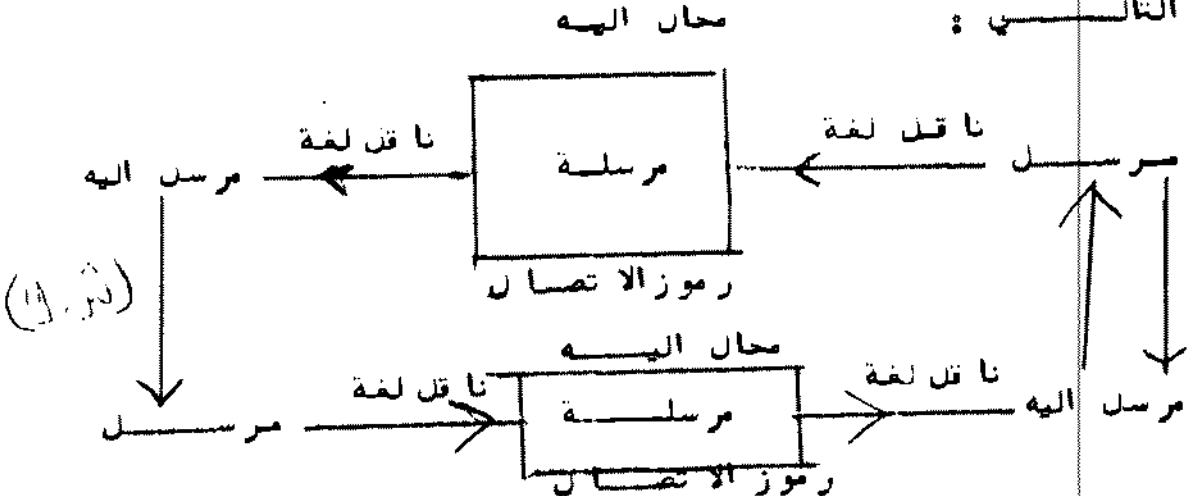

ومن المخطط السابق الذي رسمناه يتبين أن هذه العملية كما كانت تجري فعلا عملية شاقة ومعقدة ،لأن المتلقي الأول أي السامع هنا محكوم عليه بأن يتحول الى ارسال مباشر صوب متلق آخر يتنظره شفويا أوكتابيا أوهما معا ،ولذا فان هذا المخطط ليس مكررا بدون جدوى ، وبعبارة أخرى ، فان المرسل اليه ،وهو السامع للمدونة هنا ،يضحي فورا بعد سماعه مرسلا نحو مرسل اليه آخر ،وهكذا ...

ان أول صفحة من كتاب النوادر لأبي زيد الأنصاري نجد فيها ((قال أبوحاتم ،قال لي أبوزيد ماكان فيه من شعر القصيد فهو سماعي من المفضل بن محمد الضبي ، وماكان من اللغات وأبواب الرجز فذلك سماعي من العرب)) (1) ،وقد يعكس هذا القول بعد هذه الصفحة مباشرة ،أي ماكان فيه من الرجز فهو سماعي من المفضل ،وما كان فيه من قصيد أو لغات فهوسماعي من العرب ، وبالرجوع الى الشكل السابق نستطيع أن نكتب :

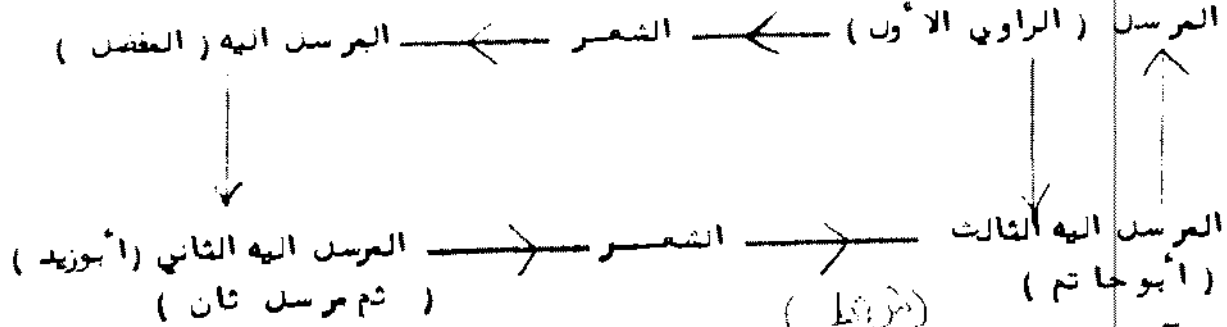

1) كتاب النوادر في اللغة ص : 1 (ط: 1894 المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت)

ان الشكل السابق يرسم ما تلقاه سماعا أبو زيد من المفضل ثم ما تلقاه أبو حاتم من أبي زيد ،لكن ما سمعه أبوزيد من لغات ورجز من العرب ،فانه يرسم على النحو التالي :

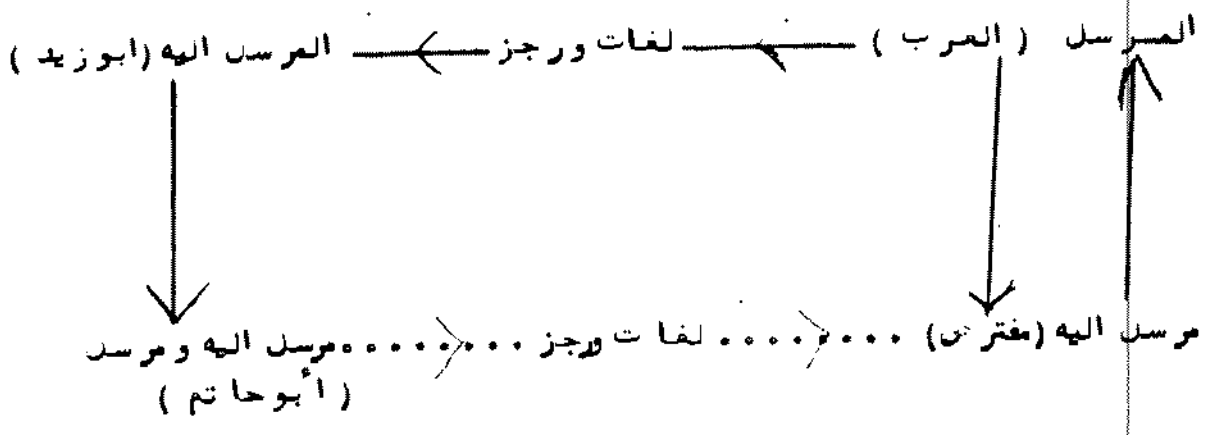

(ص : 11)

والفرق بين الشكلين أن المرسل اليه الثالث في (ص : 10) معلوم وهو شخصية تاريخية ، بينما المرسل اليه الثالث في (ص: 11) مجهول ، لكنه مفترض اجباريا بصرف النظر عن شخصيته المعينة ،والملاحظة الأخرى أنه على الرغم مما حكاه أبوزيد بأن شعر الفصيد سماعي من المفضل ،الا أن مصدر السماع الأصلي أو الأول واحد ،ألا وهم العرب الذين ارتضى جماع اللغة السماع عنهم .

ان ما سمعه أبوزيد وغيره من جماع اللغة عن العرب في بواديهم من شعر ورجز ولغات وأمثال ... لا يعدو في حقيقة أمره نماذج تركيبية لسانية ،ولا تمثل الا نسبة ضئيلة

من كلام العرب نوعا وكمية وخطابا ،ولنتصور احدنا اليوم يحاول أن يسجل كلام الناس الذين يعايشهم ويعايشونه في يوم واحد ، وهذا مع تطور وتوفر الوسائل العلمية والمادية التي كانت متعذرة تماما في تلك الفترة التي كان يتم فيها هذا السماع من قبيلة الى قبيلة ،ومن منطقة الى منطقة ،ومن تعبير لهجي الى آخر ، ...

واذا كان التواصل اللغوي بين الراوي والمروي له يرتكز بين الجانبين على استخدام الرموز المشتركة ،وبوجه خاص على توظيف الدلالات ذات التواصل المشترك بينهما ،باعتبار أن اللغة ما هي الا انتاج متسق لانواع الرموز والدلالات (1) ،وباعتبار أن الخطاب (سواء أكان مسموعا أو حديثا داخليا مع النفس هو دائما قول بصدد شيء معين ،وأن هذا الشيء الذي هو موضوع للخطاب يمكن أن يكون واقعا ماديا أو واقعا مجتمعيا أو كيانا سيكولوجيا ...)) (2) ،فهل يستمع ويتلقى المروي له نظام لغة أم جزءا فقط من هذا النظام ؟

---

1) المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث ص :33 تودوروف وآخرون (ط:1988 افريقيا الشرق ـ المغرب)

2) م.س.ص : 33

مما يبدو أن السامع لا يتلقى نظاما ولا حتى جزءا من هذا النظام ،لأن اللغة في ذاتها مدونة متعددة الأنظمة ،والأمر يتوقف قبل أي شيء على المستويات الخطابية التي يتلقاها ، أي على التراكيب اللهجية المتفقة أو المختلفة ،لأنه مهما لهث السامع في البادية سالبت فانه لا يستطيع أن يحيط بكل الكلمات الفردية التي يسمعها ،بل ربما كلما طال مكوثه بهذا البلد أو في هذه القبيلة قل سماعه أو بعبارة أوضح ،كلما كثر سماعه قل العامه ،لأنه في هذه الحالة يلتجيء الى فرز التراكيب وانتقائها ، ويجد السامع نفسه أمام مظاهر فردية طنينة من الكلام لا أمام نظام لغوي قائم بذاته ،ولايمكنه أن يقف على كل التراكمات الخطابية أو والصور الشفوية الموزعه بين الأفراد ...

اننا اليوم بالرجوع الى بعض المدونات المكتوبة في اللغة العربية الفصحى المشتركة أساسا من اللهجات العربية الباقية وما بقي مستودعا فيها من مظاهر لهجية عربية بائدة وحتى سامية أقدم مما نتصور ،فاننا نقف على ظاهرة لسانية حقيقية لا تجعلنا نرتاب لحظة بأن هؤلاء الرواة الرواد لم يسجلوا كل ما سمعوا من لغات أو تراكيب لهجية لها بنياتها الطبيعية الخاصة بها ،

ولعل ما يسمى بالنوادر ، والشاذ ، وما يسمى بالقراءات الشاذة ، ... واللغات المذمومة أو الرديئة أو المرغوب عنها ، ... يبين لنا أن أولئك الملتقطين الأولين لم يسجلوا كل ما سمعوا من رموز ودلالات لسانية بعضها كان لا يزال في طور التكوين أو الانتشار البطيء بين جماعة لغوية معينة أو مجهولة لدينا اليوم ، وبعضها الآخر أقبر حيث وجد ، وهذه المسألة لا تخص العرب وحدهم بل قد نجدها عند شعوب أخرى سواهم تلك الشعوب التي تعاملت مبكرا مع الشكل المكتوب على حساب أي شكل آخر شفوي أو سمعي ، وذلك على الأقل على المستوى الرسمي ، وما اختراع القواعد لدى البنود ثم عند اليونان قبل العرب الا أحد الدلائل على أن هذا الوضع بين الشعوب قديم قدم الدراسات اللغوية نفسها .

لكن سؤلاء الرواد العرب الذين بادروا الى السماع تأكدوا بأن اللغة المحكية بواسطة السماع غير مجد اذا لم تخضع الى الشكل المكتوب ، لأن التراكيب المسموعة خداعة اذا لم تعرض على النظام الكتابي ، لأنه النظام الوحيد الذي يكشف حقيقة هذه التراكيب المسموعة ، والتي قد لا يتناسب شكل نطقها لدى المرسل وشكل سمعها لدى المرسل اليه ، وربما كان هذا في العربية أهون

مما نقف عليه في بعض اللغات الأخرى كالفرنسية مثلا، وسبق لنا أن تناولنا هذا الموضوع في اطار آخر مشابه حين تحدثنا عن البنية الصوتية فمي اللهجات العربية السائدة، وما دام الأمر هنا متعلقا بسماع العدونة من لغة جية لا سيتة، فانا نرى من المناسب أن نورد بعض الأمثلة الأخرى التي تكشف اختلاف اللغة المسموعة عن طبيعة شكل اللغة المنطوقة فصلا عن اللغة المكتوبة .

1) بين المفرد والجمع : (1)

نسمع	نكتب
Son fis (ولده)	Son fils
Ses fis (أولادهم)	ses fils
Son enfan (طفله)	Son enfant
Sézanfan (أطفالهم)	ses enfants

2) في الفعل المركب المصرف مع كان :

نسمع	نكتب
je parlé	je parlais (كنت أتكلم)
tu parlé	tu parlais (كنت تتكلم)
il parlé	Il parlait (كان يتكلم)
Nous parlyon	Nous parlions (كنا نتكلم)

---

1) راجع : Les Langues vivantes P.25, 27
Jean Guenet (edition SEGHERS Paris 1971)

نسمع	نكتب
vous parlez	vous parlez (كنتم تتكلمون)
ils parlent	ils parlent (كانوا يتكلمون)

ان النهايات الثلاث للفعل المركب في اللغة الفرنسية هنا (تكلم) متباينة في ثلاث حالات :

1) é

2) ez

3) ent

فالضمائر الوحيدة هي التي تقوم بازالة بعض هذه التناقضات بين اللغة المسموعة والمكتوبة ،اذ لا يوجد أي فرق في مجال السماع لدى المرسل اليه بين (Il parlait) و (je parlais) ،وكذلك بالنسبة للباقي ،وذلك فان فون سوسور يأن اللغة عبارة عن مستودع للصور السمعية ،وأن الكتابة هي شكلها المحسوس[1] لا ينبغي تعميمه على كل الصور المسموعة بما فيها الفرنسية التي كان يتقنها هذا الرجل ، وفي العربية هل الكتابة شكل محسوس للصور السمعية: هذا ،هؤلاء ، لكن ،،،، كانوا ، ،،،؟؟

وهذه الأشكال المتعارضة سماعا وكتابة والمتفق عليها في الآن

---

1) محاضرات في الالسنية العامة ص : 27

ذاته دلاليا ،فالى أي فرع تعود من اجل دراساتها وتتبعها ؟ الى علم الأصوات أم الى علم الفونولوجيا أم ندعه للدراسات المورفولوجية أم ليس الى هذا ولا ذاك ونترك الامر على حاله للخطوط الشكلية أو الرمزية تضطلع به ؟

من الصعب جدا أن نجيب على هذه التساؤلات ،لكن من العدل بمكان أن نذكر ما أوردناه من بعض نصوص ابن درستويه حيث وقفنا على ما قد يجب على بعض هذه التساؤلات ،من هذا قوله ((لأن الهجاء يلحق الكلام غير المكتوب أيضا ،... ووجدنا كتاب الله عزوجل لا يقاس هجاؤه ولا يخالف خطه ،ولكنه يطلق بالقبول على ما أودع المصحف ، ورأيت العروض انما هو احصاء ما لفظ به من ساكن ومتحرك وليس يلحقه غلط ولا فيه اختلاف بين أحد)) (1)

على أي حال ،ان الدراسات اللغوية الأولية تنشأ عن تأملات في اللغة المحكية الباقية غير عامل السماع المتبادل بين متكلميها ((ومعلوم أن اللغة المحكية أو المنطوقة ذات قوانين يراعيها المتكلم بدقة ،ويصدر عنها في كلامه ،ولكنه لا يشعر بالعناء ، بل انه لايكاد يفكر فيها ،لأنها عنده لا تزيد على عادات اعتادها

---

1) كتاب الكتـــاب ص :16

منـــذ أن تعلم اللغة من المحيط الذي حوله ،وعلى اللغوي أن يكشف عن تلك القوانين المرعية ،وأن يوضح القواعد التي يتقيد بها المتكلم الأصيل... وعلى هذا ،يكون السماع عملية صعبة ،فهو مجموعة من الأعمال ،تبدأ بالتأمل ات ،وتنتهي بالكشف عن القواعد ، ويقوم بين البدء والانتهاء التصنيف ،والتقسيم والاستقراء ،على أن السماع لا يقف عند حدود الاستنباط ،بل تتابطه أعباء أخرى ، ومن غير العسير تحديد المهمات التي توكل اليه)) (1):

ان السماع عند العرب كان يتم وفق المدونة الشفوية التي كانت تنطق على علاتها ،وأما المروي له فانه كان يعتمد منهجين في سماعه :

1) الاستقراء القائم على وصف ما يسمع من تراكيب لا متناهية لكنها متشابهة من حيث قواعدها لا من حيث خطاباتها ومستوياتها ، لأن السامع كان يصطدم بلهجات جغرافية ،ولهجات اجتماعية ، ... فضلا عما كان يلاحظه من تنغمات متنوعة لم يجد لها في عجالته وهو في البادية تفاسير لسانية منتظمة صارمة ،اذ علاوة على النوعين السابقين من السماع الذي يصطدم به ،فانه كان يصطدم بتلك التكلمات التي ترجع الى لغة واحدة ،كأن يلاحظ أن لغة ل تحتوي على

---

1) اصول النحو العربي ص: 10 - 10 د.محمد خير الحلواني (ط: 1979 مضبعه الشرق - لحلوح - حلب)

لهجات متنوعة مثل لهجات :

ل 1 ، ل 2 ، ل 3 ، . . . ل ن

هذه الأضرب من اللهجات على الرغم من انتمائها بشكل من الأشكال الى اللغة الواحدة (ل) ، فانها تختص بخصائص نحوية أو صوتية أو صرفية ، . . . مستقلة .

ومن غير شك أن المروي له في اطار المنهج الاستقرائي كان يجد نفسه أمام مواقف :

أ ـ من ناحية يسمع النص أو المدونة

ب ـ من ناحية أخرى يسجلها أو يحفظها

ج ـ من ناحية ثالثة يعرض مرة أخرى في هدوء وموازنة ما سجل أو حفظ

د ـ يعمد الى استخراج القواعد

وبعد هذه الاجازات تأتي مرحلة الاصطدامات بغيره من المرويين لهم الذين عاصروه ورووا من منطقه أو مصدر سماعي يخالف مصدر سماعه هو ، أو من المرويين لهم الذين جاءوا بعده ورووا على شيوخ يختلفون معه ، وهنا يكون السماع صورة أخرى مصدرا من مصادر التمذهب والتفلسف شلما كان مصدرا أساسيا في نشأة الدراسات اللغوية ذاتها .

ج) الاستنباط : من خلال المواقف الأولية الأربعة التي يمكن للعروي له أن يعتمدها لاستقراء مادته اللغوية ، فانه ينطلق بعد ذلك الى البحث عن دليل أو تفسير يبرر ما استخرجه من قواعد بكيفية دون كيفية أخرى ، ولا يجد طريقة للبرهنة بها في هذه الحالة غير النهج الاستنباطي ،ومن خلال هذا النهج يحاول أن يستشف البنية اللغوية العامة ومختلف العلاقات الداخلية الكامنة بين عناصر ما زعمه لنا من نموذج أمثال أو قالب ... يجب أن يقاس عليه ويحتذى ،لأنه هكذا يتواتر ويتكرر بين أصحاب اللغة الأصلية. وهو يلتجيء الى وضع هذا النموذج الأصلي من منطلق ايمانه أن الراوي له أو المتكلم الذي سمعه يرسمه أن يتبنى عددا لا متناهيا من الجمل في لغته ،وبعبارة أخرى كان العروي له يدرك تمام الادراك وبوعي كامل بأن وصف أمثال ما يسمع من تراكيب هنا وهناك يوميا من هذه اللهجة أو اللغة يستحيل وصفه بشكل نهائي ما دامت هذه الجمل مرتبطة بالمتكلم وليس بالمرسل اليه ، لأن هذا الأخير ليس من صلاحيته الحد من الكلام ،ولكن ارادته تتوقف على الاستقبال ،فمن هنا نرى أنه من غير الانصاف أن نغتمر شديد الاغترار بأن هذه النظرية بقيت في عالم الغيب الى أن كان رجل في منتصف هذا القرن ليكتشفها ،لكن أولئك اللسانيين العرب

القدماء تعاملوا مع مدوناتهم تعاملا واقعيا مرتبطا بالناحية الفنية والجمالية والظاهرة الشاذة ،في حين أن تشومسكي تعامل مع هذه النماذج أو القوالب تعاملا سوريا ورياضيا ، ولولا تمسكه بالتعامل الدلالي الى جانب الاستقامة النحوية لكان عمله معادلات رياضية فارغة من أي محتوى .لأن النموذج يجب أن يكون مرتبطا ببنية اللغة من حيث هي وظيفة بيولوجية انسانية لا بكونها بنية فيزيائية ، وعليه ،فان كل مثال أو نموذج حاول العرب أن يؤسسوه راعوا فيه موازاته للموضوع المدروس من حيث هو دال على وظائف ،ويمكن بالتالي استخدام هذا النموذج لدراسة أكثر من موضوع واحد .

ان اللسانيين العرب القدماء فرقوا بين أمرين هامين :

1) التكلم أو النطق دون خطأ ،وهو يتعلق بالطبع أو السليقة ....ح

2) وصف هذا التكلم .

وعليه فعملية السامع أو الملتقط للمدونة كان يعنيه الجانب الثاني بالدرجة الأولى ،أما الجانب الأول فلم يكن من نشاطه ،لكن كان مقتصرا على ملاحظته كأن يحدد المصدر السماعي لمنطقة جغرافية أو قبيلة بعينها قبل أن يقدم على وصف هذا التكلم بواسطة ما سمع .

ثم تأتي المرحلة الثالثة بعد عملية الوصف لما يتكلم أو لما التقطه السامع ، وهي مرحلة التقييد خلال عملية الاستخدام لهذه اللغة

في سياق معين ووفق النموذج المعطى الذي رواه السامع ،وهذا لايعني أن المتكلم يظل جامدا لا يطور عليه كلامه ،لأن مفهوم الكفاءة ،حتى لدى تشومسكي ،((ليست مستودعا ساكنا من الرموز ، لكنها نظام متحرك من القواعد والنظم)) (1) ،والشيء الذي يسمح بانتاج جمل لا نهائية في كل الأزمنة على مستوى لغة واحدة ، وبالتالي يعطي أو يضفي على اللغة الانسانية طابع الابداع المستمر والمتجدد بحيث لا تتكرر بنفس الأقوال في مجتمع لساني واحد .

أما النموذج المستخلص من المدونة المسموعة ،فهو غالبا مايراعي الجوانب الخاصة قبل عرضها على متكلم آخر لاستخدام نماذج فرعية على ضوئها : (2)

1) يجب تحديد العوامل اللغوية التي يجب تفسيرها

2) يجب ايجاد الافتراضات اللازمة لتفسير هذه العوامل

3) يجب أن يكون باستطاعة الأنموذج توقع أشياء يمكن لحظها فيما بعد والتحقق منها

4) يجب التأكيد من صواب وصحة الأنموذج

---

1) علم اللغة : نشأته وتطوره ص : 165 د. محمود جاد الرب (ط : 1/1980 دار المعارف - مصر)

2) الألسنية (المبادئ والاعلام) ص : 166

1) سماع أم رواية ؟

أعتقد أن هناك اشكالية متداخلة بين لفظ أو مصطلح السماع وبين لفظ أو مصطلح الرواية ، ذلك ، فيما يحسب ، أن لفظ سيرة الرواية كان موجودا وشائعا منذ العصر الجاهلي حيث كانت كانت هناك مدارس يقوم أفرادها بدور الانشاد والرواية معا ، كمدرسة أوس بن حجر التي امتدت حتى ما بعد الاسلام ، اذ كان زهير راوية أوس وطفيل الغنوي (1) ، وكان الحطيئة تلميذ زهير لأنه كان يروي شعره (2) ، وكان كعب راوية أبيه زهير أيضا ، وهو أمر طبيعي ، بل يذكر أن امرأ القيس كان راوية لأبي دؤاد الايادي (3) ، وأما السماع فهو مصطلح جديد في الدراسات اللغوية العربية المبكرة ، يراد به ما سمع من لغات ولهجات وتراكيب شاذة ومطردة ... ، وعلى السماع وحده كان الرواة لهم يعتمدون في جمع المدونة اللسانية ثم تحليلها ومقابلتها بما يتفق أو يتعارض معها قبل الاقدام على استنتاج قواعدها ثم تسجيلها

---

1) الشعر الجاهلي ص : 107

2) الشعر والشعراء ص : 61 ابن قتيبة (ط: 1902 طبع ليدن)

3) الشعر الجاهلي ص : 107

ومن جهة أخرى ،وكما حاولنا أن نبين ذلك في الفصل الماضي ، فان هناك فرقا بينا بين الرواية والسماع من خلال مصدر المدونة في ذاتها ،وهي اللغة كما وجدها المستمع أو المتلقي ، و متلقي نفس المدونة ،ويكون شكلها مرة اخرها كما يلي :

المتكلم ..... المدونة ..... المتلقي

(ش : 1)

ويشكل أعم يمكن تحوير الشكل السابق كالتالي :

اللغة ..... النص أو التركيب ..... السماع

(ش: 2)

ولربما كانت الضمائر الثلاثة المشار اليها أيضا في نفس الفصل المشار اليه أعلاه يمكن تصورها بوجه أو بآخر مع الشكلين السابقين

وكم كان كان ابن خلدون مصيبا حين قرر أن السمع هو أبو الملكات اللسانية (1) ،لأن جمع المدونة اللسانية ارتكز فعلا على عملية السماع كما يرتكز حصول هذه المستويات اللغوية التي لا حصر لها اليوم في عامياتنا على السماع ،ونحن اليوم حين نتصفح كتاب سيبويه فاننا نجده زاخرا بعمليات السماع المتعددة وبطرق شتى ، فقد ورد فيه ما فيه من ثلثمائة وخمس وتسعين آية من آي القرآن

---

1) راجع المقدمة ص : 546

فيـــه تسعة وأربعون وألف من شواهد الشعر ،وما لا يحصى من كلام العرب وأحاديثهـــم (1) .

يستدعي انتباهنا لو أردنا أن نبحث عن صاحب الكتاب لما ظفرنا بـه سوى أنه عارف السماع أو ما ينوب عن سياق هذا المصطلـــح الذي طوره سيبويه كثيرا ،ولم أجد له ،فيما أعلم ،من تناول هذا المصطلح عنده تناولا لسانيا مستقلا ،وهو في حاجة الى مجهودات قراءة وبحث ومقارنة جبارة للوقوف على الدلالات العلمية الحقيقيـة لهذا المصطلح عند الرجل ،على الرغم من أنه في شكلـه يبدو لنـــا مفهوما عاديـا (2) .

---

1) راجع أصول النحو العربي ص : 17

2) على سبيل المثال راجع كتابه (الجزء الثاني) :

أ ـ السماع عن طريق الاحالة :ص : 21، 27، 28، 65، 67، 71، 72، 74، 75، 86، 87، 101، 110، 111، 113، ...الخ

ب ـ الاستقبال العام ص : 85 ، 88 ...الخ

ج ـ ربط السماع بمصدره مرفوقا بالعرب والنحويين ص : 18 ...

د ـ التحفظات ص : 20....

هـ ـ السماع العام ص : 45 ...

و ـ سماعات مسندة اليه عن طريق التلقي المباشر ص : 20، 27، 28، 51 ، 69 ، 82 ، 112 ،....

ز ـ سماعات عامة أخرى كأن يسندها الى الغير دون أن يذكر مصدر الراوي الأول أو الراوي الثاني (الخليل مثلا أو يونس بن حبيب ، أو أبو عمرو ،أو عيسى بن عمر ...) ،وهو قد يستعمل عبارات مثل ...

ج) السمـــاع و النظـام الصوتي :

ليست عملية التلـقي عملية سهلة ، وهي أصعب أو تزيد صعوبة حين تقرن بالاستقراء الشامل للمدونة بما فيها تراكيبها الـ ـة أو ما سمي بالشاذ ونحو ذلك ، ولم يكن بوسع المتلقي أن يستوعب كل التراكيب الموزعة عبر المناطق والقبائل واللغات والأفراد ، فإن استقراء مدونة لغوية واسعة كاللغة العربية ((في قرن واحد أو قرنين أو مدونة شفاهات وأهواء ، ولا سيما في تلك الحقبة من الزمن ، وعلة ذلك أن العرب منتشرون في أصقاع متفرقة من الجزيرة ، وأنهم يعيشون قبائل وأفخاذا تمتد خيامهم في صحراء واسعة ، وليس في حياتهم من الحضارة ما يتيح لهم أن يدونوا نصوص لغتهم تدوينا يفيد منه اللغوي في عملية الاستقراء ... أما القرآن الكريم فهو خير لغوي بالغ الأهمية ، وقد رأينا اعتماد اللغويين له في عملية الاستقراء ، ولكنه إلى ذلك لم يجمع ظواهر العربية كلها ، ولا بد أن يكون بجانبه نصوص أخرى)) (1)

ومن الناحية الفيزيائية في اصدار الصوت اللغوي من المصدر الذي ينطلق منه هذا الصوت بالنسبة لأعضاء نطقه ، فإن

---

1) اصول النحو العربي ص : 81

المسألة تزداد أكثر تعقيدا ،لانها مرتبطة بادراك هذا الصوت لدى المتلقي ،ذلك أن الأصوات تصدر ((من الانسان فتنتقل أولا خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل الى الأذن الانسانية ، ومنها الى المخ فتترجم هناك وتفسر ، فالسمع هو الحاسة الطبيعية التي لا بد منها لفهم تلك الأصوات ، ولقد سبق السمع في نموه ونشأته نمو الكلام والنطق ،ومزايا السمع يمكن ادراكها بما يلي :

1) ان ادراك الاصوات اللغوية عن طريق السمع يدع سائر الأعضاء حرة طليقة ، فيمكن الانتفاع بها في ضروريات الحياة الاخرى .

2) والسمع يدرك الأصوات من مسافة قد لا يستطيع النظر عندها ادراكها .

3) والسمع حاسة تستغل ليلا ونهارا ،وفي الظلام والنور .

وأخيرا وليس آخرا استطاع الانسان أن يدرك عن طريق تلك المقاطع الصوتية التي نسميها كلاما ،أفكارا أرقى مما قد يدركه بالنظر)) (1) .

وعليه ، فان تلقي اللغة المسموعة متأثر بأعضاء النطق عند العناصر التالية :

1) الكلام أو النصوص التي تم انتاجها أو تحقيقها

---

1) الأصوات اللغوية ص :13 د.ابراهيم أنيس(ط:6/ 1984 مكتبة الانجلو المصرية)

2) المسمـــوع ،اذ يجب أن نفرق بين الكلام في ذاته وبين سماعه، فهما شيئان مختلفان لا علاقة بينهما الا من حيث كون الكـلام المحقق مادة صوتية مسموعة في جهاز أذن المرسل اليه أو السامع .

3) الســامـع بنيـة السماع القصدي أو بنية السماع العفوي ،وبينهما الأول ،حتى وان كان الثاني قد يصير قصديا من غير نيـة مسبقة،

4) المنقـــول ، وهو متعلق بالكلام المسموع ،وهنا تتعقد اشكالية المسموع أكثر ،وتزداد أكثر تعقيدا كلما آلت الى العنصر الرابـــع لان السامع الأول لا يسمع لنفسه بل ما هو الا همزة وصل بين المصدر السماعي الأول وبين من سيروون عنه على الرغم من أنهم قد لايتفقون معـــه في كل ما سمعوا عنه ،ويمكن تصور هذه العمليـــة المتداولة بين هذه العناصر على النحو التالـي :

الكـلام ..... المسموع ..... السامع ..... المنقول

(ش : 3)

وهذا الشكـل متناسب والمصدر السماعـــي الأول المصوّب نحو مروي لـه أول ،وأحيانا قد يتعدد المصدر السماعي الأول ويبقى المروي له واحدا ،أو العكس ،أو قد يتعددان هما معـــا .

فص تعدد المصدر السماعي الأول وبقاء المروي له واحدا ،ما

جاء في الكتاب : ((ولو أن هذا القياس لم تكن العرب الموثوق

بعربيتها تقوله لم يلتفت اليه،ولكنا سمعنا ها تنشد هذا البيت جرا ،

وهو قول ابن مياده الغري ،من غطفان :

وارتشن حين أردن أن يرمينا نهلا بلا ريش ولا بقـــــداح

ونطرن من خلل الخدور بأعين مرضى مخالطها السقام صحاح

وسمعنا من العرب من يرويه ويروي القصيدة التي فيها هذا البيت ،

لم يلقنه أحد هكذا .

وأنشد غيره من العرب بيتا آخر فأجروه هذا المجرى ، وهو

قوله :

حمين العراقيب العشا وتركنه بـه نفس عال مخالطه بهر)) (1)

---

1) الكتاب 2 / ص : 20-21

شرح الابيات (والشرح من هوامش المصدر أعلاه) :

- ارتشن السهم : اذا ركب عليه الريش
- والنهل : السهام ،والقداح : ج قدح بالكسر ،وهو السهم قبل أن يراش
- يشبه الشاعر أشفار هؤلاء الحسان بالريش
- خلل الخدور : فرجها

والشاهد في تركيب الشطر الثاني من البيت الثاني أن الشاعر وصف أ ونعت ((أعين)) وهي نكرة ،بـ((مخالطها)) وهي معرفة بنية التنوين واغفال الاضافة ،ولذلك جرى مجرى الفعل ورفع ((السقام)) ما بعده ،وهذه التحليلات - طبعا - غير متفقة مع قواعد ومنطق اللغة ، والذي نراه ونطمئن اليه أن هذا التركيب تركيب لهجي أو شائع بين فئات عريضة من المتكلمين العرب .

ومن تعدد المرويين لهم وبقاء النص موحدا ،ما جاء في الكتاب أيضا : ((وأما الصفة ،فان كثيرا من العرب يجعلونه صفة ، فيتبعونه الأول فيقولون : أهلِ الحمدِ والحميدِ هو ،وكذلك الحمدُ لله أهله : ان شئت جررت ،وان شئت نصبت ،وان شئت ابتدأت كما قال مهلهل :

واقد خطئن بيوت يشكر خطة أخوالنا وهم بنو الأعمام (1)

وسمعنا بعض العرب يقول : ((الحمدُ لله ربَّ العالمين)) ،فسألت عنها يونس فزعم أنها عربية)) (2)

فأنت ترى أن يونس بن حبيب يطعن في سماعه مع ما سماه سيبويه من بعض العرب ،وهذا أكثر من أن يحصى هنا (3) .

وليس المهم في الاتفاق أو الاختلاف بين المرويين لهم ،لكن الأهم في طبيعة التركيب المسموع التي قد يتسع لأكثر من وجه ((وزعم يونس أن من العرب من يقول : ((النازلون بكل معترك والطيبين)) فهذا مثل ((والصابرين)) (4) . ومن العرب من يقول : الظاعنون

---

1) علق سيبويه (الكتاب 2/ص: 16) قائلا : ((كأنه حين قال : خبطن بيوت يشكر قيل له : وما هم ؟ فقال : أخوالنا ،وهم بنو الأعمام)) ويقصد بهذا أن الشاعر أن الشاعر رفع ((أخوالنا)) على الابتداء بالقطع .

2) الكتاب 2/ص: 62 - 63

3) راجع مثلا بعضا من الحالات المشار اليها في هامش 2/ص: 349 من هذا البحث .

4) يقصد بهذه الكلمة ما جاء في سورة البقرة آية : 177 .

والقائلون)) فنصبه كنصب الطيبين ، الا أن هذا شتم لهم وذم كما أن الطيبين مدح لهم وتعظيم، وان شئت أجريت هذا كله على الاسم الأول ، وان شئت ابتدأته جميعا فكان مرفوعا على الابتداء ، كل هذا جائز في بين البيتين (1) وما أشبههما ، كل ذلك واسع)) (2)

على أي حال ، ان النطق متأثر الى حد ما بأعضاء النطق أو الارسال والاستقبال بين العناصر الاربعة المشار اليها آنفا ، وقد لا يكون هذا التأثير فيمن سمع أخيرا الا امتدادا من تأثير صوتي نشأ في مصدر السماع ثم استقر فيه منذ طفولته ، لان الانسان ((يحتفظ حتى آخر حياته بمجموعة الحركات التي تعودت عليها أعضاؤه الصوتية منذ طفولته)) (3) ، الا اذا لقن نطقا أجنبيا يقوم مقام النطق الهندي ، والنظام الصوتي كالنظام النحوي كلاهما اذا ما اكتسب مره بقي يدين باستقراره الى استقرار هيئة المتكلم (4) .

---

1) البيتان هما لابن خياط العكلي :
وكل قوم أطاعوا أمر مرشدهم الا نميرا أطاعت أمر غاويها
الظاعنين ولما يظعنوا أحدا والقائلون لمن دار نخليها

2) الكتاب 2/ص : 65

3) اللغة ص : 246 فندريس (مطبعة البيان العربي ـ القاهرة)

4) م.س : ن . ص

ان القراءة المنسوبة لأبي جعفر المنصور في قوله تعالى :

((ألم نشرح لك صدرك)) (1)

بنصب الحاء ليست قراءة مستقلة ،وانما يكون أبو جعفر المنصور قد بالغ في اظهار الحاء مشبعا مخرجها ،فاعتقد السامع أنها فتحة (2) ،والدراسات الصوتية الحديثة أظهرت أن الاسراف في تبيين الحروف والاصوات الحلقية يسلم الى أن يصارع حركة الفتح (3).

والحاء صوت كالعين ،ولا فرق بينهما الا في أن ((الحاء صوت مهموس نظيره المجهور هو العين)) (4) ،ومخرج الحاء كالعين وسط الحلق ،فعند النطق بأحدهما يدفع الهواء مارا بالحنجرة ، فيحرك الوترين الصوتيين ،ولما يصل الى وسط الحلق يضيق المجرى المار به ،وهذا واضح من نطق أحدنا (ألم نشرح) فانه يستطيع في السكون الكائن على السين من نفس الكلمة ،ولكنه لا يستطيع ذلك مع السكون المرسوم على الحاء ويحس به داخل مجراه أنه

---

1) سورة الشرح آية : 1

2) مغني اللبيب 1/ ص : 377 ابن هشام (مطبعة المدني - القاهرة)

3) أصول التفكير النحوي ص : 4 د. علي أبو المكارم
(ط:1973 دار القلم - بيروت)

4) الاصوات اللغوية ص : 88

ينحو نحـــو الفتح شيئا فشيئا ،لا سيما اذا اطال الاسراف في اظهار هذا السكون . لكن هذا التغيير لا ينطبق على كل متكلم ومتقبل ، لان الوصف الصوتي متباين تباين الناطقين والمستمعين ،وهذا في الحالات العادية أو الطبيعية التي لا تعتورها أية آفة من آفات النطق أو الاستماع ،زد على ذلك أن اصوات في العربية مصحوبة دوما بصوتات أو صوائت سواء كانت قصيرة (مثل الحركات) أو الطويلة (الصوائت الثلاثة) ،والسكون المرسوم على الاصوات الحلقية هو أظهر منه في باقي الاصوات .

وكـــان بودوان دي كورتناي - فيما يبدو - أول من ميز بين الصوت حين يكون تارة صوتا لغويا ،ومرة فونيما كوحدة لغويـة أساسية ((فالفونيم في نظره لا تتضمن أصواتا لغوية ، انما تتضمن فونيمات أو تمثيلات صوتية هي وحدات نفسيـــــه وليست ،بالتالي ، وحدات مادية)) (1) ،وهو يميز في حالات ثلاث بين الفونيم :

1) ينظر اليه كنشاط فونولوجي مركب مكون من مجموعة تمثلات نطقية وسمعيـــــة .

2) الفونيمات تتمايز من حيث مخارجها في الجهاز النطقي

---

1) الالسنيـــة (المبادئ والاعلام) ص : 275

2) يشتمل الجهاز النطقي على كل نشاط من النشاطات العضلية التي تدخل في تكوين الفونيم (1).

ومنذ القديم فطن العرب ،بشكل أو بآخر ،الى هذه الفرون الصوتية معبرين عنها باصطلاحات مختلفة ((فسموا من يتردد في نطق التاء ((التمتام)) ،ومن يتردد في الفاء ((الفأفاء)) ... وصفة التراء اللسان عند ارادة الكلام سموها ((العقلة)) وصفة تعذر الكلام على المرء عند ارادته هي الحبسة ،وهي أشد من العقلة ، وما يمنع أول كلام الانسان حين يهم بالكلام سموه الرتة(2)...))

وشل فتح الأصوات الحلقية ما سمعه ابن جني من عبد الله الشجري أنه كان يفتح حرف الحلق في نحو ((يعدو)) و ((هو محموم)) ،وذكر أنه لم يسمعها من غيره من بني عقيل (3) ، ويؤول العلامة ابن جني هذا بأن من ينطقون بالحروف الحلقية يستهويهم كثرة ما جاء من العرب من تحريك الحرف الحلقي بالفتح ؛ اذا فتح ما قبله في الاسم على مذهب البغداديين ،مثل قول كثير (4) :

لـه نعـل لاتطبي الكلب ريحها وان جعلت وسط المجالس شمت

وجاء ((الدهر)) مفتوح الهاء في بيت لأبي النجم (5)،

---

1) م.س : ن.ص

2) الحركة اللسانية الاولى عند العرب ص : 57

3) الخصائص 2/ص : ابن جني (مطبعة دار الهدى - بيروت)

4) م.س : ن.ص

5) م.س : ن.ص

والذي نراه أن الفرق بين التأويل السابق لا حد قراء أبي جعفر ،وما حكاه أوسمعه ابن جني من احد بني عقيل ،أن الأول حكم صوتي متغير ،وأما الثاني فهو مظهر لهجي منسوب لقوم بأعيانهم ،هم بنو عقيل ،وقول ابن جني أنه لم يسمعها من غير عبد الله الشجري من بني عقيل لايقوم دليلا على أن المظهر الصوتي لم يكن شائعا بين غير عبد الله ،وانما الأمر هو ما ذكره ابن هشام اللحمي ((وكل ما كان على (فعل) بالاسكان فانه يجوز فيه (فعل) بالفتح عند الكوفيين ،اذا كان وسطه حرف حلق ،وهو قياس مطرد عندهم ،والبصريون لا يفتحون منه الا ما كان مسموعا عن العرب)) (1) .

ولم تكن مصادر السماع على درجة متساوية في النظام الصوتي ، فقد يحجم مصدر صوتا في كلمة ،بينما قد يهمله مصدر آخر ،وذلك راجع فيما نحسب ، الى ارث كل مصدر لغة المصدر السابق عليه سماعا ،وفق تناوبات تواصلية :

هـــو ـــــــــــــــــــ أنـــا ـــــــــــــــ أنـــت

حيث لم تكن هناك كتب ولا معاجم تحافظ على وحدة اللغة الموروثة من جيل الى جيل : رسما واعجاما وضبطا ،ثم كان دور السماع الذي عليه اتكل في التدوين ، حيث دون كل واحد من المتلقين ما سمع ،

---

1) المورد ص : 54 (المجلد العاشر ـ العدد الثاني عام : 1981)

وأخطر شيء في النظام الصوتي هوالتصحيف الذي لا يكون نتيجة لمعطيات سيكولوجية وعصبية تؤدي الى تفكك صوتي ...، بل نتيجة مصادر سماعية مختلفة، لانا نفترض هنا أن عملية التواصل بين السامع والمسموع من جهة، والناقل والمنقول من جهة ثانية هي عملية لا يشوبها أي مؤاس كلاميه، والا فقد صار موضوعنا شيئا آخر.

من هذا أن أبا عمرو بن العلاء وأبا الخطاب الأخفش قد جمعهما مجلس، فأنشد أبوالخطاب:

قالت قتيلة مالـــه قد جللت شيبا شواتـــه

فقال أبوعمرو: صحف يا أبا الخطاب، انما هوســـراتـــه، وسراة كل شيء أعلاه، ولما انصرف ابوعمرو قال الأخفش الأكبر: (والله انها لفي حفظه، ولكنه ما حضره)! (1).

ثم أتى أبوالخطاب الأخفش الا أن يسأل مصادر متنوعة من الأعراب، فقال قوم: سراتـه، وقال آخرون: شواته، فسلم الرجل بعد ذلك أن كل واحد ماروى الا ما سمع (2).

وفي المصادر العربية القديمة وكتب التراجم اللغوية والطبقات فيها أمثلات كثيرة على هذا الوضع المتميز للنظام الصوتي في التراكيب العربية

---

1) المـــزهـــر ج/ ص: 363

2) م.س: ن.ص

على الرغم من أن هذا النظام حدث أول ما حدث مسموعا لا مدونا ، وحين نتقدم قليلا نحو عصور التدوين نجد هذه الظاهرة لا تزيد الا استحالا .

3) السماع بين البصريين والكوفيين :

اننا نتجنب الخوض في هذا الموضوع الشائك في كل ما يتصل به من اتفاقات أو اختلافات ، ولكننا لابد من الاشارة الى أن القصد بالبصريين ليس كل البصريين ، ولا القصد بالكوفيين كل الكوفيين ، وانما القصد بالأولين ، فيما نحسب ، ما هم الا الرواد الأوائل من أمثال عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي وعيسى بن عمر ، وأبي عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، ... وكذلك القصد بالمدرسة الثانية ليست الا الكسائي ومعاذ الهراء وأبا جعفر الرواسي والفراء ، ....

ان الكوفيين كان محتوما عليهم بحكم التأخير الزمني أن يأخذوا عن البصريين ((وكان لأهل البصرة في العربية قدمة ، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية)) (1) ، ولأن أبا الأسود الدؤلي ، وهو بصري ، ((كان أول من أسس العربية ، وفتح بابها ، وأنهج سبيلها ، ووضع قياسها)) (2) .

---

1) طبقات فحول الشعراء الشعراء الأول ص : 12 ابن سلام الجمحي (مطبعة المدني - القاهرة)

2) م.س : ن . ص

ولكن أهل البصرة بحكم السبق الزمني والعلمي لم يكونوا محوجين الى الأخذ عن الكوفيين ((وكذلك أهل الكوفة كلهم يأخذون عن البصريين ، ولكن أهل البصرة يمتنعون من الأخذ عنهم ، لأنهم لا يرون الأعراب الذين يحكون عنهم حجة)) (1) ، بل قال أبو حاتم : ((فاذا فسرت حروف القرآن المختلف فيها ، وحكيت عن العرب شيئا فانما أحكيه عن الثقات عنهم ، مثل أبي زيد والأصمعي وأبي عبيدة ويونس وثقات من فصحاء الأعراب وحملة العلم ، ولا ألتفت الى رواية الكسائي والأحمر والأموي والفراء ونحوهم ، وأعوذ بالله من شرهم)) (2)

وأضاف أبو الطيب اللغوي مرة أخرى : ((وأخذ الناس علم العرب عن هؤلاء الذين ذكرنا من علماء البصرة)) (3) .

وقال أبو حاتم في موضع آخر : ((لم يكن لجميع الكوفيين علم بالقرآن ولا كلام العرب ، ولولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا من ذكره لم يكن شيئا ، وعلمه مختلط بلا حجج ولا علل ، الا حكايات من الأعراب مطروحة ...)) (4)

---

1) مراتب النحويين ص : 143 أبو الطيب اللغوي (دار الفكر العربي - بيروت)

2) م.س : ن.ص

3) م.س : ص 122

4) م.س.ص : 120 - 121

أما صاحب الفهرست فذكر في ترجمته لأبي زيد الأنصاري احالة على أبي سعيد (1) : ((ولا نعلم أحدا من علماء البصريين في النحو واللغة أخذ من أهل الكوفة شيئا من علم العرب الا أبا زيد ، فانه روى عن المفضل الضبي)) (2) .

وينسب للرياشي أنه قال عنا هيا بمصدر سماع البصريين حاطا من قيمة مصدر سماع الكوفيين : ((أنما أخذنا اللغة من حرسة الضباب وأكلة اليرابيع ، وهؤلاء (3) أخذوا اللغة من أهل السواد أكلة الكواميخ والشواريز وكلام يشبه هذا)) (4) .

ومن المحدثين نجد الاستاذ سعيد الافغاني بعد ما يخلص الى القول بأن السماعيين هم البصريون لا الكوفيون يقول : ((أميل اذا الى أن المذهب الكوفي لا هو مذهب سماع صحيح ولا مذهب قياس سليم ، لكن التاريخ يؤيد وجود المذهبين مذهب السماع ومذهب القياس ، وهما حقا وجدا ، ولكن في البصرة لا في الكوفة)) (5) .

---

1) يظهر أنه أبو سعيد السيرافي المتوفى سنة 368 هـ

2) الفهرست ص : 80 ابن النديم (لم تذكر مطبعة الكتاب ولا زمانه ولا مكانه ...)

3) يقصد بهم الكوفيين طبعا

4) الفهرست ص : 84

5) من تاريخ النحو ص : 74 - 75 سعيد الافغاني (دار الفكر - بيروت)

وعلى ما في هذه الآراء وما شابهها من غرابة وعصبية ، من ازراء اللساني العام على الكوفيين الذين لولاهم لضاع تراث لساني لهجي ولساني عام كثير ، فهم الذين مدوا يد الحماية الزمنية لتراكيب عربية عتيقة على الرغم من أن البصريين رغم تحفظهم في ميدان السماع ، فانهم لم يكونوا أقل اهتماما في استقراء المادة اللغوية المسموعة من نظرائهم الكوفيين ، فهذا أبو عمرو بن العلاء كان يأخذ عن أبي عقرب (1) ، كما كان يأخذ عن غيره من الأعراب المارين به ، (2) أو الذين يؤمهم في مختلف أصقاعهم ممن اشتهرت بلاغتهم أو رفعهم بالفصاحة رفعة الشأن ، وهذا الأصمعي كان لا يتردد في السماع عن المنتجع الأعرابي ، وهو طائي (3) ، وأبو عبيدة الموسوعة كان يسأل أبا مهدية الأعرابي ، وهو من باهلة (4) ، وهذا حماد الكاتب يقول : ((كنا نأتي سماك بن حرب نسأله عن الشعر ، ويأتي أصحاب الحديث ، فيقبل علينا ويدعهم ويقول : هؤلاء ثقلاء)) (5) . ويونس بن حبيب كان يسمع من الأعراب وشعرائهم ، وسيبويه اعتمد القواعد العربية العامة التي لا أول لها ولا آخر ، في كتابه على الأعراب ،

---

1) طبقات النحويين واللغويين ص: 31 ، ص: 37 للزبيدي (دار المعارف مصر)

2) م.س.ص : 36

3) م.س.ص : 157

4) م.س ؛ ن.ص

5) م.س.ص : 158

فهو كثيرا ،كما سبق أن أشرنا ، ما يورد : ((سمعنا بعض العرب)) (1) أو يقول : ((كذلك سمعناه من العرب)) (2) ...الخ ، ومثل من مضى أبو الخطاب الأخفش الذي كان يسمع من قبائل مختلفة ، كبني سليم وغيرهم (3) ، والبابلي بن أحمد العالم الذكي اللغوي درس عشرين رطلا بالبادية (4) ...

ولا أحسب أن الرعيل الأول من العلماء كانوا كلهم يعرفون الأعراب الوافدين عليهم من أي جهة قدموا ،والى أي القبائل ينتسبون ،وكيف هي درجتهم من الفصاحة وسلامة اللغة ،وذلك لتقدم الزمني وثقتهم في لغة البدو كنموذج أسمى يجب أن يحتذى ، ما دامت السليقة اللسانية لم تكن قد فسدت بعد في هذه المواقع النائية عن الحواضر الاسلامية الجديدة ،وعلى العكس من ذلك فانهم كانوا يمتحنون من يطيل الاقامة في الحواضر . أما أحد أقوال ابن جني : ((فاياك أن تنساق الى كل ما تسمعه ،بل تأمل حال مورده ،وكيف موقعه من الفصاحة)) (5) فلا يعبر الا عن أعراب البدو في زمنه (أواخر القرن الرابع الهجري) ،لا عمن أخذ عنهم اللغويون الأول من العلماء المتقدمين أي منذ أواخر القرن الأول الهجري ،

---

1) الكتاب 2/ ص : 63

2) م.س. ص : 67

3) م.س : 1/ ص : 104

4) أصول التفكير النحوي ص : 132-133

5) الخصائص : 1/ ص : 15

4) مصادر المدونة المسموعة :

ان مصادر المدونة المسموعة ، ونقصد بها بطبيعة الحال المدونة المحكية أو والشفوية ، لا تعدو أن تكون أمرين :

أ- اما الأعراب البدو في مواضعهم وأصقاعهم

ب- واما هؤلاء أنفسهم لكن في حواضرهم لا في بواديهم .

أ- ان أوضح المناطق التي لم يكن يتطرق اليها الشك كمصدر سماعي مرخص له أو به من الساسيين عموما أو جماع اللغة ، هي بوادي الحجاز ، وتهامة ، لاعتراف الخليل للكسائي بأنه أخذ علمه من هذه المناطق (ثم قدم (الكسائي) الى البصرة ولقي الخليل ابن أحمد ، وحلس في حلقته ، فقال رجل من الأعراب : تركت أسدا وتميما وعندهما الفصاحة وجئت الى البصرة ، وقال للخليل بن أحمد : من أين علمك هذا ؟ فقال : من بوادي الحجاز ونجد وتهامة ، فخرج الكسائي وأنفد خمس عشرة قنينة حبر في الكتابة عن العرب سوى ما حفظه)) (1) .

وحسب تقسيم الدكتور ابراهيم لجزيرة العرب ، فان الخليل بن أحمد لم يدع أرضا في القبائل الشمالية الا أخذ عنها أوسع منها ، ما عدا اليمن الأقصى والعروض ، لأن تهامة هي الناحية الجنوبية

---

1) نزهة الألباء في طبقات الأدباء ص : 58 ابن الأنباري (الطبعة / الثالثة مكتبة الاندلس - بغداد)

عمن الحجاز ،ونجد هي الناحية التي بين الحجاز والعراق ، والحجاز هو ما بين تهامه ونجد ،وأما العروض فهي الناحية المحصورة ما بين تهامة الى البحرين (1) ،واذا ما اعتبرت تهامه قطعة من اليمن (2) ، فمعنى هذا أن الخليل قد سمع من سكان اليمن أو من القبائل المتصلة بالسكان على الأقل .

وكانت هذه المناطق الجغرافية هي المناطق المثلى أو المفضلة عند جماع اللغة ، ذلك ان العلماء أو جامعي المدونة كانوا ينطلقون من حواضرهم كالبصرة والكوفه ثم بغداد ... قاصدين مناطق محددة صبقا لمشافهة الأعراب بها في عين أماكنهم ، فالكسائي عملا وعلى النحو السابق الذي يبين انتقاله آثار أماكن الخليل ، فانه بعد خروجه الى البادية عاب فيها مدة طويلة ،، وكتب الكثير من اللغه والغريب عن الأعراب بنجد وتهامه ثم قدم ...) (3) دون ان ننسى الآخرين - وما أكثرهم - مثل ابي عمرو الشيباني الذي دخل البادية ومعه دستيجان من حبر فما خرج منها حتى أفناهما وهو يكتب سماعه عن العرب، اذ ذكر ثعلب: ،، دخل ابو عمرو اسحق بن مرار البادية ومعه دستيجان من حبر فما خرج حتى افناهما يكتب سماعه عن العرب)) (4) .

---

1) نهاية الأرب في معرفة انساب العرب : ص : 16 - 17

2) المسالك والممالك ص : 26

3) معرفة القراء الكبار 1/ص : 100 للذهبي (ط1/1955 مطبعة البابي الحلبي ، ...) عن الدليمي ص :

وفضلا عن ذلك ،فان أبا عمرو الشيباني كان عالما بأيام العرب جامعا لأشعارها ،حيث ذكر أحد أبنائه (عمرو بن عمرو) أن أباه قد جمع أشعار العرب ،فكانت نيفا وثمانين قبيلة (1) ، ويقول فيه ثعلب مرة أخرى : ((كان مع أبي عمرو الشيباني من العلم والسماع أضعاف ما كان مع أبي عبيدة ،ولم يكن من أهل البصرة مثل أبي عبيدة في السماع والعلم)) (2) .

أما المنذري بن سميل فزيادة على ما أخذ من سماعاته من الخليل وفصحاء العرب الوافدين عليه ،فانه ضرب الرقم القياسي في طول غيابه بالبوادي ،اذ يحكى عنه أنه قال : ((أقمت في البادية أربعين سنة)) (3) .

ومربنا كيف أن أبا زيد الانصاري يقرر في مستهل كتابه (النوادر) أن ما كان فيه من شعر فهو سماعي من المفضل ،وما كان فيه من اللغات وأبواب الرجز فهو سماعي من العرب (4) ، وأبو عمرو بن العلاء الذي يعد رأسا لمدرسة البصرية يروي في غير مصدر أن ما سمعه عن الفصحاء جعل بيته يضيق كتبا لكثرة ما سجل وألف ، اذ قيل : ((كانت دفاتر أبي عمرو ملأ بيت الى السقف ،ثم انتشك فأحرقها ،

---

1) نزهة الالباء ص : 73
2) م.س : ن.ص
3) م.س.ص : 73
4) راجع ص : 334 من هذا البحث

وكان رأيه في القرآن والحديث هو ، وكان من الناس من يأتي أنس بن مالك ، ومن الحسن بصحته وحلقته متوافرة والناس عكوف ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : أبو عمرو ، قال : لا اله الا الله ، كاد العلماء أن يكونوا أربابا)) (1) .

ورحلات الأصمعي الى أعماق البادية طيلة بضعة عشر عاما جانب مع من لقيهم أو سمع عنهم أو عاشرهم ... من الاعراب ، وهو واحد ممن حكى عن بعض رحلاته الى البادية منطلقا اليها من العراق ، فأخذ عن بني الصيداء (2) ، وهم بطن كبير متسع (من بني أسد) ، وكانت أرضهم مما يلي الكرخ من أرض نجد في مجاورة طيء (3) ، كما أخذ عن حمى ضريبة (4) ، وهم بنو كلاب في جهات المدينة ، وفدك ، والعوالي ، (5) ، ومن المؤكد أنه أخذ عن جمهور هذه المراقع ، زيادة على ما أخذ وسمع من أعراب البادية بشكل عام من أخبار ولغة وشعر .

أما قصته مع هؤلاء العرب وعلمائهم فهي أعز من أن تحصى ، وكلها تنبئ بالسهل من الغربة ، والجفاء من العيش في البادية ، ... ومع ذلك ، فان الاصمعي كان يجد فرجة ونسيانا لهذا كله ، ان ظفر

---

1) نور القبس ص : 25-26 المرزباني (ط. 1964 مطبعة فرانتس شتاينر بفيسبادن)
2) أمالي القالي 1/ ص : 168 - 171 أبو علي القالي (دار الفكر العربي للطباعة)
3) نهاية الارب ص : 57 وص : 62
4) المزهر 1/ ص : 140
5) نهاية الارب ص : 407

بعض النوادر أو الأشعار التي يخشى أن يسمعها لاحتوائها على بعض العناصر أو الدلالات أو الأخبار أو الخطابات التي يهرع وراءها جماع اللغة أو لم يكن قد سمعها من قبل من شيوخه كأبي عمرو ابن العلاء ، وعيسى بن عمر ، وخلف الأحمر ، والخليل بن أحمد ، ويونس ابن حبيب ، ...

ومن بعض هذه الرحلات ما حكاه عن نفسه : ((خرجت من مكة فلزمت هذيلا في البادية أتعلم كلامها ، وآخذ طبعها ، وكانت أفصح العرب ، فبقيت فيهم سبع عشرة سنة أرحل برحيلهم ، وأنزل بنزولهم ، فلما رجعت الى مكة جعلت أنشد الأشعار ، وأذكر الأدب والأخبار وأيام العرب ، فعربي رجل من الزبيريين من بني عمي ، فقال لي : يا أبا عبد الله ، عز علي ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه)) (1) ، ويضيف اليه في موضع آخر أنه قال : ((أقمت في بطون العرب عشرين سنة آخذ أشعارها ولغاتها ...)) (2) .

واذا ، فمصدر السماع الاول يتطور فعلي الأخذ عن أعراب البادية الذين كان يقصدهم العلماء ، فيقضون معهم الاعوام ويقاسمونهم عناءهم وشظف عيشهم ... وقد يحتالون عليهم

---

1) الاصمعي اللغوي ص : 42 د . عبد الحميد الشلقاني (ط: 1982 دار المعارف بمصر)

2) م.س : ن.ص

من أجل استدراجهم الى سماع ما يريدون سماعه منهم بطرق وحيل شتى ،ثم يدونون ذلك كله في حينه أو يحفظونه ان تعذرت عليهم وسائل الكتابة النادرة في ذلك الوقت ،وبالضبط في البوادي ، ولم تكدن مهمات أولئك العباقرة الذين جاد بهم الدهر للعرب مرة لا مرتين ((في ذلك العصر الا نقل ما يسمعون من العرب مشافهة الى التقييد بالكتابة ،فأكثر اللغة كتبت في العصر العباسي الأول لا قبله)) (1) ،ولربما جاز لنا أن نتطفل على الأستاذ أحمد أمين بهذه العبارة أو الاضافة: ((لا بعده)) ؛

بد الأعراب في الحواضر لا في البوادي فقط :

مما سبق وسيأتي من خلال هذه العنوان يتضح أن الفئة الثانية التي اعتمد عليها في السماع هي فئة متنقلة أو متحركة خلافا للمصدر السماعي الأول الذي كان قارا وثابتا ،حتى وان تحرك أو استقر كان ذلك لا يتجاوز الفضاء البدوي أو المحيط القبلي ،لكن المصدر المتحرك لم يكن له فضاء معين الا بوجوده في هذه الحاضرة أو تلك كقدوم هؤلاء على البصرة والكوفة والمربد وبغداد ... وأماكن أخرى من الصعب تتبعها واقتفاء آثارها ،لأن الشهور منها غلب على المغمور .

---

1) ضحى الاسلام : 2/ص : 256 أحمد أمين (ط: 10 دار الفكر العربي بيروت)

لا أن [illegible] سيبويه اتخذ منهجا اعتمد فيه السماع وكما لمحنا من ذي قبل ، لكن من أين سمع تلك المدونة اللسانية التي تكاد جامعة مانعة بالنسبة للعربية ؟ ؟

ان احالاته المتعددة وبطرق متنوعة الى شيوخه بأسمائهم حينا وبغير أسمائهم حينا آخر أمر وارد وواضح ، لكن الاشكال يكمن في أقواله المتكررة الأخرى وبتعابير شتى ، والمتضمنة مصادر غزيرة للسماع دون أن يفصح عن أصلها الا نادرا بالقياس الى الكميات السماعية ، اذ لم يفصح لنا كتاب واحد حتى الآن - فيما أعلم - عن رحلة واحدة من رحلاته أوسماعه عن العرب في جهة أوحيز قبلي أوفضائي بعينه مثلما عرفنا ذلك عن الخليل والكسائي والأصمعي وغيرهم من الشيوخ اللسانيين (وان قيل ان سيبويه قد سمع عن العرب ، وأنه كان عالما بلغاتهم وما فيها من كثرة وقلة ، وما تتصف به من قوة وضعف ، فالقول صحيح ، ولكن معرفته بها وما تتصف به كانت معرفة بما عرفه شيوخه الذين تلمذ لهم أونقل عنهم ، ولم يكن له باللغات العربية علم سماع مباشر يعتمد على المعايشة والمشافهة ، ولو عرف ذلك معرفة سيميائية بيئية ، وأقصد بذلك معرفة رحلة واختلاط ما وقع في الخلط ، كان رأيه فيها مخالفا للغات العرب وما هي عليه من شيوع وانتشار في مجالاتها

اللغـــويـة العامـــة أو مجالها الخـاص)) (1) .

ويستنتـج صاحب الشعر أعلاه مما حدث لسيبويه مع الكسائي في المناظرة اللغوية المعروفة بينهما أن الرجل أي سيبويـــه لم يسمع عن العرب ،بل سمع فقط من شيوخه ،لأنه لـــو شافه العرب ما كان خلافه مع الكسائي (2) .

اننا لسنا فيما مضى من هذا البحث أننا لو أردنا أن نظفر بسيبويه متمثلا لنا ،فاننا لن نظفر به خارج السماع أو ميدانه ، دون أن ننكر ما نقله عن شيوخه ،لكن الاشكال بالنسبة لنا ليس في سماع سيبويه ، لأن هذا أمر ثابت وواردة والا أبطلنا مستويات لغوية لا حصر لها في كتابه ،وانما في طريقة وكيفية سماعه : أسمع من أصقاع عربية خارج الحواضر أم اكتفى بالسماع ممن ورد من الأعراب الى الحواضر وأطرافها ؟

---

1) سيبويه جامع النحو العربي ص : 35-36 د.فوزي مسعود (ط: 1986 الهيئة المصرية العامة للكتاب)

2) م.س ،ص : 37

كما هو واضح أن صاحب هذا الرأي يتحامل على سيبويه تحاملا غير مبرر، لأن الخلاف الذي وقع فيه مع الكسائي خلاف العلماء ،وهو قائم على ما كان يعرفه سيبويه من كثرة الشواهد في المسألة المطروحة ،وهو مذهب البصريين ،لكن الكسائي بحكم مذهبه الكوفي قاس التركيب على النصب أيضا مثلما قاسه على الرفع (راجع : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ،ص: 68-71)

اذا كان سيبويه لم يسمع من البوادي ،أو ان كتب الطبقات والتراجم لم تذكر ذلك السماع فانه قد سمع من علماء تطلقوا سطق هذه البوادي ، فضلا عما سمع من أفواه العرب الأقحاح وشعرائها بصرف النظر عن المكان الذي سمع فيه ،لان احدا من القدماء لم يجرؤ على الطعن فيما سمع اذ في قليل من الاحرف ، وهي هفوات لم يتسام عنها عالم لغوي واحد بمن فيهم شيوخه ، فهذا الرياشي يقول : ((حدثني الأخفش (1) قال : كان سيبويه اذا وضع شيئا من كتابه عرضه علي وهو يرى أني أعلم به منه ، وكان أعلم مني ، وأنا اليوم أعلم منه)) (2) .

ومن الصعب الحكم على سيبويه بأنه سمع من الفئة الثانية أو مصدر السماع المتحرك دون مصدر السماع المستقر ، ومهما يكن فان مصدر السماع المتحرك كان يتجلى في رحلة الأعراب الفصحاء الى البصرة والكوفة وغيرهما من مدن العراق ،وكانت لهجات هؤلاء البدو سليمة صحيحة ، لم تشبها بعد شائبة من الخطل والفساد لقربها من المنبع اللساني الصافي المنيع من الامتزاج الأجنبي الذي

---

1) هو أبو الحسن سعيد بن مسعدة المجاشعي المتوفى سنة 225 هـ
2) مراتب النحويين ص : 112

يؤدي حتما ـ اذا طال ـ الى فساد السليقة اللغوية الأصلية وتطوير اللغة تطويرا مزيجا من لهجات شتى ،وكان هؤلاء الأعراب يرحلون الى الحضر اما انتجاعا للكسب أو التماسا للعلم ،أو لأمور وزيارات أخرى ،وقد نزل بعض بطون قيس عيلان بظاهرة البصرة (1) ، وكان من ينشأ من الحضريين بين أحضان البدو لا يلحن في العربية ،مثل بشار بن برد الذي نشأ في بني عقيل ،ويحكى أن نساءهم كن أفصح من رجال لهن (2) .

ومن الأعراب الفصحاء الذين أخذ عنهم العلماء مع اختلاف أصقاعهم وتباين أوقاتهم في الحواضر : (3)

1) أبو عمار بن لقيط ،كان يجلس على مكان عال ،فيجتمع اليه ويؤخذ عنه.

2) أبو البيداء الرياحي وهو زوج أم أبي مالك عمرو بن كركرة ، هو أعرابي نزل البصرة ،وكان يعلم الصبيان ،وبقي أيام عمره يؤخذ عنه العلم ،وكان شاعرا .

3) أبو مالك عمرو بن كركرة هو أعرابي كان يعلم في البادية وورد في الحضر،حتى انه ليقال : ان أبا مالك كان يحفظ اللغة كلها، وله من الكتب كتاب خلق الانسان ، وكتاب الخيل .

---

1) ضحى الاسلام 1/ ص : 258

2) م.س.ص : 257

3) ان ترجمة هؤلاء الأعلام من الأعراب محالة على الفهرست ص: 49- 55

4) أبو عمرو الشيباني، وهو أعرابي فصيح ينسب إلى بني عجل، ويوصف بغزارة علم اللغة بين الأعرابي السابق، إلى جانب كونه شاعرا مطبوعا، ومن المعروف له أثر في التأليف.

5) يزيد بن عبد الله، والمعروف بأبي زياد الكلابي، قدم بغداد أيام المهدي حيث لبث في محيطها أربعين سنة، وبها توفي، وهو أيضا شاعر ينتمي إلى قبيلة بني عامر بن كلاب، ومن مؤلفاته: كتاب النوادر، وكتاب الفرق، كتاب الإبل، كتاب خلق الإنسان.

6) أبو سوار الغنوي أعرابي بدوي فصيح، له مساجلات مع القارئ النحوي محمد بن حبيب (والد أبي عثمان المازني).

7) أبو الجاموس، وهو ثور بن يزيد لم يخلف وراءه مصنفات كالسابق، لكن حسبنا أن نذكر بأن عبد الله بن المقفع أخذ عنه الفصاحة، ومن غيره شك أن سوار ابن المقفع كان يأخذ عنه أيضا لأنه كان يفد البصرة على آل سليمان بن علي.

8) أبو عدنان، أعرابي مختلف في اسمه: أهو عبد الرحمان بن عبد الأعلى أم ورد بن حكيم، الا أنه شخصية تاريخية، فهو بصري وشاعر، بل شوراوية أبي الهيداء الرياحي، وله من الكتب: كتاب القوس، كتاب غريب الحديث، ...

9) نهشل بن زيد، وهو أبو خيرة، أعرابي بدوي، قدم كغيره من الأعراب البدو السابقين بعض الحواضر، ومن كتبه كتاب الحشرات.

10) نصر بن قعين المشهور بـ: دهمج بن محرز النصري نسبه متصل ببني أسد بن خزيمة ،له من الآثار كتاب النوادر.

11) أبو محلم الشيباني مختلف كذلك في اسمه ؛ أهو محمد بن سعيد أم محمد بن هشام بن عوف السعدي ؟ لكنه اشتهر في كتب التراجم والأسانيد بأبي محلم الشيباني على الرغم من أنه كان يسمى أيضا محمدا وأحمد ،وهو أعرابي يوصف بأنه أعلم الناس بالشعر واللغة ، ومما يحكى عنه أنه كان يغلظ طبعه ،ويفخم كلامه،ويغرب منطقه. وهو على الرغم من ولادته بفارس كما جاء في بعض خطوط ابن السكيت ، الا أنه منتسب الى بني سعد ،ولذلك قد يقال له : محمد بن هشام ابن عوف السعدي ،ومن بعض أخباره المشهورة ما ذكره المبرد ((سمعته يقول : عدني خمسة عشر هاونا،وقال لي يوما: لم أر الهاون في البادية ،فلما رأيته استكبرت منه)).وله مصنفات عديدة ،وهو من الرواة المتأخرين بالنسبة لمن تزاحموا فضله على الحواضر .

12) أبو سهدية ،هو أعرابي صاحب غريب ،كان الصريون يروون عنه .

13) أبو مسحل ،يكنى بأبي محمد ،واسمه عبد الوهاب بن حريش ، هو أعرابي له مناظرات مع الأصمعي في التصريف ،وله بعض المصنفات .

14) أبو ثروان العكلي أبي من بني عكل ،أعرابي بدوي فصيح ، كان يعلم في البادية حسب ما ذكر يعقوب بن السكيت ،ومن مخلفاته كتاب خلق الفرس ،وكتاب معاني الشعر .

15) البهدلي واسمه الحقيقي عمرو بن عامر ،ويكنى أبا الخطاب ، كان هذا الاعرابي راجزا فصيحا وراوية أبي مصدرا للرواية ،ومن أخذ عنه الأصمعي ،حيث جعله حجة في تفسيره .

16) وغيرهؤلاء كثيرون مثل جهم بن خلف المازني ، وأبي المنهال ، وأبي العميثل ، والحرمازي ،وعباد بن الكسيب ،والفقعسي ، وربيعة اليعمري ،... الخ .

ورغم اعتبار هؤلاء الأعراب بالفصاحة وسلامة اللغة ،فان جماع المدونة لم يكونوا كلهم على درجة واحدة من الثقة المغوية أو المطلقة فيهم دون معرفة أصله وفضله وموقع قبيلته ... من ذلك ،كما رأينا ، ما استنكره المبرد على أبي محلم الشيباني الذي صرح له مرة بأنه لم يسر الهاون في البادية ، ثم اذا به يسمعه يقول في أحد مجالسه عند بي خصة سرها ونا ، وان كان هذا ليس حجة للمبرد على أستاذه ، بما دام أنه سمعه يقول هذا بعد ما سمعها من تلميذه نفسه أوغيره من بعض العلماء وهو بالحاضرة ،ويكفي أبا محلم ثقة

أنه اعترف للمبرد من قبل أنه لم يسمع هذه الكلمة في البادية ، لكن يبدو أن المبرد كان يعنيه السماع الأول لا السماع الثاني .

وقد يختبر أحد جماع اللغة فصاحة بعض الأعراب أو يراجعونهم في حالة ما إذا أطالوا الاقامة في الحواضر ،كامتحان أبي عمرو بن العلاء أبا خيرة ،حيث سأله أو تظاهر بتسأله عن قول العرب : ((استأصل الله عرقاتهم)) فنصب أبو خيرة التاء من ((عرقاتهم)) ،فقال له أبو عمرو : ((هيهات ياأبا خيرة ، لان جلدك)) (1) ،لأن أبا عمرو استضعف النصب ،لأنه كان سمعها منه بالجر ، ثم صار أبو عمرو بعد ذلك يرويها بالنصب والجر(2) .

وامتحن شعب أيضا أحد المصادر ،وهو أبو الذواد ، ولما تيقن من فصاحته وصلاح لغته ،قال : ((قد جمع أبو الذواد علما وفصاحة ، فاكتبوا عنه ،واحفظوا قوله)) (3) .

---

1) نزهة الألباء ص : 32

2) م.س : ن ، ص

3) المزهر : 2/ص : 337

الباب الثاني

التركيب في اللهجات العربية الباقية

الفصل الأول : قراءات لسانية عامة حول البنية السانتكسية

الفصل الثاني : التركيب الاسمي

الفصل الثالث : التركيب الفعلي

الفصل الرابع : التركيب الحرفي و الظرفي

خلاصة البحث

الفصل الأول : قراءات لسانية عامة حول البنية السانتكسية

1) بين السانتكس التقليدي والمعاصر:

قد أكون مخطئا ،لكن هكذا ، تكوّن لدي اقتناع بعد قراءات متتابعة ومنذ مدة ، بأن الدراسات اللغوية القديمة انطلاقا من الهنود ، مرورا بالاغريق ، انتهاء عند العرب، قد حققت خطوات عملاقة ،فهي أن لم تعبر عن كل النظريات اللسانية المعاصرة بشكل مباشر ومنهجي متمايز بين العناصر التي اتخذتها ميدانا لبحثها ،فانها قد عبرت عنها بكيفيتها ومنهجيتها المناسبة لزمانها ومكانها والمتجانسة مع مستعطيات تلك العناصر اللسانية وفق عوامل خارجية لا شك أنها تكاد تكون مختلفة كل الاختلاف عن العوامل التي تؤثر في استعمالنا للعناصر ذاتها.

ومما أصبح مؤكدا عندنا أيضا أن اعراب لغة متصرفة ، كما هو حال العربية ، في حد ذاته مؤسس من الداخل آنيا على تحليل سانتكسي بشكل من الأشكال ،لأنه

بالنسبة لوجهة نظرنا ، فان الهدف الأسمى لأي تحليل لغوي أو تقعيد لقاعدة هو أن نميز بين شكل أو تركيب سانتكسي أنتج سلفا ثم استقبل أوسمع لاحقا كهنية اكتسبت هويتها في الذاكرة الجماعية أو الشعبية بحيث أضحت هي نفسها ملتزمة بذلك العقد المتجسد في القوانين النحوية وأساليب الخطاب الدلالية ،وبين تراكيب سانتكسية لم تتحقق بعد أولم تزل في دوال أو خطابات سا وراء لسانية لم تكتسب نهائيا قانون علامة لسانية .

وبعبارة أخرى ،ينبغي أن يميز :

1) بين ما هو منتسب الى الكلام

2) بين ما هو منتسب الى اللغة

3) بين ما هو منتسب الى اللسان

4) بين ما هو مرتبط بخطاب عام وخطاب خاص

5) بين ما هو تركيب لهجي محلي وتركيب لغوي موحد أو تركيب أشمل وأعم شيوعا من الآخر .

ومع ذلك ،فاننا لا نريد أن نذهب مذهبا بعيدا في تعريف دقيق وشامل لما يسمى بانسانتكس أو التركيب ،لأنه من غير المقبول

بالنسبة للسانيات العامة والتطبيقية أن نفلح في اعطاء تعريف لهذا المصطلح يعزل جزئي أو كلي عن تعريف الجملة نفسها التي تعد روحه والنقطة المركزية التي تدور حولها أشغال أي سانتكس، ثم انه شتان ما بين تعريف قديم أو وسيط وبين تعريف حديث أو معاصر، مع أن الاشكالية واحدة، وتعددت التعاريف وتشعبت حسب تعدد العصور وتباين المدارس اللسانية الى درجة أنه ((بعد قرن من عمل اللسانيات التي صارت أكثر فأكثر علمية (بعد 1816)، توصلنا تقريبا الى أربعمائة تعريف مختلف للكلمة، ومائتي تعريف للجملة)) (1).

وحتى لا ندع هذا المصطلح الجديد القديم موضوعا لتساؤلات متتبع هذا العمل، فاننا سنحاول أن نستعرض - ولو سطحيا - بعض هذه التعاريف التي يكاد يكون مجمعا عليها في عدة مدارس لسانية، منها ((أن السانتكس (Syntaxe) للسان (Langue) هي مجموعة الوسائل التي تمكننا من تنظيم الأقوال أو الملفوظات (Les Énoncés) لاناطة كل كلمة وظيفة، ولتعيين العلاقات التي تستقر بين الكلمات، ان ترتيب الكلمات (L'ordre des mots)

---

(1) Clefs pour la linguisHque Générale P 80
G/ MOUNIN

هو أحد المميزات لكل سانتكس : ان الدور يكون أكثر أو أقل أهمية حسب كون اللغة متصرفة (FLEXIONNELLE) (1) أو بالعكس تحليلية (ANALYTIQUE) (2) ،ان ترتيب الكلمات في اللاتينية كان أكثر مرونة ،وهو في الفرنسية بالأحرى متصلب)) (3) .

واذا اعتبرنا السانتكس بمقابل ما كان يعرف تقليديا بعلم النحو قديما عند العرب والأجانب ،والى وقت قريب جدا لدى المحدثين اللسانيين ،فانه من الممكن أن نورد له تعريفا آخر مشابها للأول ،بحيث ان ((نحو لسان أيا كان يمكن أن يتصور كنظام من القواعد التي تقابل تشلاد لاليا وتشلا صوتيا لجمل هذا اللسان ، هذان التشلان معطيان مبدئيا في كلمات هذين النظامين العامين (UNIVERSELS) مستقلين عن ألسن خاصة : نظام التشل الصوتي المقترح بأسلوب تشومسكي وهال (HALLE) (1969) ،ونظام التشل الدلالي ،والذي طبيعته كما يعرف كل واحد ،لا يزح مجهولا بكثرة . ان النحو يحدد من جهة أخرى ،مجموعة لا متناهية للبنى السطحية الأحسن تشكيلا والتي تحول الى

---

1) أي المتضمنة علامات اعرابية تقوم ببيان العلاقات

2) أي ليس لها علامات اعراب .

3) Pour comprendre la linguistique P: 193
Bernard pottier édition MARbout VERVIERS 1975

تمثيلات صوتية بواسطة نظام من القواعد الفونولوجية

ان النحو يحتوي كذلك على مجموعة من قواعد التحويل ،...

قواعد التحويل هذه خاضعة لمختلف القيود ،بعضها عامة

وأخراها خاصة بقواعد كل نحو على حدة)) (1) .

ومما يبدو أن السانكرون التقليدي كان يتطلب من معالجة

قياسية أو عدم قياسية الجمل أو التراكيب النحوية كأشكال غير

مؤكدة بين المتكلمين غير السليقيين (Non natifs)،لكنها ليست

بمعزل عن المتكلمين السليقيين (les locuteurs natifs) الذين

يفترض فيهم أنهم يمثلون المعطيات الجوهرية الحقيقية للخطابات

النحوية أو اللغوية عن الأجداد أو الأسلاف أنفسهم وفق كفاءة

لسانية ثانية وأداء مصاحب لها على نحو معين (رسما أو غلطا في

الزمن فان اللغة تبدو دائما ميراثا للحقبة السابقة أيا كانت ،ان الفعل

الذي تتزوج به الأسماء على أشياءها في زمن ما ،والذي تحرر به

أيضا عقدا بين التصورات والصور السمعية انه لمن الممكن تصور هذا الفعل

من غير بيانه أبدا ،كما أن شعورنا اللغوي باعتباطية العلامة يوحي

لنا بفكرة أن الأمور انما حددت بهذا النمط وليس بسواه . وفي الواقع

(1 THÉORIES SYNTAXIQUE P:13
NICOLAS RUWET Edition seuil 1972

ليس هناك من مجتمع او بشر، اللغة أنها تتأثر او تجاري السابقة، كما لابد من تأثرها بما هي عليه، ولهذا فليس لصاحب اصل اللغة تلك التي دارت حولها بشكل عام، وهو كل، فليس (1) هذه مسألة للمعالجة ولا للنقاش، ان الفرض الحقيقي والوحيد للألسنية انما هو الحياة الطبيعية والمنتظمة للغة مكونة ومشكلة، وحالة لغة ما هي دائما نتاج عوامل تاريخية، وهذه العوامل نفسها هي التي تفسر ثبات العلامة، ونعني بذلك مقاومتها لكل تبدل اعتباطي)) (2)

واللهجات العربية من بائدة وباقية والتي تمثل في جوهرها بشكل عام هذه اللغة العربية لا تخلو من استحواذ الذهنية العربية البدوية، هذه الذهنية الممثلة لتلك الفترة الشفوية، والتي كانت تتميز بسلوك وطبع مفروضين قائمين على التداعي التقليدي، لكنه لم يكن تقليدا غير فاعل في كليته، الا أن نفور الاعجاب المسرف بأخلاق وتصرفات الأسلاف قلل مع مرور الوقت من تلك الفعالية التي ظلت غائمة وأدت الى تأخر في كثير من مجالات الخلق والابداع، حتى ان هذا الاعجاب بكل ما هو سلفي كان يعمل على خنق المواهب الفردية النادرة أكثر مما كان يعمل على تفتيقها وتنميتها وتعهدها .

---

1) كذا في الترجمة التي بين يدي

2) محاضرات في الألسنية العامة ص: 83-84

على أي حال ،فان السانتكس التقليدي كان يفترض قبل أي شيء وجود جمل غير قياسية أو غير تامة ،والتي كانت تفسر انطلاقا من نماذج أو قوالب أكثر قياسية أو أساسية ،هكذا في الاغريقية :

ANTHRÔPOSTREKHEI ؛ أي الرجل يعدو ،كانت (الجملة) تعتبر كتشكل منتقص من تكيفاتها :

ANTHRÔPOSTREKHONEST

أي الرجل جار أو متسابق أو ؛ L'homme est un coureur أي الرجل عداء ،تبعا لنموذج الاختيار أو التقليل للجمل المنطقية (1) .

وثمت بعض اللسانيين من يحكم انطلاقا من بعض الجمل بأن السانتكس القديم كان يقوم ((بالأولى على نماذج من الجمل منه على ملفوظات فردية)) (2) ،هذه الاعتبارات التي كانت تجري أو تتصور دائما وفق تنظيم دلالي صيغت في كلمات ومصطلحات لم تخل في معظم رؤاها وتفسيراتها وتعاملاتها مع اللغة من التأثير المنطقي ،مع أن الكلام الانساني هو من تحصيل الحاصل ،لكن هذه هي المنهجية التي سادت في غابر الزمن ،وفي العصر الوسيط ،وفي نحو مدرسة بورروياك ،...لأن النحو التقليدي كرس جهوده منذ أقدم العصور ((لتصنيف اللغة في أقسام وأصناف تشريحية ، ولم

(1 Guide Alphabétique P.366 A/Martinet Edition DENOËL

(2) م.س : ن . ص

يكـن همه اللغة ذاتها بـل تحديد القواعد النموذجية الملاحظة فـي لغـة مـا . وهكذا نشاهد في كتب النحو المدرسي الصيغ الشاذة والطرائق الاستثنائية الخاصة الى جانب القواعد المطردة ... وعلى كل حال ، كانت اللغة المكتوبـة وحدها موضوع الموصف)) (1) .

واذا تذكرنا اشكالية المدونة المسموعة عند العرب التي حاولنا أن نقوم بوصفها لا بتحليلها في الباب الفارط من هذا القسم ، لاحظنا أن قول دانييل مانيس لا ينطبق على السانتكس العربي لا من قريب ولا من بعيد ،لأنه سانتكس قائـم وموسس على مدونات شفوية مسموعـة لا على مدونة مكتوبة ،مما يوحي بأن الدراسات اللسانية في الغرب ستظل قاصرة ومبتورة مالم تهتم بالدرس اللغوي العربي القديـم ،لأننا كثيرا ما لاحظنا مثل هذه المعطيات الناقصة في مجال الدراسات اللسانيـة المعاصرة حتى لدى أبرز اللسانيين الذين يعتبرون المؤسسين الحقيقيين للدرس اللغوي المعاصر (2)

---

1) علم اللغة لدانييل مانيس مترجما في الموقف الادبي ص : 209 عدد : 35-36 / 82

2) لسنا في مجال الرد هنا على مثل هذه الاوهام ،لكن يكفي أن نذكر بأن دي سوسير كثيرا ما يقع في مثل هذه الاوهام : ((بدأ الموضوع بما يسمى بالقواعد ، وهذه الدراسة التي شيدها الاغريق وتابعهم الفرنسيون من بعد ... وتهدف الى تقديم قواعد لتمييز الصحيح السليمة من غيرها ... ومن ثم وبدافع اللغة ... بيد أن هذا المصطلح يرتبط بشكل خاص بـ ... فريدريك وولف منذ عام 1777 ... ان النقد الفقهي يقع في عجز متمثل في جانب واحد وذلك لكونه مرتبطا باللغة المكتوبة بصورة حرفية))
(راجع : محاضرات في الالسنية العامة ص : 11 - 12)

انـــه ليمكن اعتبار السانتكس التقليدي هو السانتكس الحقيقي الذي مثل الشعور الانساني عن قرب ،كما كان يهدف في الآن ذاته الوقائع اللسانية الحقيقية التي كانت تترجم بوضوح حقيقة الانسان الداخلية ،بمعنى أن السانتكس القديم يمثل واقع الوظيف من الداخل معبرا عنها بالخارج ((كـل الناس متفقون حول هذه النقطـة : الوظيفة التبليغيـة (FONCTION COMMUNICATIVE) هي أول وظيفـة ،أصليـة وأساسية للغـة ،وكـل ما عداها ليس الا طابعا لنماذج ليست ضرورية)) (1).

اننا ندرك الواقع اللساني ليس فقط كقواعد نحوية أو معجمية تم انجازها في لغـة طبيعية ،لكننا نفهمـه أيضا كمرسلة تبليغيـة بين مرسلين ومرسل اليهم :

مرســـــل ⟷ واقع لساني ⟷ مرسل اليهم

انطلاقا من عدة عوامل أكثرها أهمية : التجربة اللغوية المرتسخة أو المرتسمة في جهازنا اللغوي الداخلي بشكل لا واع سماعا من الأسلاف المتعايش معهم (على الاقل فيما يخص لغة طبيعية أو هذه اللهجات العربية حاليا مثلا ...).

واذا ما أردنا أن نأخذ فكرة أكثر عمقا على سبيل المقارنة بين السانتكس القديم والمعاصر ،فانه لمن المناسب أن نورد بعض التعريفات

(1 CLEFS pour La LINGUISTIque Générale P: 70
G / MOUNIN

التي نعتقد أنها تعمق هذا المفهوم السانتكسي في ثوبه الجديد دون اضافات جذرية على ثوبه القديم .

ان قليسون (GLESSON) يعرف السانتكس بقوله : ((من المناسب أن يقسم النحو الى قسمين اثنين : المورفولوجيا ، والسانتكس . عمليتا الاشتقاق والتصريف تشكلان البناء (كلمات) ، ان هذا ما تعالجه المورفولوجيا . هذه البناءات تنتظم كبناءات أكثر أهمية في مختلف الأنواع بكيفية تقريبية . يمكن أن نعرف السانتكس كمجموعة من القواعد التي ترأس هذا التنظيم)) (1) . لكن هذا اللساني المعاصر الذي غدا منذ مدة مرجعا أساسيا في الجامعات الغربية في ميدان النظريات السانتكسية بعد تشومسكي وأندريه ماتيني ... يعترف مرة أخرى بأن ((التمييز بين المورفولوجيا والسانتكس ليس دائما دقيقا)) (2) ، ويفهم من بعض أعماله التي طبقها على لغته الانجليزية ، أنها قد لا تنطبق على كل اللغات اللسانية الأخرى ، ولذلك نجده يردف قائلا : ((من المفيد أن يعرف السانتكس في عدة لغات كما سنعمل)) (3) .

---

1) GLESSON INTRODUCTION à la linguistique P105

2) م.س : ن.س

3) م.س : ص.ع

وما ورد أعلاه وفي كثير من المواقف الشابهة لا يفهم الا شيء واحد لا ثاني لهما ، وهو أن كل لغة أو عائلة لغوية على أبعد تقدير تتميز بخصائص نوعية ، وستبقى طرائق الخطاب ، ولربما هذه الفكرة التي نتبناها وندافع عنها طبقا للوقائع اللسانية الحية وعادات المتكلمين في التخاطب والتواصل قد تتقاطع الى حد ما مع ما ذهب اليه جورج مونان :

((ومع ذلك ، فان اللسانيات تبرهن في كل لحظة بأن كل لغة تطابق عادة تنظيم قد يكون دائما خاصا وفق معطيات التجربة ، وأن التفصل أو التلفظ الأول premiere articulation لهذه اللغة مدقق بالكيفية التي تتحلل وتنتظم وتترتب بها التجربة المشتركة لكل الأعضاء لمجموعة لسانية محددة . هذه الرؤى قد كانت دعمت من قبل قيوم Guillame ، وبالضبط من قبل الفيلسوف ERNST CASSIRER واللساني الأمريكي WARF ، وذلك قبل سوسور واللسانيات الحالية)) (1) .

واذا كانت التجربة التي نجدها تتكرر في أعمال أندري مارتيني اللسانية تتجسد في الفرد المتكلم وبدرجة كفاءته اللغوية ، فان كل لغة انسانية تتميز بالتقارب الفردية المتبادلة ((لنفهم فهما جيدا كيف أن لغة يمكن أن تعرف كتفصل مزدوج ، يجب أن نقتنع بأن الوظيفة

---

(1) Clefs pour la linguistique Générale P: 72,73
G. MOUNIN

الأساسية للغة الانسانية هي أن تمكن كل فرد من أن يطلع لنظرائه تجربته الشخصية من خلال ((التجربة)) ، يجب أن نسمع كل ما يحس به الانسان أو يستقبله ،سواء كان المثير (lestimulus) داخليا أوخارجيا ،فان هذه ((التجربة)) تأخذ شكل يقين أو شك أورغبة أو حاجة ، ان التواصل مع الآخر يمكن أن يأخذ شكلا من الاثبات، أوالسؤال ،أوالطلب ، أوالأمر ، دون التطرق ليكون تبليغيا)) (١) .

لكن ما أسماه أندري مارتيني بـ ((التجربة)) في التواصل اللساني لن يكون ،في اعتقادنا ، ذا مصداقية كبيرة الا بربطة بتلك الميزة النوعية الداخلية التي تنم عنها خصوصيتها والتي لا تتشابه في كل حال مع هويات أخرى ،وأعني بها ،وبشكل خاص ، تلك الطاقة اللسانية الخلاقة في الأداء والتعبير والمختلفة بين كل لغة وأخرى .

من هذه الطاقة المرتبطة بسانتكس كل لغة ما نجده موزعا حول طبيعة واشكالية السانتكس العربي القديم الضارب بجذوره في كافة اللهجات العربية القديمة كلها بما فيها بعض المظاهر السامية ، لكننا نجتزئ بأول ما ظهر منها علميا لا تاريخيا كدلالة على أصالة النواة الأولى للنظريات السانتكسية العربية ،ومنها تلك التفاوتات في التسامح مع تجربة

(١ La Linguistique Synchronique P:9
A/Martinet edition puf

المتكلم الفرد أو الطعن عليه ، وذلك كلما لاحظ الجانب الآخر انحراف تركيب عن سليقيته المعهودة في جميع ما يدخل في تركيبها أو أدائها من عناصر صارمة .

فما زال كان أبو عمرو بن العلاء أشد تسليما للعرب في منطقهم، وأن يونس كان يقف أحيانا موقفا وسطا (والذي قال جار غزحسن (1)) ، أو يقف عليا أو عفويا في الحيادة الى جانب أبي عمرو أمام بعض المعضلات اللسانية الطارئة أو يتكلم بها فصحاء، فان ابن أبي اسحاق وعيسى بن عمر كانا يطعنان على العرب (2) ، ولذلك وقف ابن أبي اسحاق وهو من الطبقة الثالثة من النحويين البصريين ، موقفا متصلبا من الفرزدق في بعض التراكيب اللسانية المشهورة بين الرجلين (3) .

ان الأمثلة من هذا القبيل غزيرة ومعروفة لدى المختصين ، ولكننا أردنا فقط أن نلمح بطريقة غير مباشرة الى أن كل تركيب لساني له ما يوصله ويحال عليه ، وعلى المتكلم أن يلتزم بالعقد الذي يربطه جماعيا بنفس المجموعة اللسانية التي ينتمي اليها طبيعة أو لسانا ، وحريته تكمن في التعبير مع التنظيم والترتيب للعناصر فيما بينها وبين نفسها

---

1) طبقات الشعراء (لابن سلام) القسم الاول ص : 17

2) السابق ص : 16

3) لمن شاء أن يعود الى : الحركة اللسانية الاولى عند العرب ص: 125-127

وبين المجموع ، الا أنه فيما يبدو أن هناك علاقة نسبية فقط ، وليست مطلقة بين المرسل (بكسر السين) من جهة ، والمادة من جهة ثانية ، والمرسل اليه من جهة ثالثة ، كما أن الظلام ليس حرا في كل خطاب ، لكن حريته في هذا الخطاب أو ذاك أكثر من المتلقي المقيد سلفا بنص أو مدونة معينة ، اذ ليس من مهمة سامع أن يغير مرسلة ، حتى ولو كانت لديه جرأة واعية فان مهمته مستحيلة بل لا يمكن تصورها ، بل هذه المهمة نفسها في شكل ارسالها أيضا مستحيلة من مرسلها بعد انتاجها ، وتكون هذه المهمة أكثر استحالة من قارئ متهج بشفتيه أو مؤول ببصره ، ... وهذه القيود تتعدد وتتعقد كلما تعددت وتعقدت أجناس كلامية .

ومن جهة أخرى ، قد تكون حرية المتكلم الساتكسية في موقفه ازاء انتاج نص ما في حد ذاتها متفاوتة ، وبذلك يتحدد المتكلمون أنفسهم تبعا للجنس النصي ، وبذلك يكون الناثر في التعبير والبناء أكثر حرية من الشاعر ، ويكون الشاعر الملتزم بالعروض والقوافي أقل حرية من شاعر آخر لا يلتزم بالعمود الشعري ، بل ناثر لا يحسب حسابا للخرق اللغوي يكون أزيد سعة من ناثر غيره ملتزم بمعيار ساتكسي صارم ، والغريب أني وجدت عند ابن سلام الجمحي قولا يكاد يكون معبرا عن هذا ، ان لم يكن القول نفسه : ((والمنطق

على المتكلم أوسع منه على الشاعر ،والشاعر يحتاج الى البناء والعروض والقوافي ، والمتكلم مطلق يتخير الكلام)) (1) ٠

على أي حال ،ان اشارتنا السابقة الى أن لكل جملة ما يؤصلها وتحال عليه ،لاتتعارض مع ما ذهبت اليه بعض التحاليل اللسانية المعاصرة ، من ذلك أن تشومسكي يفترض دائما ما يسمى بالمتكلم البلدي أوالأصلي (Locuteur Indigéne) لقبول جمل مولدة أو رفضها ((ان الهدف الأساسي للتحليل اللساني للغة ل هو فصل السلسلات النحوية التابعة لجمل لغة ل من السلسلات النحوية التي هي ليست من جمل لغة ل ،ثم دراسة بنية السلسلات النحوية ،ان قواعد ل ستكون هكذا آلية (mécanisme) مولدة كل السلسلات النحوية ، أما وسيلة اختبار معادلتها للقواعد المقترحة للغة ل فهو أن نحدد فيما اذا كانت السلسلات المولدة هي حقيقة نحوية أوغير نحوية ، بمعنى أنها مقبولة من متكلم بلدي)) (2) ٠

والجملة الأخيرة لتشومسكي قد تبرر أحد مواقف عيسى بن عمر الذي انتقد النابغة الذبياني حين رفع سين انسم في قوله :

---

1) طبقات الشعراء (لابن سلام) القسم الاول ص: 56

2) STRUCTURE syntaxique P:45 Chomsky edition seuil 1969

فهـت كأني ساورتني ضئيلـه من الرقش في أنيابها السم ناقـع

وشين الشهد في موضع آخر، مع أن هذه النهجة طويلة (1) .

لقد ساهمت اللسانيات المعاصرة بقدر وافر في تطوير الدراسات اللغوية، على غرار اللسانيات التقليدية التي اضطلعت بتفسير أعظم مسائله في اللغـة الإنسانية، إلا أن اللسانيات لم يقتصر في تحليل القيود التي ترتبط بمضامينه مع الإنسان يحويها ويختزنها عبر الزمن فضلا عن أنه يتلفظ ويتواصل بها، بينما اللسانيات الجديد يحاول أن يتحرى العلاقات المختلفة التي تنظم الملفوظات كلغة نهائية أو حتى توليد جمل غير نهائية ثم عرضها أمام التجربة اللسانية أي على المتكلم البليغ ليقبلها أو يرفضهـا، ثم لا يوجد ((بين النحو التقليدي والبنيوي اختلاف في الطبيعة بل اختلاف في الكمية، فكلاهما ينطلق من النص المكتوب أو المنطوق نحوا عادة تكوين بسيط للمعطيات اللغوية. ولا شك أن اللغة البنيوي يمثل تقدما لا تجحد انجازاته، إذ تخطى المرحلة الجمعية لعلم النحو التقليدي الى المرحلة الوصفية، ولكن كلا العلمين يتميزان بنزوع تصنيفي معين لا هدف له الا الحصول على تصنيفات لغوية تفضي الى تصنيفات أخرى أدق منها. لقد كان علم اللغة البنيوي يصف اللغة ولا يفسرها .

1) طبقات الشعراء (لابن سلام) القسم الاول ص : 16

واقترح تشومسكي القيام بقفزة نوعية تسمى بالانتقال من المرحلة الوصفية الى المرحلة النظرية التفسيرية)) (1) .

الا أن تشومسكي الذي ميز في نحوه التوليدي بين ما يسمى بالكفاءة (compétence) والأداء ، وهما المصطلحان المقابلان للغة والكلام على التوالي عند سوسور لم يجب عن كثير من المسائل اللسانية التي تركها معلقة(suspense) كالكلية السلسلات أو التتابعات النحوية . هو نفسه طرح سؤالا حولها ،لكنه لم يعطنا جوابا كاملا لهذه المسألة أو حتى ملمحا . ((على أي أساس نميز فعليا السلسلات النحوية من غير السلسلات النحوية ؟ لا أحاول أن أعطي جوابا كاملا لهذه المسألة ، لكن أحب أن أشير الى أن الأجوبة الكثيرة التي تأتي فورا الى الذهن لن تكون صحيحة . أولا ،من الواضح أن مجموعة الجمل النحوية يمكن ألا تكون مشابهة لأية مدونة (Corpus) خاصة للملفوظات المجمعة من قبل لساني في عمل تحقيقه)) (2) .

---

1) علم اللغة لدانييل مايس مترجما في الموقف الادبي عددان: 135، 136/ 1982

2) Structure syntaxique P:17

ج) في السانتكس العربي :

اهتما لا لهذا السانتكس العربي القديم من اكتب اللسانية الأجنبية المعاصرة والتي تحسب أنه أخص بحقل فقه اللغة وكتب القواعد منه بحقل اللسانيات ،وتعميقا للنقطة السابقة ، واعترافا بمجهودات اللسانيين واللغويين العرباء في هذا الميدان ،... فاني ارتأيت أن أخصص حيزا مستقلا للسانتكس العربي القديم الذي لا يبتعد جوهريا عن التراكيب اللهجية المتنوعة القديمة ، على أن أذيله ببعض التحاليل اللسانية الأخرى .

ربما أجد من الفائدة أن أشير الى أنه يجب أن يميز السانتكس العربي كغيره من البنى اللغوية العامة ما قدم منها وما حدث حين يكون منهجا عاما أو نظرية فردية ، ... وحين يكون موضوعا مرتبطا باللغة لا يبقى الا الممارسة والوصف أو التحليل ،بمعنى آخر يجب أن نحاول معرفة ما نعمل قبل أن نشرع في عمل تقادي ما أمكن الخلط بين التراكيب والنصوص ،...وبين الأحكام التي لا تكاد تنتهي ،والتي قد تزيد الموضوع تراكما على تراكم دون طائل .

وحيث انه من المستبعد أن يحيل قارئ في حقل علمي على الصفر ،فانه لا بد من تكرار الاشارة بتلك النظريات العربية

المبكرة التي تعاملت في أول أمرها مع موضوعها الجامع لعدة مدونات مختلفة انطلاقا من الصفر أي التأصيل ،الا أن هذا التأصيل ما كان ليعود الى تلك الرؤى التي تحولت تدريجيا ،وزمن قياسي ، الى نظريات سانتكسية خاصة ولسانية عامة ،ولولا طبيعة الموضوع .

بيد أن كل قراءة من هذا القبيل ستظل هشة وقاصرة جدا سالمين تتخذ الجملة أساسا لها ،الا أن تعيين قراءة على هذا النحو تقتضي انجازا مستقلا أوجزءا من هذا الانجاز ، باعتبار أن الجملة أصبحت اليوم ،ومنذ مدة ، حقلا سانتكسيا قائما بذاته ، ومع ذلك ،فانه كلما تناول دارس هذا النوع من الدراسة الا ووجد نفسه متورطا في الجملة سواء عن قصد أوعن غير قصد ، لأن الحقيقة اللسانية تؤكد أنه لا يوجد حديث عن تركيب لساني ما خارج الجملة .

على أي حال ،كانت التراكيب العربية الشفوية السليقية محكمة في نسجها ،متقنة في بنيتها ، ذات حساسية مذهلة في حقيقتها ومجازها... الامر الذي جعل السانتكسيين العرب الأولين يختصرون الزمن بفضل الادراك العلمي السريح الذي كان يطبع الفضاء البحريي الاسلامي فسحي كل الميادين الباقية خلال تلك الفترة الروحية المبكرة .

ومما تراءى لي بعد قراءات تراثية متكررة وطويلة أن اللغويين العرب الذين يعدون روادا :

1) تعـــاملوا أول ما تعاملوا مع اللغة كأعـلام لساني خارجـــي آت من باث أو متكلم نحـو استقبال داخلي مؤسس على الادراك الحسي من جهة والملكـة اللغوية العامة المتبادلة بين المتكلم والمتلقي من جهـة ثانية . وفي اعتقادي يجب أن أركز على هذه النقطة الاعلامية من الآخر نحـو الأنـا ،والتي كثيرا ما أهملت ونحن نتحدث عن نشأة اللسانيات العربي القديم (اعلام أسلوبي ، معجمي ، مورفولوجي ، صوتي ، فونولوجي ، سانتكسي ، خطاب عام ،خطاب خاص ،خطاب ضمني ، خطاب حر مباشر ،خطاب حر غير مباشر ، تركيب لغوي سليم ،تركيب لهجي سليم ، تركيب عتيق جاهز ،تركيب عتيق متجدد ،،،،الخ) .

2) تعاملوا أول ما تعاملوا مع الرسالة الاعلامية الملتقطة (سماع ، رواية ،نقل ،،،،) كلغـة (comme un langage) وليس كلغة بمفهوم Langue أولسان ، ان أرضية اللسانيات العربي القديم مؤسس أولا على ظاهرة الكلام Parole ثم على ظاهرة اللغة كمنظومة كليـة ، حتى التراكيب غير السليمة أو رئيت هكذا غير سليمة ،والتي عدت مرذولة أو مطـرحة في منطق المعيارية الصارمة ،كانت ،فيما نرى ،أكبر حافـز في ادراك ما غدا اليوم يسمى بالانزياح أو العدول ÉCART تارة أو الشعرية تارة أخرى ، ان العدول اللغوي كان مهما الى درجة أنه

كان موجها ثانيا أساسيا لفك أو تحليل البنية الساتكسية السليمة من الفاسدة .

3) تعاطوا مع التراكيب الملتقطة كفضاء من القواعد في غاية التحديد.

4) كثيرا ما أرهقوا أنفسهم في البحث والتحري لايجاد متطابقات أو معادلات ساتكسية (ÉQUIVALENCESYNTAXIQUE) مؤدية أو متبادلة نفس الوظيفة أو متشابهة في ذلك ، ولست بحاجة اليوس التدليل على هذا ، والقراءات القرآنية مصدر ثري . ومن هذا ما يروى عن يونس ابن حبيب أن ابن أبي اسحاق كان يعرف وجها لرفع ((مجلف)) في قول الفرزدق :

وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا أو مجلف

بينما قال أبو عمرو بن العلاء : انه لا يعرف لهذه الكلمة وجها ، مثله يونس ، وفي رواية أخرى أن أبا عمرو خاطب الفرزدق : ((أصبت هنا وهو جائز على المعنى ، على أنه لم يكن سواه)) (1) ، أي أن أبا عمرو المعروف بتشاهله مع النصوص الموثوقة لديه والعرب بشكل عام في تراكيبهم ، كان يعرف ، حسب الرواية الثانية ، للرفع معادلة ساتكسية ساعلى المعنى لم يفصح لنا عنها ، لأنها يجب أن تفسر ببنية عميقة ، بمعنى

---

1) الموشح ص : 161 المرزباني

أن هذا العالم تعامل مع الفرزدق كمتكلم ومع تركيبه ككلام ،
وليس مع الفرزدق كشاعر ولا مع تركيبه كلغة .

ج) لم يتعاملوا مع السانتكس كتركيب متوقع (PRÉVISIBLE) بل كانتاج من الأشكال يبدي وانتهى ،هذا في العملية الأولى ،ثم أدركوا تكرار الظاهرة ،فنظروا الى السانتكس كجمل متوقعة وغير منتهية ،لكن هذه التوقعيات السانتكسية يجب أن تخضع لقاعدة نموذجية عبر عنها الزجاجي فيما بعد بـ ((العلل التعليمية)) بقوله : ((فأما التعليمية فهي التي يتوصل بها الى تعلم كلام العرب ،لأنا لم نسمع نحن ولا غيرنا كل كلامها منها نطقا ،وانما سمعنا بعضا فقسنا عليه نظيره ،مثال ذلك أنا لما سمعنا : قام زيد فهو قائم وركب فهو راكب ، عرفنا اسم الفاعل ،فقلنا : ذهب فهو ذاهب ،وأكل فهو آكل وما أشبه ذلك ...)) (1) . واذا كان الزجاجي قد اكتفى بالاشارة الى الجمل الخبرية ،ولم يشر الى غير النحوية فلأن ذلك كان عند هم من قبيل العبث وليس معنى هذا أن العرب القدماء لم يفطنوا الى هذا الشكل من التوليد الصوري الذي بنى عليه تشومسكي نظريته السانتكسية انطلاقا من تهجمه على النحو الهيكلي وخلو الدراسات الغربية القديمة مما توصل اليه العرب قبله ،ولست هنا بحاجة الى البيان القاطع على أن العرب

---

1) الايضاح في علل النحو ص : 64 الزجاجي (ط: 1959 مطبعة المدني ، المؤسسة السعودية ،مصر)

قد عرفوا هذا النوع ،ولو بشكل غير مباشر ، من الدراسات السانتكسية التي هي عادة ما تنسب لفترة لا تتجاوز أربعة عقود من الزمن ، ان كتاب سيبويه وحده ، دليل على ما نقول لمن أراد الوقوف على هذه المقارنة (1) ... المهم أن اللغويين العرب قد أدركوا بشكل أو بآخر الى أن المنظومة اللغوية شكل غير منته من الجمل ،وأن المتكلم الأصلي يعرف النحوية من غير النحوية ، والمقبولة دلاليا من المرفوضة ،كان يدرك الفرق بين الجمل الثلاث أدناه :

أ ـ صنع النجار الباب

ب ـ الباب صنع النجار

ج ـ النجار الباب صنع

ف) على ضوء هذه التعاملات المبكرة ،صار الناس من عرب متأخرين (حسب المدينة أو البادية)وعجم متقدمين يتعاملون مع السانتكس تعاملا أقرب الى الملاحظة العلمية منها الى كلام سليقي قائم على العفوية والشفوية ،ثم كان التعامل مع المنظومة اللغوية بشكل عام

---

1) يمكن مراجعة الكتاب : 1/ 25ـ 26 مثلا ، ومما هو تمثيلي ولا يتكلم به يمكن مراجعة كتابه : 2/ ص : 82 ، 121 ... مثلا ،ومما أسماه بالتراكيب الرديئة ،يمكن مراجعته أيضا : 2/ ص : 34 ، 82 ، 153 ، 164 ، 227 ، 122 ، 121 ، 305 ،...

ولفهم كتاب سيبويه نرى أنه يجب عزل كل جملة الدالة على بنيات سطحية من جملة الدالة على بنيات عميقة ، لنقف بعد ذلك على ماقال به السانتكس الجديد

وأخيرا ،وهو الأهم ، التأليف والنص .

وهذه الانجازات العقلية سبقتها انجازات طبيعية تتصل بالموضوع ، ان الدراسات السانتكسية انطلقت من نهاية أوج ما انتهت اليه الصنعة الكلاسية عند العرب ،واني لفتت أنظارهم الى بناءات اسطقسية والتي تكلمها العرب واشتقوا ويولدون منها بنى عميقة لم يكن ممكنا أن يحصروها الا بالشواهد أوبالأحرى بمدونات متنوعة تنوع العادات الكلامية في الأداء والتعبير ، ولذلك ،فان السانتكس العربي القديم الضارب بجرانه وبجذوره في هذا السانتكس العربي الجديد ،سيبقى مختلفا عن أي انطلاقة لأي سانتكس غير عربي ، باعتبار نقاط هذه الانطلاقة مختلفة في تاريخها وطبيعتها وظروفها ، اذ شتان ما بين سانتكس عفوي شفوي قائم على تراث سليقي ناضج ، وبين سانتكس تتدخل أحيانا الثوابت والمراسيم في تعديله .

ولهذا ،فاننا نؤكد على تلك الطاقة اللغوية الكامنة في كل لغة ،واذا كان هناك تفاوت يحتمل أن يحتمي بين لغة وأخرى ،وهو أمر عادي ،فان ذلك لايرجع الى الهدف المشترك والوحيد الذي يختص بالتواصل الانساني من خلال بنيات سانتكسية ،وهذا ما يفرق بين لغة الانسان ولغة الحيوان المزعومة ، ولكن في البنية السانتكسية التي

تستقل بها لغة دون أخرى حسب خصائص داخلية صارت في وقت من الأوقات جزءا من دليل الخطاب وعادات التكلم لدى أصحابها بكيفية عن الشيء نفسه لكن ليس بالكيفية نفسها .

ان ما قد يكون غامضا في لغة كالفرنسية مثلا ليس ضرورة أن يكون كذلك في لغة أخرى كالعربية ،فجملة :

Les enfants ont regardé les fleurs de la fenêtre

يسودها الغموض في الفرنسية ،اذ هل :

- الأولاد شاهدوا الورود من النافذة

أم :

- الأولاد شاهدوا ورود النافذة ؟

في حين أننا في العربية يمكن أن نقول :

- شاهد الأولاد أو الأولاد شاهدوا الورود من النافذة

أو :

- شاهد الأولاد أو الأولاد شاهدوا ورود النافذة

ثم يمكننا أن نعبر عن هذا الشيء نفسه بأكثر من أربعة تراكيب لكن ليس بالكيفية نفسها .

وليس معنى هذا أن الساتكس العربي منزه من مثل هذه الغموضات ،ولكن البنيات الساتكسية ليست متطابقة بنظام مشترك بين

كل لغة واخرى ،وهكذا نرى ان هذا الاختلاف هوحاصل في كل المستويات .

وفي الوقت نفسه ، ليست اللغة مسؤولة بصورة بنيوية مباشرة عن الغموض في هذه الجملة أوالوضوح في تلك ،فهذا وهم تأصلي أوميتافيزيقي كثيرا ماعزي الى اللغة وكأنها تتصرف كما تتصرف سائر الكائنات الحيه في دوسا . ان ظاهرة الوضوح والغموض انما تنجم ، في نظرنا ، من جراء الفرد المتكلم الذي يحسن أويسيء استخدام أوتوظيف المواد أوالموارد التي توفرها له لغته ثم ان الغموض أو الوضوح في بنية سانتكسيه ينعكس في ذهن المتلقي الذي قد يعجز ادراكه الحسي عن فك أوتحليل شفرة الخطاب الذي يكون مرجعه المتكلم كجزء لا اللغة ككل .

ان المطلع على هذا السانتكس العربي القديم يدرك بأنه صيغ وشكل انطلاقا من تلك الحياة العربية كشاتل ثقافية ،بيد أن تلك القواعد الصارمة كانت ذا ميل أونزعة الى الطابع المنطقي بصورة منبثقة من ذات العربية القديمة نفسها،ولم تعد تسمح للمتكلمين للتلفظ بأية طريقة سانتكسية أومورفولوجية أومعجمية ...،ولم تعد فترة تقعيد القواعد تحتمل ما احتمل من ذي قبل في غياب هذه القواعد العلمية

الا القواعد السليقية . من هذا ماروا ه خلف الأحمر بأن رجلاً وشيخا من أهل الكوفة قال له : ((أما عجبت من الشاعر قال :

أنيت فيصوما وجشجاشا

فما حتمل له ،وقلت أنا :

أنيت اجاصا وتفاحا

فلم يحتمل لي)) (1) ؟

وأورد ابن قتيبة التي يعد من المنصفين للسانتكس والصور الجديدة للمحدثين : ((وليس له أن يقيس على اشتقاقهم فيطلق ما لم يطلقوا)) (2) .

وأما الخليل بن أحمد ،فقال من جهته : ((أنشدني رجل :

ترافع العز بنا فارفعنا

فقلت : ليس هذا شيئا . فقال له : كيف جاز للعجاج أن يقول :

تقاعس العز بنا فاقعنسسا

ولا يجوز لي ؟)) (3)

---

1) الشعر والشعراء ص : 16 ابن قتيبة (طبعة ليدن : 1902)

2) م.س : ن . ص

3) م.س : ن.ع

وحاول الفقلفي (فقيه اللغة) هنري فليش في مرجعه المشهور أن يوسع بعض الخصوصيات لهذا السانتكس في مبدأين :

أولهما : أن نميز قوة عض الجر والنسب (Forces des Réactions) ، أحدهما قوي وآخرهما ضعيف ، وببساطة هناك أشكال قوية وأشكال ضعيفة ، الشيء الذي كان يمكن من وضع اتباعات . مثلا ، نصب الأفعال معتبر كقوة ، لكن الأدوات تعتبر ضعيفة ، وبالنسبة للاسم يعتبر المفرد في الدرجة الأولى وأكثر قوة ، بينما الجمع هو أكثر ضعفا ، وهذا يمكننا من أن نضع الأصول (les principes) والفروع (les conséquences) . ان القوائم الموضوعة كانت تمكن من اظهار الرتب التي كان يجب للكلمات أن تحتلها في الجملة (رتبة مرتبة) . كل كلمة كان يجب أن تحتل رتبتها كما يجب تملك دور الأداة (حكم) ، وكان لها حق لتمارس حقوقها في نطاق ما يسمح لها بأداء هذا الدور .

ثانيهما : أن هناك ما يبدو في مفهوم أو تصور الشبه وتنوع الفرق ، بوجه آخر ، فان الشبه الجزئي يمكن من اقامة علاقات بين الكلمات المختلفة وانشاء أصل وفرع)) (2) .

(1 TRAITE de philologie Arabe p: 6
HENRI FLEISCH - Imprimerie catholique
BAYROUTH 1961

أ ما جيرار ليكومت: GERARD Lecomte فانه في دراسته الوصفية

يحصر السانتكس العربي في أربعة محاور : (1)

1) السانتكس الاسمي Syntaxe nominale

2) الجملة الاسمية Phrase nominale.

3) الجملة الفعلية المستقلة Phrase verbale independante

4) الجملة الفعلية المتفصلة phrase verbale articulée

ويقصد بالنوع الرابع :

أ ـ الجملة المجاورة أو المتجاورة Juxtaposition

ب ـ الجملة التابعة أو الاتباعية أو الثانوية Subordination

ج ـ الجملة الشرطية hypothétique

اذا تعاملنا بنيويا مع اللغة كقوة خارجية فانها لم تكن الا علامة اعتباطية صارت قانونا وعرفا اجتماعيا بين أعضاء مجموعة لسانية ، واذا تأملنا ها بنيويا كقوة داخلية فانه لا دخل لعوامل نصب أو جر أو رفع في قوة هنا وضعف هناك ، ان المنصوب (هنا الاسم والفعل على السواء) قد يكون واحدا والعوامل مختلفة ، وكذلك المرفوع والمجرور ،

---

(1) Grammaire de l'arabe P: 31, 123
Gérard Le comté ed: (que sais je ?)

فنحن اذا قمنا بقراءة للتراكيب المنصوبة التي جاءت في ((الجمل في النحو)) المنسوب للخليل بن أحمد ،فاننا نقف فيه على واحد وخمسين وجها للنصب (1) ،ووظيفة الأدوات تختلف في تركيب أو من تركيب سا تتكسي الى آخر ،وتبقى هي هي ، مثل (حتى) التي تجر تركيبا وتخفض تركيبا آخر ، ... الخ

ان نظرة الفطفي هنري فليش لا شك أنها كانت تغلب عليها فكرة شليجل بأن اللغة منظومة حية أي كأنها ظاهرة بيولوجية يتعامل معها اللساني مثلما يتعامل عالم الطبيعة مع الكائنات .

ان اللغة أبعد من أن تكون منظومة من هذا القبيل ،فهي لا تملك الارادة حينا وتعد منها حينا آخر كأعضاء جسم أو كائن حي ، واذا كان لا بد من قوة مفترضة فانما تلك القوة تتوزع بشكل ضمني ومتداع تحت البنى السطحية .

وعلى ذكر القوة والضعف اللذين عدهما عاملان خياليان وفقا للوقائع اللسانية ذاتها ،فاننا نريد أن نشير ما أسماه العرب بـ((الفضلة)) معتبرين كغيرهم من الأجانب المسند والمسند اليه أساسا في التركيب ،والحق أن الفضلة ليست دون المسند والمسند

---

1) كتاب ((الجمل في النحو)) ص : 35 - 115 الخليل بن أحمد ؟ (ط : 1/ 1405 مؤسسة الرسالة - بيروت)

اليـه ،كلما توسعت الجملـة النواة على الأقل في مجالها الفضائي الدلالي الذي يكون اغلبها مشتركا بصورة تلقائيـة في كثيـر من الحالات بين المرسل والمرسل اليه من خلال مرسلة قد يعبر المسند اليه والمسند عنها قبل ارسالها أو يتركها تساوقات مشتركة بين المرسل اليهم :

المسنـد اليـه	المسنـد	الفضاء الدلالـي
القاضي	يعاقب	؟ (الجاني مثلا)
الحكـم	ـــــ	؟ (اللاعب مثلا)
الضابـط	ـــــ	؟ (الجندي مثلا)
المعلـم	ـــــ	؟ (التلميذ مثلا)
القانون	ـــــ	؟ (المزور مثلا)
الشمـس	تشرق	؟ (من الشرق)
ـــــ	تغرب	؟ (من الغرب)
ـــــ	حارة	؟ (في الصيف ،في الصحراء..
الجـو	معتدل	؟ (في الربيع مثلا)
ـــــ	بارد	؟ (في الشتاء مثلا)
.....	..... الخ	

وهـذا الفضاء الدلالي تقاطع لغوي دال مشترك بين المتكلمين على مستوى لغة واحدة وعلى مستوى أكثر من لغة، وهوكما نلاحظ من الجدول أعلاه أعم في الفضلة منه في المسند فضلا عن المسند اليه ،لأن وظيفة الفاعل ليست فقط العقاب ،كما أن المعلم مثلما يعاقب تلميذه قد يجازيه ،والضابط قد يقترح ترقية جنديه ... لكن المسند سواء تقدم أم تأخر في السانتكس العربي ،هو الذي يوحي للمتلقين الفضاء الدلالي العمومي للتركيب . ولذا فان أهمية التقديم والتأخير لا تأثير لها على البنية السانتكسية العربية في مثل هذه التراكيب ما دامت محافظة على سياقها النحوي والدلالي .

ومقابل هذا فان الغموض يبقى سائدا هذا الحقل بالنسبة لتوزيع الأدوار للعناصر المتقاطعة سانتكسيا ودلاليا ومورفولوجيا ، ان النحويين مثلهم مثل العناطقة يقولون بأن المسند يخبر عن المسند اليه ،واذا مثلنا بأحد الأحاديث النبوية ((خيركم خيركم لأهله ،وأنا خيركم لأهلي)) موزعين عناصره ،

المسند اليه	المضاف اليه	المسند	المضاف اليه	الجار	المجرور
1) خير	كم	خير	كم	—	—
2) خير	كم	خير	كم	لـ	أهل + ه
3) (و) أنا	—	خير	كم	—	—
4) أنا	—	خير	كم	لـ	أهل + ي

فـا نا نرى أن المسند لا المسند يكون دائما خبرا موضحا ومزيلا الغموض المسند اليـه ،ولا ما سمي بـ ((الفضله)) هوفضلة بالمعنى الوظيفي الصحيح في السا نتكس العربي .

فـفي جملة (1) كأن المسند توكيد لمسند اليه ،وجملة (2) بفضـل الفضلة صـارت ذات دلا لة كلية ،وجملة (3) كا نت بنيتها أكـثر غموضا اذا كنا نجهل المرجع للخطاب أوالمرسل (بكسر السين) ، أمـا جملة (4) فا نها تعا د ل في وضوحها جملة (2) با عتبار البنيـة السا نتكسية المتشا بهة .

فعلى اللسا نيات العربية الجديدة أن تجتهد في ايجـا د مخرج تنظيمـري وعملي قا ئم على التطبيق التحتي لمثل هذ ه الاشكا لية السا نتكسية التي مازالت تسود كثيرا من تراكيبنا اللغويـة .

ا ن التحليل اللسا ني الحالي للعبارة أوالقول يتعا مل مـع المرسلة تبعا لما يؤ ديه كل عنصر أووحد ة دالة من وظيفة ،والسا نتكس العربي القديم كا ن يقوم على التحليل النحو ي الكلي للأ دوا ر التي كا نت تؤ ديها المصطلحا ت التي اكتسبت دلا لات علمية جـديد ة ، الى جا نب الوحدا ت النحوية المستقلة التي كسيت بمصطلحا ت متعدد ة الوظا ئف ، والذي يبدو أن الدرس اللغوي القديم عند العرب بشكل عا م كا نت

عنايتـــه مـــركزة عـــلى التركيب في ذاته أزيد مما انصبت جهوده على التحليل ،لأن هدفه الجديد والأصلي كان بناء وتشييدا لقواعـــد وليس تحليلالها ،لأن التحليل كان يسبق البناء من خلال التعامل مع المعطيات اللغوية أوالمدونات الجاهزة سلفا .

وتلك التحاليل كانت تفرض مسبقا بأن أي نوع خطابـــي الا وكان يملك وظائف سانتكسية مختلفة كامنة تحت البنى السطحية . وهذه العملية في التعامل مع اللغة من الخارج باعتبارها خطابات شفـــوية ، ومن الداخل باعتبارها منظومة قائمة بذاتها أي متميزة عن باقي الظواهر والعلوم الأخرى ، هـــو ما تذهب اليه بعـــض المواقف اللسانيـــة المعاصرة ،حيث نجد أن ((التشومسكي يستند على مجموعـــة الأقـــوال أوالملفوظـــات المحققة : انها المدونـــة، هـــو يحاول انطلاقا من هنا أن يؤسس قواعد هـــذه المدونـــة مستعمـــلا ما تجلـــى منهـــا من القـــواعد القياســـيـــة التـــوزيعيـــة لعناصرها المؤلفـــة لهـــا . إن اللغـــهـــة في الواقع مكونـــة من عناصر متميـــزة أوقائمة بذاتهـــا ،والتي تتركب فيما بينها بمختلف المستويات لتكويـــن وحدات أعلى : المستـــوى

الفونيمي ،المورفولوجي ، السانتغمي (Syntagmatique) ، الجملي (phrasatique) . هذه الوحدات الاعتباطية والتي تعد اداة منتهية ولا تتركب كيفما اتفق ؛ كل لغة تحدد لأي مستوى نظاما من الاجبارات (contraintes) وقيودا (restrictions) لامكانياتها التركيبية (combinatoires)) (1).

وهذه الميزة أهملها ولم تحظ منها أو من مقاربتها الدراسات السانتكسية العربية القديمة.

(1 Initiation à la problématique structurale
P:7 T/2
HACHETTE 1978

الفصل الثاني : التركيب الاسمي

لا أخفي المتتبع لهذا العمل بأني تردد تُ أيما وأيما قبل الاقدام على تحرير هذا الفصل على هذا النحو ،كما أني لا أخفيه سرا آخر بأني قمت بعمل موازٍ لعمل هذا الفصل معتقدا أني سأجد ألفة ما بين العملين أو القراءتين ،لكني في النهاية وجدت نفسي مجبرا على اعتماد أحد العملين أو احدى القراءتين ، هي القراءة التي تنطلق من المفهوم العربي القديم الجديد للتركيب أو الجملة أو الكلام ... والتي تتجسد بوجه خاص ،كما انتهت عند ابن هشام ، أي كل كلام جملة ،وليست كل جملة كلاما (1) ، وكأني به يريد أن يقول ،وهذا ما نفهمه فعلا من كلامه ، ان التراكيب تنمي الى اللغة ،لأن اللغة هي المجموع الكلي المتصور ، بينما الجملة تعبر عن الفعل الحر الذي يشخص كلام المتكلم .

وسوسور على الرغم من تقدمه نسبيا ،فهو يعتبر أفضل واحد حتى الآن ،حسب وجهة نظرنا ، بعد العرب ، من عبر تعبيرا واضحا ومفيدا للموضوع ،على الرغم من أنه صرح عن ذلك ،مثله مثل سيبويه (2)

---

1) راجع : الاعراب عن قواعد الاعراب ص : 60 - 61 لابن هشام مثلا

2) راجع الكتاب : 1/25-20 ففيه خمسة تراكيب متنوعة للجملة المقولة وغير المقولة

عـرضا ، ولـم يخصص حيزا كبيرا للتركيب على الطريقة المألوفة منذ مدة لدى شومسكي وبعض اللسانيين الأمريكيين بوجه خاص ،والذين تهافت على نظرياتهم باحثون عرب معاصرون ،لكن محاولاتهم باءت تقريبا كلها بالفشل حين أرادوا أن يطبقوا هذه القواعد التوليدية التحويلية على اللغة العربية بطرق منهجية شكلانية تعسفيـة .

ومما أبداه سوسور حول هذا الموضوع قوله : ((أن الجملة هي النمط الأفضل للتركيب غير أنها تنتمي الى الكلام لا الى اللسان ، أفلا ينجم عن ذلك أن يعود التركيب الى الكلام ؟ اننا لا نعتقد ذلك ، فخاصية الكلام هي من حرية الانسان ... وليس هذا هو كل شيء ، اذ يجب أن نسند الى اللغة لا الى الكلام جميع أنماط التراكيب العينيـة ، بحسب صيغ نظامية)) (1) على الرغم من اعتراف هذا اللساني بأن هناك غموضا مخيما بين التركيب من جهة والكلام من جهة ثانية ، باعتبار الفوارق المعروفة عند هذا اللساني بين اللغة واللسان والكلام ((ولكن يجب الاعتراف أن لا حدود هناك واضحة في مجال التركيب وذلك بين واقعة اللغة التي هي علامات الاستعمال الجمعي ،وواقعة الكلام الخاضعة للحرية الشخصية)) (2) .

---

1) محاضرات في الألسنية العامة ص : 150 - 151

2) م.س.ص : 151

ومـــن باب الاعتراف علميا ومنهجيا ، لا تهربا أو محاولة التخلص من هذا الموضوع الشائك ، أنني ارتأيت أن أتناول هذا الموضوع من خلال دراسة تأخذ بعين الاعتبار المحاور اللهجية التالية :

1) التركيب الاسمي (خلال هذا الفصل نفسه)

2) التركيب الفعلي (في الفصل الثالث أي القادم)

3) التركيب الحرفي والظرفي (في الفصل الرابع)

ويجب أن ندلي بملاحظة أخرى تخص التراكيب اللهجية القبلية العربية ، تتلخص في أنه لا يمكن الالمام جملة وتفصيلا بكل هذه التراكيب ، لأننا لم نتناول صقعا واحدا من هذه اللجات ، بل حاولنا أن نتناول أصنافا شتى من هذه التراكيب انطلاقا من بعض التراكيب التي اجتهدنا في الوقوف عليها من خلال اللغات السامية المشهورة أو تلك التي لا تزال حية مستعملة ، ومرورا باللهجات العربية البائدة التي نجد ظلالا منها مطبوعة ومرسومة في التراكيب اللهجية لهذه العربية الباقية لغة القرآن والشعر والآداب والحكم والأمثال ...

ان الالمام بكل هذه التراكيب يقتضي طموحا ينبغي أن تجسده قراءات متعددة لا قراءة واحدة ، وأعني بهذه القراءة هنا أن يبحث كل تركيب مستقلا عن التركيب الآخر ، لأنه شتان ما بين قراءة

متأتيـــة فـــي حـــقـــل اســـمـــه ((التركيب الاسمي)) وقراءة مماثلة لكنها مختلفة في حقل ثان اسمه ((التركيب الفعلي)) ، وقراءة ثالثة مختلفة تمام الاختلاف عن القراءتين السابقتين في حقل ثالث اسمـــه ((التركيب الحرفي)) .

غير أن هذه الملاحظة لا تخلو من مسؤولية موضوعية لو أعرضت أو حاولت أن تقلب ظهر المجن لتركيب على حساب تركيب آخر ، والذي نراه أن تكون هذه القراءة في الحقل السابق بين اللهجات العربية الباقية في هذا الفصل بالذات متوازنة الى حد ما تبعا للمدونة الثريـة في هذا التركيب دون التركيب الآخر وليس تبعا لاتباع أهواء قراءة أو الانسياق وراء تفضيل تراكيب لهجية على حساب تراكيب لهجية بـاقيـة ، لا سيما حين يتعلق الأمر بالتراكيب اللهجية الفصيحة بما فيها تلك التراكيب اللهجية التي وردت فيما يسمى بـ ((القراءات الشاذة)) .

1) التركـــيب الاســـمـــي :

1 ـ 1 : الجنـــس : الجنس من الفصائل النحوية الهامة في التركيب الاسمي ، والذي عنـي بـــه اللغويون المحدثون مثلما عني بـه اللغويـــون القدماء فعلامات التأنيث الثلاث في العربية بشكل عام هي التي تميز المذكر من المؤنث ، ولكل لغة خصوصيتها في الجنس .

ان المفهوم الشائع ،ولا سيما التعليمي منه ، أن الجنس في العربية تتميز هويا ته ما بين المذكر والمؤنث من خلال ما يتصل بنهايه المؤنث ،ومنه قول الفراء : ((للمؤنث علامات ثلاث : منها الهاء التي تكون فرقا بين المؤنث والمذكر ،مثل فلان وفلانة ، وقائم وقائمة .

ومنها الهمزة الزائدة التي تراها في ((الضراء)) و ((الحمراء)) و ((الصفراء)) ،وما أشبه ذلك .

ومنها الياء التي تفسرها في ((حبلى)) و ((سكرى)) و ((ضيغمى)) . فأما الهمزة والياء ،فلا يقعان للمذكر في حال أبدا .

وأما الهاء فلها ضروب تقع فيها ...)) (1)

ثم يستمر الفراء في بيان أسماء لا تميز فيها ،لكن هويتها كمؤنث تظهر جلية من خلال الوظيفة المسندة الى طبيعة هذه الأسماء، وهي وظيفة تارة تكون منطقية مثل الأوصاف التي لا حظ فيها للمذكر مثل :حائض ،طامث ، شاة حامل ، مرضع ...الخ ،ومرة تكون متصلة بالمادة الكلامية التي توحد الجنس على الرغم من اختلاف الهوية في الاسن ذاته ،كعدن ((صابر)) الى ((صبور)) بدون هاء في المذكر

---

1) المذكر والمؤنث ص :57 - 58 الفراء

(ط: 1357 مطبعة قاصد خير - القاهرة)

كما للمؤنث .

وقد يرد في العربية من التأنيث والتذكير ما لا يعلم ما قصد به ، كما أنه تأتي من الأسماء ما لا يعرف لأي مسمى هو ، وإن كان المؤنث والمذكر يشتركان فيهما وزن واحد ، تقول : ((عدل)) و ((حمل)) ، فهذا على ((فعل)) ، وهو مذكر ، وتقول : ((نهر)) فهي مؤنثة ، وتصغيرها ((نهيرة)) ...)) (1) .

وأما ما يعرف باسم الجنس الجمعي ، ويسميه الفراء اسم موضوع (2) ، فإن العرب إذا أرادت افراده قالوا في واحده : ((شاة)) من الشاء ، للذكر والأنثى معا ، وهي لم ترد ((بالهاء)) ها هنا ، التأنيث المحض ، إنما أرادوا الواحد ... وربما فعلوا عند موضع الحاجة فجعلوا الأنثى مفردة بالهاء ، وجعلوا الذكر مفردا بطرح الهاء ، فيكون الذكر على لفظ الجمع ، من ذلك ((رأيت نعاما أفرع)) ، و((رأيت حماما ذكرا)) ويقولون : ((رأيت جرادا على جرادة)) و ((جسما ما على حمامة)) يريدون ذكرا على أنثى ... قال : وسمعت الكسائي يقول : سمعت كل هذا النوع من العرب بطرح الهاء من ذكره إلا قولهم : ((رأيت حيه على حية)) فإن الهاء لم تطرح من ذكره)) (3) .

---

1) المذكر والمؤنث ص : 112 المبرد (ط : 1970 مطبعة دار الكتب - القاهرة)

2) المذكر والمؤنث ص : 68 الفراء

3) م.س.ص : 69 - 70

وأما الخليل بن أحمد فقال : ((هـذا شاة بمنزلة قوله تعالى :

((هَـذَا رَحْمَةٌ مِّنْ رَبِّـي)) (1) .

وأما سيبويه فقد تعرض للجنس في أكثر من موضع وتناوله بعدة أفكار لسانية أكثرها نحوية ،وهذا هو الأصل في الدراسات اللغوية المفكرة بما فيها الدراسات التي سبقت سيبويه نفسه ،وهذه الرؤية العربية لهذا النوع من التركيب هو عين ما غدت تميل اليه الدراسات اللسانية المعاصرة حيث أضحت تدرس هذا الصنف من اللغة الانسانية ضمن التركيب بشكل لساني واسع لا بشكل نحوي ضيق .

ان سيبويه يرى أن المذكر أخف من المؤنث ((واعلم أن المذكر أخف عليهم من المؤنث لأن المذكر أول ،وهو أشد تمكنا ،وانما يخرج التأنيث من التذكير)) (2) ،وقال في موضع آخر بعد هذا : ((لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد ، فكل مؤنث شيء ،والشيء يذكر ،فالتذكير أول ،وهو أشد تمكنا)) (3) .

كما أن التبادل قد يحصل بين المذكر والمؤنث ((قد يكون الشيء المذكر يوصف بالمؤنث ،... ويكون الشيء المؤنث يوصف

---

1) الكتاب : 3/ص : 562 والآية : 98 من الكهف

2) م.س : 1/ص : 22

3) م.س : 3/ ص : 241

بالمذكر ،وقد يكون الشيء المؤنث له الاسم المذكر ،فمن ذلك : هذا رجل ربعة وغلام يفعة ،وهذه الصفات ... ومن ذلك أيضا قولك : هذه امرأة عدل ،ومن الأسماء فرس ،هو للمذكر ،فجعلوه لهما ، وكذلك عدل ...) (1)

أما الخروج عن حيز الجنس لمعرفة هويته إن كان مذكرا أو مؤنثا من خلال حمله على المعنى ،فإن سيبويه قد بلغ الرقم القياسي في هذا المبحث دون اعتبار الشكل الظاهري في كل حال للكلمة ، ومن هذه الأمثلات الغزيرة في مختلف المستويات التي يؤول الكلام فيها على المعنى لا على المبنى فقال قوله المرتبط هنا بموضوعنا : ((وزعم يونس عن رؤبة أنه قال : ثلاث أنفس ،على تأنيث النفس ،كما يقال : ثلاث أعين للعين من الناس ،وكما قالوا : ثلاث أشخص في الشاء ،وقال الشاعر وهو رجل من بني كلاب :

وإن كلابا هذه عشر أبطن ... وأنت بريء من قبائلها العشر

وقال القتال الكلابي :

قبائلنا سبع وأنتم ثلاثة ... وللسبع خير من ثلاث وأكثر

فأنث أيطنا إذ كان معناه القبائل ،... وقال عمر بن أبي ربيعة :

---

1) الكتاب : 2 / ص : 212

فكـان تسمي بذلك من كنت أتقي ثلاث شخوص : كاعبان ومعصر

فـأنث الشخص اذ كـان في معنى أنثـى)) (1).

ومـن اللغويين المتقدمين من يرفض أن يكون أمـر الجنس في العربية قياسا مطردا ، وأن العلامات الثلاث التي تعـد في التصنيف التقليدي علامات ميزة لهوية الجنس حين يكون مؤنثا على الأقل ليست قياسية في كل حال ((ليس يجري أمر المذكـر والمؤنث على قياس مطرد ، ولا لهما باب يحصرهما ، تماما في بعض الناس ، لأنهم قالوا : ان علامات المؤنث ثـلاث :

ـ الهاء في قائمة وراكبـة

ـ والألف الممدودة في حمراء وخضراء

ـ والألف المقصورة في مثل سبطى وسكرى

وهذه العلامات بعينها موجودة في المذكر : أما الهاء ففي مثل قولك : رجل بالغة ونسابة وعلامة وربعة وراوية لبشعر ... وأما الألف الممدودة فمثل : رجل ذو برزلاء اذا كان جيد الرأي ، وأما الألف المقصورة ففي مثل : رجل خنثى ، وزبعرى للسيء الخلق ... ووصفوا أن المذكر هو الذي ليس فيه شيء من هذه العلامات ، مثل زيد وسعد ، وقد يوجد على هذه الصورة كثير من المؤنث مثل هند ودعد ، وأتان ورخل وعنز ...)) (2)

---

1) الكتاب : 3/س : 380 ـ 383

2) المذكر والمؤنث : ص : 17 ـ ... سعيد بن ابراهيم التستري الكاتب (مطبعة المدني ـ القاهرة)

وسا ابن فارس فقال وهو يتحدث في باب أجناس الأسماء: ((قال بعض أهل العلم: الأسماء خمسة: اسم فارق، واسم مفارق، واسم مشتق، واسم مضاف، واسم مقتض)) (1).

ان الفارق مثل: رجل، فرس، والمفارق مثل: طفل يفارقه اذا كبر، والمشتق مثل: كاتب، والمضاف نحو: كل وبعض، وذلك لاعتقادهما بأن هذين الاسمين الأخيرين مضافان أبدا، وأما المقتضي فمثل: أخ، شريك، خصم، ابن ...الخ.

والملاحظ أن الجنس في هذه الأصناف الخمسة ليس واضحا، لأنها لا تحتوي كلها على مميزات تصحب كل صنف للدلالة على تأنيثه، اذ أقول: طفلة، وكاتبة، وأخت، وشريكة، وابنة، ... ولكن هذا باستطاعتي القول ايضا: رجلة، فرسة، خصمة، ... حتى وان كان الفراء قال: ((وقد قالت العرب حروفا، بنت فيها الأنثى على الذكر، وقد كانت الأنثى في ذلك سماة باسم يؤدي عن تأنيثها، فقالوا: ((غلام)) و ((جارية)) و ((شيخ)) و ((عجوز)) ، فأدت الجارية عن نفسها، ثم قالوا: ((غلام)) و ((غلامة)) و ((شيخ)) و ((شيخة)) ، جاء في الحديث: ((كانت عائشة رجلة الرأي)) ، وقد قالوا: ((ثور)) و ((ثورة)) ، وقال الأخر:

وركضة صريحي أبوهـا تهان لبنها الغلامة والغلام

1) فقه اللغة ص: 86 ابن فارس

وقال آخر :

وتضحك مني شيخة عشميسة كأن لم ترى قبلي يمانيا

فلا تنكرن أن يبنى مؤنث على مذكر)) (1) .

هذا ،واشكالية تمييز هوية الجنس ليس بدعا في العربية وحدها

بقدر ما نجد هذه الاشكالية متفشية في لغات انسانية أخرى ،ففي الفرنسية

مثلا لا ينتهي المؤنث فيها دائما بعلامة ((E)) مثل :

- (la Souris) (فأر ،فأرة)
- (la Foi) (ايمان أو اعتقاد ...)
- (la liberte) (الحرية)

وعلى العكس من ذلك ،فان بعض الأسماء المذكرة تأخذ مميز المؤنث

((E)) في آخرها مثل :

- (le Lycée) (الثانوية)
- (Le musée) (المتحف)
- (Le Foie) (الكبد) (2) .

واذا ما عدنا اليوم الى بعض المعاجم اللسانية المعاصرة ،فاننا

نجدها تنظر الى الجنس في اللغة على أنه نحوي أوشكلي ، لأنهما الشيئان

---

1) المذكر والمؤنث ص : 120 - 121 الفراء

2) La Grammaire pour tous P177 - Le Bescherelle
Edition HATIER Paris 1984

الوحيدان اللذان يلاحظان في الواقع ، وعليه فهي معرفة بواسطة خصوصيات شكلية وليست دلالية ((غير أن بعض اللغات تميز بين الجنس المتحرك والجنس الجامد (الروسية) ، بينما تصنف الأسماء الى جنسين في الفرنسية والايطالية والاسبانية ، والى ثلاثة أنواع في الروسية والألمانية ..الخ . وبالنسبة لأندريه مارتيني ، فان الجنس لا يعتبر كوحدة دالة (مونيم) ، لأنه لا يشكل بشكل عام موضوع اختيار ، اذ ليس بامكاننا أن نختار في قولنا اجاصة دون أن نختار في الوقت نفسه الجنس المؤنث ، ليس فقط لأن الجنس المؤنث والنوع المؤنث هما شيئان مختلفان ، لكن زيادة على هذا ، فان نفس التعارض للنوع يمكن أن يغطي التعارض في الجنس من ناحية والتعارض الليكسيكي (المعجمي) من ناحية أخرى)) (1) .

ومن جهة أخرى يلاحظ غياب التغيير في الجنس بالنسبة للفرنسية لأنه ((من المستحيل من الناحية الدلالية اثبات العدد الكبير من المؤنث والمذكر ، بينما التطور الصوتي هو الذي قرره بصفة أساسية ، وهذا لا يسهل من مهمة التعليم ، لأن بعضا من الكلمات تغير جنسها خلال التاريخ ، بينما البعض الآخر من الجنس بقي غامضا لدى الكثير من المتكلمين ، وذلك على الرغم من جهود الصفائيين (Puristes) وخاصة عندما تبدأ الكلمة بواسطة حرف علة أو تنتهي بـ ((ه)) غير المستقرة)) (2) .

---

(1) Dictionnaire de la Linguistique p. 154 (G. Mounin) C Edition 1974 Presse Universitaires de France)

Initiation à la problématique structurale T: 2/1:25

ويظهر أن العرب كانوا أكثر من غيرهم تمييزا لهذا النوع من القول حيث أخضعوه الى ما يقتضيه المنطق الدلالي ، والى ما يقبله الذوق والطبع السليمان ، من هذا ماروى الأصمعي نقلا عن أبي عمرو أن هذا الأخير سمع رجلا من أهل اليمن يقول : فلان لغوب ، جاءته كتابي فاحتقرها ، فقلت له (أي الأصمعي) : أتقول : جاءته كتابي ؟ فقال : نعم . أليس بصحيفة ؟ (1)

اما ابن عصفور فقد ذهب مذهب من تبعهم من البصريين أو سواهم من اللغويين الآخرين الذين سبقوه ، حيث عد هذه الوحدات من التركيب فيما أسماه بـ (ضرائر الشعرية) ، ولا أدل على ذلك من عقده بابا طويلا لهذا الموضوع ، ومما ذكره أن الاسم قد يكون مذكرا (فيحكم له بحكم المؤنث بدلا من تذكيره ، أو يكون مؤنثا فيحكم له بحكم المذكر بدلا من تأنيثه حملا على المعنى) (2) مرددا مرة أخرى ما رددده الأولون (وتذكير المؤنث أحسن من تأنيث المذكر ، لأن التذكير أصل التأنيث ، فاذا ذكرت المؤنث ألحقته بأصله ، واذا أنثت المذكر أخرجته عن أصله) (3)

---

1) راجع الخصائص : 1/ص : 48 و 2 : /س : 416

2) ضرائر الشعر ص : 271 ابن عصفور (ط : 1/1980 دار الاندلس - بيروت)

3) م.س.ص : 278

ونلاحظ أن قول ابن عصفور السابق يصب في قول ابن جني ، وتذكير المؤنث واسع جدا ،لأنه رد فرع الى أصل ، لكن تأنيث المذكر أذهب في التناكر والاغراب)) (1).

((والذي يبدو لي أن نص ابن جني هو الأغرب ،اذ من أين لنا أن المذكر أبدا أصل لكل مؤنث ،وهل من الضرورة بمكان أن توجد دائما الدالية المذكرة قبل الدالية المؤنثة ؟ بعد ما هو مذكر طاولة ،شجرة ،باب ،ورقة ،....؟ وما هو مؤنث قلم ، جبل ، بحر ،جهاز ، ...؟ بل ما هو مؤنث محمد ،ومصطفى ،... وذكر عائشة وهند ...؟ ((ان مثل هذه النظرية يجب أن تزوى من الأذهان بحيث لا يقارن الشيء الا بما يقابله)) (2)

على أني حاولت ،ان الجنس في العربية وغيرها من اللغات الانسانية يعد من أوسع وأعقد المباحث اللغوية قديما وحديثا ،ولعل بحثه في اطار اللسانيات التقابلية والمقارنة يكون أكثر فائدة من بحثه مستقلا على مستوى لغة واحدة ،لكن هذا المطلب في عملنا هنا ان لم يتحقق معظمه ، فانا نعتقد بتحقيق بعضه مادمنا نبحثه على مستوى لغة واحدة قديمة متجسدة في تراكيب لهجية متباينة

---

1) الخصائص : 2/ص : 415

2) العربية بين الطبع والتطبيع ص : 110

أوموزعة على مستوى القبائل أوالعشائر والأفخاذ .

ان أفراد قبيلة واحدة قد يختلفون في تأنيث اسم أوتذكيره ، أو يغلب لدى قبيلة التذكير أوالتأنيث خلافا لقبيلة أخرى قد تعاكسها في نفس الوحدة ،من ذلك أن أهل الحجاز يقولون : ((هي التمر ، وهي النخل ، وهي الشعير ، ...)) (1) ثم أردف الفراء : ((وكل جمع كان واحدته بالهاء وجمعه بتسطرن الهاء ،فان أهل الحجاز يؤنثونه وربما ذكروا ،والأغلب عليهم التأنيث ، وأهل نجد يذكرون ذلك ، وكلهما أنثوا ،والأغلب عليهم التذكير)) (2) . وأما ابن التستري الكاتب فقال : ((وكل جمع في واحده هاء ،فانه اذا حذفت صار جمعا ،جاز فيه التأنيث والتذكير نحو : حبة وحب ،وتمرة وتمر ،وبقرة وبقر بالتأنيث للحجاز والتذكير لنجد)) (3) .

وأما الكتف والعضد والذراع والكف واليد والشمال واليمين والورك والفخذ والساق والعقب والرجل والقدم ، فكلها مؤنثة ، ومثلها الأصابع الا عند بني اسد فانهم يذكرون كل هذه الاشياء من بدن الانسان (4) ،بينما عقب الفراء : ((والاصابع اناث كلهن ، الا الابهام فان العرب على تأنيثها ،الا بني أسد أوبعضهم فانهم يقولون :

---

1) المذكر والمؤنث ص : 101 للفراء

2) م.س : ن . ص

3) المذكر والمؤنث ص : 52 ابن التستري الكاتب

4) م.س .ص : 50

هذا ابهام ، والتأنيث أجود وأحب الينا)) (1) . ونفس الشيء أكده فيما بعد ابن التستري الكاتب : ((الابهام ؛ تؤنثها جميع العرب الا بعض بني أسد فانهم يذكرونها ،وجمعها أباهيم)) (2) .

وبالنسبة لجمع التكسير ،فان ((كل جمع لغير الناس ،مذكرا كان واحده أو مؤنثا كالابل جمع جمل ،والأرجل جمع رجل ... فهو مؤنث ،... وكل جمع على جمع التكسير للناس وسائر الحيوان الناطق يجوز تذكيره وتأنيثه ...)) (3)

ومن الصعب أن نحصر اختلاف القائل في الجنس على هذا النحو من الدراسة والمقارنة والتحليل ،ولكننا نحاول هنا أن نلم بأكثرها في هذا الجنس من اختلافات بين القائل العربية من خلال قراءة تراثية مستوحاة من كتاب ((المذكر والمؤنث)) لابن التستري الكاتب مصحوبة بقراءة أخرى من كتب متنوعة .

ان ابن التستري الكاتب على الرغم من أنه جاء بعد الفراء والمبرد (4) ،الا أن المنهجية التي اتبعها في كتابه أعلاه تغري القارئ اليوم باتباع قراءته ، لأنه بنى ما سمع من اختلاف في الجنس بين القائل العربية أو العرب عموما على نسق حروف المعجم .

---

1) المذكر والمؤنث ص ؛ 78 الفراء
2) المذكر والمؤنث ص ؛ 57 ابن التستري الكاتب
3) م.س.ص ؛ 68
4) توفي الفراء عام 207 هـ ،وتوفي المبرد عام 285 هـ ،بينما توفي ابن التستري الكاتب فهي سنة 361 هـ .

ـ الابط ؛ الفراء يذكره ويؤنثه ،والاصمعي لا يجيز تأنيثه (1)

ـ الاتان ؛ يذكر ويؤنث ،والتذكير أجود لدى الفراء (2)

ـ البئر ؛ يؤنثه الحجازيون ،وسواهم يذكرونه (3)

ـ التنور ؛ يذكره أهل الحجاز ،ويؤنثه غيرهم (4)

ـ الحمار ؛ مؤنث ،وأهل الحجاز يذكرونها .(5)

ـ الذراع ؛ مؤنثة تصغيرها ذريعة ،وجمعها ثلاث أذرع ،بعد أن الفراء حكى أن بعض عكل يذكرها ،وبالتالي يصغرها ؛ ذريع (6) ،لكن ابن التستري يرى أن لهجة بني عكل في تذكيرها وتصغيرها أمر شاذ غير مختار ولا معمول عليه البتة (7) .

ـ الذهب ؛ مؤنثة ،وربما ذكرت ،وعزا اللسان تأنيثها الى الحجاز (8) ،

---

1) المذكر والمؤنث ص ؛ 57 لابن التستري

2) المذكر والمؤنث ص ؛ 106 للفراء

3) المذكر والمؤنث ص ؛ 64 لابن التستري

4) م.س .ص ؛ 65

5) م.س.ص ؛ 69

6) المذكر والمؤنث ص ؛ 77 الفراء

7) المذكر والمؤنث ص ؛ 76 لابن التستري

8) لسان العرب ؛6/ ص ؛ 62 ابن منظور

ـ الزوج : مذكرة ومؤنثة لدى الحجازيين، وهم مختلفون مع غيرهم من العرب ، ((الزوج : عند أهل الحجاز يقع على الذكر والأنثى جميعا ، وعلى واحد منهما . الرجل زوج المرأة ، والمرأة زوج الرجل بغير هاء ، وهما جميعا زوج ، وذلك أفصح عند العلماء وأصح ، وأهل نجد يقولون : زوجة للأنثى وهو أكثر من زوج ، وزوج أفصح من زوجة)) (1) ، بينما قال الفراء : ((الزوج يقع على المرأة والرجل . هذا قول أهل الحجاز ، قال الله عزوجل : ((أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ))((2) ، وأهل نجد يقولون : زوجة ، وهو أكثر من زوج ، والأول أفصح عند العلماء . قال الشاعر :

وان الذي يمشي يحرش زوجتي كماش الى أسد الشرى يستثيرها

... فمن قال : زوجة ، قال في الجمع : زوجات ، ومن قال : زوج ، قال في الجمع : أزواج ، قال الله عزوجل : ((قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ)) (3) ، قال ، وأنشدني أبو الجراح :

يا صاح بلغ ذوي الزوجات كلهم أن ليس وصل اذا انحلت عرى الذنب)) (4

في حين أنه قال في موضع آخر : ((وأهل الحجاز يقولون للمرأة : زوج ، وسائر العرب يقولون : زوجة)) (5)

---

1) المذكر والمؤنث ص : 80 ابن التستري
2) سورة الاحزاب آية : 37
3) سورة الأحزاب آية : 59
4) المذكر والمؤنث ص : 95 الفراء
5) م.س.ص : 108

وبصرف النظر هنا على قول الفراء السابق بأن زوجة أفصح عند العلماء على أن سائر العرب يقولون : زوجة ،فان القرآن نزل بلهجة أهل الحجاز في هذا النوع من الجنس ،فعلاوة على الآيتين السابقتين ، جاء فيه :

- ((وَقُلْنَا : يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)) (1)

- ((وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ)) (2) .

وفي الوقت الذي يجزم فيه الفراء بفصاحة ((زوجة)) ،قال الأصمعي بعاكسه مصرحا بأن العرب لا تكاد تقول : زوجته ،الا أبو علي بن حمزة البصري على أن فصحاء العرب يقولون : زوج وزوجة،كقول الفرزدق السابق (مع اختلاف في الرواية للبيت طبعا) :

وان الذي يسعى ليفسد زوجتي كساع الى أسد الشرى يستبيلها

وقال العجاج :

لا تسأل الزوجة ريح العطر

وقال الشماخ :

فمن العفيفات الجميلات الصور قد أصبحت زوجة شماخ بشر

وقال ذو الرمة :

أذو زوجة بالمصر أم ذو خصومة أراك لها بالبصرة العام ثاويا ؟

---

1) سورة البقرة آية : 35

2) سورة النساء آية : 20

وأنشد أبو عمرو :

وزوجة كثيرة السيات

وأنشد الآخر :

تحب زوجات أقوام حلائله اذا الدخان تغشى الأشمط البرما

في حين أنشد البعض لأبي المزاحم بن منقذ :

تحب زوجات أقوام حليلته اذا الأيوف امترى مكنونها الشبم (1) .

ومذهب الأصمعي في عدم الاحتجاج بالشعر الاسلامي كأستاذه أبي عمرو بن العلاء لا يرد قول علي بن حمزة في هذه المسألة ، ما دام أن الرجل قد أورد شواهد أخرى لغير الفرزدق وذي الرمة .

وأعتقد أن تباين الأصمعي والفراء لا يرجع الى كون الأول بصريا والثاني كوفيا بقدر ما يعود الى المصادر اللغوية التي استقى منها كل واحد منهما ، فعلى نسبة تفاوت سماعهما واختلاف المناطق اللغوية بينهما كان حكمهما ، والا فان لغة العرب واحدة بدليل أن التنزيل جاء على لغة الحجازيين وأن شعراء ورجاز الجاهليين والاسلاميين وظفوا الوجه الثاني في أشعارهم .

- السهيل : يذكر ويؤنث ، وكلاهما فصيح ، وما ذكره الأخفش : (أجل

---

1) المنقوص والممدود للفراء والتنبيهات لعلي بن حمزة ص : 204 - 206
(دار المعارف - مصر)

الحجاز يؤنثون الطريق ،والصراط والسبيل ،والسوى ، والزقاق ، والكلا ،وهوسوق بالبصرة ،وبنوتميم يذكرون هذاكله)) (1)

وجاء في القرآن :

((قُلْ : هَذِهِ سَبِيلِي)) (2)

((وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً)) (3) ،وفي قراءة أبي : ((يتخذوها)) (4) .

وقال الشاعر :

فلا تجزع فكل فتى أناس سيصبح سالكا تلك السبيلا (5)

- الشعير : يذكره أهل نجد ، ويؤنثه غيرهم (6) .

- الصاع : تؤنثه أهل الحجاز ،وجمعه عندهم: أصوع مثل أشهر، وفي جمع الكثرة : الصيعان ،في حين أن أسدا وأهل نجد يذكرونه ويجمعونه على أصواع ،وربما أنثه بعض بني أسد (7) ،وهذا ما أكده الفراء ((وربما أنثه بعض بني أسد)) (8)

---

1) المزهر : 2/ص : 225 ،ولاندري أي الأخافشة ،لان المحقق لم يشرالى هذا

2) سورة يوسف آية : 108

3) سورة الاعراف آية : 146

4) المذكر والمؤنث ص : 87 الفراء

5) المذكر والمؤنث ص : 115 المبرد

6) المذكر والمؤنث ص : 86 ابن التستري

7) المذكر والمؤنث ص : 88 ابن التستري

8) المذكر والمؤنث ص : 86 الفراء

- القدر : مؤنث تصغيرها قديرة ، وروى الفراء أن بعض قيس يذكرها (1) .

- القفا : يذكر ويؤنث ، والتذكير أغلب عليه (2) ، وهذا ما حكاه الفراء ، أما الأصمعي فقال : ((ما سمعت أحدا يذكرها)) (3)

- الهدى : مذكر لدى جميع العرب ما عدا بني أسد ، فانهم يؤنثونه ويقولون : هذه هدى حسنة (4)

وكما أشرنا آنفا ، فانه من الصعب حصر كل الفروق اللهجية القليلة في الجنس الى جانب الاختلافات العامة بين العرب من جهة ، وبين العلماء من جهة ثانية في هذا الحقل الشاسع الذي لا نحسب أنه يخلو من الاكمال الا يجعله موضوعا مستقلا عهد بما في التراكيب الأخرى ، ومع ذلك ، فيمكن تلخيص الظواهر اللهجية في الجنس بين القبائل العربية على النحو التالي :

آ - ما يختلف فيه الحجازيون من تذكير وتأنيث فان الأغلب عليهم التأنيث .

ب - أهل نجد اذا اختلفوا في تذكيرها أو تأنيثها - أحيانا - فالأغلب عليهم التذكير خلافا لأهل الحجاز .

ج - ما يؤنثه الحجازيون أو يختلفون فيه ما بين تذكير وتأنيث ، يذكره التميميون مطلقا .

---

1) المذكر والمؤنث ص : 82 الفراء
2) م.س.ص : 103
3) المذكر والمؤنث ص : 98 ابن التستري
4) م.س.ص : 105 ، وقارن بالمذكر والمؤنث ص : 87 للفراء .

د ـ أهـل نجد يذهبون مذهب تميم في التذكير .

هـ ـ اذا انفردت أو شردت قبيلة غير مشهورة لهجيا او نفوذا طبقيا بظاهرة تذكير مطلقا مثل شرود عكل وحدها في تذكير الذراع ، وانفراد أسد بتذكير الابهام والرياح (1) ،وشذوذ قيس بتذكير القدر ،فان الحجاز وتميما وسائر القبائل العربية الأخرى من حضرية وبدوية تماكسهم أي تؤنث ،حتى كأن تميما والحجاز لا تكادان تتفقان في التذكير والتأنيث الا حين تختلف قبيلة مع احداهما .

و ـ ان الجنس الذي ميز واحده بهاء يؤنثه الحجازيون ـ غالبا ـ ويذكره التميميون ـ غالبا أيضا ـ ،ومع هذه الأخيرة أهل نجد .

وكان لهذه الاختلافات اللهجية أثرها الواضح على القراءات القرآنية أي في التراكيب التي وردت فيها كلمات من هذا القبيل ،من ذلك أن حمزة والكسائي وأبابكر قرأوا ((وَلِيَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ)) (2) بتاء التأنيث ، والقراء الباقين بالتاء (3) ،بمعنى أن الثلاثة ذكروا لفظ السبيل على لهجة تميم ،والباقين أنثوا اللفظة ذاتها على لهجة الحجاز ...

---

1) لم أتطرق الى هذه الكلمة (الرياح) في هذا المبحث ، لكن الظاهر أن بني أسد يذكرون هذه الكلمة ، اذ قال الفراء : ((الرياح : كلها اناث ، أنشدني بعض بني أسد :

كم من جراب عظيم جدت تحملـــه ودهنة ريحها يغطي على الغســـل

(يراجع المذكر والمؤنث للفراء ص : 97)

2) سورة الأنعام الآية : 55

3) التيسير في القراءات السبع ص : 103 للداني

ط ـ 2 : فعـال المعدولة عـن فاعلة :

ان المعرب عند النحاة العرب هو ما يتغير آخره بسبب العوامل الداخلة عليه لا ختلاف بين اللغويين العرب لا أريد أن أخوض فيه أو هو يدخل لفوائد دلالية أو لوصل الكلام بعضه ببعض أم لعلل أخرى ؟ ويرى النحاة العرب مرة أخرى بأن الأسماء المعربة في العربية هي الأصل والمبنية هي الفـرع (1) ، وأما البناء فهو لزوم آخر الكلمة ضربا واحدا من الحركة ولا تحدث العوامل فيـه شيئا (2) ، والمبني في هذا التركيب بالنسبة للهجات العربية الباقية يظهر في أربعة أقسام :

أ ـ ما بني على الكسـر

ب ـ ما بني على الفتـح

ج ـ ما بنـي على الضـم

د ـ ما بني على السكـون

ان المبني على الكسر قسمان : قسم متفق عليه بين جميع اللهجات العربية مثل هؤلاء ، وقسم مختلف فيه ، وهو ما كان :

---

1) قطر الندى ص : 5 ابن هشام (المطبعة العربية ـ مصـر)

2) الخصائص 1/ ص : 57

شرح.

1) على وزن ((فعال)) التي تعدل عليها الأسماء من الأعلام المؤنثة .

2) ((أمس)) المراد به اليوم الذي قبل يومنا ،

وهما يعنينا هنا ((فعال)) المعدولة عن فاطمة ، حيث تمنعه الحجازعلى الكسر مطلقا ،فتقول :

- جاءتني حذام (اذا كان مرفوعا)

- مررت بحذام (اذا كان مجرورا)

- ما فعلت قطام (اذا كان منصوبا)

وقال سيبويه فيما جاء معدولا عن حده من المؤنث : ((واعلم أن جميع ما ذكرنا اذا سميت به امرأة فان بني تميم ترفعه وتنصبه وتجريه مجرى اسم لا ينصرف ،وهو القياس ،لأن هذا لم يكن اسما علما ، ... ألا ترى أن بني تميم يقولون : هذه قطام وهذه حذام (1) ،لأن هذه معدولة عن حاذمة ،وقطام معدولة عن قاطمة أو قطمة ،وانما كل واحدة منهما معدولة عن الاسم الذي هو علم ليس عن صفة ،كما أن عمر معدول عن عامر علما لا صفة ... وأما أهل الحجاز فلما رأوه اسما لمؤنث ورأوا ذلك البناء على حاله لم يغيروه ،لأن البناء واحد ه

---

1) سنعد مرفوع طبعا بضمة على الميم .

وهو ههنا اسم للمؤنث ...

فأما ما كان آخره راء فان أهل الحجاز وبني تميم فيه متفقون ، ويختار بنو تميم فيه لغة أهل الحجاز كما اتفقوا في يرى ، والحجازية هي اللغة الأولى القديمة)) (1) .

وفسر السيرافي نص سيبويه بقوله : ((يعني أن بني تميم تركوا لغتهم في قولهم : هذه حضار وسفار ، وتبعوا لغة أهل الحجاز بسبب الراء ، وذلك أن بني تميم يختارون الامالة ، واذا ضموا الراء ثقلت عليهم الامالة ، واذا كسروها خفت أكثر من خفتها في غير الراء ... فلذا اختاروا موافقة أهل الحجاز كما وافقوهم في يرى ، وبنو تميم من لغتهم تحقيق الهمزة ، وأهل الحجاز يخففون ، فوافقوهم في تخفيف الهمزة من يرى)) (2)

وعلاوة على ما جاء لدى سيبويه وتفسير السيرافي لكلامه ، فاننا نريد أن نوضح بأن أهل الحجاز يبنون ((فعال)) المعدولة من فاطمة على الكسر مطلقا ، كما سبق أن أشرنا ، وذلك حين تكون علما مؤنثا ، أما بنو تميم فانهم قد افترقوا في هذه التراكيب فريقين :

1) فريقا منهم يعرب ذلك كله بالضم رفعا وبالفتح نصبا وجرا ، وفئة قليلة منهم تنحو هذا النحو .

2) وفريقا منهم - وهم الأكثرون - يعربون بعض ما كان آخره راء مثل وبار (قبيلة) ، وحضار (كوكب) ، وسفار (ماء) ... فيبنونه على

---

1) الكتاب : 3/ ص : 277 - 278

2) م.س.ص : 278 هـ : 2

الكسر مطلقا عملا بلغة أهل الحجاز (1) ، وأما ما كان آخره غير راء مثل : حذام، وقطام ،ورقاش ،... فانهم يعربونه اعراب ما لا ينصرف مطلقا .

ويلاحظ أن التميميين قاسوا ((فعال)) المنتهية بغير الراء على الأسماء المعدولة ثم أعربوها اعراب ما لا ينصرف للعلمية والعدل ، فكأنهم تصوروا غلاب ورقاش ونحوهما معدولين من غالبة وراقشة مثلما عدل عمر وجشم من عامر وجاشم .

1 ـ 3 : أمس :

حين نعود الى الكتب القواعدية التي تتحرى المعيارية الصارمة غير آبهة بالتكلمات أو العادات الكلامية والتواصلية جملة ولا تفصيلا ،نجدها تقول لنا ((اعلم أن ((أمس)) في كلام العرب مبني على الكسر أبدا)) (2) ، غير أن هذه الكتب نفسها تصطدم بتراكيب مغايرة للحكم السابق فتتحفظ في قولها ،لأن من العرب من يبنيه على الفتح (3) ، أما اذا ما أضيف (أمس) أو أدخل عليه الألف واللام فانه يعرب ، ويمكن أن نقول : كان أمسنا طيبا ...

---

1) شذور الذهب ص : 86 ابن هشام (مطبعة السعادة ـ مصر)
وانظر كذلك : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص : 223 ابن مالك (دار الفكر العربي)
2) الجمل ص : 251 الزجاجي (ط : 2/1957 مطبعة كلنسكسيك ـ باريس)
3) م.س : ن.ص

وأما سيبويه فقال في هذا الموضوع : ((واعلم أن بني تميم يقولون فهي موضع الرفع : ذهب أمس (1) بما فيه ، وما رأيته مذ أمس ، فلا يصرفون في الرفع ... ألا ترى أن أهل الحجاز يكسرونه في كل المواضع ، وبعض تميم يكسرونه في أكثر المواضع في النصب والجر)) (2) ويذكر سيبويه أن قوما فتحوا ((أمس)) في مذ (3).

وجاءت تراكيب متنوعة تنبيها رة على لغة الحجاز ، وطورا على لغة تميم ، فعلى لغة الحجاز الشائعة قال راجز قديم :

مازال ذا هزيزها مذ أمس صافحة خدودها للشمس (4)

ومتضمن تعقيب أبي زيد الأنصاري على هذا التركيب أنه قال : ((ومن لغة هذا الراجز أن يبني أمس على الكسر فلذلك قال: مذ أمس)) (5)

ومما سمعه أبو زيد من الرجز نقلا عن العرب قول أحد الرجاز :

لقد رأيت عجبا مذ أمسا عجائزا مثل الأفاعي خمسا

يأكلن ما في رحلهن همسا لا ترك الله لهن ضرسا (6)

ثم عقب على هذا التركيب ((قوله : أما ذهب بها الى لغة بني تميم يقولون : ذهب أمس بما فيه فلم يصرفه)) (7) .

---

1) أي مرفوعا بالضمة ، وكذلك التركيب الذي بعده (ما رأيته مذ أمس)
2) الكتاب : 3/ ص : 283
3) م.س ، ص : 284
4) النوادر في اللغة ص : 12
5) م.س : ن ، ص
6) م.س ، ص : 57
7) م.س : ن ، ص

واذا كان الحجازيون قد أجمعوا في تراكيبهم على بنائها على الكسر في كل حال ،فان بني تميم انقسموا في خطاباتهم فيها بين حجازي وتميمي الى فريقين :

1) فريق منهم أعربه بالضمة رفعا ،وبالفتحة مطلقا .

2) فريق ثان أعربه بالضمة رفعا ، وبناه على الكسر نصبا وجرا .

وأما قول الزجاجي بأن من العرب من يبنيه على الفتح كقول الهجاء السابق (1) ،فان ابن هشام لا يوافقه واصفا مذهبه بالوهم (2) ، مؤولا أن ((أمسا)) فيالبيت فعل وفاعله ضمير مستتر ،والتقدير : مذ أمسى الساء (3) .

ان ابن هشام يقف هذا الموقف السلبي من الزجاجي على الرغم من أن سيبويه المعروف بتشدده قد اعترف بأن قوما يفتحون ((أمس)) ، وعلى الرغم من أن أبا زيد نسبها الى بعض بني تميم ،ونفس الشيء ذكره السيرافي (4) ،ثم ما هذا الوهم ؟ في الواقع اللساني الحق الذي يتكلم به الناس ويتماطونه أم في التأويل التي قد تكون صحيحة وقد تكون مخطئة ؟ .

---

1) اننا لم نجد كر البيت بأنه للهجاء ولكنه موجود في ديوانه فعلا

2) قطر الندى ص : 6

3) م.س : ن.ص

4) راجع : الكتاب : 3/ص : 284 هـ : 3

4 — 4 ؛ في أسماء الاشارة ؛

من المتفق عليه بين اللهجات العربية الفصحى أن من أسماء الاشارة مثنى ((ذا)) للمذكر و ((تي)) للمؤنث وهما ؛ ((ذان)) و ((تان)) رفعا و ((ذين)) و ((تين)) نصبا وجرا ، بعد أن الحجازية والتميمية اختلفتا في جمعهما فهو في الحجازية عند وفي التميمية مقصور أي ((أولى)) (1) ، وقال ابن مالك مفضلا الحجازية على التميمية ؛

وبأولى أشر للجمع مطلقا والمد أولى ، ولدى البعد انطقا (2)

ويظهر أن من بني تميم من كان يستعمل هذا الاسم الدال على الاشارة لغير العاقل ، علاوة على قصره عند هم ، كقول شاعرهم جرير ؛

ذم المنازل بعد منزلة اللوى والعيش بعد أولئك الأيام (3)

واذا كان المشار اليه بعيدا زيد في ((ذا)) كاف ولام ليصبح ((ذلك)) وهذه ، على ما يظهر ، لغة حجازية ، باعتبار أن بني تميم لا يأتون باللام مطلقا (4) .

---

1) أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك ص : 24 ابن هشام (ط: 1949 دار السعادة — مصر)
2) شرح ابن عقيل : 1 /ص : 131 (ط: 14/1965 مطبعة السعادة — مصر)
3) م.س.ص : 132
4) أوضح المسالك ص : 24

1 ـ 5 ؛ في الموصولات الاسمية ؛

من الشائع أن مثنى ((الذي)) و ((التي)) اللذان واللتان رفعا ،واللذين واللتين نصبا وجرا في جميع اللهجات العربية القديمة ، الا عند من ألزم المثنى الألف مطلقا ،وقد تشدد نون اللذان واللتان ، وقرئ بهتشديد النون في الآيات الثلاث التالية ؛

ـ ((وَاللَّذَانِّ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا)) (1)

ـ ((رَبَّنَا أَرِنَا اللَّذَيْنِّ أَضَلَّانَا)) (2)

ـ ((فَذَانِّكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ)) (3)

ومن شدد النون في الآية الثانية أعلاه ابن كثير (4) ، ويؤول النحاة كعادتهم أن تشديد نون مثنى اسمي الاشارة والاسمين الموصولين هو عوض عن الألف المحذوفة في ((ذا)) و ((تا)) ، والياء المحذوفة من آخر ((الذي)) و ((التي)) أثناء تثنيته (5) ،وكأن التراكيب اللسانية أواللغة الانسانية بشكل عام صناعة ((تفعرلك)) قبل النطق بها في كل حال .

---

1) سورة النساء آية : 16

2) سورة فصلت آية : 29

3) سورة القصص آية : 32

4) التيسير في القراءات السبع ص : 65

5) انظر شرح ابن عقيل : 1/ 141

وبعيدا عن كل تعسف من التأويل ، فان تشديد النون ما مضى ظاهرة لهجية لتميم وقيس (1) ، ولقد ذهب الكوفيون الى تشديد النون على طبيعة العلويين والتميميين ،ولا عجب في هذا ، فالقبيلتان كانتا تقطنان مجاورتين ،وهما متأثرتان ببعضهما بعضا في أكثر ما يستتون لهجي واحد ، وما كان يرويه سماع اللغة الكوفيون من احداهما قد يكون بمثابة ما كانوا يروونه من الأخرى في بعض المسائل اللغوية ،زيادة على مناسبة هذا مذهبهم القائم على الشوارد والنوادر الى جانب الكثرة خلافا للبصريين الذين لا يقيلون القياس الا على ما اطرد ، غير أن اللهجة أو اللغة واقع لساني اجتماعي لا يرده القياس البصري ولا يعلي من شأنه القياس الكوفي ،لأنه واقع لساني قائم بذاته من حيث كونه نظاما محكما بعناصر تتصل بذات اللغة اتصالا ،وواقع لساني اجتماعي قائم في كل خطاب اكتسب عاداته التواصلية بهذه الصورة وتلك أو بهذه الصورة دون تلك .

وأما حذف النون من آخر مثنى الذي والتي فقد ورد في أشعار الفحول ،واستبعد استبعادا أن يكون هذا أيضا من الضرورات الشعرية ،اذ قال العديل بن الفرخ العجلي :

هما كانا الأرض اللذا لو تزعزعا تزعزع ما بين الجنوب الى الشمأل (2)

---

1) أوضح المسالك ص : 25

2) حماسة أبي تمام : 2/ ص : 738 (ط: 1/1959 ، القاهرة

وقال الأخطل :

أبني كليب : ان عمي اللذا قتلا الملوك وفككا الأغلالا (1)

وقال أيضا :

هما اللتا لو ولدت تميم

واذا كان قد ظهر لنا أن تشديد نون مثنى الاسم الموصول لغة لقيس وتميم ،فان حذف النون منهما لغة بلحارث بن كعب وبعض ربيعة (2).

وبنو الحارث بن كعب بطن من مذحج من القحطانية (3) ،ولهجة مذحج من اللهجات العربية التي وصفها الهمداني حتى نهاية القرن الثالث الهجري بالفصاحة ...

و ((الأولى)) أو ((الألى)) ، جمع العاقل المذكر ، وهي مقصورة وقد تمد ،فالقصر مثل قول العديل بن الفرخ العجلي :

ظللت أبا قي الهم اخوتي الأولى أبوهم أبي عند المزاح وفي الجد (4)

والمد مثل قول خلف بن خليفة :

الى النفر البيض الأولاء كأنهم صفائح يوم الروع أخلصها الصقل (5)

والأولى أو الأولاء في معنى الذين ،ويمكن نسبة القصر الى تميم ،والمد الى الحجاز ما دامت كل لهجة منهما تتميز باحدى ظاهرتي القصر فقط أو المد فقط (6).

---

1) الموشح ص : 308
2) أوضح المسالك ص : 58
3) نهاية الأرب ص : 48
4) حماسة أبي تمام : 2 / ص : 731
5) السابق : 4 / ص : 1768
6) راجع البحر المحيط : 1 / ص : 138

وأما الذين ، فان الأشهر فيها أنها بالياء ، غير أنها قد ترفع بالواو ، وعقيل وهذيل هما اللتان تعربان هذا الاسم رفعا بالواو ونصبا وجرا بالياء (1) ، وهؤلاء قد يكونون عاملوها معاملة اعراب جمع المذكر السالم ، وقال شاعر جاهلي مختلف في نسبه :

نحن الذون صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا (2)

الا أن أبا زيد الانصاري قال : ((قال أبو حرب بن الاعلم من بني عقيل وهو جاهلي :

نحن الذين صبحوا الصباحا يوم النخيل غارة ملحاحا
نحن قتلنا الملك الجحجاحا ولم ندع لسارح سراحا
الا ديارا أودما مفاحا نحن بنو خويلد صراحا
لا كذب اليوم ولا مزاحا (3)

وعلى الرغم من ورود هذا الاسم مرسوما بالياء ، باللغة الفشا فعة فان النسبة اللهجية ثابتة فيها لعقيل ، لأن أبا زيد نفسه يقول مرة أخرى في نفس المرجع : ((وسمعت رجلا من بني عقيل يقول : هم اللذون ، قالوا ذاك ، ولم يقبيلل اللذين)) (4) .

أما ((ذو)) فيستعملها الطائيون استعمال الموصول كاسم للعاقل وغير العاقل ولغاتهم فيها في كل التراكيب أن تكون بلفظ واحد مذكرا

---

1) شرح ابن عقيل : 1/ ص : 44 ط وقطر الندى ص : 39
2) المرجع نفسه ص
3) النوادر في اللغة ص : 47 - 48
4) المرجع نفسه ص : 88

ومؤنثا ،مفردا وثنى وجمعا،وقال شاعرهم وقد أدرك الاسلام :

فان بيت تميم ذ وسمعت به فيه تنمست وأرست عزها مضر(1)

وقال طائي آخر :

فان لم تغيروا بعض ما قد صنعتم لأنتحين للمظم ذ و أنا عارقه (2)

ومن مظاهر اعرابها قول غسان بن وعلة العربي العبادي :

فما ماكرام موسرون لقيتهم فحسبي من ذي ما عندهم ماكفانيا (3)

ومن مظاهر تذكيرها وتأنيثها قول سنان بن الفحل الطائي :

فان الماء ماء أبي وجدي وبئري ذ وحفرت وذ و طويت (4)

وقال حبيب بن أوس الطائي :

أنا ذوعرفت فان عرتك جهالة فأنا المقيم قيامة العذ ال (5)

وقال الحسن بن هانيء :

حب الندامة ذوسمعت به لم يبق فيّ لغيرها فضلا (6)

وقال الحسن بن وهب الحارثي :

أنا ذ ولم يزل يهون على الند مان ان عصمز جانب الندمان (7)

---

1) النوادر في اللغة ص : 61

2) م.س : ن.ص

3) شرح ابن عقيل : 1/ ص : 150

4) م.س. : ن.ص (هوامش)

5) الكامل : 3/ ص : 219

6) م.س :ن.ص

7) م.س : ن.ص وعلى المبرد على هذه التراكيب : ((ومن ظرفاء المحدثين اليمانية من يعمل هذا اعتمادا لا يثار لغة قومه)) (الكامل :3/ ص : 219)

1 — 6 : في الأسماء الستة :

من الشائع في اللهجات العربية الباقية المعتمدة من المجتمع اللغوي العربي بشكل عام أن الأسماء الستة تعرب بالواو رفعا ، وبالألف نصبا ، وبالياء جرا .

وفي مذهب ابن مالك أن الأسماء الستة تعرب بهذه الحروف الثلاثة (الصوائت الطويلة) نيابة عن الصوائت الثلاثة القصيرة ، ولكن ابن عقيل يخالفه ، والصحيح لديه أنها معربة بحركات مقدرة على الواو والألف والياء (1) .

ومن يذهب مذهب هذه التقديرات الخيالية هنا ، فينبغي له أن يعرب كذلك جمع المذكر السالم ، وكذا المثنى بحركات مقدرة لكون الصوائت الثلاثة تنوب عن الحركات الثلاث فيها (الالف والياء في المثنى) (والواو والياء في جمع المذكر السالم) .

ومن العرب من ينقص (أبا ، أخا ، حما) بحذف الواو والالف والياء منهن ، ويعربهن بالحركات الظاهرة على الباء والخاء والميم ، وعلى هذه اللغة ، قال العجاج :

بأبه اقتدى عدي في الكرم ومن يشابه أبه فما ظلم (2)

1) شرح ابن عقيل : 1/ 44
2) م.س.ص : 48 — 50

ومن العرب من يلزم هذه الأسماء الثلاثة (الأب ، الأخ ، الحم) الألف أبدا أي في جميع أحوال اعرابها ، ومن هذا قول ابن الأنباري في شرح قول زهير المشهور :

سئمت تكاليف الحياة ومن يعش ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

((والأب منصوب بلا على التبرئة ، ولك خبر للتبرئة ، وهذه اللغة العالية ، وهي مبنية على لغة الذين يقولون : قام أباك ، وأكرمت أباك ، ومررت بأباك ، ويقال على لغة الذين يقولون : قام أبوك ، وأكرمت أبوك ، ومررت بأبيك)) (1)

وتوجد هذه التراكيب السانتكسية متفشية في أشعارهم المبثوثة في مختلف الكتب التراثية القديمة ، ويظهر أنها تراكيب تعود الى تعابير فصيحة قديمة قدم اللهجات العربية ذاتها ، من ذلك أن أبا زيد الأنصاري قال : ((وأنشدني المفضل لرجل من بني ضبة هلك منذ أكثر من مائة سنة :

ان لسعد عندنا ديوانا يخزي فلانا وابنه فلانا
كانت عجوزا عمرت زمانا وهي ترى سيئها احسانا
أعرف منها الأنف والعينانا ومنخران أشبها ظبيانا (2)

وظبيان اسم رجل ، أراد هذا الشاعر الضبي أن يقول : منخري

---

1) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ص : 288

2) النوادر ص : 15

ظبيا ن فحذ ف المضا ف اليه ،فهذا الشا عر ألزم ((العينا نا)) الألف مع أنـه منصوب ، لأنه معطوف على ((الانف)) ، (مفعول به منصوب) لأن ((العينا نا)) هنا مثنى العين (خـا سة الرؤيـة) ،ولأنه يعدد صفات وجه هذ ه العجوز ،وكذ لك ألزم ((منخرا ن)) الالف مع أنه منصوب .

1 — 7 : المثنى :

ليس موضوع التثنية في اللهجا ت العربية القد يمة أمرا غريبا في تعدد تراكيبه السا نتكسية على خلا فـه في العربية العا مة أو المشتركة ، لـكن غرا بته تكمن في ثبوته في هذ ه اللهجا ت واختفا ئيـه من كثير من اللغا ت التي سبقت أوعا صرت هذ ه اللهجا ت سوا ء تعلق الأمر بلغا ت متصا هرة معها أو أجنبية عنها ، وما هو مؤكد أن ظا هرة التثنيـة وجدت ((في اللغا ت السا مية ،واللغة اليونا نية ، وفي السنسكريتية ، ولها آثا ر في اللغا ت الجرما نيـة ،ولكننا نستطيع أن نقرر أن التثنية ظا هرة سا مية أو قل عربية قبل كل شيء)) (1) .

وعلى الرغم من بروزها في السا ميا ت القد يمة الا أنها لم تلقت الا نتبا ه بشكل جلي الا في العربية ،فهو مثلا قد زا ل نها ئيا من اللغة السريانية ولم تبق فيها الا خمس كلما ت تحمل صيغة المثنى (2) .

---

1) فقه اللغة المقارن ص : 75

2) م.س.ص : 79

وفي لغة العرب العامة أو المشتركة أن المثنى يرفع بالألف وينصب ويجر بالياء ، الا من العرب من يجعله هو والملحق به بالألف مطلقا : رفعا ، ونصبا ، وجرا ، كقول بعض أهل اليمن :

أبي قلوص راكب تراهـــا طاروا عليهـــن فشل علاهـــا

واشدد بمتني حقب حقواها ناجيـــة وناجيـــا أبـــاهـــا (1)

وبمثل قال اللغويون تركيبين مشهورين ، أحدهما بيت شعر ، وهو:

ان أباها وأبا أباهـــا قد بلغا في المجد غايتاهـــا

حيث اختلفوا في نسبته واسمه اختلافا كثيرا ، وثانيهما قوله تعالى :

((إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ)) (2)

ولاستعراض هذه التراكيب السابقة غير المتطابقة ، نرى أنه من الفائدة للموضوع أن نورد أوجه القراءة لهذه الآية .

1) قرأ ابن كثير وحفص باسكان نون ((ان)) والباقون قرأوها بتشديدها

2) قرأ ابن كثير بتشديد النون في هذين والباقون بفتحها .

3) قرأ أبو عمرو بن العلاء : ((هذين)) بالياء ، والباقون بالألف . (3)

---

1) الشواذ في اللغة ص : 53 ، ثم أردف أبو زيد : ((القلوص مؤنثة ، وعلاها أراد عليها ، ولغة بلحارث بن كعب قلب الياء الساكنة اذا انفتح ما قبلها ألفا يقولون : أخذت الدرهمان ، واشتريت ثوبان ، والسلام علاكم ، وهذه الابيات على لغتهم ، وأما أباها فيمكن أن يكون أراد : أبوها فجاء به على لغة من قال هذا أباك في وزن هذا قفاك ...)) (السابق ص : 58)

2) سورة طه آية : 63

3) التيسير في القراءات السبع ص : 151

ويتضح من هذه الأوجه الثلاثة أن :

1) من قرأ باسكان نون ((ان)) لا اشكال في قراءته ما دام أنه قد قرأها على لغة أهل التخفيف والالغاء ،وصاحبا هذه القراءة هما ابن كثير وحفص عن عاصم .

2) أبا عمرو قرأ على اللغة المشهورة ،اذ نصب بالياء ،ورفع بالألف ،باعمال ((ان)) على القاعدة المطردة المألوفة .

3) الباقين ،وهم نافع المدني (169 هـ) ،وابن عامر الشامي (128 هـ) ، وحمزة الكوفي (156 هـ) ،والكسائي (189 هـ) تلميذ السابق قرأوا ((هذان)) بالألف مع أنهم شددوا نون ((ان)) .

4) ابن كثير المكي (120 هـ) انفرد بتشديد النون في ((هذين)) على لغة قيس وتميم .

وفي الحجة لابن خالويه أن من قرأ ((هذان)) بالألف مع تشديد النون في ((ان)) ، قرأها على لغة بلحارث بن كعب خاصة ، لأن هؤلاء يجعلون التثنية بالالف في كل وجه ،ونسب البيت السبق :

ان أباها وأبا أباها قد بلغا في المجد غايتاها

الى شاعر منهم (بلحارث) لم يسمه (1) .

وفي مصدر آخر أنها لبلحارث بن كعب وخثعم ، وزيد .

---

1) راجع الحجة في القراءات السبع ص : 217 لابن خالويه (ط: 1971 دار الشرق - بيروت)

وكنانة ، ((وقبائل أخرى تستعمل المثنى بالالف مطلقا)) (1) ، ونسبها الكسائي الى بني الحارث بن كعب ، وخثعم ، وزبيد ، وهمدان ، بينما عزاها البعض الآخر لبني العنبر ، وعذرة ، ومراد (2) ، كما نسبت أيضا الى بني الهجيم ، وبطون من ربيعة وبكر بن وائل (3) .

ومما يراه البعض الآخر أن ((ان)) في صدر الآية المختلف في قراءتها كاختلاف البنيات السانتكسية اللهجية نفسها في المثنى تعني معنى ((نعم)) أو أجل (4) ، وهذه التأويل لا حظ لها ، في نظرنا ، أمام التفشي الواسع لهذه البنية والتي تتكلم بها لهجات عربية واسعة (5) .

وقد تفتح نون المثنى أيضا في بعض اللهجات العربية الأخرى ، كقول حميد بن ثور الهلالي :

على أحوذيين استقلت عشية فما هي الا لمحة وتغيب (6) ،

وفي هذا يقول الأستاذ عبد العزيز الميمني : ((وقد استشهد النحاة بهذا البيت على فتح نون المثنى والقياس كسرها ، والفتح هنا ليس ضرورة شعرية ، فان وزن البيت يستقيم مع الكسر ، وانما الفتح لغة بني أسد نقلها الفراء عنهم ، كما جاء الضم في بعض اللغات)) (7) .

---

1) شذور الذهب ص : 47
2) الحجة في القراءات السبع ص : 217 هـ : 4 لابن خالويه
3) البحر المحيط : 6 / ص : 255
4) انظر هذه التفاصيل في : ظاهرة الاعراب في النحو العربي ص : 123 - 127
5) انظر هذا الموضوع في : العربية بين الطبع والتطبيع ص : 88 - 93
6) ديوان حميد بن ثور الهلالي ص : 55
7) م.س.ص : 55 (هامش) .

1 ـ 8 ؛ جمع المذكر السالم :

جمع المذكر السالم من التراكيب السا نتكسية المختلفة التي ظلت تغذي الخطاب العربي القديم بنا هليا واسلاميا ،وبنيتها الاعرابية فيها ليس على نحو ما هو شائع في العربية المشتركة ،والتي تتجلى بوضوح في اعرابه رفعا بالواو والنون ونصبا وجرا بالياء والنون ،بل باظهار الحركات القصيرة على النون وعدم حذف هذه النون حتى في حالة الاضافة .

بعض العرب يقصور في الرفع ؛ هذه سنينك ، ومرت سنينك (1) ومررت بسنينن ، ذاكرين لنا أن هذا الباب مقصور عندهم على السماع . ومن هذه التراكيب التي وردت فيه ((السنون)) مضافة دون حذف نون الجمع فيها قول قطيب بن سنان الهجيمي ؛

أحين صفحت ثم صفحت عنكم علانية وأفلح ستشيحري

سنينني كلها فأشبت حربا أعد مع الصلادمة الذكور (2) .

وقال الصمة بن عبد الله ؛

ذراني من نجد فان سنينه لعبن بنا شيبا ،وشيبننا مردا (3)

---

1) مجالس ثعلب ق ؛ 1 /ص ؛ 265 (دار المعارف ـ مصر)
2) النوادر في اللغة ص ؛ 162
3) مجالس ثعلب ق ؛ 1 / ص ؛ 147

بينما قال جرير :

أرى مر السنين أخذن مني كما أخذ السرار من الهلال (1)

وقال آخر :

ألم نسق الحجيج - سلي معدا - سنينا ساتحد لنا حسابا

وقال سحيم بن وثيل الرياحي في كسرنون جمع المذكر السالم في الاضافة:

وماذا يبغي الشعراء منحي وقد جاوزت رأس الأربعين ؟ (2)

وقال ذوالاصبع العدواني :

اني أبي ّ أبي ّ ذو محافظة وابن أبي أبي ّ من أبيين

وقال جريرايضا :

عرفنا جعفرا وبني أبيه وأنكرنا زعانف آخرين

ولخص هذا النوع من التراكيب اللهجية أن ((اللغة الفصحى ، وهي لغة الحجاز ، وعليها قيس من مضر ، قولهم : (السنون) رفعا ، و (السنين) في النصب والجر ، وشذ بنو تميم من مضر وبنو عامر من قيس عيلان عن هذه القاعدة فأعربوا : (السنين) بالضمة والفتحة والكسرة ، ونو ّنها بنو عامر)) (3).

ولا يمكن فهم النمر السابق الذي اقتصر على ذكر (السنين) الا كمثال على بقية ما تعامل به بعض اللهجات العربية جمع المذكر السالم بشكل عام.

1) شرح ابن عقيل : 1/ ص : 64

2) مجالس ثعلب ص : 1 / ص : 175

3) دراسة اللهجات العربية القديمة ص : 35

1 ـ ن : في الممنوع من الصرف :

سبق أن أشرنا حين تحدثنا عن الهناء والمعرب الى أن ما كان على وزن فعال (من العلم) مختوما بالراء ، فان الحجازيين لا خلاف بينهم في بنائه على الكسر ، وذهب في هذا معهم التميميون أيضا ، غير أن الحجازيين يبنون كل ما كان على هذا الوزن سواء كان مختوما بالراء أم بغيرها من الحروف على خلاف التميميين الذين يعاملون ما كان مختوما بغير الراء معاملة الممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث أو للعلمية للعدل .

وخلاصة هذه المسائل كما يلي :

1ـ ه : 1 : علم المؤنث على وزن فعال :

للعرب في هذا الاسم لهجتان :

1) بنو تميم يعربونه اعرابا لا ينصرف للعلمية والعدل ، فيقولون : (هذه قطام قد جاءت) ، (برفع قطام على أنها خبر) (1) .

2) أما أهل الحجاز فيقولون : (هذه قطام قد جاءت) بالكسر في قطام (2) ، وعلى لغتهم جاء التركيب المشهور :

اذا قالت حذام فصدقوها فان القول ما قالت حذام (3)

---

1) ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 76 لأبي اسحاق الزجاج (ط : 1971 مطابع الأهرام التجارية ـ القاهرة)

2) م.س.ص : 75

3) ينسب البيت لأكثر من شاعر جاهلي ، والبيت موجود في مختلف المصادر ومنها : الكامل : 2/ 1971 ، ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 75 .

3) اذا كان آخر الاسم راء ،فان بني تميم وأهل الحجاز كما أشير مجمعون على كسره (1) ،وهذا ما قطع به الزجاج خلافا لما نعرف عنهم ، اذ بنوتميم في هذه الحالة أن الأكثر منهم يعربه ما كان آخره راء فيبنيه على الكسر عملا بلغة أهل الحجاز، وأما الباقي منهم فقد يعربه اعراب ما لا ينصرف ،كما في بيت الأعشى :

ومر د طرعلى وبار فهلكت جهرة وبار (2)

حيث منع ((بار)) الموجودة في العروض من الصرف .

1 - ب - 2 : أمس :

1) يبنيه أهل الحجاز على الكسر

2) بنوتميم يمنعون صرفه مطلقا ، وهوفي نظرهم معدول عن الأمس

3) جمهور بني تميم يخصون أمس في حالة الرفع كقول الشاعر :

اعتصم بالرجاء ان عن باس وتناس الذي تضمن أمس (3)

بينما ذكر ابن هشام أن هذا الجمهور يعربه إعراب ما لا ينصرف في حالة الرفع خاصة ، ويبنيه في حالتي الجر والنصب (4) .

4) ذكر الزجاجي أن من العرب من يبنيه على الفتح ،الا أن ابن مالك ينكر أن يكون بناؤه على الفتح لغة (5) ،وأن اذا نكر أو كسر أو صغر أو

---

1) ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 78
2) م.س.ص : 77
3) أوضح المسالك ص : 207
4) شذور الذهب ص : 100
5) التسهيل : 85
6) م.س.ص : 85

أضيف أو عرف بالالف واللام فيعرب بها جماع سائر اللهجات الفصحى (1)

1 ـ 9 ـ 3 : الصفة وزيادة الالف والنون :

المشهور في لهجات الجمهور أن فعلان تمنع من الصرف للصفة وزيادة الالف والنون ، على أن مؤنثها فعلى ، ولا يقال : فعلانة. اما اذا كان مؤنثها موجودا على فعلانة فان فعلان تصرف عندئذ مثل : رجل سيفان (طويل) ، لأن مؤنثها سيفانة أي فعلانة .

لكن بني أسد كانوا يصرفون فعلان وما ناظره استغناء فيه بفعلانة عن فعلى (2) ، ومن نحو هذا التركيب يظهر أن كل ما كان مؤنثه فعلانة قد يرجع الى اللهجة الاسدية ، وقد يكون بنو أسد نحوا هذا النحو هربا من منع فعلان في المذكر من الصرف .

1 ـ 9 ـ 4 : صيغة منتهى الجموع :

لعل خير من يمثل ابراز هذه التاكيد على حقيقتها القراءات القرآنية ، فقد اختلف القراء في قراءة قوله تعالى :

((إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً وَسَعِيراً)) (3) .

اذ قرأ نافع والكسائي وأبوبكر وهشام ((سلاسلا)) بالتنوين ، وقرأ الباقون بغير تنوين .(4)

كذلك اختلفوا في قراءة قوله تعالى :

---

1) التسهيل ص : 95
2) م.س.ص : 218
3) سورة الانسان آية : 4
4) التيسير ص : 217

((وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ)) (1)

حيث قرأ نافع والكسائي وأبوبكر بالتنوين في قوله ((قواريرا قواريرا)) في حين أن ابن كثير قرأ الأولى منهما منونة والثانية منهما بدون تنوين فيهما (2).

والملاحظ على هذه القراءات المتعددة المستويات لهذه الصيغة أن الكسائي كان مولى لبني أسد (3) وكذا أبا بكر (شعبة بن عياش) كان مولى لهم (4) ،وأما هشام فهوشامي من مدرسة ابن عامر ،وعليه فالأولان كوفيان ، وكلاهما كان مولى لبني أسد ،والكسائي يعد واحدا ممن جمع اللغة عنهم ،مما يدل على أن اللهجة الأسدية كانت على رؤوس اللهجات العربية التي تصرف صيغتي (مفاعل ومفاعيل) .

وأما نافع المدني فقرأ الآيتين على اللهجة الأسدية ،وشله ابن كثير في تنوين ((قواريرا)) الأولى .

ويذهب البعض مذهبا تأويليا تعسفيا غير مقبول عندنا البتة على الاقل من الوجهة الوصفية والوقائع اللسانية التواصلية العادية الموروثة سماعا عن أقوام بأعيانهم ،اذ يذهب هؤلاء الى أن قراءة بعض القراء الذين صرفوا فيهما وفي غيرهما يراد بها التناسب (5) .

---

1) سورة الانسان آيتا : 15 و 16
2) التيسير ص : 217
3) م.س.ص : 7
4) م.س.ص : 6
5) انظر مثلا : شرح ابن عقيل 2/ 338 وأوضح المسالك ص : 208

1 - ب - 5 : العلم في اللسان الأعجمي الزائد على ثلاثة أحرف :

على الرغم من أن صرف ما لا ينصرف ظاهرة شائعة في جميع اللهجات الفصحى ، الا أن الأشهر بها بنو أسد ، حتى ان صاحب الاتحاف يذكر أن لهجة بني أسد الصرف مطلقا (1) ، ومن هنا نجد اختلافا بين تميم من الحجازيين في صرف بعض ما ذهب الحجازيون الى بنائه لتناسب التميمين في الجوار والبداوة مع بني أسد وسط الجزيرة العربية ، وليس هذا التأثر مقصورا على هذا المظهر اللهجي وحده بل هو موجود في تراكيب أخرى شتى .

ومن قرأ على اللهجة الأسدية الأعمش في قوله تعالى :

((وَلاَ يَغُوثَاً وَيَعُوقَاً)) (2)

بتنوين كلا العلمين (3) ، ونحن نعلم أن الأعمش ممن أخذ عنه أساتذة حمزة بن حبيب ، وهذا الأخير كان أستاذا للكسائي في القراءة .

ء 1 - 10 : في الضمائر :

1 - 10 - 1 : ياء الاضافة

مما قاله سيبويه في باب اضافة المنقوص الى الياء التي هي علامة المجرور المضمر : ((اعلم أن الياء لا تغير الألف ، وتحركها بالفتحة لمثلا يلتقي

---

1) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ص : 82
2) سورة نوح آية : 23
3) أوضح المسالك ص : 205

ساكنان . وذلك قولك : بشراي ،وهداي ،وأشاي .

ونا س من العرب يقولون : بشريّ وهديّ ،لأن الألف خفية ، والياء خفية ،فكأنهم تكلموا بواحدة فأرادوا التبيان ،كما أن بعض العرب يقول : أفعي لخفاء الألف في الوقف ،فاذا وصل لم يفعل . ومنهم من يقول : أفعي في الوقف والوصل ،فيجعلها ياء ثابتة)) (1)

ولو أحب سيبويه أن يعزوها لما تعذر عليه أن يقول ،: ان هذه الظاهرة اللهجية لهجة هذلية (2) خاصة وان الأصمعي الذي لبث السنين بين الهذليين رواها أيضا (3) ، وقال شاعرهم الكبير أبو ذؤيب مدغما هذه الياء المضافة في الاسم المقصور :

سبقوا هويّ وأعنقوا لهواهم فتخرموا ولكل جنب مصرع (4)

هذا ،وقد تفاوتت القراءة في قراءة قوله تعالى :

((إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)) (5)

حيث سكن نافع ياء ((محياي)) بعد الألف (6) ،حتى وان جاء اسكانها نادرا (7) ،وقد تكسر الياء بعد الألف في بعض اللهجات

---

1) الكتاب :3/ ص : 413 - 414

2) شرح ابن عقيل :2 / ص : 314 ،والتسهيل لابن مالك ص : 46 ...

3) المفضليات ص : 854 المفضل الضبي (مطبعة المدني - القاهرة)

4) ديوان الهذليين :1 / ص : 2 (ط: 1965 الدار القومية القاهرة)

5) سورة الأنعام آية : 162

6) التيسير ص : 105 - 106

7) أوضح المسالك ص : 142

كـقراءة الأعمش والحسن : ((قَالَ : هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا)) (1) بكسر الياء في عصاي (2) ،واختلفوا أيضا في قوله جل ثناؤه : ((مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ ،وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ)) (3).

اذ قرأ حمزة بكسر الياء في جمع المذكر السالم ((بمصرخي)) ،وهذه اللغة حكاها الفراء وقطرب وأجازها أبوعمرو ،وأما اليافون فقرأوها بفتح الياء (4).

أما كسر الياء في الاسم المقصور ،وفي الياء المضاف اليها جمع المذكر السالم ،كقراءة الأعمش والحسن وكذا حمزة فلغة مطردة في بني يربوع (5) ،وهم بطن من حنظلة من تميم (6) ، ومن المرجح جدا أن كلا من الفراء وقطرب قد نقل هذه اللهجة عن بني يربوع ،ثم ان أبا عمرو لم يجزها الا لتأكده من فصاحتها.

1 - 10 - 2 : ضمائر متفرقة :

أ- ((أنا)) : تفاوت القراء في حذف الألف من هذا الضمير في حالة الوصل في كل القرآن الا أبا جعفر ونافعا قرآ باثبات الألف في الوصل اذا لقيتها همزة في جميع القرآن ،الا في قوله تعالى :

((إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ)) (7).

1) سورة طه آية : 18
2) أوضح المسالك ص : 142
3) سورة ابراهيم آية : 22
4) التيسير ص : 134
5) أوضح المسالك ص : 142
6) نهاية الأرب ص : 150
7) سورة الشعراء آية : 115

فانهما يطرحانهما ،ولم يختلف القراء في اثباتها في حالة الوقف (1).

ومما لا شك فيه أن التراكيب الواردة متباينة في هذا الضمير محالة الى لهجات فصيحة منسوبة لأقوام بأعيانهم ،حتى ان الأشموني صرح أن في هذا الضمير خمس لهجات ، فصاحها اثبات الألف فيه وقفا ، وحذفها وصلا ، أما اثباتها وصلا ووقفا فهي لهجة تميمية (2) ، وفي مصدر آخر ((أنا محذوف الألف في وصل عند غير بني تميم)) (3) .

والعالمان أعلاه كلاهما متفق مع على أن هذه اللهجة لبني تميم .

وفي بعض المباحث الحديثة أن الحجازيين ينطقون بألف (أنا) وقفا ،ويحذفونها وصلا ،وتوافقهم تميم في الوقف ،وتخالفهم في الوصل ،فان قبيلة تميم تظهر الألف في الحالتين ،ويقلب أهل اليمن ألف (أنا) هاء ،وفي (أنا) لغات مجهولة مثل (آن ،وأن)) (4).

وبالنسبة لضمير الغائب من هو وهي ، كان أبوعمرو والكسائي يسكنان الهاء من هو وهي اذا كان قبلهما واو ولام ،وزاد الكسائي على أبي عمرو أن سكنها مع ثم في قوله تعالى :

((ثُمَّ هُوَيَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ)) (5) .

---

1) اللهجات العربيه في القراءات القرآنيه ص : 160
2) م.س.ص : 161
3) التسهيل ص : 25
4) اللهجات العربية القديمة ص : 36 - 37
5) سورة القصص آيه : 61

وقرأها معه قالون (1) .

وبينما تخبرنا المصادر المهتمة بهذا النوع من التراكيب أن تسكين الضمير المتصل (الهاء) هي لغة لبني عقيل ومعهم بنو كلاب ،فان أبا الحسن الأخفش (أي الأخفش الصغير) حكى أن تسكين الهاء في هذه الظاهرة لغة لأزد السراة كقول الشاعر :

وأشرب الماء ما بي نحوه عطش الا لأن عيونه سيل واديها (2)

حيث السكون على الهاء في ((عيونه)) . أما أبوحيان الغرناطي فقد ذكر أن تسكين الهاء لهجة لكلاب وعقيل ،وأنهم كانوا يقرأون : ((لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ)) (3) . وعلى هذا ،فان هذه التراكيب والقراءات تنسب الى كل من عقيل وبني كلاب وأزد السراة.

وبعض القبائل أو العرب يكسرون هذا الضمير المتصل اذا ما وقع بعد حرف جر كضمير غائب للمذكر المجموع ،ونعت اللغويون هذا النطق على هذا النحو بالوهم (4) .

وبشأن تسكين الواو ومن هو والهاء من هي قال بعض الشعراء :

فقلت ثم أتت ترقبه فاذا هي بعظام ودما (5)

---

1) التيسير ص : 72

2) الخصائص 1/ ص : 128

3) البحر المحيط : 2/ 499 والآية من سورة العاديات رقم : 6

4) المزهر 1 /ص : 222

5) الحجة في علل القراءات السبع 1 / ص : 100

وذكر أبو علي الفارسي أن تسكين الهاء هنا ضرورة شعرية (1)،

وقال الآخر في تسكين الواو ومن هو :

وكنا اذا ما كان يوم كريهة فقد علموا أني وهو فتيان (2)

والواقع أن تسكين الهاء من هي والواو ومن هو هي ظاهرة لهجية

لقيس وأسد (3) وليست ضرورة شعرية في شيء .

وقد تحذف الواو والياء من هذين الضميرين المتصلين كقول

الشاعر :

فبينما يشري رحله قال قائل : لمن جمل رخو الملاط نجيب (4)(*)

حيث حذف المتكلم الواو ومن هو بعد بينا ،كما حذف متكلم آخر الياء من

هي في نحو التركيب : ((زاد ه من هوا كما)) (5) .

وقد تشدد الواو ومن هو والياء من هي كما جاء على لسان

يزيد بن الياس النهشلي :

ألا هي أم هيّ قد عها فانما تمنيك مالا تستطيع غرور (6)

حيث سكن الياء من هي (الأولى) وشدد الياء من هي (الثانية)

بل نونها وكسرها ،لان الشطر الاول يجوز على نحو :

---

1) الحجة في علل القراءات السبع ص : 100

2) الضرائر ص : 177 الآلوسي (ط : 1341هـ المطبعة السلفية - القاهرة)

3) التسهيل ص : 23

4) الحجة في علل القراءات السبع ص : 100

5) م.س : ن.ص

6) النوادر في اللغة ص : 122

فعـــولن مفا عيلن فعولن مفـا علـــن

مما يدل على تشديد الياء من هي الثانية ،وأن تنوينها بالكسر رواية سليمـــة ،وقال الآخر في تشديد الواو ومن الضمير هو :

وان لساني شهدة يشتفى بها وهوّ على من صبه الله علقم (1)

وفي بعض المصادر اللغوية التي وقفت عليها أن تشديد الياء من هي بالواو من تصرفات ضربة لأهل همدان (2)،وأما حذف الـواو أحيانا من الضمير اذا وقع بعد لام ساكنة فتنسب الى بني أسد (3)

وفي ضمير الغائب المتصل في حالة اثباته أوحذفه أو اشباعه تراكيب متنوعة واسعة هي في حد ذاتها يجب أن تكوّن مبحثا مستقـلا، وفي هذا الباب يقول سيبويه : ,, واذا كانت الواو واليا ء بعد الميم التي هي علامة الاضمار كنت بالخيار : ان شئت حذفت وان شئت أثبتّ، فان حذفت أسكنت الميم .

فالاثبات : عليكمـــو ،وأنتمـــو ذاهبون ،ولديهمـــي مال)) (4)

ثم استطرد قائلا : ((لما كثر استعمالهم هذا في الكلام واجتمعت الضمتان من الواو، والكسرتان من اليا ء ،والكسرات من اليا ء ،نحو بهمي دا ء ،والواو من الضمتين والواو ونحو أبو هموذاهب ،والضمات من الواو ونحو : ((رُسُلُهُمو بِالْبَيِّنَـاتِ)) (5) حذفوا كما حذفوا من الهاء في الباب الأول)) (6).

---

1) الضرائر ص : 175 للألوسي . 2) التسهيل ص : 26
3) اللهجات العربية القديمة : 37 . 4) الكتاب : 4/ ص : 151
5) سورة الأعراف آية : 101 6) الكتاب : 4/ ص : 152

واتصال الضمير الغائب واو الغة نسبها سيبويه الى أهل الحجاز ، اذ قال : ((واهل الحجاز يقولون : مررت بهو قبل ، ولد بهو مال ، ويقولون : ((فخسفنا بهو وبداره هو الأرض)) (1) .

وأما كسر هذا الضمير المتصل في مثل : منهم ، فنسبها لقوم من ربيعة (2) ، بينما كسر ضمير المخاطب (الكاف) في نحو : بكم ، أحلامكم ، فقد عزا هذا لناس من بكر بن وائل ، واعتبر هذه التراكيب من اللغات الرديئة (3) .

وأما أبو زيد الأنصاري فقد قال : ((وقال رجل من بكر بن وائل : أخذت هذا منه يا فتى ومنهما ومنهم فكسر الاسم المضمر في الادراج والوقف ... وسمعت أعرابيا من أهل العالية يقول : هولكه ، وعليكه ، هولك وعليك ، وجعل الله البركة في داركه هذا في الوقف ، وما أكرم حسبكه في الوقف ويطرحها في الادراج)) (4) .

وتفاوت القراء في ضم الهاء من عليهم ، فقرأ حمزة وحده ((عليهم)) بضم الهاء ، وكذلك : لديهم ، واليهم ، هذه الثلاثة أحرف بالضم واسكان الميم ، وقرأ الباقيون : عليهم وأخواتها بكسر الهاء (5) ، وضم الهاء مع الميم - فيما يرون - هي اللغة والقراءة القديمة ، وهي لقريش والحجاز ومن حولهم من فصحاء اليمن (6) .

---

1) الكتاب : 4 / ص : 185
2) م.س.ص : 196
3) راجع المصدر السابق ص : 196 - 197
4) النوادر في اللغة ص : 171 . 5) الحجة للفارسي ص : 42
6) م.س.ص : 42

1 - 10 - 3 : التركيب النهجي للضمير المنفصل الدال على الغائب :

على الرغم من حد يثنا على ضمائر مختلفة في مختلف التراكيب ، الا أننا لا حظنا أن التراكيب النهجية لهذا الضمير أعلاه على المستوى السانتكسي بين العرب الفصحاء متعددة ومتنوعة بشكل جعلنا نعتقد له حيزا مستقلا لا لحصره وبيان كل تراكيبه ولكن لمحاولة تلخيص ما ورد فيه من هذه التراكيب العزيزة .

مما قرأناه في أكثر من مصدر أن ناسا كثيرين من العرب الفصحاء جعلوا هو وأخواتها فصلا بين كل معرفتين لا تستغني احداهما عن الأخرى ، وبين معرفة ونكرة اذا قاربت هذه الأخيرة المعرفة ، وذلك في باب كان وأخواتها وباب ان وفي الظن والابتداء والخبر (1) .

ومما ذكره سيبويه في هذا الباب أنه أن تكون (هو) فصلا حتى يكون ما بعدها معرفة أو ما أشبه المعرفة ، ولم تدخل عليه الالف واللام (2) ، واذا كانت بين معرفتين فيجوز رفع ونصب ما بعدها نحو : كان محمد هو القائم ، أو نحو : كنت أنت القائم ، وقرئ ((الرقيب)) في قوله تعالى :

﴿ ((فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ)) (3)

بالرفع والنصب ، وقرئ في نحو هذا بالنصب والرفع (4) .

1) الجمل ص : 153 للزجاجي
2) الكتاب : 2 / ص : 362
3) سورة المائدة آية : 117
4) الجمل ص : ص : 153 - 154 للزجاجي

ومما رواه سيبويه أن عيسى بن عمر نقل له أن ناسا كثيرا يقرأون قوله تعالى : ((وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ ،وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمُونَ)) (1) برفع ((الظالمون)) (2) ، ثم قال : بلغنا أن رؤبة كان يقول : ((أظن زيدا هو خير منك)) (3) ،وفي هذا يقول قيس بن ذريح :

تبكي على لبنى وأنت تركتها وكنت عليها بالملا أنت أقدر (4)

وتكون (هو) وأخواتها بمنزلة اسم مبتدأ ،إذا كان ما قبلها نكرة ،ويلغى كونها فصلا في هذه الحالة نحو الأمثلة التي أوردها سيبويه : ((ما أظن أحدا هو خير منك ،... وما ظننت رجلا هو أكرم منك)) (5).

ولكن أهل المدينة ينزلون (هو) ها هنا بمنزلته بين المعرفتين، ويجعلونها فصلا في مثل هذا الموضع ،حتى وإن كان أبو عمرو ،كما حكى يونس بن حبيب ، كان يرى هذا التركيب لحنا .

والذي ذكره أبو حيان الغرناطي أن الجرمي وأبا عمرو ذكرا أن لهجة بني تميم ترفع ما بعد ضمير الفصل مع جعل هذا الأخير مبتدأ (6) ،وسمعهم أبو زيد يقرأون ((تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا)) (7) بالرفع (8) ،رغم وجود (هو) بين معرفة ونكرة .

---

1) سورة الزخرف آية : 76
2) الكتاب : 2 / ص : 392 - 393
3) م.س.ص : 392
4) م.س : ن .ص 5) م.س.ص : 395 - 396
6) البحر المحيط : 8 / ص : 271 (7) سورة المزمل آية : 20
8) انظر التسهيل ص : 28 هـ: 5

الفصل الثالث : التركيب الفعلي

ان الاشكال المطروح في التركيب الاسمي بين اللهجات العربية القديمة المتخذة كمدونة لهذه الدراسة هو نفس مطروح في التركيب الفعلي ،اذ أندرس هذا التركيب على مستوى البنية الافرادية أو الوحدة الدالة أم على مستوى الجملة ؟ والذي رأيناه وفق منهجيتنا هذه أن ندرس نماذج من هذا التركيب على مستوى بنية الجملة في هذه اللهجات ،لأنه من المستحيل ،كما أشير أكثر من مرة ، أن نلم ونحيط بكل المستويات المتمثلة في التركيب الفعلي للهجات العربية القديمة ،لأننا نؤمن كل الايمان بأن هذه التراكيب ما هي الا صور للتراكيب الكائنة في هذه العربية الفصحى بشكل عام ، ولم لا نقول بأنها التراكيب عينها ؟.

ونفس التضارب الذي شعرنا به في الفصل الماضي الذي خصص للتركيب الاسمي ،والذي تناول نماذج لهجية ، نشعر به الآن في هذا الفصل ، اذ ما هي النماذج اللهجية التي نركز عليها من بين النماذج الغزيرة والعريضة ؟ ثم هل نتناول هذا التركيب من خلال ما يسمى بالعوامل بصرف النظر عن كونه فعلا مباشرا أو اسم فعل أو حرفا يعمل

عمـــل فعل معين ؟.

ا ن ما رأينا ه أكثر ارتباطا لهذا العمل في هـذ ا الفصل أن نؤجل التراكيب الحرفية والظرفية الى فـرع مستقل عن التراكيب الفعلية المباشرة ،ولا يهمنا أحوال هـذ ه العوامل الا من خلال وظائفها.

1 - تـــراكيب فعليـــة لهجيـــة مختلفـــــة :

1 - 1 : الجملة الفعلية من حيث التنا سب العدد ي :

لـــم نرد أن نتعرض الى العدد من حيث هوتركيب اسمي ، والا أتينا به مباشرة بعد حد يثنا عن التركيب في الجنس ،لأننا رأينـا أن تلك الاختلا فات أكثر اتصالا ببنية العدد على المستوى الافرا د ي منها ببنيـة هذا العدد على المستوى الجملي ،أما هنا فا ن الأمر مختلف تما ما ، لأن المسألة تتعلق بتركيب الجملة في الصميم من حيث التطا بق العدد ي مع الجملة الفعلية ،ولا سيما ما يتصل بالتطا بق بين الفعل والفا عل .

وإننا لا نريد أن نتعرض هنا أيضا لدراسة التركيب العا م في الجملة الفعلية المعروفة في العربية المشتركة ،لأن هذا موضوع سا نتكلم آخر ،لأننا ملزمون بمدونة مفروضة هي التراكيب اللهجية للقبا ئل العربية ، ولسنا مخيرين حتى في المجا ل الوصفي لا ستعراض النما ذج البنيويـــة العا مة للجملة في اللغة العربية المشتركة .

الكـــل يعلم أنّ الفعل حين يتقدم فاعله يظل ثابتـا على بنيـة واحدة سواء كان فاعله مثنى أم جمعـا ،لكن هذا التركيب العادي تسخيا لغه بعض القبائل العربية التي تلحق علامات التثنية أو الجمع حتى ولو تصدر الفعل هذه الجمل ،وهذا النوع من التراكيب جاء في القرآن والحديث والشعر وكلام العرب ،وكان موقف النحاة منه مختلفا ،ونحن غير معنيين بهذه المواقف هنا الا من حيث الالمام بطبيعة هذه التراكيب كتكلمات وخطابات .

مما ذكره سيبويه في هذا المقام أن من العرب من يقول : ((ضربوني قومك ، وضرباني أخواك ،فشبهوا هذا بالتاء التي يظهرونها في ((قالت فلانة)) وكأنهم أرادوا أن يجعلوا للجمع علامة كما جعلوا للمؤنث ،وهي قليلة)) (1) .

ومن خلال الرجوع الى اللغات السامية نجد أن الظاهرة ذاتها متفشية فيها ((وتدل مقارنة اللغات السامية ،أخوات العربية ، على أنه في تلك اللغات ،يلحق الفعل علامة التثنية والجمـــع ، للفاعل المثنى والمجموع ،كما تلحقه علامة التأنيث ،عند ما يكون الفاعل مؤنثا سواء بسواء ففي اللغة العبرية مثلا:

WAYYāmōṭūGnmṣNéhemmahlōnw-KILYON

---

1) الكتاب : 2 / ص : 40

وترجمته الحرفية : ((فما تا كلا هما محلون وكليون)) ،ومثل ذلك أيضا :
LŌYĀ KŌNŪRŠĀIN BANNIŜPĀT

وترجمته الحرفية ((لا يقومون الأشرار بالعدل)) ،ومثل ذلك في الآرامية :
DĀLNIĀ NGŪRŪRN ḤRĀNE BATTĀK

وترجمته الحرفية : ((لئلا يزنوا الآخرون بامرأتك)) ،وكذلك في الحال في الحبشية : WAHŌRŪ ʾAHZĀB

وترجمته الحرفية : ((فعادوا الشعوب)) ،ومثل ذلك أيضا :
WABZḤĀ WELŪDŌNU -

وترجمته الحرفية : ((وكثروا أطفالهم)) (1) .

من هذه التراكيب قوله تعالى :

((وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا)) (2)

وذكر سيبويه أن هذا التركيب ،كقوله تعالى السابق ،انما يجيء على البدل وكأنه قال : ((انطلقوا ،فقيل له : من ؟ فقال : بنوفلان . فقوله جل وعز ((وأسروا النجوى الذين ظلموا)) على هذا فيما زعم يونس)) (3) .

وجاء تركيب قرآني آخر على هذا النحو : ((ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ)) (4)

وتفسر كثير هنا على البدل من الواو حسب الاسناد الذي حكاه سيبويه

---

1) المدخل الى علم اللغة ص : 300 - 301 د. رمضان عبد التواب
(ط : 1985 (ط : 2) مطبعة المدني - القاهرة)
2) سورة الأنبياء آية : 3
3) الكتاب ج : 2/ ص : 41
4) سورة المائدة آية : 71

وفي بعض الأحاديث النبوية : ((يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل ، وملائكة بالنهار)) (1) ،واستطرد ابن هشام قائلا : ((وهي عند سيبويه حرف دال على الجماعة كما أن التاء في ((قالت)) حرف دال على التأنيث ،وقيل : هي اسم مرفوع على الفاعلية ،ثم قيل : ان ما بعدها بدل منها ،وقيل : مبتدأ والجملة خبر مقدم)) (2) .

ويظهر أن الخليل كان من الأوائل ،ان لم يكن الأول ، الذين سموا مثل هذه التراكيب المخالفة للقاعدة العامة بلغة ((أكلوني البراغيث)) ، لأننا نجد في الكتاب ما نصه : ((وقال الخليل رحمه الله : من قال : أكلوني البراغيث أجرى هذا على أوله فقال : مررت برجل حسنين أبواه ،ومررت بقوم قرشيين آباؤهم. وكذلك افعل نحو أعور وأحمر ، تقول : مررت برجل أعور أبواه وأحمر أبواه ،فان ثنيت قلت : مررت برجل أحمران أبواه ، تجعله اسما ،ومن قال : أكلوني البراغيث قلت على حد قوله : مررت برجل أعورين أبواه)) (3) .

واذا كان اللغويون المتقدمون قد أطلقوا على هذا النوع من التراكيب اللهجية التي لا ترد ولا تنكر لبلاغة ((أكلوني البراغيث)) ، فان بعض النحاة المتأخرين كابن مالك أصبح يطلق عليها تسمية

---

1) مغني اللبيب : 2 /ص : 365 لابن هشام (مطبعة المدني ـ القاهرة)
2) م.س.ص : 365 ـ 366
3) الكتاب : 2/ ص : 41

أخرى قريبة من الأولى ،وهي لغة ((يتعاقبون فيكم ملائكة)) ،وعلق الدكتور عبد الجواد الطيب على هذه التسمية الأخيرة قائلا : ((وهذه العبارة قد أخذت أخذا غير موفق من حديث شريف هو قول الرسول الكريم ((ان لله ملائكة يتعاقبون فيكم : ملائكة بالليل ،وملائكة بالنهار)) . فالواو في ((يتعاقبون)) لا تتجه الى لا حقة لها بل تعود على سابق عليها ... فابن مالك على غير حق فيما ذهب اليه)) ،(1) .

ومما ذكره صاحب البحر المحيط أن ابن مسعود وأصحابه قرأوا الآية الكريمة : ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)) ، (2) على نحو الآيتين السابقتين ،هكذا : ((قد أفلحوا المؤمنون)) ، ((حتى لقد روي أن طلحة بن مصرف حينما اعترض عليه عيسى بن عمر بشأن قراءته هذه قائلا له : أتلحن ؟ أجابه في ثقة واعتداد : نعم كما لحن أصحابي)) ، (3) .

ومما يجب الاشارة اليه أن القراء قرأوا الآيتين :

1) ((وأسروا النجوى الذين ظلموا)) ،

2) ((ثم عموا وصموا كثير منهم)) ،

بدون اختلاف بينهم ،مما يدل على طبيعة هذا المستوى من الخطاب

---

1) لغة هذيل ص : 373 (سبق أن أشرت أن هذا الكتاب معدوم الكل وفي الزمان)

2) سورة المؤمنون آية : 1

3) لغة هذيل ص : 373

عند بعض القبائل العربية كخطاب عربي تبناه العرب في عصرهم الجاهلي والاسلامي ،لا سيما وأن البصريين المتشددين هم من رووا هذه اللهجة عن طيء (1) ،بينما رواها غير البصريين عن أزد شنوءة (2) ، ونسبها ابن هشام الى كل من طيء وأزد شنوءة وبلحارث (3) .

ومما جاء به الشعر من تراكيب قول الشاعر :

طوبوننسي في اشتراء الخيل أهلي ،فكلهم يعذل (4)

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات :

تولى قتال المارقين بنفسه وقد أسلماه مبعد وحميم (5)

ثم قال من نفس القصيدة على نحو التركيب القرآني السابق (وأسروا النجوى الذين ظلموا) :

فان نفسن لا يبقوا أولئك بعدنا لذي حرمة في المسلمين حريم (6)

وقال شاعر جاهلي آخر هو عمرو بن ملقط :

يا أوس لو نالتك أرماحنا كنت كمن تهوي به الهاويه

ألفيتما عيناك عند القفا أولى فأولى لك ذا واقيه (7)

---

1) أوضح المسالك ص : 71
2) م.س : ن.ص
3) مغني اللبيب : 2 / ص : 365
4) م.س : ن.ص
5) ديوانه ص : 106 (ط: 1980 دار بيروت للطباعة والنشر)
6) م.س.ص : 157
7) النوادر في اللغة ص : 62

4 ـ 2 : تعـــدية الفعل الماضي :

لا شك أن تعدية الفعل الماضي بالهمزة أو بدونها يدخل في بناء الجملة الفعلية ،واللهجات العربية متضاربة فيمـــا بينـــها في هذا التركيب ((ويبدو أن اللهجة التميمية قد سلكت طريق التعدية بدون الهمزة ،وميزت نفسها عن اللهجات الأخرى في مجموعة من الأفعال ،وربما في فترة زمنية معينة ،ولكنها تعـــود الى سلوك الطريق الثاني مخالفة بقية اللهجات في مجموعة أفعال أخـــرى ،ولعلها في احدى الحالتين تعرضت لضغط لغوي قوي من مجموعة جديدة .)) (1) .

وهذه التراكيب نجدها بشكل خاص في المعاجم العربية القديمة موزعة بشكل أبين كالصباح للفيومي ، والصحاح ،واللسان ، والمزهر ،... الخ .

مما جاء في الجمهرة لابن دريد : ((أهلكه الله اهلاكا ، ويقال : هلك الله أيضا في معنى أهلكه الله ، قال الراجز العجاج : ومهمه هالك من تعرجا قاتلة اهواله من أدلجـــا)) (2) .

---

1) اللهجات العربية القديمة ص : 88

2) جمهرة اللغة : 3 / ص : 172 لابن دريد (ط : 1345 هـ حيدرآباد)

لكن أبا عبيد ذكر أن بني تميم يقولون : هلكه يهلكه هلكا ، بمعنى أهلكه (1) علما بأن العرب يفضلون ما كان متعديا بنفسه ، جاء في الصحاح : ((ومحقه الله ، أي ذهب ببركته ، وأمحقه لغة رديئة)) (2) ، حتى وان كنا لم نعرف من أين تأتي هذه الردائة الا اذا قابلنا كل صوت بما يقابله من وظيفة مورفولوجية أو فونولوجية ، وفي هذه الحالة يصبح هذا التضخم اللغوي لا فائدة من ورائه اذا كان الفعل يدل على نفس الشيء بثلاثة أصوات بدل أربعة .

والفعل ((لات)) ثلاثي في لغة الحجاز ، ورباعي في لهجة تميم ، اذ الحجازيون يقولون : لاته عن وجهه يليته ، بينما تقول تميم : ألاته عن وجهه يليته (3) . والغرب يقولون : (جزى) عني هذا الأمر ، أي قضى ، لكن تميما تتخذ موقفا معاكسا وتقول : (أجزأ) عني هذا الأمر (4) . وما جاء في الصباح ((حزن حزنا من باب تعب ، والاسم الحزن بالضم فهو حزين ، ويتعدى في لغتهم بالحركة ، ويقال : حزنني الأمر يحزنني من باب قتل ... وفي لغة تميم بالألف)) (5) .

وغالبا ما نجد القبائل البدوية تنحو نحو تميم في هذا التركيب وهي ظاهرة شائعة في معظم التراكيب التي تختلف فيها تميم مع الحجاز،

1) الصحاح : 4 / ص : 1616
2) م.س.ص : 1553
3) المزهر : 2 / ص : 276
4) الصحاح : 6 / ص : 2302
5) المصباح المنير : 1 / ص : 145 الفيومي (دار المعارف - مصر)

من ذلك أن هذيلا سلكت نفس الدرب من تميم وأهل نجد في بعض من أفعالها ،فقالت هذيل : أسلكه في (سلكه) (1) ،ولما قالت العرب : رجعك الله ، خالفتهم هذيل بقولها : أرجعك الله (2) وأشعار الهذليين لا تخلو من مثل هذه التراكيب ،من ذلك استعمال أبي خراش أفعل في مكان ((فعل)) ، أي في : أسعى بدل ((سعى)) ؛ أبلغ عليا أطال الله ذلهم أن البكير الذي أسعوا به هبل (3) . وكقوله الآخر في استعماله للفعل الرباعي ((أطاف)) مكان الفعل الثلاثي ((طاف)) :

تطيف عليه الطير وهو طحب (4)

وبالنسبة للبصريين نجدهم تارة يفضلون هذا التركيب ،ومرة يميلون الى التركيب الآخر ، اذ بينما نجدهم لا يجيزون الا ((أغلقته)) ولم يجيزوا ((غلقته)) البتة ،نراهم يذكرون ((ضب عليه)) ولم يجيزوا الا ((أضب عليه)) (5) .

وهذه التراكيب الفعلية كثيرة ،وتتبعها على مستوى لهجة قبيلة واحدة ربما يكون أكثر احاطة وفائدة ،ولكن كما صرحنا أكثر من مرة أن الهدف هو الوقوف على النماذج الممكنة لا على الاحصاء .

1) الصحاح : 4 / ص : 1581
2) المصباح المنير : 1 / ص : 235
3) راجع ديوان الهذليين : 2/ ص : 167
4) راجع مادة (طوف) في اللسان
5) راجع : جمهرة ابن دريد : 3 / ص : 439

1-3 : في النواسخ :

1-3-1 : ((ليس)) :

ذهب الكوفيون ومعهم المبرد من البصريين إلى أنه لا يجوز تقديم خبر ليس عليها ، وأما البصريون - الا المبرد - فقد ذهبوا الى أنه يجوز تقديم خبرها عليها كما جاز ذلك في (كان) (1)

وفي كتب الطبقات واللغة قصة مشهورة عتب فيها عيسى بن عمر على أبي عمرو بن العلاء حين سمعه يرفع (المسك) في الجملة المشهورة ((ليس الطيب الا المسك)) ، فأجاب أبو عمرو : ((نعمت يا أبا عمر ، وأبى الناس. ليس في الأرض حجازي الا وهو ينصب ، وليس في الأرض تميمي الا وهو يرفع)) (2) .

ومن النص أعلاه يتبين لنا جلاء أن أهل الحجاز ينصبون خبر ليس أو المسند حتى ولو كان محصورا بأداة حصر (الا) ، وواضح أن بني تميم يرفعون أي لا يغيرون المسند اليه والمسند .

1-3-2: ((ما)) العاملة عمل ((ليس)) :

هذا العامل يجري مجرى ليس في بعض المواضع بلغة أهل الحجاز

---

1) الانصاف في مسائل الخلاف : 1 / ص : 160

2) راجع القصة في : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص : 43
وكذلك : ذيل الأمالي والنوادر ص : 38 وغيرهما من المصادر .

ثم لا يلبث أن يصير الى أصله ،وهو عدم اجراء مجراها على لغة تميم ، وفي هذا يقول سيبويه : ((واما بنو تميم فيجرونها مجرى أما وهل ، أي لا يعملونها في شيء ،وهو القياس ، لأنه ليس بفعل ،وليس ما كليس ،ولا يكون فيها اضمار .

وأما أهل الحجاز فيشبهونها بليس اذ كان معناها كمعناها ، كما شبهوا بها لات في بعض المواضع)) (1) .

وذكر سيبويه أن بني تميم يرفعون قوله تعالى :

((مَا هَذَا بَشَرًا)) (2)

الا من درى منهم كيف هي مرسومة في المصحف (3) ،ولكنهم لا يختلفون في قراءة قوله تعالى الآخر :

((مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا)) (4)

لأن اللغتين في مثل هذا التركيب تستويان ((وتقول :ما زيد الا منطلق ، تستوي فيه اللغتان)) (5) .

ويروى للفرزدق أنه قال :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم اذ هم قريش ،واذ ما مثلهم بشر (6)

---

1) الكتاب :1 / ص : 57
2) سورة يوسف آية : 31
3) الكتاب :1 / ص : 58
4) سورة يس آية : 15
5) الكتاب :1 / ص : 58
6) الكتاب : 1 / ص : 60

حيث نصب الشاعر (مثلهم) على أنه خبر مقدم لـ (ما) ، بينما علق سيبويه : ((وهذا لا يكاد يعرف)) (1) ، وقد يكون سيبويه استغرب هذا التركيب لا من حيث كونه تركيبا ، لأنه قال : ((لا يكاد)) ولكنه استغرب غير ذلك أن الفرزدق تسمي من لغة رفع خبر ((ما)) ، والخبر مؤخر ، فكيف ينصبه وهو مقدم ؟ لكننا كنا قد التزمنا أن ننظر الى الشعراء على أساس أنهم متكلمون ، وهذا ما نراه وندركه هنا ، اذ من يدري أن الفرزدق كان يعرف لغة ثالثة لا هي من لغة قومه ولا من لغة أهل الحجاز ، فتكلم بها ، وربما رفع الفرزدق ولم يأبه حتى لا يقع في اقواء ، وهو كثيرا ما أتعب اللغويين في مثل هذه التراكيب اللغوية التي كانت تستوعبها الطبقات العربية القحة المتكلمة من جهة ، وتتحطمها الطاقة اللسانية للغة العربية من جهة ثانية ، ونجد هذه المتاعب برزت بين الشاعر وبين اللغويين منذ بروز القياس والتحليل والتفلسف النحوي .

ولم يوظف اعمال ((ما)) في القرآن توظيفا صريحا الا في ثلاثة مواضع منه (2) ، وهذه التراكيب القرآنية هي :

أ- ((فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ)) (3)
ب- ((مَا هَذَا بَشَرًا)) (4)

---

1) الكتاب : 1 / ص : 60
2) شذور الذهب ص : 103 - 104
3) سورة الحاقة آية : 47
4) سورة يوسف آية : 31

ج - ((مـا هن أمهـاتهـم)) (1) .

وأمـا القراء السبعـة فلم يختلفوا في قراءة الآيـات الثلاث السابقة الذكر ،بيد أن ابن مسعود قرأ ((شرا)) بالرفـع - فيما يبدو - على لهجة تميم (2) ، وقرأ البعض الآخر غير السبعة (ما هن أمهاتهم) بالرفع في (أمهاتهم) (3) .

1-3-3 : ((ان)) و ((لا)) العاملتان عمل (ليس) :

ان توظيف (لا) مثل (ليس) قليل في اللهجات العربيه القديمة ،ويشترط أن يكون معمولا ها نكرتين ،والأغلب في تراكيبها أن يكون خبرها محذوفا (4) ،أما الحجاز فتوظفها توظيف (ليس)كما وظفت (ما) ،بينما توظفها تميم مطلقـا (5) ،وفي رواية أخرى أن أهل الحجاز يعملونها دون طـي ء (6) .

وقال سيبويه : ((وان جعلتها بمنزلة ليس كانت حالها كحال لا ، في أنها في موضع ابتداء ،وأنها لا تعمل في معرفة ،فمن ذلك قول سعد ابن مالك :

مـن صـد عن نيرانها فأنا ابن قيـس لا بـــراح (7)

---

1) سـورة المجادلة آيـة : 2
2) البحر المحيط : 5/ ص : 304
3) شذور الذهب ص : 196
4) أوضح المسالك ص : 46
5) شرح ابن عقيـل : 1/ ص : 312-313
6) م .س. ص : 278 ، 7) الكتـــاب : 2/ ص : 296

وكان قد قال قبل هذا في نفس التركيب :: ((جعلها بمنزلة ليس ،فهي بمنزلة لات في هذا الموضع في الرفع)) (1) وربما استعملها بعضهم حتى ولوكان بعدها معرفة ،كقول النابغة الذبياني :

وحلت سواد القلب ، لا أنا باغيا سواها ،ولا عن حبها متراخيا (2)

وهذا النوع من التراكيب استعمله الشعراء استعمالات شتى ،لكنه لايكاد يخرج عن القاعدة العامة ،فاذا لم يكن معمولاها نكرتين ،فانها غالبا ما تأتي مكررة في التركيب على أن يكون ما بعدها مسندا اليه ومسندا كقول النابغة الذبياني :

أبى الله الا عدله ووفاءه فلا النكر معروف ولا العرف ضائع (3)

أوكقوله الآخر :

فلا العبد بالعبد الذي ليس معتها ولا أنت بالرب الأبد المصمم (4)

وأما ((ان)) فقد اختلف النحاة في اعمال هذا الحرف عمل (ليس) أواهماله ،ولهذا السبب اعتبرناه من التركيب الفعلي ،لأن العبرة بالدلالة أيضا وليس بالأشكال الصورية أوالرياضية للقواعد ،

---

1) الكتاب : 1 / 58

2) انظر شرح ابن عقيل : 1 /ص : 315 ،وهذا البيت ليس موجودا في الديوان الذي بين يدي ،وهومن صنع الامام اللغوي ابن السكيت .

3) ديوان النابغة الذبياني : ص :53 (مطبعة دار الفكر - بيروت)

4) م.س.ص : 195

وبالنسبة للبصريين فان الاكثر منهم أنها لا تعمل شيئا ،لكن الكوفيين - ما عدا الفراء - أنها تعمل عمل ليس (1) ،بينما البعض الآخر بأن توظيفها توظيف ليس شيء نادر (2) .

ومما ذكره سيبويه قوله : ((وأما ان فتكون للمجازاة وتكون أيضا بمنزلة ما بعدها في معنى اليمين .)) (3) ،وهذا بالنسبة لـ ((انْ)) المخففة ،كقوله تعالى :

((إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)) (4)

وحين تكون في معنى النفي مثل ليس ،قال : ((وتكون في معنى ما ، قال الله عزوجل : ((ان الكافرون الا في غرور)) (5) ،أي : ما الكافرون الا في غرور)) (5) .

وذكر ابن جني في بعض المواضع أن سعيد بن جبير قرأ :

((ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم)) (6)

ويروون لشاعر أنه قال :

ان المرء ميتا بانقضاء حياته ولكن بأن يبغى عليه فيخذلا (7)

---

1) شرح ابن عقيل : 1/ ص : 317
2) أوضح المسالك ص : 46
3) الكتاب :3 / ص : 152
4) سورة الطارق آية : 4
5) الكتاب :3 / ص : 152
6) أوضح المسالك ص : 46
7) شرح ابن عقيل : 1/ص : 318

وقد ينسب اعمال هذا الحرف الى أهل العالية قاطبة ، لأنه يروى عنهم أنهم يقولون : ((ان أجد خيرا من أحد الا بالعافية)) (1) ،وكما نعلم أن أهل العالية يحتلون مواقع جغرافية شاسعة من قلب الجزيرة العربية ،على الرغم من أن هذه اللهجة جاء ورودها قليلا في آثارهم .

1 ـ3 ـ 4 : عسى :

قال صاحب الأفعال في القرآن الكريم : ((عسى طمع وترج ، وهو من الأفعال الجامدة ، فقد وقع ماضيا وأتيت ما سواه من وجوه فعله ،وهو من أفعال الشروح الناسخة ،يرفع الاسم وينصب الخبر ،وخبره مضارع منصوب بأن ،ويجوز تجرده منها ،ويجيء تاما كذلك ،ولا يختص حذف ((أن)) من المضارع في الشعر خلافا لمن ذهب الى ذلك)) (2) .

ومما ذكره سيبويه أنه يمكن أن يقال : عسى أن يفعل ،وعسى أن يفعلا ،وعسى أن يفعلوا ، وأن (عسى) محمولة عليها (أن) كما يقال : دنا أن يفعلوا أو اخلولقت السماء أن تنهمر أو تمطر ،وكل هذه التراكيب ونحوها تكلم بها عامة العرب ،وهي تكون للواحد والجمع والمؤنث (3)

---

1) أوضح المسالك ص : 46

2) الأفعال في القرآن الكريم : 2/ص: 924 ـ 930 د . عبدالحميد مصطفى السيد (ط : 1986 دار البيان العربي ـ جدة)

3) انظر الكتاب : 3 /ص : 158

ثم أردف قائلا : ((ومن العرب من يقول : عسى وعسيا وعسوا ، وعست ، وعستا ، وعسين ... واعلم أنهم لم يستعطوا عسى فعلله ، استغنوا بأن تفعل عن ذلك ، كما استغنى أكثر العرب بعسى عن أن يقولوا : عسيا وعسوا ... واعلم أن من العرب من يقول : عسى يفعل ، يشبهها بكاد يفعل ، فيفعل حينئذ في موضع الاسم المنصوب في قوله : ((عسى الغوير أبؤسا)) ، فهذا مثل من أمثال العرب أجروا فيه عسى مجرى كان)) (1) .

ومن التراكيب التي جاءت فيها (عسى) مجردة من أن بعدها قول هدبة :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب (2)

حيث خبر (عسى) جملة اسمية ، وقال الأخفش جاء خبرها جملة فعلية ومجردا إياها من (أن) أيضا :

عسى الله يغني من بلاد ابن قادر بمنهمر جون الرباب سكوب (3)

وقد يتصل بها الكاف ، وتكون لسند سيبويه في هذه الحالة منصوبة (الكاف) ، كما يقولون : عساني (4) .

---

1) الكتاب : 3/ص : 158

2) م.س.ص : 159

3) م.س : ن .ص

4) الكتاب : 2 / ص : 374 - 375

واختلفت اللهجات العربية كذلك في نطقه ،اذ قرأ بعضها في قوله تعالى :

((فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ)) (1)

((قَالَ : هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا)) (2)

بكسر السين فيهما ، وقرأ الستة الباقون بفتحها (3) ،حتى وان قال ابن عقيل : الفتح أشهر (4) ،غير أن شهرة الفتح فيها بين العرب لا تمنع من أن يكون الكسر فيها لهجة مؤكدة ،والا فكيف قرأ أحد القراء السبعة معين تعد قراءته متواترة بالكسر في كلا الفعلين في الآيتين السابقتين ؟.

وجملة ((الغائب عسى أن يعود)) أين في (عسى) ضميرا يعود على الاسم الذي تقدمها ،وجملة (أن يعود) في محل نصب بعسى ،وهذه اللغة منسوبة لبني تميم الذين يقدرون الضمير في هذه الحالة ،بينما لا يقدر الحجازيون ذلك ،وعلى هذا فاللهجة التميمية تصرف الفعل باسناد الفعل (عسى) الى ما يناسبه ،بينما تصرفه الحجاز على حالة واحدة (محمد عسى أن يعود ، محمدان عسى أن يعودا ،زينب عسى أن تعود ، زينبان عسى أن تعودا ،...الخ) .

---

1) سورة محمد آية : 22
2) سورة البقرة آية : 246
3) التيسير ص : 81
4) شرح ابن عقيل : 1 / ص : 344

1 ـ 3 ـ 5 : نـــواســخ متفرقـــة :

من هذه النواسخ (ما زال) و (مابرح) وهما لنسبة للفعل ما زال تسقط (ما) في بعض اللهجات العربية لتستعمل في تراكيب مختلفة بدونها (1) ويذكر في الصحاح أن فيها لغة مجهولة قديمة هي : ((ما زيل)) (2) .

وفي هذه التراكيب أو حولها يقول الدكتور عبد الجواد الطيب : ((ولعل من هذا أيضا ما نراه من استعمال : مابرح ، وما زال ، وما انفك (في مضارعها وماضيها) مجردة من النفي السابق عليها ، فقد عد اللغويون ذلك لهجة لهذيل ، وذلك مثل قول الشاعر :

فزلتم تهربون ولوكرهتم تسوقون الخزائم بالنقـــاب

وقول أبي خراش :

وأبرح ما أدمرتم وطكتم يد الدهر ما لم تقتلوا بقتيل

وقول لبيد بن خويلد :

اذا أتسموا أقسمت أنفك منهم ولا منهما حتى نفك السلاسلا

فهذه ظاهرة ماثلة في الشعر الهذلي ، وان كانت غير مقصورة على شعراء هذيل ، فهي في شعرهم وشعر من عداهم كامرئ القيس وغيره)) (3)

---

1) اللهجات العربية القديمة ص : 43
2) الصحاح : 1 / 529 (مادة : كود)
3) لغة هذيل ص : 368

1 ـ 4 : في أسماء الأفعال :

لقد اختلفت التراكيب اللهجية في أسماء الأفعال هذه سواء دلت على الماضي أم الحاضر أم المستقبل ، ولا نقول ان هذه التراكيب لا ترقى الى الفصاحة باعتبار أنها تكلمات شعبية ، لأن هذه التراكيب منها ما ورد في القرآن الكريم ، ومنها ما جاء على ألسنة الفصحاء من العرب .

1 ـ 4 ـ 1 : هلم :

ورد اختلاف التراكيب اللهجية في اسم هذا الفعل بين تميم والحجاز ، وهذا الحرف ورد مرتين في القرآن الكريم ، وقد سيبويه حيزا كبيرا الأسماء الأفعال وتراكيبها المختلفة ، في أكثر من موضع في كتابه ، اذ قال فيها : ((واعلم أن هذه الحروف التي هي أسماء للفعل لا تظهر فيها علامة المضمر ، وذلك أنها أسماء ، وليست على الأمثلة التي أخذت من الفعل الحادث فيما مضى وفيما يستقبل وفي يحصله ... وأجريت مجرى ما فيه الألف واللام ... ولم تصرف تصرف المصادر ، لأنها ليست بمصادر ...)) (1) .

---

1) الكتاب : 1 / ص : 242 ـ 243

وفي اتصال الكاف أو ((لك)) بأسماء الأفعال هذه ، حسب طبيعة كل واحد منها ،يقول : ((ونظير الكاف في رويد في المعنى لا في اللفظ ((لك)) التي تجيء بعد هلم ،في قولك : هلم لك ،فالكاف ههنا اسم مجرور باللام ، ... كأنه قال : هلم ،ثم قال : أرادتي بهذا لك ... وان شئت قلت : هلم لي ،بمنزلة هيات لي ،وهلم ذاك ،بمنزلة أبن ذاك ضيك)) (1) .

وحسب ما يراه سيبويه أن اسم الفعل هلم اذا لحقتها ((لك)) يكون لنا اختياران في تركيب أو عطف ما بعدها (لك) :

1) أن نحمل ما بعد (لك) على الكاف المجرورة ،فنقول : هلم لكم أجمعين وهلم لكم أنفسكم (بجر السين طبعا) ،وهنا لا يجوز أن نعطف الاسم على الكاف المجرورة ،بل لا يمكن العطف في كل حال مظهرا على مضمر .

2) يمكن أن نحمل الجملة المعطوفة والصفة على الضمير في النية ، فنقول : هلم لك أنت وأخوك ،وهلم لكم أجمعون ،وتكون نية القول أو القصد : تعال أنت وأخوك ،وتعالوا أنتم أجمعون . (2)

غير أن سيبويه استدرك القول ليصرح بأن ((ناسا من العرب يجعلون هلم بمنزلة الأمثلة التي أخذت من الفعل ... هلم،هلمي ،..هلموا ..)) (3)

1) الكتاب : 1/ ص : 246
2) م.س.ص : 248
3) م.س.ص : 252

وبعد مسافة من البحث طويلة لدى سيبويه يقول : ((وقول بني تميم : هلمـــن يقول ذا)) (1) ،ثم يقول في موضع آخر بصريح العبارة : ((وذلك الحروف التي للأمر والنهي وليست بفعل ،وذلك نحـو : ايـــه ،وصـــه ،ومـــه وأشباهها . وهلم في لغة أهل الحجاز كذلك . ألا تراهم جعلوها للواحد والاثنين والجمع والذكر والأنثى سواء . وزعم أنها لم ألحقتها ها التنبيه في اللغتين .

وقد تدخل الخفيفة والثقيلة (2) في هلم في لغة بني تميم لأنها عندهم بمنزلة : ردء وردا ،وردي ،واردد ن ،كما تقول : هلم وهلما ،وهلمي ،وهلمن والها فضل ، انما هي ها التي للتنبيـــه ، ولكنهم حذفوا الألف لكثرة استعمالهم هذا في كلامهم)) (3) .

وبناء على ما تقدم ، فان أهل الحجاز يجرون ((هلم)) ما سمي به الفعل ،وألزم طريقا واحدا ،وأما بنو تميم فيصرفونـــــه ويلحقون به جميع ما يلحق أي فعل يقبل التصريف ،ومما يذهب اليه البعض أن أصل هلم ها التنبيه ،و ((لم)) فعل ،وعلى هذا يثنـــى ويجمع ،وأما اذا كان اسما للفعل ،فانه لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث ،وأعين أن هذه اللغة الأخيرة ـ أي لغة الحجاز ـ أفصح من الأولى (4) .

---

1) الكتاب : 3 /ص : 332
2) أي نون التوكيد
3) الكتاب : 3/ص : 529
4) راجع حماسة البحتري تمام : 4/ص: 1646 ـ 1647 و : 3/ص: 1278

وحسب النص السابق ،فان تميما تعتقد أن (هلم) فعل لأنه مأخوذ من (لم) ،ولذلك فهي تصرفه الى كامل ضمائر الأمر الستة ، وأما الحجاز ، فانها تحسبه اسم فعل أمر جامد ،ومن أجل ذلك فهي لا تصرفه وتلزمه حالة واحدة .

وأهل الحجاز لا يختلف لفظها عندهم بحسب من هي مسندة اليه ، كقوله تعالى :

((قُلْ : هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمْ)) (1)

وكقوله عزوجل أيضا :

((وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ : هَلُمَّ إِلَيْنَا)) (2)

ولعل مجيئها مرتين في القرآن وعلى لغة الحجاز جعل البعض يميل الى أن هلم الحجازية افصح من هلم التميمية ،مع أن القرآن الكريم هو حجة للعربية التي بها نزل ،وليس حجة عليها ،ثم انه أوسع من أن يكون مقيدا بتركيب لهجي دون آخر ،وفضلا عن ذلك فهو محيط بكل لغات العرب ،والقراءات المتعددة له كالسبع والعشر و ... الخ

ومما ذكر أن الأصمعي قال : ((ان الرجل يقال له : هلم ،فيقول

---

1) سورة الأنعام آية : 150
2) سورة الاحزاب آية : 18

لا أهلـــم)) (1) ،وفي نص آخر له : اذا قيل لك : هلم ، فقـل : لا أهلم ،وقال : هلممت بالرجل ،اذا قلت له : هلم ،فاشتقوا منها ،وأصلها : هـا لـم (2) .

وفي الصحـاح ((هلم يارجل ،بفتح الميم ،بمعنى تعال ،قال الخليل : أصله لـم ،من قولهم لم الله شعثه أي جمعه ،كأنه : أراد : لـم نفسك الينا ،أي اقـرب . وها للتنبيـه ، وانما حذفت ألفها لكثرة الاستعمال ، وجعـلا اسما واحدا ،يستوي فيه الواحـد والجمع والتأنيث ، في لغـة أهـل الحجـاز... وأهل نجـد يصرفونها فيقـولون للاثنيـن : هلمـا ،وللنسـاء هلمن ،والأول أفصـح ... واذا أدخلت عليه النون الثقيلـة قلـت : هلمـن يا رجل ،وللمرأة هلمـنّ بكسـر الميم ،وفي التثنية هلمـان للمؤنث والمذكر جميعـا ، وهلمـنّ يا رجـال بضـم الميم ،وهلمنـان يا نسـوة. واذا قيل لـك : هـلم الى كذا وكذا ،قلت : الا م أهلم مفتوحة الألف والهاء ، كأنك قلت : الى مـا ألـم ،وتركت الهاء على ما كانت عليـه ،واذا قال لـك : هلم كذا وكذا ،قلت : لا أهلمـه ،أي لا أطيقـه)) (3) .

---

1) المفصل في علم العربية ص : 152 الزمخشري (دار الجيل - بيروت)
2) انظر : سر صناعة الاعراب : 1 /ص : 238
3) الصـحـاح : 5 / ص : 2060 - 2061

وهكذا ،فان أهالي نجد يذهبون مذهب تميم في هذه التراكيب اللهجية حيث يجعلون (هلم) فعلا عاديا فيصرفونه مع الضمائر مفردا وثنى وجمعا ومذكرا ومؤنثا ،ليس فقط في معنى الأمر بل حتى في معنى الماضي والمضارع ،كما جاء على لسان الأصمعي وغيره ،على عكس الحجازي التي تجعله اسم فعل وتلزمه حالة واحدة في جميع تراكيبه ، وتذهب معها قبائل اخرى كثيرة مثل عقيل وقيس من مضر ،وقيس عيلان (1) .

واذا أردنا هنا أن نخرج عن المنهج الوصفي قليلا ،فانه يلاحظ أن الحجازية ثابتة على مذهبها العتيق حيث لم تكن الأفعال قد أسندت بعد الى ضمائرها البارزة ،لأنه يفترض في الاشتقاقات أن تولد من الأفعال ،وأما التميمية فيبدو في هذه التراكيب أنها قد عرفت تطورا طبيعيا في مسارها اللساني الطبيعي ،ويظهر هذا التطور بشكل جلي في انتقاله الى الماضي والمضارع ،وبذلك اكتملت الدلالات الزمنية أو مستويات الخطاب الثلاثة بالنسبة للزمن بشتى أنواعه ،مما يتيح للمتكلم بها أن ينوع كلامه وابداعه.

---

1) اللهجات العربية القديمة ص : 48

وقد توظف العرب اسم هذا الفعل أو الفعل (حسب التراكيب اللهجية) بعد اسم صوت ينادى به حيوان (البعير مثلا) ،كقول حميد بن ثور الهلالي :

فزيّنّه بالعهن حتى لوانه يقال له : هاب ،هلم ،لا قدما (1)

1-4-2 : أسماء أفعال متفرقة :

لقد حاولنا أن نتوسع في تركيب اسم الفعل السابق حسب التراكيب العربية العامة واللهجية له ،غير أنه من المستحيل أن نتوسع في كل اسم فعل آخر بنفس الحجم ،لأن هذا يقتضي حيزا خاصا بهذه التراكيب ولذلك نريد أن نجمل ما بقي من بعض أسماء الأفعال (2) ،

---

1) ديوانه ص:14 (ط:1951 الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة)

2) لمن أراد استقصاء هذا الموضوع الشاسع في تراكيبه ودلالاته نحيله على الكتاب ،كما يلي :

- أف : 4/58 ، ـــ آه : 1 / 242 ، ـــ ايه،ايها : 1/242،3/302

وكذا : 3/529 ، 4/ 229

- بله : 4/ 232

حي : 3/300

حيهل : 1/241 ،244،251 ، 3/300 - 301 ، 4 / 163

رويد : 1 / 241 ، 243 - 248 ، 251 ، 377 ، 2 / 360

شتان : 3 / 293

صه : 1/ 242 ،3/ 529 ، 4/ 229

مه : 1 / 242 ، 3 / 529 ، 229

هاء : 1 / 244 ،251

اليك : 1 / 249 - 250

أيها ملك : 1 / 249 .....الخ ،

T.- من أسماء هذه الأفعال المتداول له في العربية وغير العربية اسم فعل : ((آميـــن)) ،وهو اسم فعل امر للدعاء بمعنى : اللهم استجب ،او اقبل منا دعاءنا أوصلاتنا أو أعطنا لنا الصالحة التي نتقرب بها اليك ...الخ ،وهو من أسماء أفعال الأمر التي لم يذكرها - فيما يبدو - سيبويه ،ولعله اعتبرها لفظة أجنبية ،وقد يكون غير ذلك، لأن سيبويه كان يعلم حق العلم أن قبائل عربية فصيحة كانت تتداولها في خطاباتها مع اختلاف في التركيب الصوتي أو النطقي أو النبري ...

ان الحجازيين كانوا ينطقونها ((أمين)) بدون مد الألف ، ولا عجب في هذا ،وهم من أصحاب لغة التسهيل ،بل رسم الهمزة على اسم الفعل هذا عندهم يعد عجبا ،لكن نطق صوت واحد من نفس الجنس أهون لديهم من نطق صوتين اثنين مشتركين في مد طويل ،وفي لغة بني عامر بن قيس ينطقونه : ((آمـــين)) حسب النطق الذي نعرف في لغتنا العامية لدى الخاصة والعامة الى يومنا هذا (1) ،واعتبر ابن السكيت تشديد الميم في هذا الحرف من لغة العامة (2) ،والعامة تلتجيء الى هذا من قبيل المبالغة والشعور بالتلذذ في الدعاء .

---

1) راجع اللهجات العربية القديمة ص : 47

2) راجع اصلاح المنطق ص : 175 لابن السكيت (دار المعارف - مصر)

ب - ((أف)) ، مما لاحظته في اكثر من تركيب أن ما توسع فيه صاحب الكتاب زاده من بعده من اللغويين توسيعا ، ومن أوجز فيه أو سكت عنه أحيانا لم يلتفتوا اليه الا نادرا ، ومن هذه الملاحظة هذا المورفيم هنا ، فبالنسبة لسيبويه لم يزد على أن يقول : ((واقفت به ، أي قلت له : أف)) (1) ، ولم يقل هذا الا عرضا ، وليس الحديث عن هذا المورفيم كما تحدث عن هلم ، والزمخشري في مفصله لم يزد على أن يقول أيضا : ((أف يفتح ويضم ويكسر وينون في أحواله وتلحق به التاء منونا في اه أحوال)) (2) ، وهذا المورفيم عنده اسم مثل : ايه ، وصه ، ومه ، وغاق ، ومثلها : أف ، وتلحق هذه الأسماء علامة التنكير ، فهي تارة : أف (بكسرة واحدة) ومرة : أف (بكسرتين) ، ومثل هذا أسماء الأفعال السابقة ، ومن هذه الأسماء أو أسماء الأفعال ما لا يستعمل الا معرفة مثل ((لأمين)) السابقة وواها وايها وويها ... الخ (3) .

لكن قولنا السابق بالنسبة لبعض اللغويين الذين لم يتوسعوا في بعض الظواهر اللهجية التي لم يتوسع فيها سيبويه ليس اطلاقا عاما ، ثم ان أولئك اللغويين أنفسهم مقيدون بمنهجية الوحدات النحوية والصرفية والصوتية وغيرها من العناصر اللسانية الشاملة ، ولا يمكنهم أن

---

1) الكتاب : 4/ 58

2) المفصل في علم العربية ص : 163

3) م.س.ص : 164

يتوسعوا في كل حال ،ولذا ،فان كتب القراءات القرآنية تظل في نظرنا أقرب وأنسب الى التراكيب المتعددة في الحقل اللهجي أو الدياليكتولوجي .

ونجد صاحب البحر المحيط يخبرنا بأن : ((أُفٍّ)) اسم فعل بمعنى أتضجر ،ولم يأت اسم فعل مضارع الا قليلا مثل هذا ونحوه في : ((أُوهْ)) وهما بنفس الدلالة أي التضجر والتقزز أوالتكره من الشيء ،ولغاته تعد في نظر المعض بالعشرات لابالوحدات ،اذ ذكر أن في : أُفٍّ ما يقارب أربعين لغة (1) .

وجاءت ثلاثة تراكيب قرآنية محتوية على اسم الفعل هذا (2) ، ((والمقروء من لغات (أُفٍّ) في السبع : أُفٍّ ، أُفِّ ، أُفَّ ، وفي الشواذ : أُفٌّ ، أُفٌّ ، أُفَ ، أُفًّا)) (3) .

وفي مصدر آخر حديث أن اسم الفعل هذا فيه لغات كثيرة : ((فلغة الانصار وقراء أهل المدينة : (أُفٍّ) ، وقراءة أهل الكوفة : (أُفٍّ) وقراءة أهل مكة والشام : (أُفَّ) ولغة العامة : (أُفِّي) ، وفيها لغات عدة مجهولة الأصول وهي : (أُفَا) ، و (أُفٌّ) ، و (أُفَّا) ، و (أُفَّةٍ) ، و (أُفَّ) (4) ،

1) انظر البحر المحيط : 6/ص: 23 ، والافعال في القرآن الكريم : 1/ص : 133
2) انظر هذه الآيات : سورة الاسراء الآية : 23 ، وسورة الأنبياء الآية : 67 وسورة الأحقاف الآية : 17
3) الأفعال في القرآن الكريم : 1 / ص : 134
4) اللهجات العربية القديمة ص : 48

ج - هيهات :

مما ذكره سيبويه في هذا المورفيم الذي هو كذلك اسم فعل ماضي لا تتعدى دلالته أن تكون بعد : ((وسألته (1) عن هيهاتِ اسم رجل وهيهاةَ ؟ فقال : أما من قال : هيهاةَ ،فهي عنده بمنزلة علقاة ،والدليل على ذلك أنهم يقولون في السكوت : هيهاهْ ، ومن قال : هيهاتِ ،فهي عنده كبيضاتٍ ،ونظير الفتحة في الهاء الكسرة في التاء ،... ونظير هيهاتِ وهيهاةَ في اختلاف اللغتين ، قول العرب: استأصل الله عرقاتِهم ، واستأصل الله عرقاتَهم،بعضهم يجعله بمنزلة علقاةٍ ،وبعضهم يجعله بمنزلة عُرُسٍ وعُرُساتٍ... وكلاًّ سمعناه من العرب)) (2) .

وصاحب البحر ربما كان محقا حين ذكر أن هذه الكلمة تلاعب بها العرب تلاعبا كبيرا : بالحذف والابدال و التنوين وغيره (3) . واذا كان سيبويه اشار الى اختلاف اللغتين في اسم الفعل هذا ،ولم يذكر - فيما يبدو - هاتين اللغتين صراحة ،فان الزمخشري بأن : هيهات بفتح التاء لغة حجازية ،وبكسر التاء فيها لغة تميمية وأسدية ،بل ((ومن العرب من يضمها وقرئ بهن جميعا وقد

---

1) من المرجح في هذه الحالة أنه يقصد الخليل بن أحمد .
2) الكتاب :3/ص :291-292
3) الأفعال في القرآن الكريم :3/ ص : 1422-1423

تنـــون على اللغات الثلاث ،وقال :

تـذكرت أيا ماضين من الصبا فهيهاتِ هيهاتٍ اليـك رجوعهـا

وقـد قرئ قوله :

هيهـاتُ من مُصّبحها هيهاتِ

بضم الأول وكسر الثاني ،ومنهم من يحذفها ومنهم من يسكنها ومنهم من يجعلها نونا وقد تبدل هاؤها همزة ومنهم من يقول : أيهـاك وأيهان وأيها ،وقالوا : ان المفتوحة مفردة وتاؤها للتأنيث ..)) (1)

وفي بعض المصادر الأخرى أن المشهور في لغاتها : هيهاتَ، وبها قرأ الجمهور ،وهي اللغة الحجازية،كما قرئ : هيهاتاً ، وهيهاتُ، وهيهاتُ ،وهيهاتٍ ،وهـيهاتِ ،وهي اللهجة المنسوبة لتميم والحجاز كما عرفنا عند الزمخشري ،وهيهاتْ ،وهيها ، (بالهاء آخرا وصلا ووقفا) ، أيهاتَ ،وهذه تسـع قراءات (2) .

د ـ ما كان على وزن فعـــال :

مما قاله سيبويه في هذا النوع من أسماء الأفعال : ((واذا كان الاسم على بناء فعالِ نحو : حذارِ ورقاشِ ،لا تدري ما أصله أمعدول

---

1) المفصل ص : 160 - 161

2) الأفعال في القرآن الكريم : 3/ ص : 1423

أم غير معدول ، أم مؤنث أم مذكر ، فالقياس فيه أن تصرفه ، لأن الأكثر من هذا البناء مصروف غير معدول ، مثل : الذهاب ، والصلاح ، والفساد ، والمعاش ، والمعاد .

واعلم أن فعال جائزة من كل ما كان على بناء فَعَلَ أو فَعُلَ أو فَعِلَ ولا يجوز من أَفْعَلْتُ ، لأنا لم نسمعه من بنات الأربعة ، إلا أن تسمع شيئا فتجيزه فيما سمعت ولا تجاوزه ، فمن ذلك : قرقار وعرعار .

واعلم أنك إذا قلت : فعال ، وأنت تأمر امرأة أو رجلا أو أكثر من ذلك ، أنه على لفظك إذا كنت تأمر رجلا واحدا ، ولا يمكن ما بعده إلا نصبا ، لأن معناه : إفْعَلْ ، كما أن ما بعد إفْعَلْ لا يكون إلا نصبا ، وإنما منعهم أن يضمروا في فعال الاثنين والجميع والمرأة لأنه ليس بفعل ، وإنما هو اسم في معنى الفعل .

واعلم أن فعال ليس بمطرد في الصفات نحو : خَلَاقِ ، ولا في مصدر نحو : فجار ، وإنما يطرد هذا الباب في النداء والأمر)) (1) .

وأما أبو إسحاق الزجاج فقد ذكر أن اسم الفعل هذا بني على الكسر ((لأنه مؤنث ، تقول : ((مناع زيدا من هذا)) واختير له الكسر ، لأن الكسر من علامات التأنيث)) (2)

---

1) الكتاب : 3/ ص : 280

2) ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 72

وعلى هذه الصيغة جاءت تراكيب مختلفة ،لكنها تكاد تتفق ، الا ما سمع مخالفا لذلك ،من هذه التراكيب المطردة قوله :

مناعِها مِن إبلٍ مناعِها أما ترى الموت لدى أرباعِها (1)

وقال الآخر :

تراكِها من إبل تراكِها قد نزل الموت لدى أوراكِها (2)

ويظهر أن التراكيب اللهجية لم تختلف في هذا المورفيم ،سوى أن بني أسد يفتحون لام فعال (3)

وفي بنات الاربعة قال النابغة الذبياني :

مُتكنِّفي جَنْبَيْ عُكاظَ كِلَيْهما يدعو وليدُهُمُ بها عَرْعَارِ (4)

ولقد سبق أن تكلمنا على فعال حين تكون معدولة عن فاطة في الأعلام مثل ، حذام ،وقطام ،...وتكلمنا عن بناء المعدولة في لغة أهل الحجاز ، واعرابها لدى بني تميم واعرابها من الصرف الا ما كان آخره راء ،فانهم يوافقون فيه أهل الحجاز ،الا فئة منهم قليلة ،... وانما نحن اقتصرنا في حديثنا هنا على ((فعال)) التي تكون في معنى الأمر ،باعتبارها اسما من أسماء أفعال الأمر .

---

1) ما ينصرف وما لا ينصرف ص : 72

2) م.س. : ن.ص

3) انظر: شذور الذهب ص : 89 وكذا : تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ص 223

4) ديوانه ص : 102

أمـــا مـا كان من الرباعي المسموع ،فمن المفروض أن يكون على وزن ((فعـــلال)) مثل ((عرعار)) في بيت النابغة الذبياني السابق .

من غير شك أن صيغ الرباعي صيغ معدولة أيضا ،على الرغم من أنها غير قياسية ،كما ذكر النحاة ، لكن هذه الصيغ صيغ وتراكيب لهجية فصيحة ،وربما اشتهرت بها جهة متكلمة دون اخرى ،ومما جاء معدولا من الرباعي قول أبي النجم:

قالت له ريح الصبا قـرقار (1)

فقال سيبويه محللا: ((فانما يريد بذلك قالت له : قـرقـر بالرعد للسحاب. وكذلك عرعار ،وهو بمنزلة قرقار،وهي لعبة ،وانما هي من عرعرت)) (2)

ومما ذكره أبو زيد الأنصاري أن قوما من قيـس اذا شئـل احدهـم : ((هـل بقي عندك شيء من طعامك ؟)) ،فيقول: ((همهـام)) معناه لم يبق شيء (3) ،وجاء آخر اسم هذا الفعل الأمري مبنيا على السكون في الجمهرة ،ولعل الحركة للسكت أو الوقف وليست للبناء بدليل أن الصيغ الباقية مبنية على الكسر ما عدا الصيغة التي قد ترد موظفة توظيف اسم ،مثل قولهم : ((سمعت عرعار الصبيان)) (4)

---

1) الكتـاب :3 /ص :276

2) م.س :ن.ص

3) جمهـرة اللغة :1/ ص : 166

4) م.س.ص : 145

بفتح الراء من (عرعار) ،وتعني اختلاط الأصوات .

وقال ابوحاتم عن أبي زيد : ((سمعت عامريا يقول ، اذا قيل له : هل بقي عندك شيء؟ يقول : همهام ،يا هذا ،أي ما بقي شيء (1) ،وقال غيره : همهام ،وحمحام ،وحماح ، وبحاح ، أي لم يبق شيء ،وجيء :

أولمت يا خنّوت شر ايلام حتى اتينا هم ،فقالوا : همهام (2)

وهذا يعني أن قوما من بني عامر وقيس كانوا يستعملون هذه الصيغ أو التراكيب ،ولم يقدر لها الانتشار،لان (فعلال) أبعد من (فعال) ،كما أن (فعل) أكثر ورودا تكلما وأصلا من (فعلل) ، وذكر الصغاني أنها سبعة ألفاظ (3) .

وفضلا عن تحديد المصدرين السابقين لاستعمالها ،وهما عامر وقيس، فان النابغة الذبياني غطفاني مضري ،وأبا النجم عجلي بكري وائلي ربعي ، وهكذا يظهر أن هذه الصيغ المبنية على الكسر ـ مع قلتها ـ كانت منتشرة بين قبائل شتى : شرقية وغربية،وبنو غطفان في نجد مما يلي وادي القرى وجبلي طيء أجا وسلمى (4) ،وأما بنو عامر بن صعصعة فكانت منازلهم بنجد ، ... وهذه الصيغ السبع يمكن نسبتها الى قيس،وعامر ،وبكر ، وغطفان ،وقبائل أخرى شرقية وغربية .

1) جمهرة اللغة : 3 / 475
2) م.س. : ن.ص
3) المزهر : 2/ 132
4) نهاية الأرب ص : 388

1 ـ 5 : في الاستثناء :

لقد تردد طويلا في تعيين صنف هذا التركيب أهو من التركيب الاسمي أم الفعلي أم حتى الحرفي ؟ ولم لا ؟، وخاصة فيما يسمى عندهم بالاستثناء المنقطع ، أي حين يكون المستثنى (بكسر الثاء) ليس من نوع الأول ، أو بعبارة أخرى حين يكون المستثنى من جنس غير المستثنى منه ، كقوله تعالى :

((مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ)) (1)

فهذا التركيب الاستثنائي أسلوب لا نجد فيه أثرا للفعل أو ما يعمل فيه الفعل من مشتقاته ، لكن هناك تراكيب أخرى لا تخص في الاستثناء هي تراكيب فعلية ، كالذي يسميه النحاة بالاستثناء الناقص كقوله تعالى :

((مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ)) (2)

حيث المستثنى منه موجود ، والكلام منفي ، وفي هذه الحالة يجيز فيه اللغويون النصب والرفع ، خلافا للاستثناء التام الذي يجب فيه النصب لدى النحاة وجوبا ، كما في قوله تعالى :

ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ)) (3)

---

1) سورة النساء آية : 157

2) سورة النساء آية : 66

3) سورة البقرة آية : 83

وخلاصة المسألة في هذه التراكيب اللهجية أن المستثنى اذا كان منقطعا ،فانه يتعين النصب عند جمهور العرب ،ولا يجوز عندهم الاتباع ،ولكن بني تميم يجيزونه أي اتباعه حسب ما قبله ،وهم بهذا لايستعملون النصب الا في حالة واحدة من الحالات الثلاث ، ويجيزون هذا سواء أكان بعد نفي أوشبهه .

وتتصارع اللهجتان الحجازية والتميمية فتختلف وتتباين معها التراكيب اللسانية وتتنوع الأساليب ومستويات القول والخطاب ،ولعل انقسام الناس الى قسمين رئيسيين في هذا التركيب اللهجي لا يدل على أن جمهور العرب كلهم كانوا يتبعون لغة الحجاز في نصب الاستثناء المنقطع ، لأن سيبويه ذكر أن الناس يختارون النصب في هذا الاسلوب، كقوله :((وهو لغة أهل الحجاز ،وذلك قولك : ما فيها أحد الا حمارا ، جاؤوا به على معنى ولكن حمارا ،وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول ،فبصير كأنه من نوعه ،فحمل عليس معنى ولكن ،وعمل فيه ما قبله كعمل العشرين في الدرهم .

وأما بنو تميم فيقولون : لا أحد فيها الا حمار ،اذا رأوا ليس فيها الا حمار ،ولكنه ذكر أحدا توكيدا لأن يعلم أن ليس فيها آدمي ، ثم ابدل ،فكأنه قال : ليس فيها الا حمار .. وعلى هذا أنشدت بنو تميم قول النابغة الذبياني :

يـا دارميـة بالعلياء ، فالسنـــد أقوت ، وطال عليها سالف الأبـــد

وقفت فيها أصيلانا أبا علها عيت جوابا ، وما بالربع من أحـد

الا أواري لأيا ما أبينهـــا والنؤي كالحوض بالمظلومة الجلـد

وأهل الحجا زينصبون)) (1) .

وهو يقصد ان بني تميم يرفعون ((أواري)) على لغتهم على أنه استثناء منقطع ، لان ((أحد)) ليس من جنس الأواري ، ويقصدون بذلك : ليس فيها الا الأواري .

وروى أبو عبيدة والأصمعي ((الأواري)) بالضم ، وسأل الأصمعي أبا عمرو : لم رفعت الأواري ؟ فقال : لأنها من بعض الدار . (2)

ورفع أبي عمرو يستند الى أن الدار قد ترفع هنا بعد النداء ، من ذلك ما حكاه الشيخ أبو عبد الله الأزدي : ((يروى ((يا دارميـة)) فيرفع ((دارا)) بالنداء المفرد ، ويرفع ((ميـة)) بالابتداء عنها (3) .

ومما يستغرب من قول سيبويه قوله : ((وعمل فيه ما قبله كعمل العشرين في الدرهم)) على الرغم من حمل ((الا)) على معنى ((لكن)) . ذلك أن ((العشرين)) تعمل في الدرهم ما بعدها لا قبلها ، وهو ما صرح به سيبويه نفسه ، لكن : ما عمل ((الا)) هنا فيما بعدها ؟ هل هي أداة رافعة ؟

---

1) الكتاب : 2/ ص : 319 - 321

2) انظر شرح الأبيات في ديوان النابغة الذبياني ص : 3

3) راجع المصدر السابق ص : 2 (من الشرح) .

ثم ان سيبويه يورد شواهد كثيرة منها تراكيب قرآنية غزيرة حين تكون أداة (الا) على معنى ولكن، حتى انه ليقول: ((وهذا الضرب في القرآن كثير)) (1)، وكما أن هذا الضرب من التراكيب في القرآن كثير، فهو في الشعر كثير (2)، ومثل ذلك قول بعض بني مازن:

من كان أشرك في تغرّي قالح فلثونه جربت معاً وأغدّت

إلا كناشرة الذي يستنّهم كالغصن في غلوائه المتنبت

حيث قال سيبويه: ((كأنه قال: ولكن هذا كناشرة)) (3).

ويبدو أن هذه التراكيب هي تراكيب لهجية حين تكون منصوبة لكنها تراكيب واسعة لدى جمهور العرب، ففي البيتين السابقين لا يمكن استثناء (كناشرة) الذي هو اسم علم من ذوات اللبن من الإبل (اللبون)، وقال النابغة الذبياني أيضاً:

طال الثواء على رسوم ديار تعفو أساطلها وما أستبار

دار التعفّت لا أبين بحوّها إلا بقايا دمنة وأوار ؟ (4)

وبنو تميم يرفعون هذا كله (بقايا)، ويرفعون كلمة ((اتباع))

---

1) الكتاب: 2/ ص: 325
2) م.س.ص: 327
3) م.س.ص: 328
4) ديوانه ص: 96

في الآية السابقة : ((مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ)) (1) ،
كما يرفعون ((حسن)) في قول النابغة الذبياني :

حلفت يمينا غير ذي مثنوية ولا علم الا حسن ظن بصاحب (2)

بينما ينصب اهل الحجاز هذا كله (3) .

وقال سعد بن مالك (وهو جد طرفة بن العبد البكري) :

والحرب لا يبقى لجا حمها التخيل والمراح
الا الفتى الصبار في النجدات والفرس الوقاح - (4)

حيث وردت كلمة (الفتى) مرفوعة ،بدليل الفرس المعطوف عليها ،
وأهل الحجاز لا يجيزون البدل هنا لكون الفتى ليس من جنس
التخيل والمراح ،ولكن الشاعر رفع على لغة تميم ،وهو ليس
تميميا ،ولكنه من منطقتها ،ولقدم الشاعر فان الرفع هنا يعبر بصدق
مطلق عن تعاطي هذا التركيب اللهجي في هذه المنطقة الشرقية
من الجزيرة العربية .

ويمكن أن نتصور سحاشا ملا لهذه التراكيب اللهجية أو
البنيات السانتكسية أن المسألة تتلخص في أن أهل الحجاز يوجبون
النصب اذا كان الاستثناء منقطعا ،وأما بنوتميم فانهم يجيزون في

---

1) سورة النساء الآية : 157
2) ديوانه ص : 55 ،وكلمة ((حسن)) مرفوعة في البيت على لغة تميم .
3) انظر الكتاب : 2/ص : 322 - 323
4) انظر الكتاب : 2/ص : 324 ،وشرح حماسة أبي تمام : 2/ص : 502

هذه البنيات النصب والابدال (1) ،وذكر صاحب الشذور ان بني تميم يختارون النصب (2) ،وهو قول غريب ،لأن الوقائع اللسانية المأثورة في القراءات القرآنية والأشعار وكلام العرب تبين بجلاء ان هؤلاء القوم كانوا يميلون بقوة الى الرفع ان لم يكونوا يرفعون مطلقا ، ومما يؤيد هذا ،ويستبعد قول ابن هشام ما رواه سيبويه من تراكيب لهجية مختلفة ذكر فيها أن التميميين يرفعونها وأن الحجازيين ينصبونها في باب الاستثناء المنقطع .

وربما لم يتجه التميميون ولا بعض العرب من المنطقة الشرقية برفع هذه البنية السانتكسية من الاستثناء المنقطع وحدهم ،بل ذهبت معهم ذلك طوائف أخرى من كلام العرب ،ومن خلال القراءات القرآنية المتعددة ،ومن خلال بعض الأشعار الحية ،كما نجد لدى بعض الهذليين ،مثل قول ابني خراش :

أمسى سُقامُ خلاةً لا أنيسَ بهِ إلا السباعُ ومَرُّ الريحِ بالغَرَفِ (3)

حيث وردت كلمة (السباع) مرفوعة في الديوان الذي بين يدي ،على الرغم من أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه ،اذ (سقام) اسم موضع ،وفي الصحاح : ((ويروى الا ((الشام)) ،قال أبو عبيدة ،عمرو الهذلي يرفع الا الشام وغيره ينصبه)) (4) .

---

1) انظر : تسهيل الفوائد ص : 102 ،والكتاب : 2 /ص : 310 - 322

2) راجع شذور الذهب ص : 265

3) ديوان الهذليين ،ق : 2 / ص : 156

4) الصحاح : 5 / ص : 1950 (مادة : سقم)

بـــل ،كما قال الدكتور عبد الجواد الطيب : (هناك ما هو أكثر من هذا ،هو أن الاستثناء التام الذي يجب فيه النصب عند النحاة وجوبا قاطعا في مثل قوله تعالى :

((ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْكُمْ)) (1)

يقرأه ابن مسعود ((الا قليل منكم)) بالرفع،وقوله سبحانه :

((فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ)) (2)

تصادف فيه قراءة الأعمش ((الا قليل منهم)) بالرفع)) (3) .

ومما جاء مرفوعا في الاستثناء التام وحقه النصب حسب قاعدة النحاة ،قول أبي ذؤيب الهذلي :

على أَطْرَقا بالياتُ الخيا م إلا الثُّمامُ وإلاَّ العِصِيُّ (4)

ويتباعد الشراح والمحللون في تفسير البنية السانتكسية في هذا التركيب تباعدا كبيرا ،ويذهبون في تأويله مذاهب لا قبل لها بالوقائع اللسانية الواضحة التي تؤكد أوترجح على الأقل أن الشاعر هنا رفع ،لأن النصب يوقع البيت في الاقواء ،باعتبار ((العصي)) معطوفة على ((الثمام)) .والاستثناء هنا تام متصل ((لأن المستثنى وهو ((الثمام)) العصي)) هو بعض المستثنى منه ،ومع هذا جاء مرفوعا خلافا لما ذكر النحاة5

---

1) سورة البقرة آية : 83
2) سورة البقرة آية : 249
3) راجع : لغة هذيل : 347
4) ديوان الهذليين :ق : 2 / ص : 65
5) راجع لغة هذيل ص : 347

ولا نريد ،بل من المستحيل ،أن نستعرض هنا كل البنى السا نتكسية الفعلية والا سمية التي تمثل التراكيب اللهجية المتعددة من خلال القراءات القرآنية ،ولكنا فقط نريد ان نشير الى أن ابن كثير وابا عمرو قرآ قوله تعالى :

((وَلاَ يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلاَّ امْرَأَتَكَ)) (1)

بالرفع في (امرأتك) ، بينما قرأ الباقون - أي الخمسة - بالنصب (2) ، وقرأ السبعة :

((مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ)) (3)

بالنصب في ((اتباع)) ،وتعيم ترجحه ،وتجيز الا تباع .

وقرئ قوله تعالى :

((مَا فَعَلُوهُ إِلاَّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ)) (4)

بالرفع والنصب ، ((فالرفع على البدل من الواو في (فعلوه) وتقديره ما فعله الا قليل منهم ،والنصب على الأصل في الاستثناء ،والا صل في الا ستثناء النصب ،والرفع على البدل أوجه الوجهين)) (5) .

---

1) سورة هود آية : 81

2) التيسير ص : 125

3) سورة النساء آية : 157

4) سورة النساء آية : 66

5) البيان في غريب اعراب القرآن : 1 / ص : 258 لأبي البركات بن الأنباري (ط : 1969 دار الكتاب العربي للطباعة والنشر - القاهرة)

وإذا كان ابن الأنباري لم يذكر أصحاب هذه القراءات ،فإن المعروف فيها ،بالنسبة للسبعة فقط هنا ، أن ابن عامر قرأ : ((الا قليلا منهم)) بالنصب ،بينما قرأ الباقون بالرفع (1) .

وفي قوله تعالى :

((فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ)) (2)

قال ابن الأنباري : ((قوم يونس ،منصوب على وجهين :

أحدهما : لأنه استثناء منقطع ، ليس من الأول .

والثاني : أن يكون منصوبا على الاستثناء غير المنقطع بأن يقدر في الكلام حذف مضاف ،تقديره ، فلولا كان أهل قرية آمنوا الا قوم يونس ،

ومن رفعه حمله على البدل ،كقول الشاعر :

وبلدة ليس بها أنيس الا اليعافير ، والا العيس

والبدل من غير الجنس لغة بني تميم)) (3) .

ويظهر من القراءات القرآنية والتراكيب العربية المنثورة في كتب القدماء التي وصلتنا أن البنية السانتكسية بين الحجازيين والتميميين لم تكن على حال واحدة ،بل كانت مختلفة اختلافا عاما في كل تركيب في اللهجتين الكبيرتين كما اختلافهما في مستويات أخرى كثيرة .

---

1) التيسير :ص : 96

2) سورة يونس آية : 98

3) البيان في غريب اعراب القرآن : 1 / ص : 420

الفصل الرابع : التركيب الحرفي والظرفي

1 - 1 : في الوحدات الدالة :

لا يحسب المتتبع لهذا العمل أنني أدعي بهذا العنوان أن أجرد التراكيب اللهجية على الوحدات الصوتية وتركيباتها في الكلمة أو حتى على مستوى وظائفها الفونولوجية ،فهذا أمر غير وارد في الحسبان ،لأن ((الهمزة)) وحدها تتطلب مجلدا كاملا وجهدا فريدا مستقلا ، ومثلما تختلف التراكيب الاسمية والفعلية من لغة إلى أخرى ، تختلف هنا أيضا التراكيب الحرفية والظرفية فيما بين اللغات ، ولايمكن أن نتخذ نماذج لهذا التركيب أوذاك في لغة متباينة طبيعتها ومختلف جذريا أصلها وتاريخها والمتكلمون بها ثم نحاول أن نتعسف بهذا الشكل اللساني أوذاك تطبيقها على العربية ،واذا كان هذا لا يصدق على اللغة الكلية أوالعامة مثل العربية المشتركة حاليا بين متكلميها ،فما بالنا لوحاولنا ذلك مع تراكيب لهجية متباينة داخل لغة واحدة ؟ ،وربما يوفق باحث في هذا العمل على هذا النحو ،ولوبشكل ناقص ،اذا اعتمد سانتغما (syntagme) حرفيا فقط في هذه التراكيب أوسانتغما اسميا ،أوسانتغما فعليا ،أما أن يعتمد هذه الأصناف الثلاثة في الآن ذاته ،وفي كل التراكيب اللهجية القبلية المتضاربة في جميع

مستوياتها وخطاياتها ،فهذا العمل يحتاج الى فرق بحث في مركز أكاديمي خاص ،ولعدة سنوات طويلة ،ولذلك تجنبنا الخوض ، في الفصلين السابقين ، في رسم الجداول وفبركة التشجيرات والمعادلات السانتكسية التي تعتمد نماذج معينة دقيقة لتراكيب عامة ومتواضع عليها من المجموعة اللغوية ككل ، وهذا ما سنتجنبه في هذا الفصل ايضا ،لأن تركيبا واحدا ،أحيانا ،لا تختلف فيه قبيلتان اثنتان وحسب بقدر ما يتعداهما الى قبائل شتى ،وهذا يتطلب معادلات وتشجيرات تهما لهذه التراكيب السانتغمية أو السانتكسية العتباينة .

غير أن ما صرح به أعلاه لا يمنعنا من التوضيح بأن هناك وحدات دالة مكتفية بذاتها (Monémes Autonomes) ، مثل الوحدات الظرفية ، لأن هذه الوحدة لها من القدرة الذاتية والداخلية ما يجعلها حرة في الترتيب داخل التركيب ،مثل :

1) ذهبت الى البادية أمس

2) أمس ذهبت الى البادية

3) ذهبت أمس الى البادية

لكننا لا نستطيع أن نقول :

4) أذهب الى البادية أمس

5) أمس اذهب الى البادية

6) اذهب أمس الى البادية

بينما يمكن أن نقول :

7) أذهب الى البادية أحيانا

8) أذهب أحيانا الى البادية

9) أحيانا أذهب الى البادية

وبالعكس ،لا يمكن أن نقول :

10) ذهبت الى البادية أحيانا

11) ذهبت أحيانا الى البادية

12) أحيانا ذهبت الى البادية

والتركيب ((كنت)) يمكن أن يشكل ،على نحو ، جملة معقدة مع التراكيب : (1، 2، 3) :

13) كنت ذهبت الى البادية أمس

14) كنت ذهبت أمس الى البادية

15) أمس كنت ذهبت الى البادية

ونفس التركيب (كنت) قد يشكل في لغة من لا يحسن التركيب والخطاب في العربية جملة مركبة مع التراكيب (4، 5، 6)

بينما يشكل بشكل عادي ومقبول - أعني التركيب : كنت - جملة موسعة أو مركبة مع التراكيب (7، 8، 9) :

16) كنت أذهب الى البادية أحيانا

17) كنت أذهب أحيانا الى البادية

18) كنت أحيانا أذهب الى البادية

وهذه التراكيب للظرفين : أمس ، وأحيانا ، وما شابههما من ظروف مماثلة تستمد في نظرنا ما يراه بعض اللسانيين المعاصرين بأن العلاقة في هذه الحالة تكون ((بين الوحدة الدالة والعبارة محصورة بتمامها في دلالة الوحدة بالذات بغض النظر عن موقعها داخل العبارة مثل : لفظة ((غالبا)) في قولك :

غالبا ما أشاهد التلفزيون ، أشاهد غالبا التلفزيون ، أشاهد التلفزيون غالبا . وهذه القدرة على الانتقال تنجم مباشرة عن اكتفاء الوحدة الدالة بذاتها .)) (1) .

لو سأل صاحب هذه الجمل نفسه ،لقال : أين ذهبت ((ما)) في الجملتين : الثانية والثالثة ؟ أكان بإمكانه أن يقول :

19) ما أشاهد غالبا التلفزيون ؟

20) ما أشاهد التلفزيون غالبا ؟

مثلما حق له أن يقول :

21) غالبا ما أشاهد التلفزيون .

أن الاكتفاء الذاتي للوحدة الدالة في الظروف المشابهة

---

1) مدخل الى اللسانيات ص : 103-104 رونالد ايلوار (مطبعة جامعة دمشق)

لما تقدم ،ليس الا اكتفاء داخليا في الوحدة ذاتها كمونيمة ا ومورفيمة (كما تسميها المدرسة التوزيعية) ،اي ما يسمى بالاكتفاء لهذه الوحدات الدالة ليس الا نسبيا ،لأنه مرتبط بالكل ،اي بتداعي العناصر المؤلفة لبنية الجملة ككل .

وأما التركيب الثاني ،فانه سيدور حول ما أصبح يعرف في اللسانيات الوظيفية بالوحدات الدالة الوظيفية ((وتقتصر مهمتها على ان تدرج في العبارة وحدات دالة غير مكتفية بذاتها وان تضبط علاقتها بالعبارة ،وهي تشير الى وظيفة وحدة دالة اخرى)) (1) .

وفي بعض الكتب القديمة في علوم العربية يعرف الحرف بانه ما دل على معنى في غيره ،ومن ثم لم ينفك من اسم أوفعل يصحبه ،... وهي على ثلاثة اضرب :

1) ضرب لازم للحرفية ،وهي تسعة : من ،الى ،حتى ،في ،الباء ، اللام ،رب ، واو القسم ، تاء القسم .

2) ضرب كائن اسما وحرفا ،وهي خمسة : على ،عن ، الكاف ، مذ ، منذ .

3) ضرب كائن حرفا وفعلا ، وهي ثلاثة : حاشا ،خلا ،عدا (2)

---

1) مدخل الى اللسانيات ص : 104

2) راجع المفصل في علم العربية ص : 283

وهناك صنف ثالث يبان س هذه الوحدات يدعى الوحدات الدالة التابعـــــة ( ) سبق الحديث عنهمـــا في نماذج من مختلف التراكيب اللهجية القبلية ،ورأينا كيف كان ادراج تلك الوحدات تبعا لكل لهجة من خلال ترتيب معين مثل التركيب العربي : ((ان هذان لساحران)) حيث لا يمكن تغيير المسند بالمسند اليه أو العكس ،أوكقولك في التركيب المـــــا ؟: ضرب عيســـى موســـى ،فانه يختلـف دلاليا بقلب التركيب او عكســه : ضرب موسى عيســـى ،أوتكون هذه الوحدات الدالـة التابعة مدرجة بفضل وحدة دالة وظيفيـــة،مثـــل :

1) لا ،رحمك اللـه

2) لا ،ورحمك اللـه

فبفضل الوحدة الدالة الوظيفية غير المكتفيـة بذاتها (الواو هنا) ، تعاكست الدلالتان الدعائيتان في الجملتين اعلاه (1 ،2) و أويكون ادراج هذه الوحدات الدالة التابعة بفضـــل علامات الاعـــراب كما هو الشأن بالنسبة للتراكيب في اللغة العربية وغيرها من بعض اللغات الأخرى القديمة أو حتى الحديثة التي لايزال أثـــر الاعراب فيها ماثلا ،ونحن لا نـــريد أن ندخل في

متاهات فلسفية في هذا الموضوع ،لكن ما هو مؤكد لدينا أننا حين نحلل اشكال ما يسمى بالحركات الاعرابية ، تحل كل الاشكالات الباقية حول الاعراب في العربية ،وأهم قراءة لهذه الحركات ،في اعتقادنا ،هي تلك القراءة التي تتعامل مع هذه الحركات على أنها وحدات صوتية دالة تقوم بعدد من الوظائف في التراكيب العربية .

1 - 2 : بين الفئات النحوية والفئات المعجمية :

حتى لايكون في عملنا تداخل بين ما مضى في التركيبين : الاسمي والفعلي ،وبين التركيب الفعلي والظرفي في هذا الفصل ،فانني ارتأيت أن أشير هنا باختصار الى الحدود بين الفئات النحوية من جهة والفئات الليكسيكية (المعجمية) هنا ،لأننا تعاملنا عن وعي أو عن غير وعي مع التركيبين السابقين من خلال هذه الفئات المتلازمة ،ولا أدل على ذلك من أداة ((الا)) التي تعاملنا معها على أساس أنها اداة حصر في لغة تميم مثلا في التركيب المشهور بين اللهجتين : الحجازية والتميمية (ليس الطيب الا المسك) ،وفي الآية القرآنية ((ما هذا بشرا)) حيث تعاملنا مع ((ما)) في لهجة تميم على أنها حرف نفي ،وما بعدها مسند اليه (مبتدأ) ومسند (خبر) ، في حين تعاملنا مع نفس الوحدة (ما) على أساس أنها تحمل معنى الفعل

ط ليـــس) ،وهي لا تخرج عن طبيعة كونها من الفئات النحوية .

وأداة الاستثناء ((الا)) تحمل معنى الاسم مثلما تحمـــل تحمل معنى الفعل ،ومعنى الحرف ،وهذا في الوقت الذي هي فيـــه حرف أيضا ((وحرف الاستثناء الا ،وما جاء من الأسماء فيه معنى الا فغير ، وسوى ، وما جاء من الأفعال فيه معنى الا فلا يكون ،وليس، وعدا ،وخلا ،وما فيه ذلك المعنى من حروف الاضافة وليس باسم فحاشى (1) وخلا في بعض اللغات)) (2) .

ولذلك ،فانـي كنت قد تساءلت عن التركيب في الاستثناء : أيدخل في التركيب الاسمي أم الفعلي أم حتى الحرفي ؟ ولم لا ؟ (3).

ومما يقوله بعض الدارسين المعاصرين : ((قليلـة هي القواعد النحوية التي تقدم تمييزا بين الكلمات النحوية والكلمات المعجمية (اللكسيكية) ، مع أن هذا التمييز غالبا ما يظـــهر مفيدا جـــدا ،لأنه يسمح بترتيب كلمات اللغة الفرنسية (4) في مجموعتين كبيرتين ،واللتين لهما ميزات مختلفـــة جدا .)) (5) .

---

1) هكذا مرسومة ،وذكر المحقق في هـ:3 من ص : 309 أنها في الأصل :فحاشا بالالف.
2) الكتاب : 2 / ص : 309
3) راجع : (1 - 5) من الفصل السابق ص : 509
4) لأن الباحث بصدد الحديث عن اللغة الفرنسية .
5)

La Grammaire pour tous p13

والفئات النحوية هي في الأغلب الأعم أنها وجيزة أو قليلة ، وهي مكونة من عناصر صغيرة ،لكن هذه القلة ،بالنسبة للفئات النحوية في لغة كالعربية لا تكمن في النوعية الدلالية أو الوظائف المتعددة لعنصر واحد أحيانا ،ان لم نقل غالبا ، بل فقط في الكمية السطحية .

اذا قمنا مثلا بقراءة اعتباطية لكتاب الأشباه والنظائر للشعالبي للاحظنا أن العنصر ((على)) يوظف في القرآن على خمسة وجوه (1) وان العنصر ((فوق)) يوظف فيه على ثمانية وجوه (2) ،وأن العنصر ((في)) يوظف فيه على عشرة وجوه (3) ، وأن العنصر ((اللام)) توظف فيه ،وهي مفتوحة ، على ثلاثة وجوه ،وتستعمل فيه ،وهي مكسورة ، على اثني عشر وجها (4) ،... وهذا بالنسبة للوحدات الدالة غير المكتفية بذاتها ،اذ أربعة عناصر انتجت لنا ثمانية وثلاثين استخداما مختلفا ،... ونفس الشيء يصدق على الوحدات النحوية الأخرى.

أما الفئات اللكسيكية فهي ذات تنوعات طويلة ،فهي الأسماء ، وهي الافعال ، وهي الصفات ، وهي الحال ،...واللغات لا تخلق غالبا

---

1) الأشباه والنظائر ص : 208 الثعالبي (ط: 1/1984 سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة)
2) م.س.ص : 218-219
3) م.س.ص : 221-222
4) م.س.ص : 235 - 242

أو الا نادرا مصطلحات وكلمات جديدة بالقياس الى ما تخلف في الفئات الليكسيكية ، وفي لغة كالعربية ،فان الكلمات اللكسيكية بمثل ما تخلق دلالاتها من الخارج قد تخلق هذه الدلالات أيضا من الداخل ،وعليه فان الأمر غير مختص فقط بالوحدات الدالة غير المكتفية بذاتها ،بل هو مختص كذلك بالوحدات الدالة التابعة ،فالفعل الناقص (كان) يوظف في القرآن شلا على ستة وجوه :

1) ((كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ)) (1) بمعنى الماضي .

2) ((وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً)) (2) بمعنى : صلة .

3) ((وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَأً)) (3) ،بمعنى ينبغي .

4)وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَافِرِينَ)) (4) ،بمعنى صار .

5) ((مَنْ كَانَ فِي ٱلْمَهْدِ صَبِيّاً)) (5) ،بمعنى : هو

6) ((وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ)) (3) ،بمعنى : وجد . (7)

---

1) سورة آل عمران آية : 93

2) سورة النساء آية : 96 و 151 وآيات أخر .

3) سورة النساء آية : 91

4) سورة البقرة آية : 34

5) سورة مريم آية : 29

6) سورة البقرة آية : 280

7) انظر : الأشباه والنظائر ص : 236 - 237

وعلى ذكر على الكلمات النحوية أو المصطلحات اللغوية دارت معارك لسانية فكرية واسعة وامتدت زمنا طويلا بين اللغويين العرب القدماء ،والى درجة أن بعض الفلاسفة مثل ابن فارس يعتقد اعتقادا جازما بأن هذه الفئات النحوية واللكسيكية أي المصطلحات (من فعل ، وفاعل ، ومفعول ، وجر ونصب ، وهمز ، وهمس ، ...) قد كانت منذ عهد العرب العاربة ،ولما كان الخليل وسيبويه لم يزيدا على أن جددا ها وبعثاها ،... (1) .

ويقول صاحب كتاب (النحو والقواعد للجميع) أن ((الكلمات النحوية لا يمكن تعويض واحدة منها بغير ،بينما الكلمات اللكسيكية يمكن فيها ذلك ،وأن الكلمات النحوية ليس لها لها الا وظيفة واحدة ، على عكس الكلمات اللكسيكية التي يمكن لها أن تضطلع باكثر من وظيفة)) (2)

والنص السابق لا ينطبق على كل لغة ،لأن الفئات النحوية في لغة كالعربية تؤدي اكثر من وظيفة ،فالتذكر ((الا)) أو أداة الاستثناء ،وهذا بالنسبة للوظيفة النحوية ،أما الوظيفة الدلالية فقد رأينا قبل قليل ،كيف أن أربعة عناصر نحوية ولدت ثمانية وثلاثين تركيبا متنوعا ،ولذا فنركز على قياس كل لغة بطريقتها وخصائصها .

---

1) لقد ناقشنا هذه الاشكالية بشيء من التفصيل في كتابينا :
الحركة اللسانية الأولى عند العرب ص : 151 ،والعربية بين الطبع والتطبيع : 7-19

2) La Grammaire pour tous p 23

وإذا اعتبرنا الأسماء والأفعال من نوع الفئات الليكسيكية، فمعنى هذا أننا قد تناولنا هذه التراكيب اللهجية وفق النماذج التي اعتمدناها مدونة للدراسة في كل من التركيبين : الاسمي والفعلي، ولم يبق لنا إلا النوع الثاني، وأعني به الفئات النحوية، وقولنا هذا لا يعني أننا نتفق قلبا وقالبا مع هذه النظرية التي تقسم الفئات أو بالأحرى تنظر إلى هذه الفئات نظرة فاصلة، لأن الأفعال بقدر ما تعبر عن وظيفة نحوية معينة (الماضي، الحاضر، المستقبل، البناء للمعلوم، البناء للمجهول، ...) بقدر ما تعبر داخليا عن مدلول يعرف بالتعارض مع المداليل في الأفعال الأخرى المقابلة، وكذلك الصفات، والأحوال، ... الخ .

1 ـ 3 : التركيب الحرفي ما بين اللهجات

1 ـ 3 ـ 1 : من الحروف المشبهة بالفعل :

إن هذه الحروف المشبهة بالفعل خمسة، وهي : إن (بكسر الهمزة)، ولكن، وليت، ولعل، وكأن، ولم يذكر سيبويه (أن)، حتى وإن هناك همزة تحت وفوق الألف مع نون مشددة، لأنه قال :

((هذا باب الحروف الخمسة التي تعمل فيما بعدها كعمل الفعل ..الخ) 1

---

1) الكتاب : 2 / ص : 131

أما الزمخشري فقال : ((ومن أصناف الحرف الحروف المشبهة بالفعل ،وهي : ان (بكسر الهمزة) وأن ، ولكن ، وكأن ،وليت،ولعل) (1)

من الشائع ان بني تميم تقلب او تبدل الهمزة عينا في أن المشددة المفتوحة او ان المصدرية ، وفي هذا يقول ابن فارس : ((أما المنعنعة التي تذكر عن تميم فقولهم الهمزة في بعض كلامهم عينا ،يقولون : سمعت عن فلانا قال كذا ،يريدون أن ،وروي في حديث قيلة : ((تحسب عني نائمة)) . قال ابوعبيد : أرادت تحسب أني ،وهذه لغة تميم ،قال ذوالرمة :

أعن ترسمت من خرقاء منزلة ماء الصبابة من عينيك مسجوم

أراد أأن فجعل مكان الهمزة عينا)) (2) .

وكذلك يفعلون في أن المشددة في مواضع اوتراكيب أخر ، اذ يقولون : أشهد عن محمدا رسول الله (3) ،وكان بعض العرب يقول ((أرنت عن تفعل)) (4) ،ومن غيرشك أن هؤلاء العرب هم من بني تميم ،أومن يتعاطون لهجتهم في هذا الابدال قيس واسد .

ومما هو مألوف في كلام العرب أن ان واخواتها تنصب المسند اليه

---

1) المفصل في علم العربية ص : 292
2) فقه اللغة ص : 53
3) انظر مغني اللبيب : 1 / ص : 149
4) كتاب الابدال ص : 85

والمسند ،لكـــن هذا العنصر النحوي قد ينصبهما معا ،وهذا على الرغم من قول الخليل :((وزعم الخليل أنها عطت عطين : الرفع والنصب ، كما عطت كان الرفع والنصب)) (1) . وفي النصب يقول ابن هشام : ((ان المكسورة المشددة على وجهين : أحدهما أن تكون حرف توكيد ، تنصب الاسم وترفع الخبر ،قيـــل : وقد تنصبهما في لغـــة ،كقولـــه :

اذا اسودّ جنح الليل فلتأت ولتكن

خـطاك خفافا ،ان حراسنـا أســـدا

وفي الحديث ((ان قعـر جهنم سبعين خريفـا)))(2) .

وذكر الخليل كذلك ان ناسا من العرب يقولون :ان بـــك زيـد مأخوذ ،موّولا هذا التركيب على بنية عميقة هي : انـه بـــك زيد مأخوذ (3) ،ووردت في أشعار العرب تراكيـــب أخرى كثيرة أبطل فيه وظـــيفة ((ان)) كعنصر نحوي ،ولا سيما احدى أخواتها ، وهي ((كأن)) حيث أبقي فيها على وظيفتها الثانية ،وهو التشبيه، وألغي عملها النحوي ،وهو النصب والرفع ،من ذلك قولهم :

تجـــه مشرق النحـــر كـأن شـديـاه حـقـــان

لأن هذا التركيـــب لا يحسن فيه ههنا الاضمار ،على حـد تعبير سيبـــويـه (4) .

---

1) الكتـــاب : 2 / ص : 131
2) مغـني اللبيـــب : 1 / ص : 37
3) الكتـــاب : 2 / ص : 134
4) م.س.ص : 135

وليس الأمر متعلقا فقط بـ ((كأن)) وهي مخففة ، بل وردت تراكيب أخرى فيها ((لكنّ)) مشددة ، ولكن ما بعدها مرفوع ، كقول الفرزدق :

فلو كنت ضبيا عرفت قرابتي ولكنّ زنجيّ عظيم المشافر

على الرغم من أن سيبويه قال بعد هذا التركيب ((والنصب أكثر في كلام العرب ، كأنه قال : ولكن زنجيا عظيم المشافر لا يعرف قرابتي . ولكنه أضمر هذا كما يضمر ما بني على الابتداء نحو قوله عز وجل : ((طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ)) (1) ، أي طاعة وقول معروف أمثل)) (2) .

ونحن ، كما أشرنا في غير هذا الموضع ، لا نعامل هؤلاء إلا كمتكلمين ، ولذا ، فإنا لا نحفل إلا قليل الفائدة والاطلاع على مثل هذه التأويلات التي قد تكون صحيحة وقد تكون ضعيفة ، لكننا حين نعامل هذه التراكيب كمتكلمات صدرت على سجيتها وطبيعتها ، فإننا سنكون في غنى عن مثل هذه التأويلات التي كثيرا ما تخرج عن وقائعها اللسانية الملموسة والحقيقية .

إن هؤلاء المتكلمين كانوا يعرفون لهجات أخرى فنطقوا بها ، بدليل أن الخليل يقول : ((وروى الخليل رحمه الله أنهن ناسا

---

1) سورة محمد الآية : 21

2) الكتاب : 2 / ص : 136

يقولون : ان بسك زيد ماخوذ)) (1) ،وبدليل قول سيبويه السابق في تركيب ((لكن)) : ((والنصب اكثر في كلام العرب)) ، وبدليل قول ابن هشام السابق ايضا ،وهو يتحدث عن ((ان)) بأن المبتدأ والخبر قد ينصبان بعدها على بعض اللغات ،((وقد تنصبهما في لغة)) .

واذا كان النصب يعود الى تراكيب لهجية لا تبرح مجهولة لدينا - لم اقف عليها - الا اذا قسناها على احدى اخواتها ((ليت)) فان النصب في هذه التراكيب قد يرجع الى بني تميم (2) . اما الرفع لهذه التراكيب فقد سبق ان اخذنا عليه صورة واوضحنا الخبر ، حين تحدثنا عن التركيب في المثنى ((ان هذان لساحران)) ،اي بنو الحارث بن كعب ومن ذهب معهم في هذا التركيب هم الذين يرفعون المسند اليه والمسند بعد ((ان)) او بعض اخواتها ،وقد يكون العكس لدى البعض الاخر تماما حيث ينصب المبتدأ والخبر بعدها او بعد احدى اخواتها .

---

1) الكتاب : 2 / ص : 134

2) سنرى كيف ان المسند اليه والمسند قد ينصبان معا بعد ((ليت)) كما في مثلهم المشهور: ((ليت العصي كلها ارجلا)) .

والمعروف في ((ان)) المشددة اذا خففت ،فان ما بعدهـــا في لغة الجمهور لا جدال فيه ،أي تهمل وظيفتها النحوية ،ويرفـــع المبتدأ والخبر كلاهما ما بعدها ،غير أننا نجد أن هذا التركيب يظل على حاله لدى أهل الحجاز من العالية أي باعمال ((ان)) في نصب المسند اليه ورفع المسند كما لو كانت مشددة (1) .

أمـــــا عن ((ليـــت)) فان المعروف عند الجمهور أنها مثل أخواتها من حيث وظيفتها النحوية ،وهي تستعمل على عدة أوجه ، وقد تحذف النون منها لدى اتصالها بياء المتكلم ،كقول الشاعر :

كمنيـة جابر اذ قال ليتي أصادفه وأفقد بعض مالـــي (2)

وفي الكتاب ((قال بعض الشعراء : ((ليتي)) اذا اضطروا ،كأنهم شبهوه بالاسم حيث قالوا : الضاربي والمضمر منصوب ،قال الشاعر ...)) (3) ثم قال : ((وقد جاء في الشعر : قطني وقدني . فأما الكلام فلابد فيه من النون ،وقد اضطر الشاعر فقال : قدني ،شبهه بحسبي)) (4)

---

1) انظر اللهجات العربية القديمة ص : 45 ، وفي الكتاب : 2 / ص : 140 قال سيبويه : ((وحدثنا من نثق به ،أنه سمع من العرب من يقول : ان عمرا لمنطلق)) . وأهل المدينة يقرأون : ((وَإِنَّ كُلًّا لَّمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ)) (الآية : 111 من سورة هود) ،واختلف القراء في قراءة هذا التركيب القرآني .

2) انظر الموشح ص : 153 - 154 ،والبيت موجود في الكتاب : 2 / ص : 370 وفي النوادر لأبي زيد ص : 68 مع اختلاف الرواية في بعض الألفاظ .

3) الكتاب : 2 / ص : 370

4) م.س.ص : 371

ومما رواه محمد بن سلام للعجاج أنه قال :

يـا ليت أيام الصبا رواجعا))

ثم قال : ((وهي لغة لهم ، سمعت أبا عون الحرمازي يقول :

((ليت أباك منطقا ، وليت زيدا قاعدا)) . وأخبرني أبو

يعلى أن منشأه بلاد العجاج ، فأخذها عنهم)) (1) .

ونص ابن سلام واضح ، بأن الحرمازي لما تربى وترعرع تكلم

بلغة قوم العجاج ، وهذا ما تقول به كل النظريات اللسانية ، بأن اللغة

مكتسبة ، والفرد يتكلم لغة منشئه الذي ينشأ فيه بصرف النظر

عن أصله الحقيقي .

أما سيبويه ، فهو كعادته حاول أن يذهب مذاهب بعيدة في

تخريج هذا التركيب اللهجي الواضح تبعا لنص ابن سلام ، إذ يقول

سيبويه : ((فهذا كقوله : ألا ماء باردا ، كأنه قال : ألا ماء لنا باردا ؛

وكأنه قال : ياليت لنا أيام الصبا ، وكأنه قال : ياليت أيام الصبا أقبلت

رواجع)) (2) .

---

1) طبقات فحول الشعراء : س : 1 / ص : 78 - 79 .

وجاء التركيب في الموشح ص : 340 على النحو : (ياليت أيام رواجعا))

محذوفا منه ((الصبا)) ، ولعلها سقطت من التحقيق أو الطبع ، لكن التركيب

عند سيبويه (الكتاب : 2 / ص : 142) جاء مثلما جاء في الطبقات .

2) الكتاب : 2 / ص : 142 .

واذا علمنا أن السجاع من بني مالك بن سعد بن زيد مناة بن تميم (1) ،فمعنى هذا أن هذه اللغة تميمية ،وأنها تنصب المبتدأ والخبر بعد هذا العنصر النحوي ،ومن المرجح أن كل التراكيب المنصوبة في ان وأخواتها تعود الى هذه القبيلة ،مما جعل بعض أهل الحجاز ينصبون المبتدأ ويرفعون الخبر حتى ولو خففت ((ان)) المشددة .

وفي مجمع الامثال للميداني ((ليت القسي كلها أرجلا)) .

كذا ورد المثل نصبا ،وهي لغة تميم (2) ،يعملون ((ليت)) اعمال ظن ،فيقولون : ليت زيدا شاخصا)) (3) .

أما التراكيب اللهجية في العنصر ((لعل)) فلا تنوعا في تراكيبه المختلفة من الابدال الصوتي الى تعدد وظائفه النحوية ،ومما ينسب الى الأصمعي أنه قال : ((وفي لعل لغات ، يقول بعض العرب : لعلي ، وبعضهم يقول : لعلني ، وبعضهم : علي ، وبعضهم : علني ،وبعضهم : لعني ،وبعضهم : لغني ،قال الفرزدق :

هل أنتم عائجون بنا لعنا نرى العرصات أو أثر الخيام (4)

وقال عيسى بن عمر الثقفي أنه سمع أبا النجم يقول : اعد لعننا

---

1) الشعر والشعراء أو طبقات الشعراء ص : 374 لابن قتيبة

2) مجمع الأمثال : ج 2/ص : 178 للميداني (ط: 2/1959 مطبعة السعادة مصر)

3) م.س : ن . ص

4) كتاب الابدال ص : 111

نفعل كذا ،يريد : لعلنا ،وبعضهم يقول : لأنني ،ولأني ، وبعضهم : لوانني ، وسمع رجل بعنزي يقول : ((من يد عوالمرأة الضالة ؟ فقال أعرابي ، : لون عليها حمارا أسود يريد : لعلها ، فقال له : سود الله وجهك ،وأنشد :

فقلت اكتمي حتى يسار لوأننا نحج فقالت لي : أعام وقابله ؟ يريد لعلنا)) (1) .

ومما هو معروف في بعض التراكيب اللهجية القبلية أن ((لعل)) قد توظف كحرف جر الى جانب عملها المعهود مع أخواتها ،اذ روى أبو زيد الأنصاري قال : ((وقال كعب بن سعد بن مالك الغنوي : ورا عدعا : هل من مجيب الى الندى فلم يستجبه عندذاك مجيب فقلت: ادع وارفع الصوت دعوة لعل أبا المغوار منك قريب ويروى لعل أبي المغوار ،وهي الرواية ،كذا أنشد اللام الثانية مكسورة وأبي المغوار مجرور)) (2) .

وقال ابن الحاجب ((لعل في لغة عقيل ،نحو : لعل الله يغفر ذنبي)) (3) ،ويقصد بهذا ان لعل هنا في التركيب الذي مثل به تجرما بعدها ،وهكذا يكون لفظ الجلالة (الله) مجرورا بـ(لعل) حسب لهجة عقيل ،ونجد لفظ الجلالة (الله) مجرورا أيضا في

1) انظر هذا النص والنص الذي قبله في كتاب الابدال ص : 111 - 112
2) النوادر في اللغة ص : 37
3) متن الكافية ص : 57 لابن الحاجب (نسخة مصورة عن طبعة بولاق : 1241 هـ)

بعض التراكيب الشعرية الاخرى :

لعل الله فضلكم علينا بشيء أن أمكم شريم (1)

1 ـ 3 ـ 2 : ((لا)) النافية للجنس :

هذا الحرف يعمل عمل ((ان)) وأخواتها ،ولا فرق في عملها (لا) بين المفردة وبين المكررة نحو: ((لا حول ولا قوة الا بالله)) ،وينبغي أن يكون اسمها وخبرها في جميع لغاتهم نكرتين ، وهي لا تعمل في المعرفة ،ولا يفصل بينها و بين اسمها عند هم جميعا ، فان فصل بينهما ألغيت ، ولكونها عند هم وضعت لنفي الجنس ،فلا يجوز ان يقال مثلا : ((لا جندي نائم بل جنديان)) .

وعملها في جمع المؤنث السالم مختلف فيه ،اذ قال قوم هو مبني على ما كان ينصب به ، وهو الكسر النائب عن الفتح ،كقول الشاعر مالك بن جندل السعدي :

ان الشباب الذي مجد عواقبه فيه نلذ ،ولا لذات للشيب

في حين ان بعضهم اجاز الفتح فيه (2) .

وفي هذا ملخص ما قاله سيبويه في هذا الموضوع ((لا ،تعمل

---

1) شرح ابن عقيل : 2 / ص : 5

2) السابق : 1 /ص : 461

فيما بعدها فتنصبه بغير تنوين ،ونصبها لما بعدها كنصب ان لما بعدها . وترك النون لما تعمل فيه لازم ،... لأنها لا تعمل الا في نكرة ،... واعلم أن لا وما عملت فيه في موضع ابتداء ،... والذي بني عليه في زمان او في مكان ، ولكنك تضمره ، وان شئت أظهرته ، وكذلك : لا رجل ولا شيء ،انما تريد : لا رجل في مكان ،ولا شيء في زمان . والدليل على أن لا رجل في موضع اسم مبتدأ ،وما من رجل في موضع اسم مبتدأ في لغة بني تميم ،قول العرب من أهل الحجاز : لا رجل أفضل منك .)) (1).

وفي مصادر أخرى أن طيئا تنحو نحو تميم في هذا التركيب أي تحذف القبيلتان كلتاهما خبر ((لا)) وجوبا اذا دل عليه دليل ،خلافا للحجازيين الذين كثر حذفه عندهم جوازا فقط (2).

1 ـ3 ـ3 : تراكيب حرفية متفرقة :

ان الحروف الجارة في اللهجات الفصحى عشرون حرفا ، ومن الصعب في مثل هذا البحث المتعدد الجوانب في مستوياته التركيبية أن يلم بكل حرف على حدة ،ولكن نشير الى أن الهذلي ليس يعزى

---

1) الكتاب : 2 /ص : 274 ـ 276 (بحذف من النص الكامل) .

2) الى جانب المصدر السابق انظر كلا من :
ـ شرح ابن عقيل : 1 /ص : 3 ـ 4
ـ والتسهيل : ص : 67

لهـم الجر بالعنصر ((متـى)) .

ان ((متى)) كما نعرف في اللغة العامة أنها تستعمل للاستفهام عن الحين ،وتستعمل اداة شرط جازمة لفعلين ،ولكن بني هذيل ،فيما أثر عنهم ،أنهم يستخدمونها استخدام آخر كحرف جر ،فيقولون : ((وضعتها متى كمي ،وأخرجتها من كمه)) (1) . وقال شاعرهم أبو ذؤيب الهذلي :(حسب رواية الأصمعي) :

شربن بماء البحر ثم ترفعت متى لجج خضر لهن نئيج (2)

ومما قالوه في معنى متى في هذا البيت الذي وظفت فيه جارة أنها تفيد دلالة ((من)) وكذا دلالة ((وسط)) ،...

ومهما قالوا وأولوا في هذه التراكيب اللهجية الهذلية ، فان الذي لاريب فيه ان هذا العنصر (متى) كان يوظف في هذه القبيلة الفصيحة توظيف حرف جر ،وليكن ((من)) ،لأن الأصمعي الذي روى البيت المذكور عاشر الهذليين سنوات طوالا في بيئتهم وباديتهم ،وكتب الكثير من أشعارهم،ومما يزيدنا اكثرا ريحية ازاء هذا التركيب انه من رواية العين للخليل (3) .

---

1) راجع : شرح ابن عقيل : 2 /ص : 6 والتركيب موجود كذلك في ديوان الهذليين (ق : 1 /ص : 52 في الشرح)على نحو: ((يقال :أخرجته من متى كمي)) 2) انظر البيت،وبرواية أخرى أيضا ،في ديوان الهذليين (ق : 1/ص: 51-52) وانظر كذلك :لغة هذيل ص : 355وما بعدها .
3) هكذا ذكر في ديوان الهذليين ق : 1 /ص : 52 .

ومن هذه الحروف أيضا (حتى) ، التي تعددت وظيفتها في جر الأسماء ما بعدها حينا كما هو شائع ، أو نصب وجر ما بعدها ، كقولهم :

((وان كلبي ليصيد الأرانب حتى الظباء)) خفضا ونصبا (1) ، وهذا ما أجازه الفراء على الرغم من ان جنس الأرانب مختلف وجنس الظباء ، لكن الفراء على تأويل أن الظباء من الصيد ، لكن البصريين قالوا :

((هذا خطأ وفيه بطلان الباب)) (2) ، لان مذهب البصريين في هذا الباب انه لا يجوز العطف بـ((حتى)) حتى يكون الثاني من الأول ، والكوفيون لا يجعلون حتى حرف عطف ، انما يعربون ما بعدها باضمار (3) .

وقال سيبويه : ((وبلغنا ان مجاهدا قرأ هذه الآية :

((وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ)) (4)

أي برفع اللام ، وهي كما نجد في كتب القراءات قراءة أهل الحجاز (5) ، أي قرأ مجاهد ((يقول)) برفع اللام ، ومن كان قرأها بالرفع أيضا نافع المدني (169 هـ) ، وهو من يعنيه سيبويه : اهل الحجاز

---

1) فقه اللغة ص : 151 لابن فارس

2) م.س : ن.ص

3) م.س : ن.ص

4) سورة البقرة Tية : 214 ، وانظر قول سيبويه في الكتاب : 3/ص : 25

5) انظر كذلك : التيسير ص : 80

2 ـ التراكيب في بعض الظروف :

2 ـ 1 : بم ينجر المضاف اليه ؟

يخبرنا الكتاب في بعض مواضعه أن الجر انما يكون في كل اسم يضاف اليه ، وهو ينجر بثلاثة أشياء :

أ ـ بشيء ليس باسم ولا ظرف مثل : مررت بعبد الله ، وباقي حروف الجر مثل اللام ، والكاف ، وتاء القسم ، ومذ ، ورب ، ...

ب ـ وبشيء يكون ظرفا ، ويسميها سيبويه حروفا ، وهي : خلف ، وأمام ، وقدام ، ووراء ، وفوق ، وتحت ، وعند ، وقبل ، وقبل ، ومع ، وعلى لأنك تقول : من عليه ، كما تقول : من فوقك ، وذهب من معه .

وكذلك : قبالة ، وحذاء ، وتلقاء ، ودون ، وقط ، وبعد ، ... وما أشبهه هذا من الأمكنة والأزمنة ، ... وبما أننا تقول : أنت خلف الحائط ، وإمام دارك ، وقدام أخيك ، ... فتجر هذه الأسماء بعدها ، فهي وما يشبهها حروف ، ...

ويرى سيبويه أيضا أن هذه الظروف أسماء ، ولكنها صارت مواضع للأشياء . (1)

---

1) راجع الكتاب : 1 / ص : 415 ـ 422

ج - وباسم لا يكون ظرفا :نحو : مثل ،وغير ،وكل ،وبعض ، ومثل ذلك الأسماء المختصة نحو : حمار زيد ،وجدار جارك ،وهذا كل مالك ، ... (1) .

وحقل الظروف في اللهجات العربية حقل واسع ومعقد ، ولعل هذا التعقيد يرجع الى العبارات الكلامية المحلية والكثيرة من جهة ،والى جهلنا لكل هذه الأصناف اللهجية القبلية من جهة ثانية .

وأشهر هذه الظروف كما نعرف في اللغة العامة هي المورفيمات : اذ ،اذا ،أمس ،الآن ،اين ،بينما ،بينما ،حيث ،عل ،لدى ،متى ، مذ ،ومنذ ،... الخ .

2 - 2 : أمـــــــس : سبق ان تناولنا أمس بشيء من التفصيل بين اللهجتين التميمية والحجازية حين تحدثنا عن المبني والمعرب ،وحين تحدثنا عن ما ينصرف وعن مما لا ينصرف ،ولكن توجد كذلك في الحقل الدلالي للظروف ،لكن تركيبها تبقى اللهجية لا تتغير بين تميم والحجاز .

2 - 3 : مـــذ ، منـــذ :

توظف عادة ((مذ)) لابتداء غاية الأيام أو الأحيان مثل : مالقيته مذ يوم الجمعة الى اليوم باعتبارها حرف جر ،ومذ

---

1) الكتاب : 2 /ص : 420

غدوة الى الساعة أي ما لقيته منذ غدوة الى الساعة بناء غدوة على الفتح ، وما لقيته منذ اليوم الى ساعتك هذه بضم ذال ((منذ)) عوض كسرها على الرغم من التقاء الساكنين ، واذا وظفت غاية ، فيقال فيها : ما رأيته منذ يومين ، وهذه التراكيب كلها من أشلات سيبويه (1) .

وذكر سيبويه في بعض المواضع الاخرى ما يدل على ان ((منذ)) تحرك بالضم عند التقاء الساكنين لأن العرب تكره كسرة بعدها ضمة ، وأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد ((كما فعلوا ذلك في : منذ اليوم يا فتى)) (2) أي بضم الذال ورفع الميم في اليوم .

وفي موضع آخر يبين عن رأيه في أصل منذ ولم تؤول الى الرفع لدى التقاء الساكنين وضم ما بعدها ((فلما اضطروا الى التحريك جاؤوا بالحركة التي في أصل الكلام وكانت اولى من غيرها حيث اضطرت الى التحريك كما قلت في : منذ اليوم فضممت ولم تكسر ، لأن اصلها أن تكون النون معها وتضم ، هكذا جرت في الكلام ، وحذف قوم استخفافا ، فلما اضطروا الى التحريك جاؤوا بالأصل) (3)

---

1) انظر : الكتاب : 4 / ص : 226

2) م . س . ص : 228

3) م . ن . ص : 193 - 194 .

ومما ذكره أبوالحسن (علي بن سليمان الأخفش) في نوادر ابي زيد ان منذ ومذ لابتداء الغاية في الزمان ،ومن لابتداء الغاية في سائر الأشياء والزمان ،،،)) (1) ،ويرى أبوالحسن (الي السابق وهو الأخفش الصغير: 315 هـ) أن لغة الراجز في التركيب التالي :

ما زال ذا هزيزها مذ أمس صافحة خدودها للشمس

أن يبني ((امس)) على الكسر ،فلذلك قال : مذ أمس (2).

ويرى ابن هشام أن ((مذ)) و ((منذ)) حرفا جر :

((بمعنى من ان كان الزمان ماضيا ،وبمعنى في ان كان حاضرا ، وبمعنى من والى جميعا ان كان معدوما)) (3) .

ومما ذكره السيوطي أن أهل الحجاز يقولون : منذ يومين ، ومنذ يومان ،وأن بني تميم يقولون : مذ يومين ،ومذ يومان ، ((فيتفق أهل الحجاز وتميم على الاعراب ، ويختلفون في مذ ومنذ فيجعلها أهل الحجاز بالنون وتميم بلانون)) (4)

---

1) النوادر في اللغة ص : 12

2) م.س : ن . ص

3) مغني اللبيب : 1 / ص : 335

4) المزهر : 2 / ص : 276

وأما الدكتور داود سلوم فقد لخص هذه التراكيب تلخيصا مركزا ورائعا بقوله : ((أما مُذْ فهي ظرف للزمان ،وهي في اللغة الفصحى مضمومة الميم ،ساكنة الذال ،ووردت عن عكل مكسورة الميم مضمومة الذال ،أوساكنة الذال في لغة نسبت اليهم كذلك ،وجاء عن تميم وعبد من غنى من قيس عيلان ؛ مضمومة الذال والميم (مُذُ)... اما منذ فقد وردت مضمومة الذال ومضمومة الاول أيضا ،وهي ظرف للزمان ،وفي لغة سليم وهوازن وردت مِنْذ بكسر الميم ،... وترفع هوازن وسليم بـ(منذ) فقط ،وتجربها عامر بن صعصعة)) (1) .

2 - 4 : مـــــــــع :

قال سيبويه : ((سألت الخليل عن مَعَكُمْ ومَعَ ، لأي شيء نصبتها ؟ فقال : لأنها استعملت غير مضافة اسما كجميع ،ووقعت نكرة ، وذلك قولك : جاءا معاً ، وذهبا معاً ،وقد ذهب مَعَهُ ،وَمِنْ مَعَه ،صارت ظرفا ،فجعلوها بمنزلة : أمام وقدام ، فقال الشاعر ،فجعلها كَهَلْ حين اضطر ،وهو الراعي :

وريشي منكمُ وهواي مَعْكُمْ وإنْ كانت زيارتكُمْ لِمَاما (2).

---

1) اللهجات العربية القديمة ص : 50 - 51

2) الكتاب : 3 / ص : 280 - 287

وحسب سيبويه بصـــا أنها من الظروف ،وبما اننا نستطيع أن نقول في الحروف التي تكون ظرفا : مِنْ عَلَيْكَ ، ومِنْ فَوْقِكَ ،فـا نه لا مانـع من القول : ذ هب مِنْ مَعِـــهِ (بجر العين) (1) ،وهي مثلما تـجر على أساس أنها معمول ،وتنصـب ،كما روى سيبويـه عن الخليل فـا نها كذلك تسكن عينهـــا حسب الشا هد السا بق في قول الرا عـي ، لـكن تسكين عينها ليس ا ضطرارا كما زعم سيبويـه بـل هي لهـجـــة مـعروفة عند غـنم وربيـعة ((وتسكين عينـه (يقصد عين مـع) لغـة غنم وربيعة ، لا ضرورة خلا فا لسيبويـــه)) (2) ،وفي هذا يقول الأستا ذ الرا فعي : ((في لغة ربيعة وغـنم ، يسكون ((مع)) الظرفية على السكون ،فيقولون : ذ هبت مَعْـه ،وإذا وليها سا كـن يكـسرونها للتخلص من التقا ء السا كنين ،فـيقولون : ذ هبـت مَعِ الرجـل ،وغنم حـي من تغلب بن وا ئـل)) (3) .

وما ذكره الأستا ذ الرا فعي وقا ئع لسا نية صحيحة على الرغـم من أنه لم يُحِل على المصادر التي ا ستقى منها كعا دة البعض من البا حثين الآخرين (4) ،ذلك أن كتب النحـو واللغة ذ كرت أن تسكين عـين ((مـع)) قبل حركة ،وكسرها قبل سكون ،لغة رَبَعِيَّة (5) ،

---

1) راجع هذه التراكيب في الكتا ب : 1 / ص : 1 /ص : 420

2) معـي اللبيب : 1 /ص : 333

3) تاريخ آدا ب العرب : 1 / ص : 155

4) من هـؤ لاء على سبيل المثال الد كتور ابراهيم أنـيس الذي وضع بحثا قيما في اللهجا ت العربية ،لكنه أهمل الاحالا ت على المصادر .

5) انـظر التسهيـل ص : 98

وحكى الكسائي أنها ،فعلا ، لغة لربيعة وغنم في حالة تسكين عينها قبل حركة (1) ، وجاءت مسكنة العين في التراكيب اللهجية الفصيحة ،ولكنها اذا سكنت فالأصح أنها اسم (2)، واذا لقي الساكنة ساكن جاز كسرها وفتحها (3)،والفتح لغة عامة العرب ،والكسر ،كما تقدم ، لغة ربيعة (4) ،وقرأ الجمهور قوله تعالى :

((إِنَّا مَعَكُمْ ،إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)) (5)

بتحريك العين ، بينما قرئ في القراءات الشاذة بتسكينها (6).

ان طبيعة بحثنا لا تسمح لنا بالتحليل والتعليق في كل حال ، ولكننا نريد أن نشير فقط بأن القراءة الأخيرة (بتسكين العين) لا يمكن وصفها بأنها شاذة ،ما دامت هناك لهجة فصيحة تجوز عليها القراءة ،والشاذ الحقيقي هو ،في نظرنا ،ما خرج عن التراكيب اللهجية الفصيحة التي تشكل في كليتها هذه اللغة العربية المشتركة ، ولا يستطيع أحد أن يزعم من القدماء أو المحدثين أن الربعيين لم يكونوا من العرب الفصحاء .

---

1) انظر البحر : 1 /ص : 62 وكذلك نفس المصدر ص : 69

2) راجع المصدر السابق ص : 62

3) انظر : أوضح المسالك ص : 166

4) انظر البحر : 1 /ص : 62

5) سورة البقرة آية : 15

6) انظر البحر : 1 /ص : 69

2 ـ د : لـــــد ن :

لهذا المورفيـــم تراكيب افراديـة وجملية كثيرة ، وهي قـد تكون بمعنى ((عند)) في بعض التراكيب ،كقوله تعالى :

((قَـدْ بَلَغْتَ مِنْ لَـدُنِّـي عُـذْرًا)) (1)

حيث قرأنافع المدني (من لدني) بضم الدال وتشديد النون (2) ، وقال سيبويه : ((جزمت لدن ولم تجعل كعند لأنها لا تمكـــن في الكـلام تمكـن عند ،ولا تقع في جميع مواقعه ،... وأما لـد فهي محذوفـة ،كما حذفوا يكن ،الا ترى أنـك اذا اضفت الى مضمر رددتـه الى الأصـل ،تقول : من لَـدُنْـهُ، ومن لَدُنِّـي ،فانما لَدُنْ كَعَـنْ)) (3) .

وحسب ما وقفت عليه في بعض القراءات أن هذا المورفيـم مبني في سائر التراكيب اللهجية الاخرى ولغة الجمهور ،الا في سائر لهجـة تميم ، فانـه معرب فيها (4) ،وبهذا نفهم انـه على ضوء هذه اللهجة قرئ (من لدنـه)) بالكسـر ،وجاءت النون محذوفـة منها في شعر لبيد :

((من لـد لحييـه الى منحـوره))

وقـد تضاف الى الجمـل كقول القطامـي :

---

1) سورة الكهـف : آيـة : 76
2) راجع التيسيـر ص : 145
3) الكتاب : 3 / 256
4) انظر التسهيـل :ص : 67

((لـدن شـيب حـتى شاب سود الذوائـب)) (1)

وكما تكـون معربة بالكسر على لغـة قيس في بعض التراكيـب ، فـانها قـد تكون كذلك معربة بالتنويـن فلـك ما رواه أبـو زيـد : ((وقـال القشيريون : جئت فلانا لدًا (2) غُدْوةً ،ففتحوا الدال ، وقال بعضهـم : لَـدَا (3) غُـدْوَةٍ فأضاف وجزم الألف)) (4) ويتبيـن لنا من رواية أبي زيـد ان القشيريـن يعربون كذلك هذا الموقيـم على لهجة قيـس ،بـل ذهبوا فيها مذهبا بعيـدا حيث أظهـروا التنويـن فيها تأكيدا لاعرابها .

وهؤلاء العرب هم بنو قشيـر بن كعب بن عامر بـن صعصعـة (5) ،كانوا يسكنون بجهات البصرة ،وليس في تلاقي قشير بقيـس أي عجب في هذه التراكيب اللهجية اذا علمنا أن قيس عيلان ابـن مضر مـا هو الا جـد لبني قشيـر (6) ،وليس غريبا أن يتعاطى الحفيد الجديد لهجة أو بعضا من تراكيب الجد القديـم .

---

1) راجع هذه التراكيب في : أوضح المسالك ص : 135

2) أي بتنوين ((لدا)) ونصب غدوة ما بعدها من الصرف .

3) أي بعدم التنوين في ((لدا)) واضافتها الى غدوة مع صرف هذه الاخيرة .

4) النوادر في اللغـة ص : 171

5) انظر : جمهرة ابن حزم ص : 289

6) راجع : المصدر السابق ص : 468 ـ 469

3 ـ خلاصة البحث

كما أشرت غير مرة ،لا يمكن أن نحيط بكل التراكيب اللهجيـة القبلية ودراستها دراسة سانكسية توفي تبايناتها التركيبية في مختلف مستوياتها ،ونؤكد في هذه الخلاصة مرة أخرى بأن هذا العمل ممكن لو يقتصر الأمر على لهجة قبليـة واحدة أو مستوى واحد من هذه اللهجات القبلية مجتمعة ،كأن يتعلق الأمر بمستوى واحد من المستوى الصوتي ،أو بمستوى آخـر هو المستوى الفونولوجي ،...

فبالنسبـة لبعض اللغات السامية ،فإن مدونتها المتقاربة من العربيـة ولهجاتها أو المتقاطعة معها بين الفينة والأخرى في هذه البنية أو تلك ، تظل مع ذلك غير ثريـة ،ويكاد يكون الشيء نفسه بالنسبة للهجات العربية ((الباقدة)) ، لكن الأمر مختلف تمام الاختلاف أمام مدونة تكتنز في ذاكرتها الشعبية والرسمية تراكيب لهجية متزاحمة ،ولا يقصر مستوى منها دون مستوى آخـر ،لأن هذه التراكيب اللهجية مهما تداينت أو تباعدت فهي منتظمة في إطار نظام لساني شامل ودقيق ،وهذا النظام لا نتصوره من حيث المبدأ العام إلا في لغة

خارج عناصر متماسكة ومتناسقة ،ولا يمكن لعنصر منها أن يقوم في غياب أو تصور غياب الآخر ،وهي : العنصر النحوي أو السانتكسي ،والعنصر الصرفي أو المورفولوجي ،والعنصر الفونيتيكي الى جانب العنصر الفونولوجي ، والعنصر المعجمي أو اللكسيكي ، والعنصر الدلالي ، وهذا الترتيب الخطي لا أهمية له ،لأن كل عنصر من هذه العناصر الخمسة قائم بذاته من حيث الكيان ،وقائم بغيره من التأليف والبناء .

ومما نأكد عليه آنفا ،هو أن حقل التركيب اللهجي حقل واسع ،ويكون أكثر فائدة كلما قللنا عناصر البحث فيه من عنصر الى عنصر ،وليس بحث العناصر مجتمعة وفي وقت واحد وفي كل اللهجات والمستويات .

ومما استنتجناه كذلك أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن نبحث هذه العناصر اللهجية وفي تركيباتها المختلفة بمعزل كلي أو حتى جزئي عما تقدمها أولا يزال يتقاطع معها خطابا وتاريخا ، وأعني بهذا اللغات السامية ولهجاتها دون أن نغوص في متاهاتها التاريخية بشكل يقضي على الأهم منها

،واعني بهذا الوقائع اللسانية التي لا تزال حية ومرسومة في بعض المواقع من الشرق الأدنى وشبه الجزيرة العربية وبعض جزر البحر الأبيض المتوسط وشواطئه الطويلة ،كما أنه لا يمكن الوقوف على ما يسمى باللهجات العربية البائدة دون الوقوف أولا على ما تقدمها من وقائع لسانية نمت وترعرعت بصرف النظر عن مواقعها واحداث اصحابها التاريخية وزمانهم ومكانهم ،لانه على كل ميدان ان يتكفل بميدانه ،والشيء نفسه قائم بالنسبة للهجات العربية الباقية ،اذ لا يمكن بحثها بحثا علميا وموضوعيا دون الرجوع اولا الى فضائها الاصلي والشاسع والمتجسد فيما يعرف عادة باللهجات العربية البائدة ،وفي جميع هذه الحالات رأينا في الوقت نفسه أنه لا يمكن المغامرة في مقارنة أو موازنة هذه التراكيب اللسانية المكسية من اللهجات العربية الباقية بما تقدمها من وقائع لسانية سامية بشكل عام ،الى جانب تلك التراكيب اللسانية الأخرى التي يمكن أن نعتبرها اشد صلة بهذه التراكيب اللهجية المعنية ،ونعني بها الحميرية أو السبئية أو اليمنية الى جانب تراكيب اللهجات الشمالية ((البائدة)) ،لم نجد ان نغامر هذه المغامرة التي لو دخلناها لما أمكن لنا ان نخرج منها ،لأن عجزنا في تغطية التراكيب اللهجية

الباقية أدلة لدينا على مثل هذه المغامرة العلمية الخطيرة ، وعلى الرغم من هذا ،فانا غامرنا بالقدر الذي سمح لنا به علمنا واطلاعنا ،لكننا مع ذلك لم نطرق باب هذه المغامرة العلمية من باب المقارنة والتوسع ،لا سيما فيما يخص اللغات السامية واللهجات العربية البائدة من جهة ومقارنة الأصناف التركيبية في هذه اللغات واللهجات المتقدمة باللهجات العربية البهائية ،وهذا مع شعورنا بل يقيننا بوجود امكانية علمية رائعة وحية بين هذه التراكيب اللسانية مجتمعة بصرف النظر عن زمانها ومكانها وطبقات أوصفات المتكلمين بها .

وفي اعتقادنا أن قضاء هذا البحث لا يزال مفتوحا ،وسيبقى مفتوحا حتى ولو بحث باحدث الطرق المتحرية التي أشرنا اليها ،ولذلك فاننا لا نحس بسلطة النتائج المزعومة في هذا العمل الشاق ، بقدر ما شعرنا ونشعر بلذة الوقوف على حقائق هي في غاية الرضى بالنسبة الينا ،انها حقائق النقص المستمر كلما شعرنا بأننا أنجزنا بحثا علميا خضع لقراءات بعضها متأن وبعضها سريع ، وبعضها الآخر متردد ترددا كثيرا وستمرا ،واذا كانت هناك نتائج وما يشبهها ،فان الفضل يعود أولا وأخيرا الى الصنف

الثالث من هذه القراءة المتردة ،وبقدر ما تتحمل هذه القراءة هذه النتائج على علاتها ،تتحمل سوء وليتها في أحكامها وأخطائها ، لكنها تفتح صدرها رحبا لكل القراءات التي سبقتها أو التي ستليها لتصحح ما تورطت فيه من أحكام علمية ناقصة أو حتى واهية ، ونحن فضلنا هذه القراءة المترددة التي تعبر بنفسها عن نفسها عما قد يطفو خلال مراحل هذا البحث من نتائج من خلال معارضتها بنتائج من سبقونا في الميدان ،وفضلنا ذا أيضا لأننا واثقون ثقة تامة بأن نقصها الطفوح سيكمل بقراءات غيرها .

لكن النتيجة التي نطمئن اليها ونشعر بها فعلا هو خروجنا من هذه الصافات الطويلة واثقين بأن التراكيب السامتكسية في اللهجات العربية القديمة بمافيها التراكيب المدخرة في اللغات السامية واللهجات العربية الأركيبة بزمتها الى جانب اللهجات العربية الفصيحة التي احتوت الآداب الجاهلية الراقية ثم وسعت خطابات القرآن الكريم و سنة نبيه محمد (ص) ثم ما جاء بعد كل هذا من نصوص وآداب وتآليف جمة من حيث الكم والكيف ، ... ما هي الا تراكيب متشابهة ومتقاطعة في غير قليل من وقائعها اللسانية ،لكن وراءنا لهذه التراكيب محكية أو مغوية ثم

مكتوبة بواسطة السماع أو عن طريقه جعل من الصعب الحكم أو النفي بشكل قاطع أو حتى مرجح أحيانا بما يربط هذه التراكيب من تشابه حينا وتباين حينا آخر ، لا سيما وأن ما لاحظناه خلال هذا العمل هو ذلك التفريط الذي يكاد يكون مطلقا من العرب وجيلتها العلمية والثقافية والتاريخية ، ... في الوقوف على آلاف النقوش والنصوص التراثية التي لا تبرح شبه مهملة من الجهات الرسمية في العالم العربي ، حتى صار لا بد من التعريج على مستشرقين ودارسين أجانب ، بارك الله فيهم ، على الرغم مما قد يوجد في أعمالهم من أغراض وانحرافات ، كلما حاولنا أن نقف وقفة قصيرة أو طويلة لمعرفة أحوال وجوه تراثنا .

وإذا كان لا بد من احترام التقاليد المعمول بها لابراز أو محاولة ابراز بعض النتائج المتوصل اليها أو الثارة أو الملحوظة بهذا الشكل أو ذاك ، فإننا نعترف بأن النتائج الأكثر أهمية في نظرنا هو ذكر بعض هذه النتائج التي تحققت على يد الآخرين ، لا سيما اذا ظلت بعض هذه النتائج مطموسة أو منفية من فضاء المادة المبحوث فيها ، ومن بعض هذه النتائج التي توصلنا اليها منهجا ومادة وموضوعا هو ما حققه بعض اللسانيين العرب القدماء في ميدان البحث اللساني قبل الغرب

بعهد طويل .

ان التمهيد الذي قدمناه لهذا العمل سمح لنا بالوقوف مليا على تحديد الموقعين الزماني والمكاني وما كان يتحرك ويتفاعل ضمن هذين الموقعين ،كما سمح لنا من تعيين الأصول والفروع القبلية التي تمثل هذه التراكيب اللهجية من عرب بائدة وعرب باقية .

واعتمدنا في هذا التحديد ،كما لاحظ المتتبع لهذا العمل ،على مراجع ثابتة ويقينية مثل القرآن الكريم ،ومراجع متضاربة أخرى عديدة ، وهذا التحديد سمح لنا بالوقوف على التقاطعات الجغرافية والفضائية العامة لبعض المظاهر اللهجية التي مثلت لنا المدونة اللسانية للدراسات التركيبية التي قمنا بها بالاحقا .

وهذا التحديد للموقعين ؛ الزماني والمكاني ،مكننا أيضا من أخذ فكرة لسانية تاريخية وجغرافية على طبيعة التكلمات اللهجية ومستوياتها المختلفة بين بعض المناطق الجغرافية اللسانية ،ورأينا أن تلك الخلافات اللسانية بشكل عام أحدثتها عوامل خارجية مثل العوامل الجغرافية والتاريخية والاجتماعية ... وعوامل أخرى داخلية متصلة باللغة العربية ذاتها ولذاتها والمتجلية في تلك التطورات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، ورأينا كذلك مبدئيا

أن المناقشة الجغرافية اللسانية قد تتقلص حتى يظهر الخلاف المنهجي على مستوى منطقة واحدة ، وذلك نتيجة للتداخل القبلي أو العكس .

وشاهدنا أيضا من خلال التقاطعات الفضائية للقبائل العربية في بداية الباب الاول من هذه الرسالة ، أن هناك تكلمات أو كلمات نشأت فعلا من هذه التقاطعات التي انعكست عليها بشكل جلي التداخلات الفضائية ذاتها للمجتمع اللغوي العربي منذ حقب بعيدة ترجع الى الشعوب السامية السحيقة بعضها أحيانا ، وظهر هذا ، فيما بدا لنا ، مع بداية التوحيد اللغوي بين المتكلمين العرب هنا وهناك ، ولم يكن صعبا ، كما رأينا ، على العربي ان يوظف نفس الشكل الصوامتي ، بفضل جبلته ، بهذا المعنى أو ذاك خلافا للمتأخرين .

وناقشنا مشكل فصاحة قبيلة قريش ، فرأينا أن هناك ما يعرف بالفصاحة من جهة ، وهو شيء ، وبسلامة اللغة ، من جهة اخرى ، وهو شيء ثان ، وقريش لئن كانت تملك ناصية الأولى فانها يجري عليها ما يجري على القبائل العربية الأخرى التي كانت تختلط بالأجانب بشأن سلامة اللغة ، ولذلك ، فان الرسول محمدا (ص) ، يعد من أفصح العرب ، لأنه جمع بين فصاحة قومه ، وهم القرشيون ، وسلامة اللغة ، من خلال الاكتساب اللغوي من لدن بني سعد بن بكر بن

هـوازن .الى درجة قوله عليه السلام : ((انا أفصح العرب بيد أني من قريش ،وأني نشأت في بني سعد ابن بكر)) (فقه اللغة ص :57 لابن فارس) .

ومن نتائج هذا الباب أيضا ان رأينا كيف أن نص الفارابي بشأن القبائل الذي أخذ عنها أولم يسوء خذ عنها ،لم يعد نصا مقبولا ،ورأينا الواقع اللساني يستبعد هذه النظرية الفارابية .

وبشأن الحديث الشريف (انزل القرآن على سبعة أحرف) حاولنا أن نعطيه تفسيرا سانكسيا لا تفسيرا عاما أو خاصا فقط بالقراءات القرآنية ،اي لاحظنا أن معجزة القرآن تكمن كذلك في التركيب ، وهو حين تحداهم ،وهم العرب الصناديد الافحاح ،وهم أصحاب الفصاحة، وهم ارباب البيان ، لم يتحدهم بما فوق عقولهم ليأتوا بمعجزات ماضية أو حاضرة أو غيبية بل تحداهم ،كما تحدى الانس والجن منهم ، ليأتوا بمثل هذا القرآن أو سورة منه أو أدنى شيء من تركيبه.

ولذا ،فالنتيجة التي تمخضت لدينا بشأن الحديث النبوي الشريف ، أن مفهوم ((السبعة أحرف)) هو مفهوم لساني تركيبي أو سانكسي ،ولاحظنا من خلال الاطلاع على بعض الخصائص الخطابية أو التركيبية في لغات انسانية بواسطة قراءات لسانية معاصرة ،أن

اللغات الانسانية الناضجة عموما تكاد تتشابه في أقسام خطاباتها ، وعليه ،فان مفهوم السبعة أحرف لا يكاد ،فيما رأيناه ، يبتعد عن هذه القاعدة اللسانية العامة ،والا تعذر ترجمة معاني القرآن الكريم الى لغات الشعوب الاسلامية التي لم تتعرب حتى الآن ، ووقفنا على أن الحديث الشريف يحتوي على معجزة لسانية ،وهذه المعجزة لها دلالتان : معجزة لسانية عامة تتعلق ببنية أقسام الخطاب ومراتبه ، والدلالة الثانية خاصة بالنسبة العربية باعتبارها اللغة الأولى التي سجلت كلام الله المنزل على سيدنا محمد (ص) .

ومما وقفنا عليه ايضا بتحديد الرقعة الجغرافية للغة العربية التي أخذ عنها ممن لم يؤخذ منها ، أن تركيز الأجانب الذين يتصدون لدراسة اللغة العربية الجاهلية والنموذجية أو المشتركة هم غالبا ما يتصورون هذه العربية المشتركة على نحو تاريخ وظروف اللغات الأوروبية بينما هذه اللغة العربية التاريخية البدوية تختلف اختلافا بينا عن لغات الغارات والمراسيم والمجامع . . .

وخلال حديثنا عن العلاقات اللغوية السامية ـ العربية ، أن الدرس المقارن لم يظهر في القرن التاسع عشر في الغرب على أثر اكتشاف اللغة السنسكريتية الا بشكل اتخذ منهجية علمية صارمة ،والا فان

النحويين العرب من جميع الطبقات المبكرة الى جانب الفقهاء والمفسرين قد تجاوزوا حد الاحاد الى حيز طبيعة بأشكال الفاظ وتراكيب (كلمات) وردت في القرآن الكريم : أهي أجنبية على العربية كليا أم هي قريبة منها أم ألفاظ دخيلة عربيت وصيغت طبقا للقوانين السائدة في العربية .

ولاحظنا كذلك أن العلاقات التركيبية أو البنى الداخلية للغات السامية تتبلور في بنيات خارجية تتعلق بالتوزع والأحداث التي انعكست على أنظمتها النحوية والصوتية والصرفية والدلالية والمعجمية ،وذلك من خلال :

- البنية السانتكسية
- البنية المورفولوجية
- البنية المعجمية
- البنية الدلالية
- البنية الصوتية

ومن خلال اللغات السامية القديمة ،كاللغات الأكادية ،لاحظنا أن ظاهرة الاعراب في العربية ليس بدعا أو حدثا جديدا خاصا باللغة الجاهلية أو واللغة القرآنية ،بل هي ظاهرة ترجع الى أكثر

من خمسة وأربعين قرنا .

ووقفنا على حقيقة أخرى تتعلق بالجذر الأصلي للغات السامية ويتلخص في أن الطابع العام لهذا الجذر هو الجذر الثلاثي ، وأن ما فيها من كلمات معجمية ثنائية قد تعود الى اللغة البدائية الأولى أو الى اللغة السامية التي يعد الأصل فيها ثنائيا .

والحقيقة الأخرى من بين الحقائق اللغوية ، أن اختلاف المختصين في اللغات السامية يرجع الى اختلافهم في قراءة النقوش واستنطاقها أزيد مما يعود الى اختلاف هذه اللغات التي يفترض فيها أنها تتفق في كثير مما يعتقد أنها تتباين فيه .

وبالنسبة للتركيب السامي تتكشف في اللهجات العربية البائدة خرجنا عن العادة المألوفة في بعض الدراسات التي تحاول أن تحصر هذه اللهجات في ثلاث فقط ، بينما نحن أضفنا اليها لهجة رابعة واعتبرناها حسب دلائل لسانية واقعية لهجة عربية خالصة ، وأعني بها النبطية .

وهذه اللهجات الأربع (الثمودية ، والصفوية ، واللحيانية ، والنبطية) تتقاطع مع العربية الباقية في كثير من التراكيب العامة والخاصة ، والى جانب اللهجتين الثمودية واللحيانية ، فان الصفوية

تمثل الى حد كبير اللهجة العربية الشمالية الفصيحة أو العربية الباقية على الرغم من بعض الظواهر التي تعكس تأثيرا للآرامية فيها مثل بعض أسماء الأعلام، والمفردات الحضارية .

ووقفنا على الآثار المتبادلة بخصوص التأثر والتأثير بين أصحاب هذه اللهجات وعلاقتهم بالآراميين ، بما في ذلك الخط العربي نفسه الذي أخذه العرب عن الأنباط وكيف أن هؤلاء بدورهم طوروه من صورة الخط الآرامي .

ومن قرب اللهجة النبطية من العربية الباقية في احدى الظواهر السانتكسية - الى جانب ظواهر أخرى عديدة - أداة التعريف حيث تعرف بها خلافا لأداة التعريف في اللهجات الثلاث الأخرى (الها) .

لكن تساءلنا كثيرا عن بعض المعطيات المتوفرة لدينا بشأن التراكيب في اللغات السامية واللهجات العربية البائدة ، لأن هذه المعطيات الأثرية أو اللسانية لا تمثل لنا الا قليلا مما كان يملكه المتكلمون بها على المستوى الشفوي من مناسبة وحركات ونبر وتنغيم وتأكيد واستفهام ... الخ .

لأنه بعد وقوفنا على تراكيب موروثة في اللهجات العربية البائدة تهمنا أن كتبتها ربما كانوا يجتهدون عن وعي أو عن غير وعي في

محاولة رسمها مثلما كانت تنطق أو على الأقل كانوا على دراية بما يجب رسمه مما يسهل نطقه ،ومنها الصوائت ،ولكن في الوقت نفسه ثبت لدينا أننا عاجزون اليوم من اعادة النطق نفسه ،فالتركيب ((ويلمها)) الذي وظفه امرؤ القيس ؛

ويلمها في هواء الجوطالبة ولا كهذا الذي في الأرض مطلوب

ومثله التركيب ((علماء)) (على الماء) كلاهما يقوم على الايحاءية في عملية التبليغ بين المرسل والمرسل اليه ،لكن الرمز بينهما في هذه الحالة يكون ثنائيا بين التقليد في الخطاب الشفوي وبين النظام الكتابي .

ان ما وقفنا عليه وتصورناه بين النظامين ؛ النطقي والكتابي في اللهجات العربية البادية وفي اللغات السامية من خلال النصوص التي توفرت لدينا أنه لم تكن الكتابة لدى أولئك شيئا والنطق شيئا ثانيا بحيث يكون أحدهما بعيدا كل البعد عن الآخر .

ومن خلال دراستنا للمدونة اتضح لنا أن هذه المدونة مهما كانت قصيرة أو طويلة ،قديمة أو حديثة ،ومهما كان شكل الطبقات التي تتشارك بوعي آني أو بوعي تاريخي ... فانها ليست في النهاية من أن تكون عينة من هذه اللغة الكلية ،بمعنى أن اللهجات المنتسبة لمناطق قبلية أو بيئات جغرافية ليست أزيد من عناصر منتسبة الى

مجموعة واحدة هي هذه العربية الفصيحة .

وفيما يخص التقاط المدونة ،فانا لاحظنا أن هذه العملية بين جامع اللغة ومنتجها أو المتلفظ بها كانت تتم حسب التصور :

هو ← مصدر السماع ومرسل أول للسماع

أنا ← ملتقط السماع ومرسل ثان للسماع

أنت ← المرسل اليه السماع

والنتيجة التي ارتأيناها تبعا لهذه الضمائر أن الضمير الشخصي (هو) يجسد الأعرابي في باديته ،والضمير الشخصي (أنا) يمثل الراوي عن الأعرابي ،والضمير الثالث (أنت) لا يمثل الا المستمع الثاني أو المسجل عن الراوي .

ومما استنتجناه كذلك في التقاط المدونة أن السماع يشكل عملية متزاوجة بين كل من المرسل والمرسل اليه ،فهي في سلسلتها الصوتية تمثل شكلا أفقيا ،وتلفظ الباث بها عبر السلسلة الكلامية يصبح عموديا .

ومما وقفنا عليه أيضا أن مصادر المدونة المسموعة مصدران :

1) الأعراب في بواديهم 2) الأعراب لكن في الحواضر

وبالنسبة للتركيب في اللهجات العربية الباقية ،فاننا طلعنا بعدة نتائج خلال تعرضنا للسانتكس التقليدي عند العرب ومقارنته بما جد في هذا الميدان في اللسانيات المعاصرة .

ومن هذه النتائج التي لم نشك في مصداقيتها منذ البداية شكا كثيرا أن الدراسات السانتكسية العربية القديمة انطلقت من نهاية أوج ما انتهت اليه الصنعة الكلامية لدى العرب ،وحيث ان هذا السانتكس العربي القديم ضارب بجذوره في هذا السانتكس العربي الجديد ،سيبقى مختلفا مع أي انطلاقة لأي سانتكس غير عربي ، لأنه شتان ما بين سانتكس لغوي شغوي قائم على تراث سليقي ناضج ، وبين سانتكس تتدخل أحيانا القوانين والمراسيم في تعديله .

ومن هذه النتائج التي وقفنا عليها كذلك لدى العرب أن هؤلاء (اللسانيين العرب المبكرين) :

1)تعاملوا مع اللغة كعلامة لساني خارجي مصوب نحو استعمال داخلي .

2) تعاملوا مع الرسالة الاعلامية الملتقطة كلغة (Comme un langage) وليس كلغة بمفهوم (langue) أو لسان .

3) ظاهرة السانتكس العربي مؤسسة على ظاهرة الكلام ثم على ظاهرة اللغة كمنظومة قواعدية كلية لا تتجزأ .

4) كثيرا ما أرهقوا أنفسهم في البحث والتحري لايجاد معادلات أو مطابقات سانتكسية لهذا التركيب أو ذاك .

5) لم يتعاملوا مع السانتكس كناتج كلامي متوقع بل كناتج من

الأشكال بخير وانتهى ، وبعد ادراكهم لتكرار الظاهرة ذاتها من حيث القواعد السانتكسية ، عادوا ينظرون الى السانتكس كجمل متوقعة وغير متوقعة.

6) وعلى ضوء هذه التعاملات المبكرة ، غدا الناس من عرب متأخرين وعجم متقدمين يتعاملون من السانتكس تعاملا أقرب الى الملاحظة العلمية منها الى كلام سليقي قائم على العفوية والشفوية ، ثم كان التعامل مع المنظومة اللغوية بشكل عام .

وأثناء عملية البحث في التركيب الاسمي استنتجنا أن الفصلتين اللسانيتين الكبيرتين : تميم والحجاز ، غالبا ما تختلفان في أكثر من مظهر لهجي ، سواء تعلق الأمر ببنية ما نتكسية أو غيرها من البنيات الأخرى ، حتى وان كنا أهملنا الحديث عن البنيات الأخرى بالطريقة التي اتبعناها في السمات واللهجات البائدة ، وحين تختلف هاتان القبيلتان فان القبائل البدوية أو التي تقطن وسط أو قلب شبه الجزيرة العربية غالبا ما تحذو حذو رئيستهم تميم في البنيات السانتكسية وباقي البنى اللهجية الأخرى .

ومثال ذلك ما لاحظناه في الجنس حيث ذهب أهل نجد مذهب تميم في التذكير ، والنتيجة الأخرى التي لاحظناها في الجنس أيضا

تتعلق بأهل الحجاز ،ولكن من الداخل ،أي فيما بينهم وبين أنفسهم ،
ويقتضي الأمر أن ما يختلف فيه الحجازيون من تذكير وتأنيث ،
فالأغلب عليهم التأنيث ،خلافا لأهل نجد الذين يذهبون الى التذكير
ـ أي يغلب عليهم التذكير ـ اذا ما اختلفوا مابين تذكير وتأنيث ،
النتيجة الأخرى ،ودائما في الجنس ،اذا ما انفردت أو شردت
قبيلة غير مشهورة لهجيا بظاهرة تذكير مطلقا كمثل شرود عكل وحدها
في تذكير الذراع ،وانفراد أسد بتذكير الابهام والرباح ،وشذوذ قيس
بتذكير القدر ،فان القبيلتين الكبيرتين المتصارعتين لهجيا (تميما والحجاز)
ومعهما ،في هذه الحالة ،باقي القبائل العربية ،تعاكسهم أي تؤنث ،
والمتتبع لهذا العمل يلاحظ نتائج أخرى تتصل تقريبا
بكل البنى السانتكسية الباقية ،والتي لا يمكن ذكرها كل نتائجها مجتمعة ،
وهنالك نتيجة هامة أخرى تتعلق ببنية المثنى كظاهرة كلامية واسعة ،
وكيف أنها زالت من مختلف اللغات الانسانية أكادت تزول نهائيا ،
ولم تبق لافتة الانتباه بشكل قوي الا في اللهجات العربية التي تجسد
هذه العربية المشتركة ،حتى انه ليمكن التقرير بأن المثنى ظاهرة سامية
أو بعبارة أدق ظاهرة سانتكسية عربية ،...

وفي التركيب الفعلي ،كذلك استنتجنا أن أهل نجد يذهبون مذهب تميم في غير قليل ،ان لم أقل في أغلب البنيات السانتكسية المتعلقة بالتركيب الفعلي ،مثال ذلك أن أهالي نجد ذهبوا مذهب تميم في الفعل (هلم) الذي يصرف عندهم باسناده الى الضمائر مفردا ، ومثنى ،وجمعا ،ومذكرا ،ومؤنثا ،ليس فقط في معنى الأمر بل حتى في معنى الماضي والمضارع ،خلافا للحجاز التي تجعله اسم فعل وتلزمه حالة واحدة في جميع تراكيبه ،وتذهب معها قبائل أخرى كثيرة مثل عقيل ،وقيس ، وقيس عيلان .

وهذا الصراع نفسه يلاحظ في التراكيب اللهجية الغزيرة الأخرى كالمستثنى المنقطع وحتى بعض التراكيب الناقصة أو التامة فيه .

وفي التركيبين : الظرفي والحرفي ، لاحظنا أن العلاقة بين العبارة والوحدة الدالة ليست محصورة دائما في ذاتها الا بشكل نسبي ، لأن اختلال موقعها من مكان الى مكان في الجملة قد يؤدي الى اختلال كلي في هذه البنية .

وفي نفس هذا الفصل الخاص بالتركيب الحرفي والظرفي استنتجنا بمقارنة بسيطة أن التمييز بين الفئات النحوية والفئات اللكسيكية لا يكون بالضرورة هو عينه في كل اللغات ،اذ ما يصدق على هذه اللغة قد لا يصدق على تلك .

ولعل أكبر نتيجة انتهينا اليها بالنسبة للتركيب في اللهجات العربية من بائدة وباقية ،وخاصة هذه الأخيرة ذات النصوص التي لا يتطرق اليها الشك ، أن أعظم نتيجة ليس النتيج فقط بما توصل اليه الدارس بفضل استعمال هذه الأدوات أوتلك ،بل أيضا في الاطلاع على نتائج الغير في هذا الحقل ،لأنه من غير الاطلاع على نتائج وأعمال السابقين فلن تكون نتائجنا الا تراكمات علمية لا جدوى من ورائها .

ومما انتهينا اليه أيضا من خلاصة أن أعظم نتيجة تحصد وتؤتي ثمارها بشكل أكثر نضجا هي تلك النتيجة التي ترتكز على القراءة بواسطة الكل ،وترتكز على العمل في البحث العلمي بواسطة الجزء .

ان بحث ظاهرة ما نتكسية في اللهجات العربية ،كما لاحظنا ، كان ينبغي أن يؤسس على القراءة الكلية ليعتمد في النهاية ظاهرة لسانية معينة ،ومن ثم يستقصيها ويتحراها دون أن يغلب ظهر الجزء لقراءات أخرى تتصل بذات موضوعه اتصالا ،وهنا تكون نتيجته أهم النتائج التي يمكن استثمارها لتحقيق نتائج تالية .

فهـــرس الفهـــا رس :

1) فهرس الآ يا ت القرآنيـــــــة

2) فهرس الترتيب التسلسلي للسور القرآنية حسب ورودها في البحث

3) فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

4) فهرس بعـــض الأمثال

5) فهـــرس الشواهد الشعريـــــة

6) فهرس المصادر والمراجع بالعربية وفي ذيله الدوريات

7) فهرس المراجع باللغة الاجنبيـــــة

8) موضوعات البحث الرئيســـــــة

1 ـ فهـــرس الآيـــا ت القـــرآنيـــة (1)

الآيـــــــــــــة	رقمها	سورتهـــا	الصفحة (2)
1) مـالك يوم الديـــن	4	الفاتحـــة	268
2) على قلوبهم وعلى سمعهم وعلـــى أبصارهم غشـــاوة	7	البقـــرة	234
3) وإذا قيـــل لهـــم	11	ـــــــ	105
4) انا معكم انما نحن مستهزئون	15	ـــــــ	548
5) واستكبر وكان من الكافرين	34	ـــــــ	527
6) وقلنا يآدم اسكن أنت وزوجك الجنة	35	ـــــــ	434
7) ثـم توليتم الا قليلا منكم	83	ـــــــ	509و 515
8) وزلزلوا حتى يقول الرسول	214	ـــــــ	541
9) هل عسيتم ان كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا	246	ـــــــ	491
10) فشربوا منه الا قليلا منهم	249	ـــــــ	515
11) وانظر الى العظام كيف ننشزها	259	ـــــــ	103
12) وان كان ذو عسرة	280	ـــــــ	527

1) اعتمدنا في توثيق هذه الآيات الكريمة على ((المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)) من وضع: الاستاذ: محمد فؤاد عبد الباقي . (ط: 1/ 1987 . دار الحديث القاهرة)

2) نقصد بالصفحة هنا صفحة هذا البحث تسهيلا على المنتبع لهذا العمل .

الآيـــــــــــــــــــة	رقمهـــا	سورتهـــا	الصفحة
13) ويقتلون الذين يأمرون بالقســـط	21	آل عمران	269
14) كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل	93	———	527
15) تسود وجوه	106	———	104
16) ماكان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه	179	———	188
17) واللذان يأتيانها منكم فآذوهما	16	النســـاء	446
18) وان أردتم استبدال زوج مكان زوج	20	———	434
19) مـا فعلوه الا قليل منهم	66	———	51 و 509
20) وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا الا خطأ	91	———	527
21) وكان الله غفورا رحيمـا	96	———	527
22) مالهم به من علم الا اتباع الظن	157	———	502، 513 515، 516
23) مـن يرتد منكم عن دينـه	54	المـائدة	252
24) ثم عموا وصموا كثير منهم	71	———	476
25) فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم	117	———	471
26) ولتستبين سبيل المجرمـــن	55	الأنعـــام	438
27) قل هلم شهداءكم	150	———	496
28) ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي للـــه رب العالمـــين	162	———	446

الآيـــــــــــــــــــة	رقمها	سورتهـــا	الصفحة
29) واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم في الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا	74	الأعراف	20
30) والى مدين أخاهم شعيبا قال : ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس اشياءهم، ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها ،ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين	85	———	25
31) رسلهم بالبينات	101	———	469
32) وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا	146	———	436
33) ومن يشاقق الله ورسوله	13	الأنفال	252
34) وان جنحوا للسلم فاجنح لها	61	———	45
35) وآخرون مرجون لأمر الله	106	التوبة	45
36) فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس	98	يونس	517
37) وغيض الماء	44	هود	105
38) هؤلاء بناتي هن أطهر لكم	78	———	103

الآيـــــــــــــــــــــــــــة	رقمها	سورتهـــا	الصفحة
39) ولا يلتفت منكم أحد الا امرأتك	81	هـــود	516
40) وان كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم	111	ـــــــ	534
41) سالك لا تأمنا	11	يوسف	431
42) ما هذا بشرا	31	ـــــــ	484 و 485
43) هذه بضاعتنا ردت الينا	65	ـــــــ	105
44) قل: هذه سبيلي	108	ـــــــ	436
45) وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم	4	ابراهيم	114
46) ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله	9	ـــــــ	20
47) ما أنا بمصرخكم، وما أنتم بمصرخي	22	ـــــــ	465
48) فاسر بأهلك	65	الحجر	43
49) ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين	80	ـــــــ	23
50) وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين	81	ـــــــ	ـــــــ
51) وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين	82	ـــــــ	ـــــــ
52) فأخذتهم الصيحة مصبحين	83	ـــــــ	ـــــــ
53) فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون	84	ـــــــ	ـــــــ
54) وهذا لسان عربي مبين	103	النحل	113
55) فلا تقل لهما: أف	23	الاسراء	502

الآية	رقمها	سورتها	الصفحة
56) قد بلغت من لدني عذرا	76	الكهف	549
57) هذا رحمة من ربي	98	ـــــ	422
58) من كان في المهد صبيا	29	مريم	527
59) فانما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوما لدا	97	ـــــ	114
60) قال : هي عصاي أتوكأ عليها	18	طه	465
61) ان هذان لساحران	63	ـــــ	118، 454
62) وأسروا النجوى الذين ظلموا	3	الأنبياء	476
63) أف لكم ولما تعبدون من دون الله	67	ـــــ	502
64) ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم	29	الحج	188
65) قد أفلح المؤمنون	1	المؤمنون	478
66) حتى حين	54	ـــــ	104
67) وعادا وثمود وأصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا	38	الفرقان	20
68) ان أنا الا نذير مبين	115	الشعراء	465
69) فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة ، انه كان عذاب يوم عظيم	189	ـــــ	26
70) بلسان عربي مبين	195	ـــــ	113
71) فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا	8	القصص	188

الآيـــة	رقمها	سورتها	الصفحة
72) فذانك برهانان من ربك الى فرعون و ملئه	32	القصص	446
73) فخسفنا به وبداره الأرض	81	—	235
74) ثم هو يوم القيامة	61	—	466
75) والى مدين أخاهم شعيبا فقال : ياقوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض مفسدين	36	العنكبوت	25
76) وعادا وثمودا وقد تبين لكم من مساكنهم	38	—	20
77) والقائلين لاخوانهم : هلم الينا	18	الأحزاب	496
78) أمسك عليك زوجك	37	—	433
79) ترجي من تشاء	51	—	45
80) قل لأزواجك وبناتك	59	—	433
81) ربنا باعد بين أسفارنا	19	سبأ	103
82) قل إن ضللت فانما أضل على نفسي	50	—	47
83) ما أنتم الا بشر مثلنا	15	يس	484
84) ان كانت الا صيحة	29	—	103
85) وما عملته أيديهم	35	—	104
86) ألم أعهد اليكم	60	—	—
87) قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون	28	الزمر	113

الآيـــــــــــــــــــــــة	رقمها	سورتها	الصفحة
88) ربنا أرنا اللذين أضلانا	29	فصلت	446
89) كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون	3	ـــــ	114
90) وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين	76	الزخرف	472
91) وزوجناهم بحور عين	54	الدخان	124
92) فانما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون	58	ـــــ	114
93) وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا	12	الأحقاف	114
94) والذي قال لوالديه أف لكما	17	ـــــ	502
95) واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالأحقاف	21	ـــــ	23
96) طاعة وقول معروف	21	محمد	532
97) فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض	22	ـــــ	491
98) ليغفر لك الله	2	الفتح	188
99) وجاءت سكرة الموت بالحق	19	سورة ق	104
100) وأنه أهلك عادا الأولى	50	النجم	20
101) وثمود فما أبقى	51	ـــــ	ـــــ
102) وأنتم سامدون	61	ـــــ	124
103) وطلح منضود	29	الواقعة	104
104) ساهن أمهاتهم	2	المجادلة	486

الآيـــــــــــــــــــة	رقمها	ســـورتها	الصفحة
105) كذبت ثمود وعاد بالقارعة	4	الحـاقـة	20
106) فأما ثمود فأهلكوا بالطاغيـــة	5	ـــــــ	ـــــ
107) وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية	6	ـــــــ	ـــــ
108) سيرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية	7	ـــــــ	ـــــ
109) فهل ترى لهم من باقيـــة	8	ـــــــ	ـــــ
110) فما منكم من أحد عنه حاجزيـــن	47	ـــــــ	485
111) ولا يغسوث ويعـوق	23	نـــوح	463
112) تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا	20	المزمـــل	472
113) ولوألقى معاذيره	15	القيامـة	124
114) انا أعتدنا للكافرين سلاسلا وأغلالا وسعيرا	4	الانســـان	461
115) وأكواب كانت قواريرا	15	ـــــــ	462
116) قواريرا من فضـــــة	16	ـــــــ	ـــــ
117) ان كل نفس لما عليها حافظ	4	الطـارق	488
118) والليل اذا يسـر	4	الفجـــر	43
119) ألم تر كيف فعل ربك بعاد	6	الفجـــر	20

الآيـــــــــــــــــــــــــــــة	رقمهـا	ســـورتها	الصفحـة
120) ارم ذات العمـــــاد	7	الفجـــر	20
121) التي لـم يخـلق مثلهـا في البلاد	8	ـــــــــ	ـــــ
122) وثمـود الذيـن جـابـوا الصخـر بـالـواد	9	ـــــــــ	ـــــ
123) لـربـــه لـكنـود	6	العاديات	467

2 ـ فهرس الترتيب التسلسلي للسور القرآنية حسب ورودها في البحث :

السورة	رقمها	السورة	رقمها
الفاتحة	1	الاسراء	17
البقرة	2	الكهف	18
آل عمران	3	مريم	19
النساء	4	طه	20
المائدة	5	الأنبياء	21
الأنعام	6	الحج	22
الأعراف	7	المؤمنون	23
الأنفال	8	الفرقان	25
التوبة	9	الشعراء	26
يونس	10	القصص	28
هود	11	العنكبوت	29
يوسف	12	الأحزاب	33
ابراهيم	14	سبأ	34
الحجر	15	يس	36
النحل	16	الزمر	39

السورة	رقمها	السورة	رقمها
فصلت	41	الحاقة	69
الزخرف	43	نوح	71
الدخان	44	المزمل	74
الأحقاف	46	القيامة	75
محمد	47	الانسان	76
الفتح	48	الطارق	86
ق	50	الفجر	89
النجم	53	العاديات	100
الواقعة	56		
المجادلة	58		

3 ـ فهـــرس الأحـاديث النبوية الشـريفـة :

1) أنـا أفصـح العـرب بيـد أنـي مـن قـريـش ،
وأنـي نشـأت في بنـي سعـد بـن بكـر .

2) أنـزل القـرآن على سبعـة أحـرف

3) خـيركـم خـيركـم لأهـله ،وأنـا خـيركـم لأهـلـي

4) يتعـاقـبون فيكـم ملائكـة بالليـل ،وملائكـة بالنهـار

4 ـ فهرس بعض الأمثال التي وظفت شواهد :

1) عسـى الغـويـر أبـؤسـا

2) ليـت القسـي كلهـا أرجـلا ،

5ـ فهـــرس الشـــواهـــد الشعـــريـــة :

((البـــــاء))

القـــافيـــــة	البحـــــر	الصفحـــة	العدد
ملحـــــوب	الطـويـــل	432	1
وجانـــوب	ـــــــــ	70	3
تـــيـــوب	ـــــــــ	456	1
نجيـــوب	ـــــــــ	468	1
سكـــوب	ـــــــــ	480	1
مجيـــوب	ـــــــــ	537	2
مطلـــوب	البسيـــط	196	1
قـــريـــب	الـــوافـــر	490	1
حســـابـــا	الـوافـــر	458	1
بـصـاحـب	الطـويـل	513	1
الـذوائـب	الطـويـل	350	1
تـصـب	البسيـــط	43/42	1
الذنـب	ـــــــــ	433	1
بالنقـاب	الـوافـر	492	1

((التـــا ء))

القـــافيـــة	البحـــــــر	الصفحة	العدد
طـــويـــتُ	الـوافـــر	450	1
شـواتُـــه	مجزوء الكامل	360	1
شـمّـــتِ	الطويـــل	358	1
المتنبـــتِ	الكـامـــل	512	2
السـبـــاتِ	الـرجـــز	435	1

((الثـــا ء))

جَشْجَاثَـــا	الـرجـــز	407	1

((الجـــيـــم))

نئيـــجُ	الطـــويـــل	540	1
تـعـــرجـا	الـرجـــز	480	2

((الحـــــا ء))

بـــراحُ	الكـــامـــل	486	1
الـواحُ	مجزوء الكامـــل	513	2
وتفـاحـــا	الـرجـــز	407	1
الصبـاحـا	ـــــــــ	429	7
بـقـــداحِ	الـكامـــل	353	2

((الـــــدال))

القافيـــــة	البحـــــر	الصفحـــة	العدد
الفـــرقـــدُ	المتقـارب	56	1
مُـــــرْدَا	الطـويـل	457	1
أُسْـــــدَا	ـــــ	531	1
مـطـــرِدِ	ـــــ	61	1
الشـــــدِ	ـــــ	447	1
الجـــــدِ	ـــــ	448	1
الابـــــدِ	البسيـط	511	3

((الـــــراء))

ومعصـــرُ	الطويـل	424	1
يستـيرُهـا	الطـويـل	433	1
بهـــرُ	ـــــ	353	1
غـــرورُ	ـــــ	468	1
شبيـــرُ	ـــــ	153	3
مـضـــرُ	البسـيـط	450	1
بشـــرُ	ـــــ	484	1
وبـــارُ	مخلـع البسيط	460	1

القافية	البحر	الصفحة	العدد
أقدرُ	الكامل	472	1
قصورُها	ـــــــ	218	1
معصرِ	الطويل	43	1
أكثرِ	ـــــــ	423	1
المشافرِ	ـــــــ	532	1
المشهرِ	ـــــــ	423	1
الساري	البسيط	43	1
عَرْعَارِ	الكامل	506	1
استبارِي	ـــــــ	512	2
مستثيري	الوافر	457	2
العطرِ	الرجز	434	1
قَرْقَارِ	ـــــــ	507	1
منخورِه	ـــــــ	549	1
بشرُ	الكامل	434	1

((السين))

العيسُ	الرجز	517	1
جلسا	ـــــــ	53	6

القافية	البحر	الصفحة	العدد
فَأَقْنَتْنَا	الرجز	407	1
أمسى	ــــــ	443	4
أمسِ	ــــــ	443	2
للشمسِ	ــــــ	545	1
أمسِ	الخفيف	460	1
((العين))			
نـاقعُ	الطويل	396	1
ضائعُ	ــــــ	487	1
مصرعُ	الكامل	464	1
النخعا	البسيط	63	1
فَأَرْتَعَا	الرجز	407	1
رواجعا	ــــــ	535	1
أرباعها	ــــــ	506	1
((الفاء))			
أسدفا	الرجز	46	1
بالغرفِ	البسيط	514	1

((القـــــاف))

القافيـــة	البحـــر	الصفحـــة	العدد
محـــرزق	الطـــويـــل	155	1
عـــارقـــه	الطـــويـــل	450	1
أنـطقـــا	الـرجـــز	445	1

((الكـــاف))

لمـالـك	الطـويـل	65	2
المعـارك	ـــــــ	219	1
أوراكهـا	الـرجـز	506	1

((الـــلام))

لأميـل	الطـويـل	56	8
يستهيلهـا	الطـويـل	434	1
كـاهلـه	ـــــــ	218	1
وقـابلـه	ـــــــ	537	1
الصقـل	ـــــــ	448	1
بـه همـل	البسيـط	482	1
يعـذل	المتقـارب	479	1

القافية	البحر	الصفحة	العدد
فيخذلا	الطويل	438	1
السلاسلا	———	492	1
السبيلا	الوافر	436	1
فضلا	الكامل	450	1
الأغلالا	الكامل	448	1
معولِ	الطويل	238	1
مرجلي	———	301	1
فانزلِ	———	302	2
بغليلِ	———	492	1
مالي	الوافر	188	1
الهلالِ	———	458	1
مالي	———	534	1
العذالِ	الكامل	450	1
((الميم))			
عقيمُ	الطويل	469	1
حميمُ	———	479	1

القافية	البحر	الصفحة	العدد
حريم و	الطويل	473	1
الشبم و	البسيط	435	1
مسجوم و	———	530/86	1
والغلام و	الوافر	425	1
شريم و	———	538	1
تميم و	الرجز	448	1
لا قدما	الطويل	499	1
الهرما	البسيط	435	1
لماما	الوافر	546	1
ودما	الرمل	467	1
يسأم	الطويل	452	1
المصمم	———	487	1
الإسم	———	219	2
حذام	الوافر	459	1
الأعصام	الكامل	354	1
تميم	الطويل	185	1

القافية	البحر	الصفحة	العدد
الخيام	الوافر	536	1
الأيام	الكامل	445	1
الكرم	الرجز	451	1
الدوم	الرجز	46	1
همهام	السريع	508	1
((الغين))			
ديوانا	الرجز	452	6
فتيان	الطويل	468	1
الأبيضين	البسيط	458	1
العنان	الوافر	88	2
المبين	————	46	1
الأربعين	————	458	1
الآخرين	————	458	1
حقّان	الهزج	531	1
الندمان	الخفيف	450	1
((الهاء))			
واديها	البسيط	467	1

القافية	البحر	الصفحة	العدد
تراها	الرجز	454	2
غايتاها	الرجز	455/454	1
فخلّوه	ـــــ	66	3
((الياء))			
العصيّ	المتقارب	515	1
شاويا	الطويل	434	1
يمانيا	ـــــ	426	1
كفانيا	ـــــ	450	1
متراخيا	ـــــ	487	1
المهاويه	السريع	478	2

6- مراجع البحث ومصادره :

- المراجع العربية :

1) الادب السامية : محمد عطية الابراشي

ط: 2/ 1984 دار الحداثة - بيروت

2) الابانة عن معاني القراءات : لمكي بن أبي طالب

تحقيق : د. عبد الفتاح اسماعيل شلبي ، ط النهضة - 1960

3) الأشباه والنظائر : عبد الملك بن محمد الثعالبي

تحقيق : محمد المصري ط: 1/ 1984 سعد الدين للطباعة - القاهرة

3) الاشتقاق : ابن دريد ، تحقيق هارون ط: 1958 مطبعة

السنة المحمدية - القاهرة

4) اصلاح المنطق : ابن السكيت ، تحقيق : شاكر وهارون

دار المعارف - مصر

5) الأصمعي اللغوي : د. عبد الحميد الشلقاني ، دار المعارف - مصر

6) أصول التفكير النحوي د. علي أبو المكارم ط: 1973 دار القلم - بيروت

7) أصول النحو العربي . د. محمد خير الحلواني ط: 1979 مط الشرق حلب

8) الاصوات اللغوية : د. ابراهيم أنيس ط: 6/ 1984 دار فوني للطباعة مصر

9) الأفعال في القرآن الكريم : د. عبد الحميد مصطفى السيد ط: 1 / 1986

مط دار البيان العربي - جدة

10) الاقتضاب في شرح أدب الكاتب : لابي محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي : تحقيق :مصطفى السقا ،د. حامد عبدالمجيد ط: 1981 الهيئة المصرية العامة للكتاب

11) الألسنية (قراءات تمهيدية) :د.ميشال زكريا *

ط: 1/1984 ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت

12) الألسنية (الهادي والاعلام) :د. ميشال زكريا *

ط: 2/ 1983 المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت

13) الألسنية والنقد الادبي :د.موريس أبونا ضر ط: 1979 دار النهار للنشر بيروت

14) الأمالي : لأبي علي القالي دار الفكر العربي للطباعة والنشر

15) الانصاف في مسائل الخلاف : ابن الأنباري

تحقيق : عبد الحميد محي الدين ،المكتبة التجارية الكبرى - مصر

16) أوضح المسالك الى ألفية ابن مالك : ابن هشام

تحقيق : عبد الحميد محي الدين ط: 1949 دار السعادة - مصر

17) الايضاح في علل النحو :الزجاجي

تحقيق : مازن المبارك ،دار العروبة القاهرة

18) البحث اللغوي عند البهود :د.أسد مختار عمر ط: 1972 دار الثقافة بيروت

19) البحر المحيط :أثير الدين أبوحيان الاندلسي الغرناطي

ط : 1 / 1328 هـ ، مطبعة السعادة - مصر

20) بنية اللغة الشعرية : جان كوهن ،ترجمة : محمد الولي ومحمد العمري ،ط:1/ 1986 دار توبقال للنشر ،الدار البيضاء (المغرب)

21) بوادر الحركة اللسانية الأولى عند العرب : عبد الجليل مرتاض ط:1/ 1988 مؤسسة الأشرف - بيروت

22) البيان في غريب اعراب القرآن : ابن الانباري تحقيق :د .طه عبد الحميد طه ط:1939 الهيئة المصرية العامة - القاهرة

23) البيان والتبيين :الجاحظ ،تحقيق : عبد السلام هارون ط: 1950 مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

24) تاريخ الأدب العربي : بلاشير ،ترجمة : د.ابراهيم الكيلاني ط: 1986 ،طبع مشترك بين الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)

25) تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) :د . شوقي ضيف ط:3 دار المعارف مصر

26) تاريخ آداب العرب (الجزء الأول) : مصطفى صادق الرافعي ط:4/ 1974 دار الكتاب العربي - بيروت

27) تاريخ الآداب العربية :كارلو نالينو ط:2/ 1970 دار المعارف مصر

28) تاريخ النقد العربي :د .محمد زغلول سلام ،دار المعارف - مصر

29) تاريخ اليمن القديم :عبد القادر بافقية ط:1973 ،مطبعة الحرية - بيروت

30) تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة ،شرح ونشر السيد أحمد صقر ط:2 /1973 دار التراث - القاهرة

31) تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد : ابن مالك ،تحقيق : محمد كامل بركات

ط : 1967 دار الفكر العربي

32) التضاد في ضوء اللغات السامية : د . رمضان كمال

ط: 1975 دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت

33) التنبيهات : علي بن حمزة ،تحقيق :عبد العزيز الميمني ،دار المعارف - مصر

34) ثلاثة كتب في الاضداد : للأصمعي وللسجستاني ولابن السكيت ...

دار الكتب العلمية - بيروت

35) الجمل :الزجاجي ،ط: 1957 تحقيق :الاستاذ ابن أبي شنب

مطبعة كلنسيك - باريس

36) جمهرة أنساب العرب : ابن حزم : تحقيق : عبد السلام هارون

دار المعارف - مصر

37) جمهرة اللغة : ابن دريد ،ط: 1351 هـ مطحيدر باد (بالأوفسيت)

38) الحجة في علل القراءات السبع : أبو علي الفارسي ،تحقيق : عبد الحليم

النجار،علي النجدي ناصف ،د.عبد الفتاح شلبي ،دار الكتاب العربي - القاهرة

39) الحجة في القراءات السبع : ابن خالويه ،تحقيق : د. عبد العال

ط: 1971 دار الشرق - بيروت

40) الخصائص : ابن جني ،تحقيق :محمد النجار،دار الهدى بيروت

41) دراسات في اللغة والنحو العربي :د.حسن عون ،ط: 1965 مط الكيلاني

42) دراسات لغوية في ضوء الماركسية، ترجمة : د. ميشال عاصي

ط : 1/ 1979 دار ابن خلدون - بيروت

43) دراسة اللهجات العربية القديمة : د. داود سلوم، ط: 1/ 1986

عالم الكتب - بيروت

44) ديوان حميد بن ثور الهلالي : صنعة الأستاذ عبد العزيز الميمني

الدار القومية (القاهرة)

45) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات، ط: 1980 دار بيروت للطباعة والنشر

46) ديوان النابغة الذبياني، ط: 1968 تحقيق : د. شكري فيصل، دار الهاشم بيروت

47) ديوان الهذليين، ط: 1965 الدار القومية - القاهرة

48) زبدة الاتقان في علوم القرآن : محمد بن علوي ط: 1/ 1981 دار الانسان القاهرة

49) سر صناعة الاعراب (الجزء الأول) : ابن جني، تحقيق : لجنة من الاساتذة

ط : 1954 مط مصطفى البابي الحلبي (القاهرة)

50) سيبويه : امام النحو العربي : د. فوزي مسعود ط: 1977 الهيئة المصرية للكتاب

51) شذور الذهب: ابن هشام، تحقيق : عبد الحميد، مط السعادة - مصر

52) شرح ابن عقيل : تحقيق عبد الحميد، ط: 14/ 1965 مط السعادة مصر

53) شرح ديوان الحماسة لابي تمام تحقيق الاستاذين : أحمد أمين وعبد السلام

هارون، ط : 1/ 1951 لجنة التأليف والترجمة - القاهرة

54) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات : أبوبكر محمد بن القاسم الانباري

تحقيق : عبد السلام هارون، ط: 2، دار المعارف مصر

55) شرح القصائد العشر : التبريزي ،تحقيق : د .فخر الدين قباوة

ط: 4 / 1980 دار الآفاق الجديدة بيروت

56) شرح قطر الندى : ابن هشام،المطبعة العربية ـ مصر

57) الشعر الجاهلي :د .سيد حنفي ط: 1971 الهيئة المصرية للطباعة

58) الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي :د .يوسف خليف

ط: 2/ دار المعارف ـ مصر

59) الشعر والشعراء : ابن قتيبة طبعة ليدن 1902

60) الشعرية :تودوروف ،ترجمة: شكري المبخوت ورجاء بن سلامة

دار توبقال للنشر (الدار البيضاء) ط: 1987

61) الصاحبي في فقه اللغة : ابن فارس ،تحقيق :د . مصطفى الشويمي

ط:1963 مؤسسة بدران للطباعة والنشر ـ بيروت

62) صبح الاعشى : القلقشندي ،المؤسسة المصرية العامة

63) الصحاح : الجوهري ،تحقيق: عطار ،ط:3/1984 دار العلم للملايين بيروت

64) ضحى الاسلام :الاستاذ أحمد أمين،ط:10 ، دار الفكر العربي بيروت

65) الضرائر : الألوسي ، ط: 1341 هـ المطبعة السلفية ـ القاهرة

66) ضرائر الشعر : ابن عصفور ،تحقيق : السيد ابراهيم محمد

ط: 1 / 1980 دار الاندلس ـ بيروت

67) طبقات فحول الشعراء : ابن سلام ،تحقيق : محمود محمد شاكر

مطبعة المدني القاهرة

68) طبقات النحويين واللغويين: الزبيدي ، تحقيق : أبو الفضل ابراهيم
ط: 1973 دار المعارف - مصر

69) ظاهرة الاعراب في النحو العربي : د . أحمد سليمان ياقوت
ط 1983 ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر

70) العرب قبل الاسلام : جرجي زيدان ، منشورات المكتبة الاهلية - بيروت

71) العرب والحضارة : د . علي حسن الخربوطلي ط: 1966 المطبعة الفنية القاهرة

72) العربية : يوهان فوك ، ترجمة عبد الحليم النجار ،
ط: 1951 دار الكتاب العربي - القاهرة

73) العربية بين الطبع والتطبيع : عبد الجليل مرتاض
ط: 1993 ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر

74) العربية عبر القرون : د . محمود فهمي حجازي ، [illegible]
[illegible] ط : 1968 دار الكتاب العربي

75) علم الفصاحة : د . محمد علي الخفاجي ، ط: 2/ 1982 دار المعارف مصر

76) علم اللغة : د . محمود جاد الرب ، ط: 1/ 1980 دار المعرف - مصر

77) العمدة : ابن رشيق ، تحقيق عبد الحميد ط: 3/ 1963 مطبعة السعادة مصر

78) الفاضل : المبرد ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، ط: 1956 دار الكتب العربية

79) فضائل القرآن : ابن كثير ، ط: 1966 دار الاندلس ، بيروت

80) فقه اللغة : د . صبحي الصالح ، ط: 3/ 1968 دار العلم بيروت

81) فقه اللغة : د . وافي ،ط: 1972 دار نهضة مصر

82) فقه اللغة المقارن د . ابراهيم السامرائي ط: 1968 دار العلم للملايين بيروت

83) في الادب الجاهلي :د .طه حسين ط: 1964 ، دار المعارف مصر

84) في علم اللغة التقابلي :د . ياقوت ،ط: 1985 دار المعرفة الجامعية الاسكندرية

85) قصة الكتابة العربية: ابراهيم جمعة ط: 2/ دار المعارف مصر

86) قيام الدولة العربية الاسلامية: محمد جمال الدين ط: 5/ 1969 دار الفكر العربي

87) الكامل : المبرد ،تحقيق: ابو الفضل وشحاتة ،نهضة مصر القاهرة

88) الكامل في التاريخ :ابن الاثير ،ط: 2/ 1980 دار الكتاب العربي بيروت

89) كتاب الابدال : ابن السكيت ،تحقيق :د .حسين محمد شرف ط: 1978 الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية ـ القاهرة

90) كتاب التيسير في القراءات السبع :الداني ،استانبول ط: 1930

91) كتاب الجمل في النحو : الخليل بن احمد ،تحقيق : د .فخر الدين قباوة ط: 1/ 1985 مؤسسة الرسالة بيروت

☆ كتاب حذف من نسب قريش

92) كتاب العين : الخليل بن أحمد ،تحقيق : د . عبد الله درويش (الجزء الاول) ط: 1967 مطبعة العاني ـ بغداد

93) كتاب الفهرست للنديم :تحقيق رضا تجدد ،طبعة طهران : 1971

94) كتاب الكتاب: ابن درستويه، تحقيق : د .ابراهيم السامرائي ،وأحمد كتوز عبد الحسين الفتلي ، ط: 1 / 1977 مؤسسة دار الكتب الثقافية ـ الكويت

٩٥) كتاب معاني الحروف: الرماني النحوي ، تحقيق : د.عبد الفتاح شلبي
دار نهضة مصر للطبع والنشر ـــ القاهرة

96) كتاب نور القبس :المرزباني واختصار اليغموري ،تحقيق :رودولف
زلهايم ط:1964 ،دار النشر فرانتس شتايز بفيسبادن

٩٧) الكتاب (خمسة أجزاء) : سيبويه ،تحقيق : عبد السلام هارون
الطبعة الأولى ،طبعة الجزء الاول عام :1966 ،دار القلم ،
طبعة الجزء الثاني عام : 1968 دار الكتاب العربي ـ القاهرة
طبعة الجزء الثالث عام: 1973 الهيئة المصرية العامة للكتاب
طبعة الجزء الرابع عام 1975 الهيئة المصرية العامة للكتاب
طبعة الجزء الخامس عام : 1977 الهيئة المصرية العامة للكتاب

98) لامية العرب : الشنفرى ،تحقيق :د.محمد بديع ط:1964 دار الحياة بيروت

٩٩) لحن العامة : الزبيدي ،تحقيق د.عبد العزيز مطر ط: 1381 دار المعارف مصر

100) لسان العرب : ابن منظور ،الدار المصرية للتأليف والترجمة

١٠١) اللسانيات من خلال النصوص :د.الصدي ط:1984 الدار التونسية للنشر

١٠٢) اللغة :م فندريس ،ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص
ط:1950 مطبعة الانجلو ـ القاهرة

١٠٣) اللغة العربية :كائن حي : جرجي زيدان ،طبعة دار الهلال

104) اللغة والنحويين القديم والحديث:عباس حسن ،ط: 1966 دار المعارف مصر

105) اللهجات العربية في القراءات القرآنية ، د.عبده الراجحي
ط: 1969 دار المعارف مصر

106) اللهجات العربية في التراث: د.أحمد علم الدين الجندي ، الهيئة المصرية للكتاب

107) ما ينصرف وما لا ينصرف : أبو اسحاق الزجاج ، تحقيق : تحقيق هدى محمود
ط : 1971 مطابع الاهرام التجارية - القاهرة

108) مباحث لغوية : د.ابراهيم السامرائي ط: 1971 مطبعة الآداب في النجف الاشرف

109) متن الكافية : ابن الحاجب، ط: 1241 هـ طبعة بولاق

110) مجالس ثعلب : تحقيق عبدالسلام هارون ، دار المعارف مصر

111) مجمع الامثال : الميداني ، تحقيق : عبدالحميد ، ط: 2/1959 مط.السعادة مصر

112) محاضرات في الألسنية العامة : فردي سوسور ، ترجمة يوسف غازي ومجيد النصر ط: 1984 دار نعمان للثقافة - لبنان

113) مدخل الى اللسانيات : رونالد ايلوار ، ترجمة د.بدر الدين القاسم
ط: 1980 مطبعة جامعة دمشق

114) المدخل الى علم اللغة : د.رمضان عبدالتواب ط: 2/1985 مط المدني مصر

115) المذكر والمؤنث: ابن التستري الكاتب ، تحقيق : د.أحمد عبدالمجيد هريدي
ط: 1/1983 مط المدني مصر

116) المذكر والمؤنث : الفراء ، تحقيق : د.رمضان عبدالتواب ط: 1975
مط قاصد خير - القاهرة

117) المذكر والمؤنث : المبرد ، تحقيق د. رمضان وصلاح الدين الهادي
ط: 1970 مط دار الكتب مصر

118) مراتب النحويين :أبو الطيب اللغوي ،تحقيق : أبو الفضل ابراهيم

دار الفكر العربي

119) المرجع والدلالة في الفكر اللساني الحديث : تودوروف وآخرون ترجمة: ل

قنيني عبد القادر ط:1988 افريقيا الشرق (المغرب)

120) مروج الذهب : المسعودي ، دار الاندلس بيروت

121) المزهر : السيوطي ، تحقيق جاد المولى وآخران مطعيسى البابي الحلبي

122) المسالك والممالك : الاصطخري ،تحقيق : محمد جابر ،ط : 1969

دار القلم ـ القاهرة

123) مصادر الشعر الجاهلي :د.ناصر الدين الاسد ط:4/1969 دار المعارف مصر

124) معترك الأقران في اعجاز القرآن : السيوطي ،تحقيق البجاوي دارالفكر القاهرة

125) معجم القراءات القرآنية (الجزء الأول) : د.عبد العال ،د.أحمد مختار

ط:1/1982 مطبوعات جامعة الكويت

126) معجم ما استعجم : البكري ،تحقيق مصطفى السقا مطلجنة التأليف القاهرة

127) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم :محمد فؤاد عبد الباقي

ط:1 / 1987 دار الحديث ـ القاهـــــرة

128) المعرب: ابو منصور الجواليقي ،تحقيق : أحمد محمد شاكر

ط:2/1969 مطـ دار الكتـــب ـ القاهرة

129) معرفة القراء الكبار :شمس الدين الذهبي ،تحقيق جاد الحق ط:1969

دار الكتـــب ـ القاهرة

130) مغني اللبيب : ابن هشام تحقيق عبد الحميد مط المدني القاهرة

131) المفصل في علم العربية : الزمخشري ط: 2/ دار الجيل بيروت

132) المفضليات : المفضل الضبي ،تحقيق شاكر وهارون مط المدني القاهرة

133) المقدمة : ابن خلدون ،مط مصطفى محمد ـ القاهرة

134) من أسرار اللغة :د .ابراهيم انيس ط: 3/ 1966 المطبعة الفنية الحديثة القاهرة

135) من تاريخ النحو: سعيد الافغاني ،مط دار الفكر ـ بيروت

136) مقدمة في علوم اللغة :د.البدراوي زهران ط: 2/ 1986 دار المعارف مصر

137) من السامين الى العرب: نسيب وهيبة ،دار مكتبة الحياة بيروت

138)من لغات العرب (لغة هذيل) :د .عبد الجواد الطيب الاستاذ بجامعة طرابلس

(مجهول المكان والزمان)

139) المنقوص والممدود : الفراء ،تحقيق : عبد العزيز الميمني ،دار المعارف مصر

140) الموشح : المرزباني ،تحقيق محمد الهجاوي ط: 1965 دار نهضة مصر

141) مولد اللغة :احمد رضا ط: 1956 دار مكتبة الحياة ـ بيروت

142) نزهة الالباء في طبقات الادباء :ابن الانباري تحقيق : د .ابراهيم السامرائي

ط: 2/ 1970 مكتبة الاندلس ـ بغداد

143) النشر في القراءات العشر :ابن الجزري ،الطبعة التجارية القاهرة

144) نظم الفرائد وحصر الشرائد : ابن بركات المهلبي تحقيق :د .عبد الرحمان

ابن سليمان العثيمين ط: 1/ 1986 ،مط المدني مصر

144) نظرات في اللغة عند ابن حزم: سعيد الافغاني ط: 1968 دار الفكر بيروت

146) نظرية النحو القرآني: د. احمد مكي الانصاري ط: 1/1405هـ مطابع ابو الفتوح

147) نكت الاعراب في غريب الاعراب: الزمخشري، تحقيق: د. محمد ابو الفتوح شريف
ط: 1985 دار المعارف - مصر

148) النقد المنهجي عند العرب ومنهج البحث في اللغة والادب: د. محمد مندور
ط: 1969 مطبعة نهضة مصر بالفجالة

149) نهاية الارب في معرفة انساب العرب: القلقشندي تحقيق الابياري
ط: 1/1956 مطبعة مصر

150) الوجيز في فقه اللغة: محمد الانطاكي، ط: 2 دار الشرق (سوريا)

الدوريات:

1) الاستاذ: مجلة كلية التربية في جامعة بغداد العدد (2) السنة: 1978-1979

2) مجلة مجمع اللغة العربية الاردني العدد (2) شعبان 1398 هـ - 1978 م

3) المورد: العدد (1) سنة 1978 دار الحرية للطباعة - بغداد

4) المورد: العدد (3) سنة 1978 دار الحرية للطباعة - بغداد

5) المورد: العدد (2) سنة 1981 دار الحرية للطباعة - بغداد

6) الموقف الادبي (عدد خاص باللسانيات) العددان: 135-136 سنة 1982

7 - المراجـــع باللغـــة الأجنبيـــة

01 - Clefs pour la Linguistique Generale (G. Mounin)
Edition Seghers, Paris 1968 - 1971

02 - Cours de Linguistique Generale / Saussure
ENAG / Editions 1990.

03 - Comprendre la Linguistique/ Bernard Pottier
Edition Marabout / Verviers 1975

04 - Dictionnaire de la Linguistique / G. Mounin
Edition 1914; presse Universitaire de France

X05 - Essaie de Linguistique Generale : R. JACKOBSON
EDITION de minuit 1963

06 - Grammaire de l'arabe (Gerard Lecomte " Que suis-je"
Presse Universitaire de France 1968.

07 - Guide alphabètique (André Martinet)

08 - Guide pratique de grammaire française
(Charles Gordert Hachette, 1978)

09 - La grammaire pour tous (Bescherelle)
Edition 1984 - Hatier Paris.

10 - Initiation à la problematique structurele,
J.L Chis
J. Fillio et D. Maingneneau.
Hachette, Université de Paris 1978.

11 - Introduction à la Linguistique : Gleason

12 - Langues vivante, Jean Guenôt
Edition Seghers, Paris 1964/1971.

13 - Linguistique appliquée et didactique des langues :
Denis Girard 4eme Edition, Armand Colin
Longman , 1972

14 - La linguistique synchronique (A; Marnet
presse Universitaire , France

15 - pour comprendre la linguistique / Marima
Yaguello, Edition du seuil 1969

16 - Structure syntaxique / Chomsky
Edition du seuil 1969.

17 - Theories syntaxiques et syntaxe du Français,
Nicoles Ruwet
Edition du seuil , Paris 1972

18 - Traite de philologie / Henri, Fleisch
Imprimerie Catholique/ Beyrout 1967.

19 Rivages et déserts (ensemble d'auteurs)
Edition SINDBAD 1983

8) الفهرس المفصل لمحاور البحث

المحتوى	صفحة
المقدمة	هـ — ض
القسم الأول	2 — 290
دراسات تركيبية	
في	
السامية واللهجات العربية السائدة	
تمهيد	3 — 51
1) مواقع بلاد العرب	4 — 17
2) طبقات العرب	18 — 34
3) اللهجات بين المواقع والطبقات	35 — 50
الباب الأول	52 — 136
القبائل العربية واشكالية اللهجة النموذجية	

الفصل الأول : التقاطعات الفضائية للقبائل العربية 52 - 77

الفصل الثاني : فصاحة قبيلة قريش؟ 78 - 90

الفصل الثالث: اللغة النموذجية ومراقبها بين القبائل 91 - 136

الباب الثاني 137 - 204

دراسات تركيبية في اللغات السامية

الفصل الأول : السامية والساميون 137 - 150

الفصل الثاني : العلاقات اللغوية بين اللغات السامية 151 - 162

الفصل الثالث: التراكيب اللسانية في اللغات السامية 163 - 204

الباب الثالث 205 - 290

دراسات تركيبية في اللهجات العربية البائدة

الفصل الأول : في البنية السانتكسية 205 - 231

الفصل الثاني : في البنية المورفولوجية 232 - 242

الفصل الثالث : في البنيتين المعجمية والدلالية 243 - 257

الفصل الرابع : في البنية الصوتية بين الملفوظ والمكتوب 258 - 290

القسم الثاني 291 - 571

دراسات تركيبية

في

اللهجات العربية البافية

الباب الأول 293 - 379

في مدونة اللهجات العربية الباقية

الفصل الأول : العدد و نـــــة	317 - 293
الفصل الثاني : التقاط المدونة	346 - 318
الفصل الثالث : امكانيات حول المدونة المصنوعة	379 - 347
الباب الثاني	571 - 380

التركيب في اللهجات العربية الباقية

الفصل الأول : قراءات لسانية عامة حول البنية السانتكسية	415 - 381
الفصل الثاني : التركيب الاسمي	472 - 416
الفصل الثالث : التركيب الفعلي	517 - 473
الفصل الرابع : التركيب الحرفي والظرفي	550 - 518
خلاصة البحث	571 - 551